البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

الغرناطي الأندلسي

٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حققه هذا الجزء

محمد رضوان عرقسوسي

الجزء الخامس عشر

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة لسان العرب

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

الرسالة العالمية

دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah m.

Publishers

الإدارة العامة

Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية

Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com

http://www.resalahonline.com

فرع بيروت

BEIRUT/LEBANON

TELEFAX: 815112- 319039- 818615

P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه عليه السلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طه (١) مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ (٢) إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ (٣) تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ
خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى (٤) ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ (٥) لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ (٦) وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى (٧) ٱللَّهُ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ (٨) وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (٩) إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ
ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى (١٠) فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ
يَٰمُوسَىٰٓ (١١) إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى (١٢) وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا
يُوحَىٰٓ (١٣) إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ (١٤) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ
فَتَرۡدَىٰ (١٦) وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ
غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ (١٨) قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ (٢٠) قَالَ
خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ (٢١) وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ
سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى (٢٣) ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ
ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي (٢٥) وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي (٢٦) وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي (٢٨) وَٱجۡعَل لِّي
وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي (٣١) وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي (٣٢) كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا
(٣٣) وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا (٣٥) قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدۡ مَنَنَّا
عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ (٣٧) إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ (٣٨) أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ

فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾﴾.

المفردات الثَّرَى: الترابُ النَّدِيّ[١]، ويُثَنَّى ثَرَيان، ويقال: ثَرَّيْتُ التُّرْبَةَ: بَلَلْتُها، وثَرِيَتِ الأرضُ تَثْرَى ثَرًى، فهي ثَرِيَّة: ابتلَّ ترابُها بعد الجُدُوبة، وأثْرَتْ فهي مُثْرِيَة: كَثُرَ ترابُها، وأرضٌ ثرِيٌّ[٢]: ذاتُ ثَرًى.

وقال ابنُ الأعرابيّ: يقال: فلان قريبُ الثَّرَى بعيدُ النَّبَطِ للذي يَعِدُ ولا يَفِي، ويقال: إني لأرى ثَرَى الغضب في وجه فلان، أي: أثرَه[٣].

ويقال: الثَّرَى بيني وبين فلان إذا انقطع ما بينهما[٤]. وقال جرير:

فلا تَنْبُشُوا بيني وبينكم الثَّرَى فإنَّ الذي بيني وبينكُمُ مُثْرِي[٥]

آنَسَ: وَجَدَ، تقول العرب: هل آنَسْتَ فلاناً؟ أي: وجدتَهُ. وقيل: أَحَسَّ، وهو قريب من «وَجَدَ»، قال الحارث بنُ حِلِّزة:

آنَسَتْ نَبْأَةً ورَوَّعَها القُـ ـنَّاصُ عَصْراً وقد دَنَا الإمْسَاءُ[٦]

---

(١) نقل الأزهري في «تهذيب اللغة» ١٥/ ١١٥ عن الليث: الثَّرَى: كل تراب لا يصيرُ طيناً لازباً إذا بُلَّ.
(٢) كذا في النسخ الخطية. والذي في المعاجم: ثَرِيَّة، وسلفت، وهي بتشديد الياء وتخفيفها.
(٣) لسان العرب (ثرى).
(٤) كذا وقع. وصواب العبارة: يَبِسَ الثَّرى بيني وبين فلان إذا انقطعَ ما بينهما، كما هو معناه في المصادر، واستشهدوا عليه ببيت جرير الآتي وروايتُه: فلا تُوبِسُوا بيني وبينكم الثرى، وليس (كما سيرد): فلا تنبشُوا...
(٥) ديوان جرير ص٤٢١، وفيه (كما سلف في التعليق قبله) وفي المصادر: فلا تُوبِسُوا، وينظر معجم مقاييس اللغة ١/ ٢٤٧، واللسان ١٤/ ١١٢، كلاهما في مادة (ثَرَى)، وتاج العروس (يبس).
(٦) البيت من مُعَلَّقَتِهِ، وهو في شرح القصائد التسع للنَّحاس ٢/ ٥٥٢، وشرح المعلقات السبع للزَّوْزَني ص١٢٥، ومعجم مقاييس اللغة ١/ ١٤٥ (أنس)، والمَصُون ص٩٥، وفي هذه المصادر: أفزعَها، بدل: روَّعها، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٣٨، وفيه: ليلاً، بدل: عصراً، =

القَبَسُ جَذْوةٌ من النار تكونُ على رأس عُود أو قَصَبة أو نحوه، فَعَلٌ بمعنى مفعول، كالقَبَضِ والنَّقَض[١]، يقال: قَبَسْتُ منه ناراً أَقْبِسُ فأقْبَسَني: أعطاني منه قَبَساً، ومنه المِقْبَسَة لِما يُقتبس فيه من شَقَفَةٍ[٢] وغيرِها. واقتبستُ منه ناراً وعِلْماً، أي: استفَدْتُه. وقال المبرِّد: أقبَسْتُ الرجلَ علماً وقَبَسْتُه ناراً[٣]. وقال الكسائي: أقْبَسْتُهُ ناراً وعِلْماً، وقَبَسْتُه أيضاً فيهما.

خَلْعُ النَّعْلِ والنَّعْلُ معروفان، وهو إزالتُها من الرِّجْل. وقيل: النَّعْلُ ما هو وقاية للرِّجْل من الأرض؛ كان من جِلْدٍ أو حديدٍ أو خشب أو غيره.

طُوًى: اسم موضع.

السَّعْيُ: المَشْيُ بسرعة، وقد يُطلق على العمل.

رَدِيَ يَرْدَى رَدًى: هلكَ، وأرداه: أهلكه، قال دُريد بنُ الصِّمَّة:

تَنَادَوْا فقالوا أَرْدَتِ الخيلُ فارساً فقلتُ أعَبْدُ اللهِ ذلكم الرَّدِي[٤]

تَوَكَّأَ على الشيء: تَحَامَلَ عليه في المشي والوقُوف، ومنه الاتِّكاء، توكَّأْتُ واتَّكأْتُ بمعنًى، وتقدَّمت هذه المادة في سورة يوسف في قوله: «متَّكأً» وشرحتُ هنا لاختلاف الوزنين وإن كان الأصل واحداً.

هَشَّ على الغنم يَهُشُّ بضمِّ الهاء: خَبَطَ أوراقَ الشجر لتسقطَ، وهَشَّ إلى الرَّجُل يَهِشُّ، بالكسر ـ قاله ثعلب ـ إذا بَشَّ وأظهر الفَرَح به، والأصل في هذه المادة الرَّخاوة، يقال: رجلٌ هَشٌّ.

= وهو في اللسان (نبأ ـ قصر) برواية: وأفزعَها القُنَّاص قَصْراً. يعني حين اختلاط الظلام، والنَّبْأة: الصوتُ الخفيّ، والعَصْر: العَشِيّ، قال النحاس: العرب تسمِّي الغَداة والعشيّ العصرين.

(١) بمعنى المقبوض والمنقوض. وينظر الدر المصون ٨/ ١٥.

(٢) كذا في النُّسخ الخطية ونسخة خطية للكشاف ٤٧/أ، وهي الخَزَفَة، وفي مطبوع الكشاف ٢/ ٥٣١: سعفة.

(٣) القول في الصحاح (قبس) وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩ عن اليزيدي، وبنحوه في تهذيب اللغة ٨/ ٤١٩. ولم أقف عليه عن المبرِّد في مصادر قبلَ أبي حيان.

(٤) ديوان دُريد ص٤٩، وهو أيضاً في مجاز القرآن ٢/ ١٧، والأصمعيات ص١٠٨، والتعازي والمراثي ٢/ ٣١٦، والحماسة بشرح المرزوقي ٢/ ٨١٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠.

الغنم معروف، وهو اسم جنس مؤنث.

المأْرُبَة بضم الراء وفتحها وكسرها: الحاجة، وتجمع على مآرب، والإرْبة أيضاً الحاجة.

الحيَّة: الحَنَش، يُطلق على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وتقدَّمت مادتُه وكُرِّرت هنا لخصوصيَّة المدلول، وقولُهم: حَوَّاء للذي يصيدُ الحيَّات من باب قُوَّة[١]، فالمادَّتان مختلفتان كـ: سَبِطٍ وسِبَطْرٍ[٢].

الأَزْرُ: الظَّهْرُ، قاله الخليل وأبو عبيدة[٣]، وآزَرَه: قوَّاه، والأَزْرُ أيضاً: القُوَّة. وقال الشاعر:

بِمَحْنِيَّةٍ قد آزَرَ الضَّالُ نَبْتَها مَجَرَّ جُيُوشٍ غانمينَ وخُيَّبِ[٤]

القَذْفُ: الرَّمْيُ والإلقاء.

السَّاحلُ: شاطئُ البحر، وهو جانبُهُ الخالي من الماء، سُمِّيَ بذلك لأنَّ الماء يَسْحَلُهُ، أي: يَقشِرُه، فهو فاعل بمعنى مفعول، وقال أبو تمَّام:

هو البحرُ من أيِّ النواحي أتَيْتَهُ فلُجَّتُهُ المعرُوفُ والجُودُ ساحِلُهْ[٥]

* * *

(١) في (يه): حُوَّة. وهو صوابٌ أيضاً. وهي حُمْرَة تضربُ إلى السَّواد، وقيل غير ذلك. وقُوَّة وحُوَّة من باب ما عينُه ولامُه واو. ويعني أن حوَّاء (للذي يصيد الحيَّات) هو من باب قوَّة، بخلاف حيَّة. وفي الكلام تفصيل، ينظر المقتضب ١/ ١٤٩ و١٨٦، ولسان العرب (حيا) ١٤/ ٢٢٠.

(٢) أي: طويل، ويعني أن حيَّة وحوَّاء من الألفاظ التي اقتربت أصولُها واتَّفقت معانيها، وزاد ابن منظور أمثلة أخرى من هذه الألفاظ، ينظر اللسان (حيا) ١٤/ ٢٢٠.

(٣) ينظر العين ٧/ ٣٨٢، ومجاز القرآن ٢/ ١٨.

(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٤٥. وهو في المحرر الوجيز ٤/ ٤٣، واللسان (جرر). قوله: مَحْنِيَّة، أي: حيث ينحني الوادي، وهو أخصبُ موضع فيه. وقولُه: مجرَّ جيوش، أي: هي في موضع تمرُّ الجيوشُ به من غانم أو خائب، فلا ينزلُها أحد ليرعاها خوفاً من الجيوش، فذلك أوفرُ لخِصْبِها وأتمُّ لكلئها. قاله شارح الديوان. والضَّالُ: السِّدْرُ البرِّي أو ما لا يسقيه إلا المطر منه. ينظر القاموس (ضيل).

(٥) أخبار أبي تمام ص١٠٣، وديوان المعاني ص٢٥، ورسائل الثعالبي ص١٩.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ التفسير

هذه السورة مكِّية بلا خلاف، كان عليه الصلاة والسلام يُراوِحُ بين قدمَيْهِ يقومُ على رِجْلٍ، فنزلت. قاله عليّ.

وقال الضحَّاك: صلَّى عليه الصلاة والسلام هو وأصحابُه، فأطالَ القيامَ لمَّا أُنزِلَ عليه القرآن، فقالت قريش: ما أُنزل عليه إلا ليشقى.

وقال مقاتل: قال أبو جهل والنَّضْر والمُطْعِم: إنَّك لَتَشْقَى بتركِ دينِنا. فنزلت[١].

ومناسبةُ هذه السورةِ لآخِرِ ما قبلَها أنه تعالى لمَّا ذكرَ تيسيرَ القرآن بلسان الرَّسول ﷺ، أي: بلغتِهِ، وكان فيما علَّلَ به قوله: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ [مريم: ٩٧] أكَّدَ ذلك بقوله: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ والتَّذكرةُ هي البِشارة والنِّذَارَة، وأنَّ ما ادَّعاه المشركون من إنزاله للشَّقاء ليس كذلك، بل إنما نَزَلَ تذكرةً.

والظاهر أنَّ «طه» من الحروف المُقَطَّعة، نحو: «يس» و«الر» وما أشبَهَهُما، وتقدَّم الكلام على ذلك في أول البقرة.

وعن ابنِ عبَّاس والحسنِ وابنِ جُبير ومجاهد وعطاء وعكرمة: معنى «طه»: يا رجل، فقيل: بالنَّبَطيَّة، وقيل: بالحبشيَّة، وقيل: بالعِبْرانيَّة، وقيل: لغة يمنيَّة في عَكّ، وقيل: في عُكْل.

وقال الكلبي: لو قلتَ في عَكٍّ: يا رجل، لم يُجب حتى تقول: طه.

---

(١) الأقوال الثلاثة في زاد المسير ٥/٢٦٨-٢٦٩. وينظر تفسير الثعلبي ٤/١٩٩، وأسباب النزول للواحدي ص١٧٤. النَّضْر: هو ابنُ الحارث، والمُطْعِم: هو ابنُ عديّ.

وقال السُّدِّيّ: معنى «طه» يا فلان[١].

وأنشدَ الطبريُّ في معنى: يا رجل في لغة عَكٍّ قولَ شاعرِهم:

دعوتُ بِطَهَ في القتالِ فلم يُجِبْ فخِفْتُ عليهِ أنْ يكونَ مُوائِلا[٢]

وقولَ الآخر:

إنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ خَلائِقِكُمْ لا باركَ اللهُ في القومِ المَلَاعِينِ[٣]

وقيل: هو اسمٌ من أسماء الرسول ﷺ[٤].

وقيل: من أسماء الله عزَّ وجلَّ[٥].

وقال الزمخشري[٦]: ولعلَّ عَكًّا تصرَّفُوا في «يا هذا» كأنَّهم في لغتهم قالِبُونَ الياءَ طاءً، فقالوا في «يا»: «طا»، واختصروا «هذا» فاقتصرُوا على «ها»، وأثرُ الصنعةِ ظاهرٌ لا يَخْفَى في البيت المستشهَدِ به:

إنَّ السَّفَاهةَ طه في خَلائقِكمْ لا قَدَّسَ اللهُ أخلاقَ المَلَاعِينِ

انتهى. وكان قد قدَّم أنَّه يقال: إنَّ «طاها» في لغة عَكّ في معنى: يا رجل، ثم تخرَّصَ وحَزَرَ على عَكٍّ بما لا يقولُه نَحْوِيّ، وهو أنهم قلبُوا الياءَ طاءً، وهذا لا يوجد في لسان العرب قلبُ «يا» التي للنِّداء طاءً، وكذلك حذفُ اسم الإشارة في النداء وإقرارُ «ها» التي للتنبيه.

وقيل: «طا» فعلُ أمرٍ؛ وأصله: طَأْ، فخُفِّفت الهمزة بإبدالها ألفاً، و«ها»

---

(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٦/ ٥-٧، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٩٨، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٢، وزاد المسير ٥/ ٢١٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨.

(٢) نسبه الطبري ١٦/ ٨ لمتمِّم بن نُويرة، وفيه: هتفتُ بطَهَ، وهو برواية المصنِّف في المحرر الوجيز ٤/ ٣٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٨، وتفسير الثعلبي ٤/ ١٩٨، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٢ (وفيه: خليقتكم)، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٦.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٩.

(٥) تفسير الطبري ١٦/ ٧، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٩، وهو قول ضعيف.

(٦) الكشاف ٢/ ٥٢٨.

مفعول، وهو ضميرُ الأرض، أي: طأ الأرضَ بقدمَيْك ولا تُراوِحْ، إذ كان يُرَاوِحُ حتى تورَّمَتْ قدماه[١].

وقرأت فرقة؛ منهم الحسنُ وعكرمة وأبو حنيفة وورش في اختياره: «طَهْ»[٢] قيل: وأصلُه: «طَأْ» فحُذفت الهمزة بناءً على قلبها في «يطأ» على حدّ:

.... لا هَـنَـاكِ الـمـرْتـعُ[٣]

بَنَى الأمرَ عليه، وأُدخلت هاءُ السكت[٤]، وأُجرِيَ الوصلُ مُجْرَى الوقف. أو أصله «طَأْ» وأُبدلت همزتُه هاءً، فقيل: طَهْ.

وقرأ الضحَّاك وعَمرو بن فائد: «طاوي»[٥].

وقرأ طلحة: «ما نُزِّلَ عليك» بنون مضمومة وزاي مكسورة مشدَّدة مبنيًّا للمفعول «القرآنُ» بالرفع[٦]، وقرأ الجمهور: «ما أنزلنا عليك القرآن».

ومعنى «لتَشْقَى»: لتَتْعَبَ بفَرْطِ تأسُّفِكَ عليهم وعلى كفرهم، وتحسُّرِكَ على أن يؤمنوا، كقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الشعراء: ٣] والشقاء يجيءُ في معنى التَّعب، ومنه المَثَل: «أتْعبُ من رائضِ مُهْر، وأشْقَى من رائضِ مُهْر»[٧].

---

(١) ينظر النكت والعيون ٣/ ٣٩٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٠.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٢٨، وزاد المسير ٥/ ٢٦٩ عن الحسن.
(٣) هو قطعة من بيت للفرزدق قاله مع أبيات أخرى لمَّا عُزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق، وروايتُه في ديوانه ١/ ٤٠٨:
ومَضَتْ لمسلمةَ الرِّكابُ مودَّعاً   فارْعَيْ فَزَارَةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ
ورواية صدره في الكامل ٢/ ٦٢٦: راحت بمسلمةَ البغالُ عشيَّةً.
(٤) بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٢٨.
(٥) كذا تابع المصنفُ ابنَ عطية في إيراد هذه اللفظة في أوجه قراءات «طه»، وهو وهم منهما رحمهما الله، وإنما هذه اللفظة في أوجه قراءات «طُوى» كما سيرد في الآية (١٢)، ولعل سبب الوهم أن لفظة «طاوي» جاءت أول ألفاظ سورة «طه» في بعض المصادر كما وقع في المحتسب ٢/ ٤٧. والله أعلم.
(٦) القراءات الشاذة ص٨٧، وهي في الكشاف ٢/ ٥٢٨ وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣ دون نسبة.
(٧) الكشاف ٢/ ٥٢٨-٥٢٩ دون قوله: أتعب من رائض مهر، والمَثَلَ بهذا اللفظ في جمهرة الأمثال ١/ ٢٨١، ومجمع الأمثال ١/ ١٤٨، والمستقصى ١/ ٣٥. وبلفظ: «أشقى من رائض =

قال الزمخشريّ: أي: ما عليك إلا أنْ تُبلِّغَ وتُذكِّرَ، ولم يكتب عليك أن يؤمنوا لا محالة بعد أن لم تُفَرِّطْ في أداء الرسالة والموعظةِ الحسنة. انتهى.

وقيل: أُرِيدَ رَدُّ ما قاله أبو جهل وغيرُه ممَّا تقدَّم ذكرُه في سبب النزول[1].

و«لتَشْقَى» و«تَذْكِرَةً» علَّة لقوله: «ما أَنْزَلْنا» وتعدَّى في «لِتَشْقَى» باللام لاختلافِ الفاعل، إذ ضميرُ «ما أنزلنا» هو لله، وضمير «لتَشْقَى» للرسولِ ﷺ. ولمَّا اتحدَ الفاعل في «أنزلنا» و«تذكرة» إذْ هو مصدر «ذَكَّرَ» والمذكِّرُ هو الله وهو المُنزل تعدَّى إليه الفعل فنصَب، على أنَّ في اشتراط اتِّحاد الفاعل خلافاً، والجمهور يشترطونه.

وقال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: أما يجوزُ أن تقولَ: ما أنزَلْنا عليك القرآن أَنْ تَشْقَى، كقوله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]؟

قلت: بلى، ولكنها نصبةٌ طارئة كالنَّصبة في: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وأمَّا النَّصبة في «تَذْكِرَةً» فهي كالتي في: ضربتُ زيداً، لأنه أحدُ المفاعيل الخمسة التي هي أصولٌ وقوانينُ لغيرها. انتهى.

وليس كونُ «أنْ تَشْقَى» إذا حُذف الجارُّ منصوباً متَّفقاً عليه، بل في ذلك خلاف، أهو منصوبٌ تعدَّى إليه الفعل بعد إسقاط الحرف، أو مجرورٌ بإسقاط الجارِّ وإبقاء عملِه.

وقال ابنُ عطية[2]: «إلا تَذْكِرَةً» يصحُّ أن يُنصب على البَدَل من موضع «لتَشْقَى»، ويصحُّ أن يُنصب بإضمار فعل تقديرُه: لكن أنزلناه تذكرةً. انتهى.

وقد ردَّ الزمخشريُّ تخريجَ ابنِ عطية الأوَّل فقال[3]: فإن قلتَ: هل يجوزُ أن يكون «تذكرةً» بدلاً من محلِّ «لتَشْقَى»؟

قلت: لا، لاختلافِ الجنسين، ولكنها نصبٌ على الاستثناء المنقطع الذي «إلا» فيه بمعنى «لَكِنْ». انتهى.

= مُهْر» في الكشاف ٢/٥٢٩، وأساس البلاغة (شقو) ص٢٣٤، وتاج العروس (شقو).
(١) ينظر تفسير القرطبي ١٤/١٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٣٧.
(٣) الكشاف ٢/٥٢٩.

ويعني باختلاف الجنسين أنَّ نَصْبة «تذكرة» نَصْبةٌ صحيحة ليست بعارضة، والنَّصبة التي تكون في «لتَشْقَى» بعد نزع الخافض نصبة عارضة. والذي نقول: إنه ليس له محلٌّ البتة فيُتوهَّم البدلُ منه.

وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون المعنى: إنَّا أنزلنا عليك[(١)] القرآن لتحملَ متاعبَ التبليغ ومقاولة العُتاةِ من أعداء الإسلام ومقاتلتهم، وغير ذلك من أنواع المشاقِّ وتكاليفِ النبوَّة، وما أنزلنا عليك هذا المتعبَ الشاقَّ إلا ليكون تذكرةً، وعلى هذا الوجه يجوزُ أن يكونَ «تذكرةً» حالاً ومفعولاً له «لِمَنْ يَخْشَى»: لمن يؤول أمرُه إلى الخشية. انتهى. وهذا معنًى متكلَّفٌ بعيدٌ من اللفظ.

وكونُ «إلا تذكرةً» بدلٌ من محلّ «لتَشْقَى» هو قولُ الزَّجَّاج، وقال النحَّاس: هذا وجهٌ بعيد، وأنكرَه أبو عليّ من قِبَلِ أنَّ التَّذكرة ليست بشقاء[(٢)].

وقال الحوفيُّ: ويجوزُ أن يكون «تذكرةً» بدلاً من «القرآن»، ويكون «القرآن» هو التَّذكرة، وأجاز هو وأبو البقاء أن يكون مصدراً، أي: لكنْ ذَكَّرْنا به تذكرةً.

قال أبو البقاء[(٣)]: ولا يجوزُ أن يكون مفعولاً له لـ «أنزَلْنا» المذكور لأنه قد تعدَّى إلى مفعول [له] وهو «لتَشْقَى» ولا يتعدَّى إلى آخر من جنسه. انتهى.

والخشيةُ باعثةٌ على الإيمان والعمل الصالح، وانتصبَ «تنزيلاً» على أنه مصدر لفعل محذوف، أي: نُزِّلَ تنزيلاً ممَّن خَلَقَ.

وقال الزمخشري[(٤)]: في نصب «تنزيلاً» وجوه: أن يكون بدلاً من «تَذْكرة» إذا جُعل حالاً، لا إذا كان مفعولاً، لأنَّ الشيء لا يُعلَّلُ بنفسه، وأن يُنصب بـ «نزّل» مضمراً، وأن يُنصب بـ «أنزلنا» لأنَّ معنى ما أنزلناهُ إلا تذكرةً: أنزلناهُ تذكرةً، وأن يُنصب على المدح والاختصاص، وأن يُنصبَ بـ «يخشى» مفعولاً به، أي: أنزله الله تذكرةً لمن يخشى تنزيلَ الله، وهو معنًى حسنٌ وإعرابٌ بيِّن. انتهى. والأحسنُ

(١) المثبت من (يه) وهو موافق لما في المصدر السالف، وفي النسخ الأخرى: إليك.
(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٢، وفيه قول الزجاج، والكلام في تفسير القرطبي ١٤/ ١٤.
(٣) الإملاء ٢/ ١١٨. ولفظة «له» الآتية بين حاصرتين منه.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٢٩.

ما قدَّمناه أوَّلاً من أنه منصوب بـ «نُزِّل» مضمرة، وما ذكره الزمخشريُّ من نصبه على غير ذلك متكلَّف.

أمَّا الأوَّل ففيه جعلُ «تَذْكِرة» و«تنزيلاً» حالين، وهما مصدران، وجعلُ المصدر حالاً لا ينقاس، وأيضاً فمدلولُ «تَذْكِرة» ليس مدلول «تنزيلاً»، ولا «تنزيلاً» بعض «تَذْكرة» فإنْ كان بدلاً فيكون بدلَ اشتمال على مذهب من يرى أنَّ الثاني مشتمل على الأول، لأنَّ التنزيل مشتملٌ على التذكرة وغيرها.

وأمَّا قوله: لأن معنى ما أنزلناه إلا تذكرةً أنزلناه تذكرةً، فليس كذلك، لأنَّ معنى الحَصْر يفوت في قوله: أنزلناه تذكرةً.

وأمَّا نصبُهُ على المدح فبعيد، وأمَّا نصبُه بمن يخشى ففي غاية البُعد لأنَّ «يخشى» رأس آية وفاصلاً، فلا يُناسب أن يكون «تنزيلاً» مفعولاً بـ «يخشى».

وقوله فيه: وهو معنًى حسنٌ وإعرابٌ بيِّن، عُجمةٌ وبعدٌ عن إدراك الفصاحة.

وقرأ ابن أبي عَبْلة: «تنزيلٌ» رفعاً على إضمار «هو»[1]، وهذه القراءة تدلُّ على عدم تعلق «يَخْشَى» بـ «تنزيل» وأنَّه منقطع ممَّا قبله، فنصبُه على إضمار «نزَّل» كما ذكرناه.

و«مِنْ» الظاهرُ أنها متعلِّقة بتنزيل، ويجوز أن يكون في موضع الصفة فتتعلَّق بمحذوف.

وفي قوله: «ممَّن خلق» تفخيمٌ وتعظيم لشأن القرآن، إذ هو منسوبٌ تنزيلُه إلى مَنْ هذه أفعالُه وصفاتُه، وتحقيرٌ لمعبوداتِهم، وتحريضٌ للنفوس على الفِكْر والنظر، وكان في قوله: «ممَّن خَلَقَ» التفاتٌ، إذ فيها الخروجُ من ضمير المتكلِّم - وهو في «ما أنزلنا» - إلى الغيبة، وفيه عادة التفنُّن في الكلام وهو ممَّا يحسُن، إذ لا يبقى على نظام واحد، وجَرَيانُ هذه الصفات على لفظ الغَيبة والتفخيم بإسناد الإنزال إلى ضمير الواحد المعظِّم نفسَه، ثم إسنادِه إلى من اختصَّ بصفات العظمة التي لم يَشْرَكْهُ فيها أحد، فحصلَ التعظيمُ من الوجهين.

(١) نسبها القرطبي ١٤/ ١٤ لأبي حيوة الشامي، وهي في الكشاف ٢/ ٥٢٩ دون نسبة.

وقال الزمخشريّ[١]: ويجوزُ أن يكون «أنزلنا» حكايةً لكلام جبريل عليه السلام والملائكةِ النازلين معه. انتهى.

وهذا تجويزٌ بعيد، بل الظاهرُ أنه إخبارٌ من الله تعالى عن نفسه.

و«العُلَى» جمع العُلْيا[٢]، ووَصْفُ السماواتِ بالعُلَى دليلٌ على عِظَمِ قُدرةِ من اخترعَها، إذْ لا يمكنُ وجودُ مثلِها في عُلُوِّها من غيرِه تعالى.

والظاهرُ رفع «الرحمنُ» على خبر مبتدأ محذوف تقديرُه: هو الرحمن، وقال ابنُ عطية[٣]: ويجوزُ أن يكونَ بدلاً من الضمير المستتر في «خلق». انتهى.

وأرى أنَّ مثل هذا لا يجوزُ، لأنَّ البَدَل يحلُّ محلَّ المُبْدَل منه، و«الرحمنُ» لا يمكن أن يحلَّ محلَّ الضمير لأن الضمير عائدٌ على «مَنْ» الموصولة، و«خَلَقَ» صِلَتُهُ والرابط هو الضمير، فلا يحلُّ محلَّه الظاهر لعدم الرابط.

وأجاز الزمخشريُّ أن يكون رفع «الرحمن» على الابتداء؛ قال[٤]: يكون مبتدأً مشاراً بلامِهِ إلى «مَنْ خَلَقَ».

ورَوى جَناح بنُ حُبيش عن بعضهم أنه قرأ: «الرَّحمنِ» بالكسر؛ قال الزمخشريّ: صفة لـ «مَنْ خَلَقَ» يعني لـ «مَنْ» الموصولة، ومذهب الكوفيين أنَّ الأسماء النواقص التي لا تتمُّ إلا بصلاتها نحو «مَنْ» و«ما» لا يجوزُ نعتُها إلا «الذي» و«التي» فيجوزُ نعتهما، فعلى مذهبهم لا يجوزُ أن يكون «الرحمن» صفةً لـ «مَنْ» فالأحسنُ أن يكون «الرحمن» بدلاً من «مَنْ» وقد جرى «الرحمن» في القرآن مجرى العَلَم في ولايته العوامل.

وعلى قراءة الجرّ يكون التقدير: هو على العرش استوى، وعلى قراءة الرفع إنْ كان بَدَلاً كما ذهب إليه ابنُ عطية فكذلك، أو مبتدأً كما ذكرَه الزمخشريّ ففي

(١) الكشاف ٢/ ٥٢٩، والكلام الذي قبله فيه بنحوه.
(٢) نحو: دُنيا ودُنا، ونظيرُه في الصحيح: كُبْرَى وكُبَر، وفُضْلَى وفُضَل. قاله السمين في الدر المصون ٨/ ١٢.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٣٠.

موضع الخبر[(١)]، أو خبر مبتدأ ـ كما هو الظاهر ـ فيكون «الرحمنُ» والجملةُ خبرَيْنِ عن «هو» المضمرة، وتقدَّم الكلامُ على مثل هذه الجملة في الأعراف.

وما رُوِيَ عن ابن عباس من الوقف على قوله: «على العرش» ثم يقرأ: «استوى له ما في السماوات» على أن يكون فاعلاً لـ «استوى» لا يصحُّ إن شاء الله[(٢)].

ولمَّا ذكَرَ تعالى أنه اخترعَ السماواتِ والأرضَ وأنه استوى على العرش ذكرَ أنه تعالى له ملكُ جميع ما حوت السماواتُ والأرضُ وما بينهما وما تحت الثَّرى، أي: تحت الأرض السابعة. قاله ابنُ عباس ومحمد بنُ كعب. وعن السُّدِّيّ: هو الصخرةُ التي تحتَ الأرض السابعة[(٣)].

وقيل: ما تحت الثَّرى ما هو في باطن الأرض، فيكون ذلك توكيداً لقوله: «وما في الأرض» إلا إن كان المرادُ بـ «في الأرض» ما هو عليها، فلا يكون توكيداً.

وقيل: المعنى أنَّ علمه تعالى محيطٌ بجميع ذلك لأنه مُنشِئُه، فعلى هذا يكون التقدير: له عِلْمُ ما في السماوات.

ولمَّا ذكرَ تعالى أوَّلاً إنشاء السماواتِ والأرض وذَكَرَ أنَّ جميع ذلك وما فيهما ملكُه؛ ذكرَ تعالى صفةَ العلم، وأنَّ عِلْمَه لا يَغيبُ عنه شيء.

والخطابُ بقوله: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ﴾ للرسول ظاهراً، والمرادُ أمَّتُه، ولمَّا كان خطابُ الناس لا يتأتَّى إلا بالجهرِ بالكلام جاء الشرطُ بالجهر، وعَلَّقَ على الجهرِ عِلْمَهُ بالسِّرِّ، لأنَّ عِلْمَهُ بالسِّرِّ يتضمَّنُ عِلْمَهُ بالجهر، أي: إذا كان يعلمُ السِّرَّ فأَحْرَى أن يعلمَ الجهر، والسرُّ مقابلٌ للجَهْر، كما قال: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣].

والظاهرُ أنَّ «أخْفَى» أفعل تفضيل، أي: وأخْفَى من السِّرِّ؛ قال ابن عبَّاس:

---

(١) أي: «الرحمنُ» مبتدأ، وجملة «على العرش استوى» الخبر.

(٢) ينظر الإملاء ٢/ ١١٩. وضعَّفه الآلوسي أيضاً في روح المعاني ١٦/ ٢٣٩ وقال: ينبغي أن لا يُلتفت إليه أصلاً.

(٣) ينظر النكت والعيون ٣/ ٣٩٤، والكشاف ٢/ ٥٣٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٥-١٦.

السِّرُّ ما تُسِرُّه إلى غيرك، والأخْفَى ما تُخفيه في نفسك. وقاله الفرَّاء[(١)].

وعن ابن عبَّاس أيضاً: السِّرُّ ما أسرَّه في نفسه، والأخْفَى ما خَفِيَ عنه[(٢)] ممَّا هو فاعلُه وهو لا يعلمُه. وعن قتادة قريبٌ من هذا.

وقال مجاهد: السِّرُّ ما تُخفيه من الناس وأخفى منه الوسوسةُ.

وقال ابنُ زيد: السِّرُّ سِرُّ الخلائق، وأخْفَى منه سِرَّهُ تعالى. وأنكرَ ذلك الطبريّ[(٣)].

وقيل: السِّرُّ العزيمة، وأخْفَى منه ما لم يخطر على القلب. وذهب بعض السَّلَف إلى أنَّ قولَه: «وأخْفَى» هو فعلٌ ماضٍ لا أفعل تفضيل، أي: يعلمُ أسرارَ العباد، وأخْفَى عنهم ما يعلمُه هو، كقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقولِه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. قال ابن عطيَّة: وهو ضعيف[(٤)].

وقال الزمخشري[(٥)]: وليس بذاك، قال: فإنْ قلتَ: كيف طابقَ الجزاءُ الشرط؟

قلت: معناه إنْ تَجْهَرْ بذكرِ الله من دعاءٍ أو غيرِه فاعْلَمْ أنه غنيٌّ عن جهرك، فإمَّا أن يكونَ نَهياً عن الجهر كقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وإمَّا تعليماً للعباد أنَّ الجهرَ ليس لإسماعِ اللهِ، وإنَّما هو لغرض آخر. انتهى.

والجلالة مبتدأ، و«لا إله إلا هو» الخبر، و«له الأسماء الحسنى» خبرٌ ثانٍ، ويجوزُ أن يكونَ خبرَ مبتدأ محذوف، كأنه قيل: مَنِ الذي يعلمُ السِّرَّ وأخْفَى؟ فقيل: هو الله.

---

(١) معاني القرآن ٢/ ١٧٤، وفيه: السِّرّ: ما أسرَرْتَهُ، وأَخْفَى: ما حدَّثْتَ به نفسَك. وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٦.

(٢) في (د١) و(يه): عليه.

(٣) تفسيره ١٦/ ١٦. وينظر فيما سلف من أقوال فيه ١٦/ ١٣-١٧، وفي النكت والعيون ٣/ ٣٩٤، وزاد المسير ٥/ ٢٧١، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٦-١٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٧.

(٥) الكشاف ٢/ ٥٣٠.

و«الحُسْنَى» تأنيث الأحسن، وصفةُ المؤنَّثة المفردة تجري على جمع التكسير، وحسَّنَ ذلك كونُها وقعت فاصلة، والأحْسَنِيَّةُ كونُها تضمَّنتِ المعاني التي هي في غاية الحُسن من التقديس والتعظيم والرُّبوبيَّةِ والأفعالِ التي لا يمكنُ صدورُها إلا منه تعالى وتقدَّس(١).

وذكرُوا أنَّ هذه الأسماءَ هي التي قال فيها رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسماً، مَنْ أحْصَاها دَخَلَ الجنة»(٢)، وذكرَها الترمذيُّ مسْندةً(٣).

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝٢٣ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤﴾.

ولمَّا ذكر سبحانه وتعالى تعظيمَ كتابِه وتضمَّنَ تعظيمَ رسولِه أتْبَعَهُ بقصَّة موسى عليه السلام ليتأسَّى به في تحمُّل أعباء النبوَّة وتكاليفِ الرسالة والصبرِ على مقاساة الشدائد، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ

(١) ينظر المصدر السالف.
(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) سنن الترمذي (٣٥٠٧) وقد رجَّح ابنُ حجر ـ فيما نقله عنه ابن علَّان في الفتوحات الربانيَّة ٣/ ٢٢١ ـ أن سرد الأسماء موقوف على الراوي وأن تعدادها مدرج من كلام الراوي. وقال البغوي في شرح السنة ٥/ ٣٥: يحتمل أن يكون ذكر هذه الأسامي من بعض الرواة، وجميعُ هذه الأسامي في كتاب الله وفي أحاديث الرسول ﷺ نصًا أو دلالة. اهـ. وينظر تفصيل الكلام في فتح الباري ١١/ ٢١١ وما بعدها.

بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] فقال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ وهذا استفهامُ تقرير يحثُّ على الإصغاء لِما يُلقَى إليه[١].

وقيل: «هَلْ» بمعنى «قَدْ» أي: قد أتاك[٢]، والظاهرُ خلاف هذا لأنَّ السورة مكيَّة، والظاهرُ أنه لم يكن أطلعَهُ على قصَّة موسى قبل هذا.

وقيل: إنه استفهام معناه النفي، أي: ما أخبرناك قبلَ هذه السورة بقصة موسى، ونحن الآن قاصُّون قصَّته لتتسلَّى وتتأسَّى[٣].

وكان من حديثه أنه عليه السلام لمَّا قضى أكْمَلَ الأجلين استأذنَ شعيباً عليه السلام في الرجوع من مَدْيَنَ إلى مصر لزيارة والدتِه وأختِه، فأذِنَ له وقد طالت مدَّةُ جِنايتِه بمصر، ورجا خَفَاءَ أمرِه، فخرجَ بأهله ومالِه، وكان في فصل الشتاء وأخذَ على غير الطريق مخافةَ ملوكِ الشام، وامرأتُه حاملٌ، فلا يدري أليلاً تضعُ أم نهاراً، فسار في البرِّيَّة لا يعرفُ طُرُقَها، فألجأه المسير إلى جانب الطُّور الغربيِّ الأيمنِ في ليلةٍ مظلمةٍ مُثْلِجَةٍ شديدةِ البرد، وأخذَ امرأتَهُ الطَّلْقُ، فقدَحَ زَنْدَه فلم يُورِ.

قيل: كان رجلاً غَيُوراً يصحبُ الرُّفقةَ ليلاً ويُفارقُهم نهاراً لئلا تُرَى امرأتُه، فأضلَّ الطريقَ.

قال وَهْب: وُلِدَ له ابنٌ في الطريق، ولمَّا صَلَدَ زَنْدُهُ[٤] رأى ناراً[٥].

والظاهر أنَّ «إذْ» ظرفٌ للحديث لأنه حَدَثٌ، وأجاز الزمخشريُّ[٦] أن تكون ظرفاً لمضمر، أي [حين رأى] ناراً كان كَيْتَ وكَيْت، وأن تكون مفعولاً لـ «اذْكُرْ».

---

(١) بعدها في (أ) والمطبوع: وعلى التأسِّي. وينظر تفسير الرازي ٢٢/ ٧٤.
(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٠١، وزاد المسير ٥/ ٢٧١، وذكره الرازي ٢٢/ ٧٤، والقرطبي ١٤/ ١٨ عن ابن عباس ﷺ.
(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٢٢/ ٧٤ عن الكلبي.
(٤) أي: صَوَّتَ ولم يُخرج ناراً.
(٥) ينظر تفصيل ما سلف من أقوال في تفسير كل من الطبري ١٦/ ٩، والثعلبي ٤/ ٣٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨، والرازي ٢٢/ ١٥. والقرطبي ١٤/ ١٨.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٣١، وما سيرد بين حاصرتين منه.

«امْكُثُوا» أي: أقيمُوا في مكانكم، وخاطبَ امرأتَه وولدَيْه[١] والخادِمَ.

وقرأ الأعمش وطلحة وحمزة ونافع في رواية: «لأهلِهُ امْكُثُوا» بضمّ الهاء، وكذا في القَصَص [٢٩]، والجمهورُ بكسرِها[٢].

«إني آنَسْتُ» أي: أحسَسْتُ، والنارُ على بُعد لا تُحَسُّ إلا بالبصر، فلذلك فَسَّرَهُ بعضُهم بـ «رأيتُ»[٣]، والإيناسُ أعمُّ من الرؤية، لأنك تقول: آنَسْتُ من فلانٍ خيراً.

وقال الزمخشريّ[٤]: الإيناسُ الإبصارُ البيِّن الذي لا شُبهة فيه، ومنه إنسانُ العين، لأنّه يتبيَّنُ به الشيء، والإنسُ لظهورِهِم، كما قيل الجنّ لاستتارهم، وقيل: هو إبصارُ ما يُؤنَسُ به، لمَّا وَجَدَ منه الإيناس فكان مقطوعاً متيقَّناً حقَّقه لهم بكلمة «إنَّ» ليُوَطِّنَ أنفسَهم، ولمَّا كان الإتيانُ بالقَبَس ووجودُ الهدى مترقَّبَيْنِ متوقَّعَيْن بَنَى الأمرَ فيهما على الرَّجاء والطمع وقال: «لَعلِّي» ولم يقطع فيقول: إني آتيكم، لئلَّا يَعِدَ ما ليس يَستيقنُ الوفاءَ به. انتهى.

والظاهر أنّه رأى نوراً حقيقة.

وقال الماورديّ[٥]: كانت عند موسى ناراً، وكانت عند الله نوراً.

قيل: وخُيِّلَ له أنه نار، قيل: ولا يجوز هذا لأنَّ الإخبار بغير المطابق لا يجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٦].

---

(١) في تفسير الرازي ٢٢/ ١٥: وولدها، وعبارة الآلوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٤٨: للمرأة والولد والخادم.

(٢) السبعة ص٤١٧ والتيسير ص١٥٠ عن حمزة، وزاد ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٣٨ نسبتَها إلى نافع، وذكرها أبو عمرو الداني في جامع البيان ٢/ ٢٨٣ عن نافع من رواية المسيَّبي باختلاف عنه. والرواية المشهورة عن نافع كسر الهاء.

(٣) في النسخ الخطية: فسَّر بعضُهم برأيت، والمثبت من مطبوع البحر، وهو كذلك في النهر المادّ بهامشه ٦/ ٢٢٧. وعبارة المحرر الوجيز (والكلام فيه): فسَّر بعضهم اللفظ برأيت.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٣١.

(٥) النكت والعيون ٣/ ٣٩٥، ونقله أيضاً القرطبي ١٤/ ١٩.

(٦) تفسير الرازي ٢٢/ ١٥.

ولفظة «على» هـهنا على بابها من الاستعلاء، ومعناه أنَّ أهلَ النار يستعلون المكانَ القريبَ منها، أو لأنَّ المُصْطَلِين بها والمستمتعين إذا تكنَّفُوها قياماً وقعوداً كانوا مشرفين عليها، ومنه قول الأعشى:

وبـاتَ عـلـى الـنـارِ الـنَّـدَى والـمُـحَـلَّـقُ[١]

وقال ابنُ الأنباريّ: «عَلَى» بمعنى «عِنْدَ» وبمعنى «مع» وبمعنى الباء، وذكر الزجَّاج أنه ضلَّ عن الماء فترجَّى أنْ يَلْقَى من يهديه الطريق، أو يدلُّه على الماء[٢].

وانتصب «هُدًى» على أنه مفعول به على تقدير محذوف، أي: ذا هدًى، أو على تقدير حذف[٣]، لأنه إذا وجدَ الهادي فقد وجدَ الهُدى هُدى الطريق.

وقيل: هدًى في الدِّين. قاله مجاهد وقتادة[٤]. وهو بعيد، وهو وإن كان طلبَ من يهديه الطريقَ فقد وجدَ الهُدى على الإطلاق.

والضمير في «أتاها» عائد على النار، أتاها فإذا هي مضطرمةٌ في شجرة خَضْرَاءَ يانعةٍ عُنَّاب؛ قاله ابن عباس. وقيل: سَمُرَة؛ قاله عبد الله، وقيل: عَوْسَج؛ قاله وَهْب، وقيل: عُلَّيْقَة؛ عن قتادة ومقاتل والكلبيِّ، وكان كلَّما قَرُبَ منها تباعدَتْ، فإذا أدبرَ اتَّبعَتْه، فأيقنَ أنَّ هذا أمرٌ من أمورِ الله الخارقةِ للعادة، ووقف متحيِّراً، وسمعَ من السماء تسبيحَ الملائكة، وأُلقِيَتْ عليه السَّكِينَةُ ونُودي، وهو تكليم الله إياه[٥].

وقرأ الجمهور «إنِّي» بكسر الهمزة على إضمار القول عند البصريين، وعلى معاملة النِّداء معاملةَ القول، لأنه ضربٌ منه على مذهب الكوفيين، و«أنا» مبتدأ، أو

---

(١) هو عجز بيت، وصدرُه كما في ديوانه ص٣٣: تَشِبُّ لمَقْرُورَيْنِ يصطليانها. والمقرور: الذي أصابه البرد. والبيت والكلام قبله في الكشاف ٢/ ٥٣١، وينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥١، وكلامه وكلام ابن الأنباري في زاد المسير ٥/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) المرادُ (إنْ صحَّ سياق الكلام): على تقدير المصدر هدًى بمعنى اسم الفاعل هادياً، أي: هادياً يدلُّني على الطريق، وبه فسَّر الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ١٧٥؛ قال: أجزأ المصدر من الهادي. وينظر الكشاف ٢/ ٥٣١، وروح المعاني ١٦/ ٢٤٩.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٣١.

(٥) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٢٢ و١٨/ ٢٤٢-٢٤٣، وتفسير البغوي ٣/ ٤٤٤، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٠١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٨، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٨-١٩ و١٦/ ٢٧٤.

فصل، أو توكيد لضمير النَّصب، وفي هذه الأعاريب حصلَ التركيب لتحقيق المعرفة وإماطةِ الشبهة.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو: «أني» بفتح الهمزة[١]، والظاهر أنَّ التقدير: بأنِّي أنا ربُّك، وقال ابن عطية: على معنى لأجلِ أنِّي أنا ربك فاخلع نعليك، و«نُودِيَ» قد تُوصلُ بحرف الجر، وأنشد أبو عليّ:

نـاديـتُ بـاسْـمِ ربـيـعـةَ بـنِ مُـكَـدَّمٍ   أنَّ الـمُـنَـوَّهَ بـاسـمِـهِ الـمَـوْثُـوقُ[٢]

انتهى.

وعِلْمُهُ بأنَّ الذي ناداه هو الله تعالى حصلَ له بالضرورة خَلْقاً منه تعالى فيه، أو بالاستدلال بالمعجزة، وعند المعتزلة لا يكون ذلك إلا بالمُعْجِز، فمنهم من عيَّنَه، ومنهم من قال: لا يلزم أن يُعرَفَ ما ذلك المُعجِز؛ قالوا: ولا يجوز أن يكون ذلك بالعلم الضروري لأنه يُنافي التكليف[٣].

والظاهرُ أنَّ أمْرَه تعالى إيَّاه بخَلْعِ النَّعلَيْن لعِظَمِ الحالِ التي حصل فيها كما يُخلع عند الملوك غايةً في التواضع.

وقيل: كانتا من جِلْدِ حمارٍ ميِّت، فأُمِرَ بطَرْحِهما لنجاستِهما. وفي «الترمذيّ»[٤] عن النبيّ ﷺ قال: «كان على موسى يومَ كلَّمهُ رَبُّه كِساءُ صُوفٍ وجُبَّةُ

(١) السبعة ص٤١٧، والتيسير ص١٥٠.

(٢) لم أقف على قائله، وهو في الحجة ٥/ ٢١٨، والشِّعر لأبي علي أيضاً ص٣٩٥، وضرائر الشعر ص١٧٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٩ (والكلام منه)، وخزانة الأدب ٦/ ٥٧، وربيعة بنُ مُكَدَّم أحد فرسان مُضر المعدودين في الجاهلية، وجاء عجز البيت لابن أبي عَزَّة في بيت من أبيات في مدح أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، كما في الاستيعاب ص٣٧٩، وصدرُه فيه: فدَعَتْ قريشٌ باسمِهِ فأجابَها، وجاء أيضاً في بيت للفرزدق، وصدرُه فيه كما في ديوانه ٢/ ٣٤: أصبحتُ قد نزلَتْ بحمزةَ حاجتي. وجاء لفظه أيضاً في خطبة لطلحة بن خُويلد يوم القادسية حين استصرخَهم سعد، فقام طلحة فقال: يا عشيرتاه، إنَّ المُنَوَّه باسمِهِ الموثوقُ به... ينظر تاريخ الطبري ٣/ ٥٣٨.

(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١٦-١٧.

(٤) سنن الترمذي (١٧٣٤)، وهو من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

صُوفٍ وكُمَّةُ صُوفٍ وسَرَاويلُ صُوف، وكانت نَعْلاهُ من جِلْدِ حمارٍ ميِّت» قال: هذا حديثٌ غريب. والكُمَّةُ القَلَنْسُوَةُ الصغيرة.

وكونُهما من جِلْدِ حمارٍ ميِّت غيرِ مدبوغ قولُ عكرمةَ وقتادةَ والسُّدِّيِّ ومقاتلٍ والكلبيِّ والضحَّاك[1].

وقيل: كانتا من جِلد بقرة ذَكيّ، لكنْ أُمِرَ بخلعهما لبيانِ بركةِ الوادي المقدَّس وتمسَّ قدماه تربتَه[2].

ورُوِيَ أنه خلعَ نعلَيْه وألقاهما من وراء الوادي[3].

و«المُقَدَّس»: المطهَّر، و«طُوًى» اسمُ عَلَم عائد[4] عليه، فيكون بَدَلاً أو عطفَ بيان.

وقرأ الحسن والأعمش وأبو حَيْوَة وابنُ أبي إسحاق وأبو السَّمَّال وابنُ مُحَيْصِن بكسر الطاء منوَّناً[5].

وقرأ الكوفيُّون وابنُ عامر بضمِّها منوَّناً، وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عَمرو بضمِّها غيرَ منوَّن[6].

وقرأ أبو زيد عن أبي عَمْرو بكسرها غيرَ منوَّن. وقرأ عيسى بن عُمر والضحَّاك: «طاوِي اذْهَبْ»[7] فمن نوَّن فعلى تأويل المكان، ومن لم يُنَوِّن وضَمَّ الطاء فيحتمل

---

(١) ينظر النكت والعيون ٣/ ٣٩٦، والكشاف ٢/ ٥٣١، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٩. ووقع في (يه): بركة تربته.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٣١.
(٤) لفظة «عائد» من (يه).
(٥) القراءة في زاد المسير ٥/ ٢٧٤ عن الحسن وأبي حَيْوَة بكسر الطاء والتنوين كما ذكر المصنف، وهي في القراءات الشاذة ص٨٧ بلفظ: «طوى اذهب» بالوصل مع السكون عن الحسن وأبي السمّال والأعمش وابن محيصن. ولفظ «طوى اذهب» من سورة النازعات (١٦-١٧).
(٦) السبعة ص٤١٧، والتيسير ص١٥١، والحِرْميَّان: نافع المدني وابن كثير المكي.
(٧) القراءات الشاذة ص٨٧، وهذا اللفظ في سورة النازعات الآيتان (١٦-١٧)، وأوردها ابن

أن يكون معدولاً عن فُعَل، نحو: زُفَر وقُثَم، أو أعجميًا، أو على معنى البُقعة، ومن كسرَ ولم ينوِّن فمنعَ الصَّرفَ باعتبار البقعة.

وقال الحسن: طِوًى بكسر الطاء والتنوين مصدر، ثُنِيَتْ فيه البركةُ والتقديسُ مرَّتين[١]، فهو بوزن الثِّنَى وبمعناه، وذلك لأنَّ الثِّنَى بالكسر والقصر الشيءُ الذي تُكَرِّرُهُ، فكذلك الطِّوَى على هذه القراءة.

وقال قُطْرُب: طِوًى من الليل، أي: ساعة، أي: قُدِّسَ لك في ساعة من الليل، لأنه نُوديَ بالليل، فلَحِقَ الوادِيَ تقديسٌ مُجَدَّدٌ، أي: إنك بالوادي المقدَّس ليلاً.

وقرأ طلحة والأعمش وابنُ أبي ليلى وحمزة وخَلَف في اختياره: «وأنَّا» بفتح الهمزة وشدِّ النون «اخترناك» بنون العظمة[٢].

وقرأ السُّلَميُّ وابنُ هُرْمُز والأعمش في رواية: «وإنَّا» بكسر الهمزة والألف بعد[٣] النون بلفظ الجمع دون معناه لأنه من خطاب الملوك «اخترناك» بالنون والألف عطفاً على «إنِّي أنا ربُّك» لأنهم كسروا ذلك أيضاً، والجمهورُ: «وأنا اخترتُك» بضمير المتكلِّم المفرد غير المعظَّم نفسَه.

وقرأ أُبيّ: «وأنِّي» بفتح الهمزة وياء المتكلم «اخترتُك» بتاء عطفاً على «أنِّي أنا ربُّك»[٤].

ومفعول «اخترتُك» الثاني المتعدِّي إليه بـ «مِنْ» محذوف، تقديرُه: من قومِك.

والظاهر أنَّ «لِما يُوحَى» من صلة «اسْتَمِعْ»، و«ما» بمعنى «الذي».

= خالويه أيضاً ص١٦٨ في موضعها من النازعات، وقيَّدها بقوله: بفتح الطاء وكسر الواو مع الوصل. وهي في المحرر الوجيز ٤/ ٣٩ دون لفظة «اذهب» ودون نسبة.

(١) الصحاح (طوى)، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥.

(٢) قراءة حمزة من السبعة، ينظر السبعة ص٤١٧، والتيسير ص١٥١، ونُسبت في زاد المسير ٥/ ٢٧٤ لحمزة والمفضل.

(٣) تحرفت اللفظة في (يه) والمطبوع إلى: بغير. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٩.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٣٩.

وقال الزمخشريُّ وغيرُه: «لِما يُوحَى»: للذي يُوحَى، أو للوَحْي[1]، تُعلِّق[2] اللامُ بـ «اسْتَمِعْ» أو «اخترتُك». انتهى. ولا يجوز التعليق بـ «اخترتُك» لأنه من باب الإعمال، فيجب، أو يُختار إعادة الضمير مع الثاني، فكان يكون: فاستمع له لما يُوحَى، فدلَّ على أنَّه من إعمال الثاني.

وقال أبو الفضل الجوهريّ[3]: لمَّا قيل لموسى صلوات الله على نبيِّنا وعليه: «اسْتَمِعْ لِما يُوحَى» وقفَ على حَجَر، واستندَ إلى حَجَر، ووضعَ يمينَه على شِماله، وألْقَى ذَقَنَهُ على صدرِه، ووقفَ ليستمع، وكان كلُّ لباسِه صُوفاً.

وقال وَهْب: أدبُ[4] الاستماع سكونُ الجوارح، وغَضُّ البصر، والإصغاءُ بالسمع، وحُضورُ العقل، والعَزْمُ على العمل، وذلك هو الاستماع لِما يُحِبُّ الله.

وحُذف الفاعل في «يُوحَى» للعلم به، ويُحسِّنُهُ كونُه فاصلةً، فلو كان مبنيًّا للفاعل لم يكن فاصلة.

والمُوحَى قولُه: «إنني أنا الله» إلى آخر الجُمل[5] جاء ذلك تبييناً وتفسيراً للإبهام في قوله: «لما يُوحَى».

وقال المفسِّرون: «فاعْبُدْني» هنا معناه وَحِّدْني، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] معناه: لِيُوَحِّدُونِ.

والأَوْلى أن يكون «فاعْبُدْني» لفظ[6] يتناولُ ما كَلَّفَه به من العبادة، ثم عطف

---

(١) يعني أن «ما» موصولة أو مصدرية.

(٢) المثبت من (يه) وهو كذلك في الكشاف ٢/ ٥٣٢، وفي النسخ الأخرى: فعلَّق.

(٣) هو عبد الله بن الحسين المصري، واعظُ عصرِه، أخذَ عنه والدُ ابنِ عطية المفسِّرِ بمصر كما ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/ ١٢٦٩، وتوفي سنة (٤٨٠هـ). ونقل ابن عطية كلامه أعلاه في المحرر الوجيز ٤/ ٣٩ عن أبيه، عنه. وينظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٩٥.

(٤) في تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦ (وقول وهب فيه): من أدب.

(٥) عبارة (دا) و(يه) والمطبوع: والمُوحَى قولُه: «إنني أنا الله» إلى آخره معناه وَحِّدْني، كقوله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» إلى آخر الجمل... إلخ. وبعضُ الكلام مقحم فيها، وسيرد بعده في موضعه. والمثبت من (أ) و(ح) و(ع).

(٦) كذا في النسخ، والجادَّة: لفظاً.

عليه ما هو قد يدخلُ تحت ذلك المطلق، فبدأ بالصلاة إذ هي أفضلُ الأعمال وأنفعُها في الآخرة.

والذِّكْرُ مصدر، يحتمل أن يُضاف إلى الفاعل، أي: لِتذكرَني، فإنَّ ذِكْرِي أنْ أُعْبَدَ ويُصَلَّى لي، أو لِتَذْكُرَني فيها، لاشتمالِ الصلاةِ على الأذكار، أو لأني ذكرتُها في الكتب وأمَرْتُ بها.

ويحتمل أن يُضافَ إلى المفعول، أي: لأنْ أذْكُرَك بالمدح والثناء، وأجْعَلَ لك لسانَ صِدْقٍ، أو لأنْ تذكُرَني خاصَّة لا تَشُوبُهُ بذكرِ غيري، أو لإخلاصِ ذِكْرِي وطلبِ وجهي، لا تُرائي بها ولا تَقْصِدُ بها غَرَضاً آخر، أو لتكونَ لي ذاكراً غيرَ ناسٍ؛ فِعْلَ المخلصين في جَعْلِهِم ذِكْرَ ربِّهم على بالٍ منهم وتوكيلِ هِمَمِهم وأفكارِهم به، كما قال: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، أو لأوقاتِ ذِكْري، وهي مواقيت الصلاة، كقوله[1]: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

واللامُ على هذا القول مثلُها في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقد حُمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ نامَ عن صلاةٍ أو نَسِيَها فلْيُصَلِّها إذا ذَكَرَها»[2]. قال الزمخشريّ: وكان حقُّ العبارةِ[3] أن يُقال: لِذِكْرِها كما قال رسول الله ﷺ: «إذا ذَكَرَها»، ومَنْ يتمحَّلُ له يقول: إذا ذَكَرَ الصلاةَ فقد ذكرَ الله، أو بتقديرِ حذفِ المضاف، أي: لِذِكْرِ صلاتي، أو لأنَّ الذِّكْرَ والنِّسيانَ من الله عزَّ وجلَّ في الحقيقة. انتهى.

وفي الحديث بعد قوله: «فليصلِّها إذا ذكرَها» قولُه: «إذْ لا كفارةَ لها إلا ذلك»[4].

---

(١) في النسخ الخطية: لقوله، والمثبت من الكشاف ٢/ ٥٣٢، والكلام فيه.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٥٩٧) ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وأخرجه بنحوه أيضاً مسلم (٦٨٠) من حديث أبي هريرة ﷺ وفي قصة رجوعه ﷺ من خيبر وقومه وأصحابه عن الصلاة، ولفظ الحديث أعلاه في الكشاف ٢/ ٥٣٢ (والكلام منه) وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧، وأخرجه بهذا اللفظ أبو يعلى (٣٠٨٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: العبادة، وهو تحريف، والكلام في الكشاف ٢/ ٥٣٢.

(٤) هو من حديث أنس في الصحيحين المشار إليه قبل تعليق دون لفظة «إذ».

ثم قرأ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.

وقرأ السُّلَميّ والنخعيّ وأبو رجاء: «للذِّكْرَى» بلام التعريف وألفِ التأنيث[١]، فالذِّكْرَى بمعنى التذكرة، أي: لتذكُري[٢] إياك، أي[٣]: إذا ذكَّرْتُك بعد نسيانِك فأَقِمْها.

وقرأت فرقة: «لِذِكْرَى» بألف التأنيث بغير لام التعريف، وقرأت فرقة: «للذِّكْر»[٤].

ولمَّا ذكرَ تعالى الأمرَ بالعبادة وإقامةِ الصلاة ذكرَ الحاملَ على ذلك وهو البعثُ والمَعادُ للجزاء، فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ وهي التي يظهرُ عندها ما عملَه الإنسان وجزاءُ ذلك إمَّا ثواباً وإمَّا عقاباً.

وقرأ أبو الدرداء وابنُ جبير والحسن ومجاهد وحُميد: «أَخْفِيها» بفتح الهمزة[٥]، ورُويت عن ابن كثير وعاصم[٦] بمعنى: أُظْهِرُها: أي، إنَّها من صحَّةِ وقوعِها وتيقُّنِ كونِها تكادُ تظهر، ولكن تأخَّرت إلى الأجلِ المعلوم، وتقول العرب: خَفَيْتُ الشيءَ، أي: أظهرتُه، وقال الشاعر:

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّما ... خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلِّبِ[٧]

(١) القراءات الشاذة ص٨٧، وأوردها مسلم بإثر الحديث (٦٨٠) عن الزُّهري، ونسبها ابنُ الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٧٥ لابن مسعود وأُبيّ وابن السَّميفع، وهي في المحرر الوجيز ٤/ ٣٩ دون نسبة.

(٢) في (د١) والمطبوع: لتذكيري.

(٣) لفظة «أي» من (أ) و(ح).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩، ونُسبت قراءة «لِذِكْرَى» في إعراب القرآن للنحاس للسُّلمي وأبي رجاء والشعبي.

(٥) ينظر القراءات الشاذة ص٨٧، والمحتسب ٢/ ٤٧، والكشاف ٢/ ٥٣٢، وزاد المسير ٥/ ٢٧٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥. حُميد: هو ابنُ قيس.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٣٩. والقراءة المتواترة عنهما بضم الهمزة كقراءة الجماعة.

(٧) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٥١. وينظر الأضداد لابن الأنباري ص٩٥-٩٦. الوَدْق: المطر، وخصَّ مطر العشيّ لأنه أغزر، والمجلِّب: الذي تُسمعُ له جَلَبة لشدَّة وقعِهِ. قاله شارح الديوان.

وقال:

فإنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لا نَخْفِهِ وإنْ تُوقِدُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ[(١)]

ولام «لِتُجْزَى» على هذه القراءة متعلِّقة بـ «أَخفِيها» أي: أُظْهِرُها لِتُجْزَى كلُّ نفس. وقرأ الجمهور: «أُخْفِيها» بضم الهمزة، وهو مضارع «أَخْفَى» بمعنى «سَتَرَ» والهمزة هنا للإزالة، أي: أَزَلْتُ الخَفاءَ، وهو الظهور، وإذا أزلتُ الظهور صار للسَّتر، كقولك: أعجمتُ الكتابَ: أزلتُ عنه العُجْمَة.

وقال أبو عليّ: هذا من باب السَّلْب، ومعناه: أُزِيلُ عنها خَفاءَها، وهو سَتْرُها[(٢)].

واللام على قراءة الجمهور؛ قال صاحب «اللوامح» متعلِّقة بـ «آتية» كأنَّه قال: إنَّ الساعةَ آتيةٌ لِتُجْزَى. انتهى. ولا يتمُّ ذلك إلا إذا قدَّرْنا «أكادُ أُخْفِيها» جملة اعتراضية، فإنْ جعلتَها في موضع الصفة لـ «آتية» فلا يجوزُ ذلك على رأي البصريِّين، لأنَّ اسم الفاعل لا يعملُ إذا وُصف قبل أخذِ معمولِه.

وقيل: «أُخْفِيها» بضم الهمزة بمعنى أُظْهِرُها، فتتَّحد القراءتان. و«أَخْفَى» من الأضداد، بمعنى: الإظهار، وبمعنى: السَّتر؛ قال أبو عبيدة[(٣)]: خَفَيْتُ وأَخْفَيْتُ بمعنًى واحد، وقد حكاه أبو الخطَّاب وهو رئيسٌ من رؤساء اللغة لا شكَّ في صدقه.

و«أكادُ» من أفعال المقاربة لكنها مجاز هنا، ولمَّا كانت الآية عبارةً عن شدَّة إخفاء أمرِ القيامةِ ووقتِها وكان القَطْعُ بإتيانها مع جَهْلِ الوقتِ أَهْيَبَ على النفوس بالغَ في إبْهام وقتِها، فقال: «أكاد أخفيها» حتى لا تظهر البتة، ولكن لا بدَّ من ظهورها[(٤)].

---

(١) البيت لامرئ القيس أيضاً، وهو في ديوانه ص١٨٦، وروايته فيه: تبعثوا، بدل: توقدوا. ورواية المصنف أعلاه في المحرر الوجيز ٤/ ٤٠. وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٦-١٧٧، ومجاز القرآن ٢/ ١٦-١٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦.

(٢) ينظر المحتسب ٢/ ٤٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٧.

(٣) بمعناه في مجاز القرآن ٢/ ١٦-١٧، وبلفظه عن أبي عبيدة في تفسير القرطبي ١٤/ ٣٦.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠.

وقالت فرقة: «أكاد» بمعنى: أريد، فالمعنى: أُريدُ إخْفَاءَها. وقاله الأخفش وابنُ الأنباري[١] وأبو مسلم؛ قال أبو مسلم: ومن أمثالهم: لا أفعلُ ذلك ولا أكاد، أي: لا أُريد أن أفعله[٢].

وقالت فرقة: خبر «كاد» محذوف تقديره: أكاد آتي بها لِقُرْبها وصحَّةِ وقوعِها، كما حُذف في قول ضابئ البُرْجُمي:

هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكِدْتُ وليتَني ... تركتُ على عثمانَ تبكي حَلَائلُهْ[٣]

أي: وكدتُ أفعل. وتمَّ الكلام، ثم استأنفَ الإخبارَ بأنه يُخفيها، واختارَه النحاس[٤].

وقالت فرقة: معناه: أكادُ أُخْفِيها من نفسي، إشارةٌ إلى شدَّة غُموضِها على المخلوقين، وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاس[٥]. ولمَّا رأى بعضُهم قلقَ هذا القول قال: معنى «مِنْ نفسي»: مِن تلقائي ومِن عندي[٦].

وقالت فرقة: «أكادُ» زائدة لا دخولَ لها في المعنى، بل الإخبارُ أنَّ الساعةَ

---

(١) الأضداد ص٩٧، وأورد شاهداً عليه:

كادَتْ وكِدْتُ وتلك خيرُ إرادةٍ ... لو عادَ من لَهْوِ الصَّبابةِ ما مَضَى

وقال: معناه أرادت وأردتُ.

(٢) تفسير الرازي ٢٢/ ٢٢.

(٣) طبقات فحول الشعراء ١/ ١٧٤، والشعر والشعراء ١/ ٣٥١، والأضداد ص٩٧، وزاد المسير ٥/ ٢٧٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦-٣٧. وضابئ البُرْجُمي: هو ابنُ الحارث، كان رجلاً بذيًّا كثير الشرّ - كما في الطبقات - وحبسه عثمان ﷺ في جريرةٍ له مع بني نَهْشَل. وعَرضَ عثمانُ أهلَ السجن يوماً فإذا هو قد أعدَّ حديدةً لقتل عثمان ﷺ، فأهانَهُ وركَسَه في السجن، فقال أبياتاً منها البيت المذكور أعلاه، ولم يزل ضابئ في السجن إلى أن مات. فلما قُتل عثمان ﷺ وثبَ عُمير ابنُه على عثمان، فيقال: إنه كسَرَ صُلْبَه أو كسرَ ضِلَعاً له. ووهم الصفدي في الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٤٩-٣٥٠ فذكرَ أنَّ ضابئاً خرجَ من الحبس، وأنه هو الذي كسرَ ضِلَعَ عثمان ﷺ بعد مقتله.

(٤) في إعراب القرآن ٣/ ٣٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٠٢-٢٠٣، وزاد المسير ٥/ ٢٧٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٩.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠.

آتية، وأنَّ الله يُخْفي وقتَ إتيانِها، ورُويَ هذا المعنى عن ابن جُبير، واستدلُّوا على زيادة «كادَ» بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠] وبقولِ زيدِ الخيل:

سَرِيعٌ إلى الهيجاءِ شاكٍ سِلاحَهُ ... فما إنْ يكادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ[١]

وبقول الآخر:

وأنْ لا ألومُ النفسَ ممَّا أصابني ... وأنْ لا أكادُ بالذي نِلْتُ أَبْجَحُ[٢]

ولا حُجَّةَ في شيء من هذا.

وقال الزمخشريّ[٣]: «أكادُ أُخْفِيها» فلا أقولُ هي آتيةٌ، لِفَرْطِ إرادتي إخفاءَها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعميةِ وقتِها من اللُّطف لَمَا أخبرتُ به، وقيل: معناه أكادُ أُخْفِيها من نفسي، ولا دليلَ في الكلام على هذا المحذوف، ومحذوفٌ لا دليلَ عليه مُطَّرح، والذي غَرَّهُم منه أنَّ في مصحف أُبيّ: «أكادُ أُخْفِيها من نفسي»، وفي بعض المصاحف: «أكادُ أُخْفِيها من نفسي، فكيف أُظْهِرُكُم عليها» انتهى.

ورُويت هذه الزيادة أيضاً عن أُبيّ، ذكرَ ذلك ابنُ خالَوَيْه[٤]، وفي مصحف عبد الله: «أكادُ أُخفيها من نفسي، فكيف يعلمُها مخلوق»، وفي بعض القراءات: «وكيف أُظهِرُها لكم»، وهذا محمولٌ على ما جَرَتْ به عادةُ العرب مِنْ أنَّ أحدَهم إذا بالغَ في كتمان الشيء قال: كِدْتُ أُخْفِيه من نفسي، واللهُ تعالى لا يَخْفَى عليه شيء، قال معناه قطرب وغيرُه[٥]. وقال الشاعر:

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٣٩، والأضداد لابن الأنباري ص٩٧ وفيه: سريعاً، واللسان (كيد). وقولُه: سريع، عائد على شمَّاس بن عمرو ذكره في بيت قبله. ينظر ديوانه ص٧٤.

(٢) المثبت من (ح) و(يه) أي: أفرحُ، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: أنجح. والبيت لتميم بن مُقبل، وهو في ديوانه ص٢٤ (وفيه: أفرحُ) والأضداد لابن الأنباري ص٩٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٨. وفي هذه المصادر: فيما، بدل: ممَّا. وقوله: وأن لا ألومُ، أي: وأنه لا ألومُ، وكذا: وأن لا أكاد.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٣٢.

(٤) القراءات الشاذة ص٨٧.

(٥) ينظر الوسيط للواحدي ٣/ ٢٠٣، وتفسير البغوي ٣/ ٢٠٤، وتفسير الرازي ٢٢/ ٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٩.

أيـامَ تَـصْـحَـبُـنـي هـنـدٌ وأُخْـبِـرُهـا ما كِدْتُ أكتُمُهُ عنِّي من الخَبَرِ[(١)]

وكيف يكتُم من نفسِه؟ ومن نحو هذا من المبالغة قوله عليه الصلاة والسلام: «ورجلٌ تَصَدَّقَ بصدقةٍ فأخْفَاها حتى لا تعلَمَ شِمالُه ما تُنْفِقُ يمينُه»[(٢)].

والضمير في «أُخْفِيها» عائدٌ على الساعة، والساعةُ يومُ القيامة بلا خلاف، والسَّعْيُ هنا العملُ.

والظاهرُ أنَّ الضمير في «عنها» و«بها» عائد على الساعة، وقيل: على الصلاة، وقيل: «عنها» عن الصلاة، و«بها» أي: بالساعة، وأبعدَ جدًّا مَنْ ذهبَ إلى أنَّ الضمير في «عنها» يعودُ على ما تقدَّم من كلمة «لا إله إلا أنا فاعبدني»[(٣)].

والظاهر أنَّ الخطابَ في «فلا يَصُدَّنَّك» لموسى عليه السلام، ولا يلزمُ من النهي عن الشيء إمكانُ وقوعِه ممَّن سبقَتْ له العصمة، فينبغي أن يكون لفظاً له وللسامع غيرِه ممَّن يمكنُ وقوعُ ذلك منه، وأبعدَ مَنْ ذهبَ إلى أنَّه خطابٌ للنبيِّ ﷺ لفظاً ولأمَّتِه معنًى.

وقال الزمخشريّ: فإن قلتَ: العبارةُ لِنَهْيِ مَنْ لا يؤمنُ عن صَدِّ موسى، والمقصودُ نَهْيُ موسى عن التكذيب بالبعث، أو أمره بالتصديق[(٤)].

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أنَّ صدَّ الكافر عن التّصديق بها سببٌ للتكذيب، فذكرَ السببَ ليدلَّ على المُسَبَّب.

والثاني: أنَّ صَدَّ الكافر مسبَّب عن رَخاوة الرَّجل في الدِّين ولِينِ شكيمتِه، فذكرَ

---

(١) صدرُه في تفسير الثعلبي ٤/ ٢٠٣ (برواية: تعجبني هند)، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٩، ورواية عجزه فيهما: ما أكتم النفس من حاجي وأسراري.

(٢) هو قطعة من حديث السبعة الذين يُظلُّهم الله في ظلِّه، أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٠.

(٤) بعدها في الكشاف ٢/ ٥٣٣: فكيف صلحت هذه العبارة لأداء هذا المقصود.

المسبَّب ليدلَّ على السبب، كقولهم: لا أَرَيَنَّكَ هاهنا[١]، المرادُ نهيُه عن مشاهدتِه والكونِ بحضرتِه، وذلك سببُ رؤيتِه إيَّاه، فكان ذِكْرُ المسبَّب دليلاً على السبب، كأنه قيل: فكُنْ شديدَ الشَّكِيمة، صُلْبَ المَعْجَمِ حتى لا يلوحَ[٢] منك لمن يكفُر بالبعث أنه يطمعُ في صَدِّك عمَّا أنتَ عليه.

و«فتَرْدَى» يجوزُ أن يكون منصوباً على جواز النهي، وأن يكون مرفوعاً، أي: فأنت تَرْدَى.

وقرأ يحيى: «فتِرْدَى» بكسر التاء[٣].

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ هو تقريرٌ مُضَمَّنُهُ التنبيهُ وجمعُ النفس لِما يُورَدُ عليها، وقد عَلِمَ تعالى في الأزَل ما هي[٤]، وإنَّما سألَه لِيُرِيَهُ عِظَمَ ما يخترعُه عزَّ وجلَّ في الخشبةِ اليابسةِ من قَلْبِها حيةً نَضْنَاضة[٥]، ويتقرَّرَ في نفسِه المباينةُ البعيدةُ بين المقلوب عنه والمقلوب إليه، ويُنَبِّهَهُ على قَدرتِهِ الباهرة[٦].

و«ما» استفهام مبتدأ، و«تلك» خبرُه، و«بيمينِك» في موضع الحال، كقوله: ﴿وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] والعاملُ اسمُ الإشارة.

قال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يكون «تلك» اسماً موصولاً صلتُه «بيمينك». ولم يذكر ابنُ عطية غيرَه[٧]، وليس ذلك مذهباً للبصريِّين، وإنما ذهبَ إليه الكوفيُّون،

---

(١) تكرر ذكر هذا القول، ينظر ما سلف في تفسير الآية (٨) من «آل عمران»، وينظر الكتاب ٣/ ١٠١.

(٢) في (أ) والمطبوع والكشاف ٢/ ٥٣٣: يتلوَّح. والمثبت من (أ) و(ح) و(د١) و(يه). وقوله: صُلْبُ المَعْجَم (كمَقْعَد) أي: عزيز النفس. القاموس (عجم).

(٣) القراءات الشاذة ص٨٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٠-٤١.

(٥) في القاموس (نضض): حيَّة نَضْنَاضَة ونَضْنَاض: لا تستقرُّ في مكان، أو إذا نهشت قَتَلَتْ من ساعتها، أو التي أخرجت لسانها تُنَضْنِضُهُ، أي: تُحرِّكه.

(٦) الكشاف ٢/ ٥٣٣.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤١، وكلام الزمخشري المذكور في المصدر السالف.

قالوا: يجوز أن يكونَ اسمُ الإشارة موصولاً حيث يتقدَّر بالموصول، كأنَّه قيل: وما التي بيمينك، وعلى هذا فيكون العاملُ في المجرور محذوفاً، كأنه قيل: وما التي استقرَّت بيمينك.

وفي هذا السؤال وما قبلَه من خطابه تعالى لموسى عليه السلام استئناسٌ عظيمٌ وتشريفٌ كريم.

قال: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾ وقرأ ابنُ أبي إسحاق والجَحْدَريّ: «عَصَيَّ» بقلبِ الألفِ ياءً وإدغامِها في ياء المتكلِم. وقرأ الحَسن: «عَصَايِ» بكسرِ الياء، وهي مرويَّةٌ عن ابنِ أبي إسحاق أيضاً وأبي عَمرو معاً، وهذه الكسرةُ لالتقاء الساكنين، وعن ابنِ أبي إسحاق[١]: «عَصَايْ» بسكون الياء[٢].

﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ أي: أتحامَلُ عليها في المَشْي والوقوف، وهذا زيادةٌ في الجواب، كما جاء: «هو الطَّهُورُ ماؤه، الحِلُّ مَيْتَتُه» في جواب مَنْ سألَ: أنتَوَضَّأُ بماء البحر[٣]؟ وكما جاء في جواب: ألهذا حَجٌّ؟ قال: «نَعَمْ، ولكِ أجْرٌ»[٤].

وحِكمةُ زيادةِ موسى عليه السلام رغبتُه في مطاولة مناجاتِهِ لربِّه تعالى وازديادِ لَذَاذَتِهِ بذلك، كما قال الشاعر:

وأَمْلَى عِتاباً يُستَطابُ فلَيْتَنِي أَطَلْتُ ذُنُوبي[٥] كي يَطُولَ عِتَابُهُ[٦]

وتعدادُه نعمَهُ تعالى عليه بما جعلَ له فيها من المنافع.

(١) بعدها في المطبوع: والجحدري، وسقطت منه لفظة «ابن».
(٢) ينظر القراءات الشاذة ص٨٧، والمحتسب ٢/ ٤٨-٤٩، والكشاف ٢/ ٥٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٢.
(٣) أخرجه أحمد (٨٧٣٥) وأبو داود (٨٣) والترمذي (٦٩) وابن ماجه (٣٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) هو في سؤال امرأة عن حجِّ الصغير، أخرجه أحمد (٢١٨٧) ومسلم (١٣٣٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) في (أ) و(ع) والمطبوع: ذنوباً.
(٦) البيت لابن سَناء المُلْك، وهو في ديوانه ص٣٩.

وتضمَّنت هذه الزيادةُ تفصيلاً في قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ وإجمالاً في قوله: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾.

وقيل: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ جواب لسؤال آخر، وهو أنه لمَّا قال: «هيَ عصايَ» قال له تعالى: فما تصنعُ بها؟ قال: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ الآية.

وقيل: سألَه تعالى عن شيئين: عن العَصَا بقولِهِ: «وما تلك»، وبقوله: «بيمينك» عمَّا يملكُه، فأجابه عن «وما تلك» بقوله: «هيَ عصايَ»، وعن قوله: «بيمينك» بقوله: «أتوكَّأُ عليها وأَهُشُّ» إلى آخره. انتهى. وفي التحقيق ليس قوله: «بيمينك» بسؤال.

وقَدَّمَ في الجواب مصلحةَ نفسِه في قوله: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾ ثم ثَنَّى بمصلحة رَعِيَّتِه في قوله: «وأَهُشُّ».

وقرأ الجمهور: «وأَهُشُّ» بضم الهاء والشين المعجمة، والنَّخَعيُّ بكسر الهاء، كذا ذكرَ أبو الفضل الرازيّ وابنُ عطيَّة[١]، وهي بمعنى المضمومةِ الهاء، والمفعولُ محذوف، وهو الوَرَقُ، قال أبو الفضل: ويحتمل ذلك أن يكون من: هَشَّ يَهِشُّ هَشَاشَةً: إذا مالَ، أي: أميلُ بها على غنمي بما أُصلحها من السَّوْق وتكسيرِ العَلَف ونحوِهما، يقال منه[٢]: هَشَّ الوَرَقُ والكلأ والنبات: إذا جَفَّ ولان. انتهى.

وقرأ الحسنُ وعكرمة: «وأَهُسُّ» بضمّ الهاء والسين غير معجمة[٣]، والهَسُّ السَّوْقُ[٤]، ومن ذلك الهَسُّ والهَسَّاس غير معجمة في الصفات.

ونقل ابنُ خالويه عن النَّخَعيّ أنه قرأ: «وأُهِشُّ» بضمّ الهمزة من: أَهَشَّ، رُباعياً[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤١. وذكرها قبله ابنُ جنّي في المحتسب ٢/ ٥٠.
(٢) في (يه): منهما.
(٣) القراءة عن عكرمة في القراءات الشاذة ص٨٧، والنكت والعيون ٣/ ٣٩٩، والمحتسب ٢/ ٥٠، والكشاف ٢/ ٥٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٣.
(٤) في القاموس: هُسْ (بضم الهاء والسين المهملة): زجرٌ للغنم، ولا يكسر.
(٥) القراءات الشاذة ص٨٧.

وذكر صاحب «اللوامح» عن عكرمة ومجاهد: «وأَهُشُ» بضم الهاء وتخفيف الشين، قال: ولا أعرفُ وجهَه، إلا أن يكون بمعنى العامَّة[١]، لكن فرَّ من قراءته من التضعيف لأنَّ الشين فيه تَفَشٍّ، فاستثقل الجمعَ بين التضعيف والتفشِّي، فيكون كتخفيف «ظَلْتَ» ونحوِه[٢].

وذكر الزمخشريُّ[٣] عن النَّخَعي أنه قرأ «وأُهِشُّ» بضم الهمزة والشين المعجمة من «أَهَشَّ» رباعياً، قال: وكلاهما من: هَشَّ الخبزُ يَهِشُّ إذا كان ينكسرُ لهشاشتِه.

ذكرَ على التفصيل والإجمال المنافعَ المتعلِّقة بالعصا كأنَّه أحَسَّ بما يعقُب هذا السؤالَ من أمرٍ عظيم يُحْدِثُه اللهُ تعالى، فقال: ما هي إلا عصاً لا تنفعُ إلا منافعَ بناتِ جنسِها كما تنفع العيدان، ليكون جوابُه مطابقاً للغَرَضِ الذي فهمه من فحوى كلام ربِّه.

ويجوزُ أن يُريد عزَّ وجلَّ أن يُعدِّدَ المرافقَ الكثيرةَ التي علَّقها بالعصا ويستكثرَها ويستعظمَها، ثم يُرِيه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول [له]: أين أنتَ عن هذه المنفعةِ العُظمى والمأْرَبَةِ الكبرى المنسيَّة عندها كلُّ منفعة ومأرَبة كنتَ تعتدُّ بها وتحتفلُ بشأنها؟ وقالوا: اسم العصا نبعة. انتهى[٤].

وقرأت فرقة: «غَنْمِي» بسكون النون، وفرقةٌ: «عليَّ غَنَمي» بإيقاع الفعل على الغنم[٥].

والمآرِبُ؛ ذكرَ المفسِّرون أنها كانت ذاتَ شُعبتين ومِحْجَن، فإذا طال الغُصن حَناه بالمِحْجَن، وإذا طلبَ كَسْرَه لواهُ بالشُّعبتين، وإذا سارَ ألقاها على عاتقه فعلَّقَ بها أدواتِه من القوس والكِنانةِ والحِلاب، وإذا كان في البرِّيَّة رَكَزَها وعَرَضَ

(١) يعني بمعنى قراءة العامة: أَهُشُّ. وينظر الدر المصون ٨/ ٢٥.
(٢) قال الآلوسي: وهو في غاية البعد. ينظر روح المعاني ١٦/ ٢٧٠، ولفظة «ظَلْتَ» من الآية (٩٧) من هذه السورة.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٣٢.
(٤) المصدر السالف، ولفظة «له» السالفة بين حاصرتين منه.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤١. قال ابنُ عطية في الأولى: ولا أعرف لها وجهاً.

الزَّنَدَيْنِ[(١)] على شُعبَتَيْها، وألقى عليها الكساءَ واستظلَّ، وإذا قصُرَ رِشاؤه[(٢)] وَصَلَه بها، وكان يُقاتلُ بها السِّباع عن غنمه.

وقيل: كان فيها من المعجزات أنه كان يَسْتقي بها، فتطُول بطُول البئر، وتصيرُ شعبتاها دَلْواً، وتكونان شمعتَيْن بالليل، وإذا ظهرَ عدوٌّ حاربَتْ عنه، وإذا اشتَهى ثمرةً ركَزَها فأورقَتْ وأثمَرَتْ، وكان يحملُ عليها زادَه وسِقاءَه، فجعلت تُماشيه، ويركُزُها فينبُع الماءُ، فإذا رفعَها نَضَب، وكانت تقيه الهوامَّ[(٣)]. ويَرُدُّ بها غَنَمَه وإن بَعُدُوا.

وهذه العصا أخَذَها من بيت عصى الأنبياء التي كانت عند شعيب[(٤)] حين اتَّفَقا على الرَّعية، هبطَ بها آدم من الجنَّة، وطولها عشرة أذرع، وقيل: اثنتا عشرة بذراع موسى عليه السلام[(٥)].

وعامَلَ المآرِب ـ وإنْ كان جمعاً ـ معاملةَ الواحدة المؤنثة، فأتبعَها صفتَها في قوله: «أخرى»، ولم يقل: أُخَر، رَعْياً للفواصل، وهو جائز في غير الفواصل، وكان أجودَ وأحسنَ في الفواصل.

وقرأ الزُّهري وشيبة: «مارِب» بغير همز، كذا قال الأهوازيّ في كتاب «الإقناع في القراءات»، ويعني ـ والله أعلم ـ بغير همز محقَّق، وكأنَّه يعني أنهما سهَّلاها بَيْنَ بَيْن.

﴿قَالَ أَلْقِهَا﴾ الظاهرُ أنَّ القائل هو الله تعالى، ويَبْعُد قولُ من قال: يجوز أن يكون القائل المَلَك بإذن الله.

ومعنى «أَلْقِهَا»: اطْرَحْهَا على الأرض، ومنه قول الشاعر:

---

(١) في حاشية الشهاب ٦/ ١٩٦: عَرَض، بالتخفيف والتشديد، والزَّندان: هما عودان يُحَكُّ أحدُهما بالآخر فتخرج النار.
(٢) الرِّشاء، بكسر الراء: الحَبْلُ الذي يُسْتَقى به.
(٣) من قوله: كانت ذاتَ شعبتين... إلى هذا الموضع، من الكشاف ٢/ ٥٣٣-٥٣٤، وينظر تفسير الثعلبي ٤/ ٢٠٣-٢٠٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٤.
(٤) في (ح): عند بنت شعيب.
(٥) سلف الكلام على عصا موسى عند تفسير الآية (٦٠) من سورة البقرة.

فألقت عصاها واستقرَّت بها النَّوى[١]

و«إذا» هي التي للمفاجأة، والحيَّةُ تُطلَقُ على الصغير والكبير والذكرِ والأنثى، والجانُّ: الرقيقُ من الحيَّات، والثعبانُ: العظيمُ منها، ولا تَنافيَ بين تشبيهها بالجانِّ في قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠] وبين كونِها ثعباناً لأنَّ تشبيهها بالجانِّ هو في أوَّل حالها، ثم تزيَّدَتْ[٢] حتى صارت ثعباناً، أو شُبِّهت بالجانِّ وهي ثعبانٌ في سرعةِ حركتِها واهتزازِها مع عِظَمِ خَلقِها.

قيل: كان لها عُرْفٌ كعُرْفِ الفَرَس، وصارت شُعبتا العصا لها فماً، وبين لَحْيَيْها أربعون ذراعاً[٣].

وعن ابن عباس: انقلبَتْ ثعباناً تبتلعُ الصخر والشجر[٤]، والمِحْجَنُ عُنقاً وعيناها تتَّقدان[٥]، فلما رأى هذا الأمرَ العجيبَ الهائلَ لَحِقَهُ ما يلحقُ البشرَ عند رؤيةِ الأهوال والمخاوف؛ لاسيما هذا الأمرُ الذي يُذْهِلُ العقول.

ومعنى «تَسْعَى»: تنتقلُ وتمشي بسرعة، وحِكمةُ انقلابِها وقتَ مناجاتِه تأنيسُه بهذا المُعجِز الهائل حتى يُلقيَها لفرعون فلا يلحقه ذُعْرٌ منها في ذلك الوقت إذْ قد جرت له بذلك عادة، وتدريبُه في تلقِّي تكاليف النبوَّة ومَشَاقِّ الرسالة.

ثم أمرَه تعالى بالإقدام على أخْذِها، ونهاه عن أن يخاف منها، وذلك حين ولَّى مُدْبِراً ولم يُعَقِّب.

---

(١) هو صدرُ بيت، وعجزُه: كما قرَّ عَيْناً بالإيابِ المسافرُ، ونُسب البيت في البيان والتبيين ٣/ ٤٠ لمُضَرِّس الأسدي، ونُسب في معجم الشعراء للمرزباني ص٩، ومجمع الأمثال ١/ ٣٦٤ لمُعَقِّر البارقي، ونسبَه ابن برِّي ـ كما في اللسان (عصا) ـ لعبد ربّه السُّلَمي، قال: ويقال: لسُلَيم بن ثُمامة الحنفي. ووقع في معجم المرزباني واللسان ومطبوع البحر: استقرَّ، بدل: استقرَّت.

(٢) في (به): تزايدت. وينظر تفسير الثعلبي ٤/ ٢٠٤، والكشاف ٢/ ٥٣٤، وتفسير الرازي ٢٢/ ٢٨.

(٣) القول في الكشاف ٢/ ٥٣٤، وبعضُه بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٤١.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٣٤، وهو بنحوه أطول منه في تفسير الطبري ١٦/ ٤٧.

(٥) قوله: والمِحْجَنُ عُنقاً وعيناها تتَّقدان، قطعة من قول ابن إسحاق، أورده البغوي ٣/ ٢١٥.

وقيل: إنما خافَها لأنه عَرَفَ ما لَقِيَ آدمُ منها[١].

وقيل: لمَّا قالَ اللهُ له: «لا تَخَفْ» بلغَ من ذهابِ خوفِه وطمأنينةِ نفسِه أنْ أدْخَلَ يدَه في فمها، وأخذَ بلَحْيَيْها[٢].

ويبعُدُ ما ذكرَه مكّيّ في «تفسيره»[٣] أنه قيل له: «خُذْها» مرَّةً وثانيةً، حتى قيل له: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ فأخذَها في الثالثة، لأنَّ منصب النبوَّة لا يليقُ أنْ يأمرَه ربُّه مرَّةً وثانيةً فلا يمتثل ما أُمِرَ به. وحين أخذَها بيده صارَتْ عصاً.

والسِّيرَة من السَّيْرِ[٤]، كالرِّكْبَة والجِلْسَة، يقال: سارَ فلانٌ سِيرَةً حسنةً. ثم اتُّسِعَ فيها فنُقلت إلى معنى المَذهب والطريقة.

وقيل: سِيَر الأوَّلين[٥]. وقال الشاعر:

فلا تَغْضَبَنْ من سِيرَةٍ أنتَ سِرْتَها ... فأوَّلُ رَاضٍ سِيرَةً من يَسِيرُها[٦]

واختلفوا في إعراب «سِيرتَها» فقال الحَوْفيّ: مفعولٌ ثانٍ لـ «سَنُعِيدُها» على حذف الجارّ، مثل: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] يعني إلى سيرتِها؛ قال: ويجوز أن يكون بدلاً من مفعول «سنُعيدُها»، وقال هذا الثاني أبو البقاء[٧]؛ قال: بدل اشتمال، أي: صفتَها وطريقتَها.

وقال الزمخشريّ[٨]: يجوز أن ينتصبَ على الظرف، أي: سنُعيدُها في طريقتها الأولى، أي: في حالِ ما كانت عصاً. انتهى.

(١) الكشاف ٢/ ٥٣٤. والقول إشارة إلى خبر دخول إبليس جوف الحية لتُدخله الجنة من أجل إغواء آدم، وهو من الإسرائيليات.
(٢) المصدر السالف.
(٣) الهداية ٧/ ٤٦٢٧.
(٤) أي: السِّيرة: فِعْلَة، تدلُّ على الهيئة من السَّيْر.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٣٤.
(٦) البيت لخالد بن زهير الهُذَليّ، وهو في ديوان الهُذَليِّين ١/ ١٥٧ برواية: فلا تجزعَنْ من سنَّة أنت سِرْتَها، وأول راضي سنةٍ من يسيرها. وهو برواية المصنف في الخصائص ٢/ ٢١٢.
(٧) الإملاء ٢/ ١٢٠.
(٨) الكشاف ٢/ ٥٣٤.

وسيرتها وطريقتها ظرف مختصّ، فلا يتعدَّى إليه الفعلُ على طريقة الظرفية إلا بوسَاطة «في»، ولا يجوز الحذفُ إلا في ضرورة، أو فيما شذَّتْ فيه العرب.

قال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يكون مفعولاً من «عادَهُ»[١] بمعنى: عادَ إليه، ومنه بيتُ زهير:

وعـــادَكَ أنْ تُـــلاقِـــيــهـــا عِـــدَاءُ[٢]

فيتعدَّى إلى مفعولَيْن. انتهى. وهذا هو الوجه الأول الذي ذكره الحَوْفيّ[٣].

قال[٤]: ووجهٌ ثالث حسنٌ، وهو أن يكون «سنُعيدُها» مستقلًّا بنفسِه غيرَ متعلِّق بـ «سيرتها» بمعنى أنها أُنشئت أولَ ما أُنشئت عَصاً، ثم ذهبت وبَطَلَتْ بالقلبِ حيَّةً، فسنُعيدُها بعدَ الذهاب[٥] كما أنشأناها أولاً، ونصب «سِيرَتَها» بفعل مضمر، أي: تسيرُ سِيرتَها الأولى يعني سنُعيدُها سائرةً سيرتَها الأولى حيث كنتَ تَتَوكَّأُ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتَها. انتهى.

والجَناحُ حقيقةٌ في الطائر والمَلَك، ثم تُوسِّعَ فيه فأُطْلِقَ على اليد، وعلى العَضُد، وعلى جَنْب الرَّجُل.

وقيل لِمُجَنِّبَتَيِ العسكر: جَناحان[٦] على سبيل الاستعارة، وسُمِّيَ جناح الطائر لأنه يجنحُ به عند الطيران.

ولمَّا كان المرغُوبُ من ظُلمة أو غيرها إذا ضَمَّ يدَه إلى جناحِه فتَرَ رُعْبُهُ ورَبَط جأشُه، أمرَه تعالى أن يَضُمَّ يدَه إلى جناحه ليَقْوَى جَأْشُه، ولتظهرَ له هذه الآيةُ

(١) كذا في النسخ الخطية والدر المصون ٨/ ٢٦، وعبارة مطبوع الكشاف ٢/ ٥٣٤ وكذا هو في نسخة خطية جيدة له: (أن يكون «أعاد» منقولاً من «عادَهُ». . . .) وهو الصواب، فالفعل في الآية «نُعيدها» من «أعادَ».

(٢) هو عجز بيت لزهير، وصدرُه: فصَرِّمْ حَبْلَها إذْ صَرَّمَتْهُ. وهو في ديوانه ص٦٢، وفيه: العَداءُ، بدل: عَداءُ.

(٣) ينظر كلام الآلوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٧٧.

(٤) أي الزمخشري، والكلام في الكشاف ٢/ ٥٣٤.

(٥) في الكشاف: ذهابها.

(٦) وهما الميمنة والميسرة، والمُجَنَّبة بفتح النون: مقدِّمة الجيش.

العظيمة في اليد[١]. والمرادُ: إلى جَنْبِك تحت العَضُد، ولهذا قال: «تَخْرُجْ»[٢] فلو لم يكن دخولٌ لم يكن خروج كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ﴾ [النمل: ١٢] وفي الكلام حذفٌ إذْ لا يترتَّب الخروجُ على الضمّ، وإنما يترتَّبُ على الإخراج، والتقدير: واضْمُمْ يدَكَ إلى جناحك تنضمّ، وأخْرِجْها تَخْرُجْ، فحذفَ من الأول وأبقَى مقابِلَهُ، ومن الثاني وأبقَى مقابِلَه وهو «اضْمُمْ» لأنه بمعنى «أدْخِلْ» كما بيَّن في الآية الآخرى.

﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ قيل: خرجَتْ بيضاءَ تَشِفُّ وتُضيء كأنَّها شمسٌ، وكان آدَمَ اللون.

وانتصب «بيضاء» على الحال، والسُّوء الرَّداءةُ والقُبْحُ في كلِّ شيء، فكَنَى به عن البَرَص كما كَنَى عن العَوْرة بالسَّوْأة، وكما كَنَوْا عن جَذِيمةَ[٣] - وكان أبرصَ - بالأبرش، والبَرَصُ أبغضُ شيء إلى العرب، وطِباعُهم تَنْفِرُ منه، وأسماعُهم تَمُجُّ ذِكْرَهُ، فكَنَى[٤] عنه.

وقوله: «من غير سُوء» متعلِّق بـ «بيضاء» كأنه قال: ابيضَّت من غير سوء.

وقال الحَوْفيّ: «من غيرِ سُوء» في موضع النعت لـ «بيضاء» والعاملُ فيه الاستقرار. انتهى. ويقال له عند أرباب البيان: الاحتراس، لأنه لو اقتصرَ على قوله: «بيضاء» لَأَوْهَمَ أنَّ ذلك من بَرَصٍ أو بَهَق.

وانتصب «آيةً» على الحال، وهذا على مذهب من يُجيز تَعدادَ الحال لذي حالٍ واحد. وأجازَ الزمخشريُّ أن يكون منصوباً على إضمار «خُذْ» و«دُونَكَ» وما أشبهَ ذلك؛ حُذِفَ لدلالة الكلام، كذا قال. فأمَّا تقديرُ «خُذْ» فسائغ، وأمَّا «دُونَكَ» فلا يسوغ، لأنه اسمُ فعل من باب الإغراء، فلا يجوزُ أن يُحذف النائب والمَنُوب عنه، ولذلك لم يَجْرِ مجراه في جميع أحكامِه.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٢.
(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٥٣٤.
(٣) هو ابنُ مالك بن فَهْم، مَلِكُ الحِيرَة، صاحبُ الزَّبَّاء ملكة الجزيرة.
(٤) الكلام بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٣٤.

وأجاز أبو البقاء[١] والحَوْفيّ أن يكون «آية» بدلاً من «بيضاء» وأجاز أبو البقاء أن يكون حالاً من الضمير في «بيضاء» أي: تَبْيَضُّ آيةً، وقيل: منصوب بمحذوف تقديرُه: جعلناها آيةً، أو آتيناك آيةً.

واللام في «لِنُرِيَك» قال الحَوْفي: متعلِّقة بـ «اضْمُمْ» ويجوز أن تتعلَّق بـ «تَخْرُجْ». وقال أبو البقاء: تتعلَّق بهذا المحذوف، يعني المقدَّر: جعلناها، أو آتيناك، ويجوز أن تتعلَّق بما دلَّ عليه «آية» أي: دَلَلْنا بها لنُرِيَكَ.

وقال الزمخشريّ[٢]: «لِنُرِيَك» أي: خُذْ هذه الآيةَ أيضاً بعد قلب العصا حيَّةً لِنُرِيَكَ بهاتين الآيتين بعضَ آياتِنا الكبرى، أو لِنُرِيَك بهما الكبرى من آياتنا، أو لنُرِيَك من آياتنا الكبرى فَعَلْنا ذلك. ويعني أنه أجازَ أن يكون مفعول «لنُرِيَك» الثاني «الكُبرى»، أو يكون «من آياتنا» في موضع المفعول الثاني، وتكون «الكُبرى» صفة لـ «آياتنا» على حدّ «الأسماء الحسنى» و«مآرب أخرى» بجَرَيانِ مثلِ هذا الجمع مجرى الواحدة المؤنَّثة.

وأجازَ هذين الوجهين من الإعراب الحَوْفيُّ وابنُ عطيَّة وأبو البقاء[٣].

والذي نختارُه أن يكون «من آياتِنا» في موضع المفعول الثاني، و«الكبرى» صفة لـ «آياتنا» لأنه يلزمُ من ذلك أن تكون آياتُه تعالى كلُّها هي الكُبَر، لأنَّ ما كان بعضُ الآيات الكُبَر صدقَ عليه أنه الكبرى، وإذا جعلتَ «الكُبرى» مفعولاً لم تتَّصف الآياتُ بالكبرى[٤] لأنها هي المتصفة بأفعل التفضيل. وأيضاً إذا جعلتَ «الكبرى» مفعولاً فلا يمكن أن يكونَ صفةً للعصا واليدِ معاً لأنهما كان يلزمُ التثنية في وصفيهما، فكان يكون التركيب: الكُبْرَيَين ولا يمكن أن يخصَّ أحدَهما، لأنَّ كلًّا منهما فيها معنى التفضيل.

ويبعُد ما قال الحسن من أنَّ اليد أعظمُ في الإعجاز من العصا لأنه ذَكَرَ عَقِيب اليد «لنُرِيَكَ من آياتنا الكُبرى» لأنه جعلَ «الكبرى» مفعولاً ثانياً لـ «نُرِيَك» وجعلَ

(١) الإملاء ٢/ ١٢٠.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٣٤.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢، والإملاء ٢/ ٤٢.
(٤) المثبت من (أ) و(به). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: بالكُبَر.

ذلك راجعاً إلى الآية القريبة، وهي إخراجُ اليد بيضاءَ من غير سُوء، وقد ضُعِّفَ قولُه هذا لأنّه ليس في اليد إلا تغيُّر اللون، وأمَّا العصا ففيها تغيُّر اللون وخلقُ الزِّيادة في الجسم، وخلقُ الحياة والقُدرة والأعضاء المختلفة، وابتلاعُ الشجر والحجر، ثم عادت عصاً بعد ذلك، فقد وقعَ التغييرُ مراراً، فكانت أعظمَ من اليد(١).

ولمَّا أراهُ تعالى هاتين المعجزتين العظيمتين في نفسه وفيما يُلابسه وهو العصا؛ أمرَهُ بالذَّهاب إلى فرعون رسولاً من عنده تعالى، وعلَّلَ حِكمةَ الذَّهاب إليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾، وخَصَّ فرعونَ ـ وإن كان مبعوثاً إليهم كلِّهم ـ لأنه رأسُ الكفر ومدَّعي الإلهية، وقومُه تُبَّاعُه.

قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّه: قال الله لموسى عليه السلام: اسْمَعْ كلامي واحْفَظْ وَصِيَّتي وانْطلِقْ برسالتي أرعاك بعيني وسمعي، وإنَّ معك يدي ونَصْرِي، وأُلبِسُكَ جُنَّةً من سلطاني تستكملُ بها العزَّةَ في أمري، أبعثُك إلى خلقٍ ضعيفٍ من خَلْقي بَطَرَ نعمتي، وأَمِنَ مَكْرِي، وغَرَّتْهُ الدُّنيا حتى جَحَدَ حقِّي، وأنْكَرَ رُبُوبيَّتي، أُقسِمُ بعزَّتي لولا الحُجَّةُ والقَدَر(٢) الذي وضعتُ بيني وبين خلقي لبَطَشْتُ به بطشةَ جَبَّارٍ، ولكن هانَ عليَّ وسقطَ من عيني، فبَلِّغْهُ رسالتي، وادْعُهُ إلى عبادتي وحَذِّرْهُ نِقْمَتي، وقُلْ له قولاً ليِّناً، فإنَّ ناصِيَتَهُ بيدي، لا يَطْرِفُ ولا يتنفَّسُ إلا بعلمي. في كلام طويل. قال: فسكتَ موسى عليه السلام سبعةَ أيَّام، وقيل: أكثرَ، فجاءهُ مَلَكٌ فقال: أَنْفِذْ ما أمرَك ربُّك(٣).

﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ۝٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/ ٣٠. وقول الحسن رُوي أيضاً عن ابن عباس، ينظر تفسير البغوي ٣/ ٢١٥ وتفسير القرطبي ١٤/ ٥١.

(٢) في الزُّهد لأحمد ص٨٢، وتفسير الرازي ٢٢/ ٣٠: العذر.

(٣) تفسير الرازي ٢٢/ ٣٠، وهو قطعة من كلام مطوَّل لوَهْبِ بن منبِّه، أخرجه أحمد في الزُّهد ص٧٩-٨٤.

يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾.

لمَّا أمرَه تعالى بالذَّهاب إلى فرعون عرفَ أنه كُلِّفَ أمراً عظيماً يحتاجُ معه إلى احتمال ما لا يحتملُه إلا ذو جأشٍ رابطٍ وصَدْرٍ فَسِيح، فسألَ ربَّه ورَغِبَ في أن يشرحَ صدرَه ليحتملَ ما يَرِدُ عليه من الشدائد التي يضيقُ لها الصدر، وأن يُسَهِّلَ عليه أمرَه الذي هو خلافةُ الله في أرضه، وما يصحبُها من مزاولة جلائلِ الخطوب[1]، وقد علم ما عليه فرعونُ من الجبروتِ والتمرُّدِ والتسلُّط.

وقال ابنُ جُرَيْج[2]: معناه وَسِّعْ لي صدري لأَعِيَ عنك ما تُودِعُهُ من وَحْيِك.

وقال الكِرْمانيّ: وَسِّعْ قلبي ولَيِّنْهُ لِفَهْمِ خِطابِك وأداءِ رسالتِك والقيامِ بما كلَّفْتَنِيهِ من أعبائها.

والعُقدة استعارةٌ لِثِقَلٍ كان في لسانِه خِلْقةً، وقال مجاهد: كانت من الجمرة التي أدخلَها فاه، وكانت آسِيةُ قد ألْقَى الله محبَّتَهُ في قلبها وسألت فرعونَ أن لا يذبحه، فبينا هي تُرقِّصُهُ يوماً أخذَه فرعونُ في حِجْرِه، فأخذَ خَصْلةً من لِحيته، وقيل: لَطَمَهُ، وقيل: ضربَه بقضيب كان في يده، فغضبَ فرعونُ، فدعا بالسَّيَّاف، فقالت: إنما هو صبيّ لا يُفرِّقُ بين الياقوت والجمر، فأُحْضِرا، وأرادَ أن يمدَّ يدَه إلى الياقوت فحوَّل جبريلُ عليه السلام يدَه إلى الجمرة، فأخذَها ووضعَها في فيه، فاحترقَ لسانُه. انتهى[3].

وإحراقُ النار وتأثيرُها في لسانه لا في يده دليلٌ على فساد قولِ القائلين بالطبيعة.

(١) بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٣٥.
(٢) كذا في النسخ الخطية، ولعله محرَّف عن ابن جَرِير، وهو الطبري، والقول في تفسيره ١٦/ ٢٥.
(٣) هو بنحوه في تفسير الطبري ١٦/ ٥٤ عن السُّدِّيّ.

وعن ابن عباس كانت في لسانه رُتَّةٌ(١)، وقيل: حَدَثَتِ العُقْدةُ بعد المناجاة حتى لا يكلِّم أحداً بعدها(٢)، وقال قطرب: كانت فيه مسكة عن الكلام. وقال ابنُ عيسى: العُقدة، كالتمتمة والفأفأة(٣).

وطلبَ موسى من حلِّ العُقدة قَدْرَ ما يُفْقَهُ قولُه؛ قيل: وبقيَ بعضُها لقوله: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤] وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢].

وقيل: زالت؛ لقوله: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ وهو قولُ الحسن، قيل: وهو ضعيف، لأنه لم يقل: واحْلُلِ العقدة، بل قال: «عُقْدَةً» فإذا حَلَّ عُقْدَةً فقد آتاه الله سُؤْلَهُ(٤).

وقيل في قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: إن معناه لا يأتي ببيانٍ وحُجَّة، وإنَّما قال ذلك فرعون تمويهاً، وقد خاطبَه وقومَه، وكانوا يفهمون عنه، فكيف يمكن نفيُ البيان أو مقاربتُه؟

وقال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: «لي» في قوله: ﴿ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝٢٦﴾ ما جَدْوَاهُ والكلامُ بدونه مُسْتَتِبٌ؟

قلت: قد أبهمَ الكلام أولاً، فقال: اشْرَحْ لي ويَسِّرْ لي، فعُلم أنَّ ثَمَّ مشروحاً ومُيَسَّراً، ثم بيّن ورفعَ الإبهام فذَكَرهما(٥)، فكان آكَدَ لطلبِ الشَّرح والتيسيرِ لصدرِهِ وأمرِهِ من أن يقول: اشْرَحْ صَدْرِي ويَسِّرْ أمرِي على الإيضاح الشَّارح، لأنَّه تكريرٌ للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل.

وقال أيضاً: وفي تنكير العُقدة ـ وإنْ لم يقل: واحْلُلْ عُقدةَ لساني ـ أنَّه طلبَ حَلَّ بعضِها إرادةَ أن يُفْهَمَ عنه فهماً جيداً، ولم يطلب الفصاحةَ الكاملة. و«من لساني» صفة للعقدة، كأنه قيل: عقدةً من عُقَدِ لساني. انتهى.

---

(١) أي: عُجْمة في الكلام. وقول ابن عباس هذا هو صدرُ كلامه في خبر الجمرة السالف نحوه، وذكره عنه الثعلبي ٤/ ٢٠٥، والقرطبي ١٤/ ٥١-٥٢.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٤٠١، واستبعده الآلوسي في روح المعاني ١٦/ ٢٨٦.
(٣) ينظر مجاز القرآن ٢/ ١٨.
(٤) تفسير الرازي ٢٢/ ٤٨.
(٥) في الكشاف ٢/ ٥٣٥ (والكلام منه): بذكرهما.

ويظهر أنَّ «من لساني» متعلِّق بـ «احْلُلْ» لا في موضع الصفة لـ «عُقْدة»[١]، وكذا قال الحَوْفيّ، وأجازَ أبو البقاء الوجهين[٢].

والوزير المُعِينُ القائمُ بوِزْرِ الأمور، أي: بثِقَلِها، فوزيرُ الملكُ يتحمَّلُ عنه أوزَارَهُ ومُؤَنَهُ. وقيل: من الوَزَر، وهو الملجأ يلتجئُ إليه الإنسان، وقال الشاعر:

شَرُّ[٣] السِّباعِ الضَّوَارِي دونَه وَزَرٌ والنـاسُ شَرُّهُمُ ما دونَه وَزَرُ
كَمْ مَعْشَرٍ سَلِمُوا لم يُؤْذِهِمْ سَبُعٌ وما تَرَى[٤] بَشَراً لم يُؤذِهِمْ بَشَرُ

فالمَلِكُ يَعتصِمُ برأيه، ويَلْتَجِئُ إليه في أموره[٥].

وقال الأصمعيّ: هو من المؤازَرَة، وهي المعاونةُ والمساعدة. والقياس أَزِير، وكذا قال الزمخشري[٦]؛ قال: وكان القياس أَزِير، فقُلبت الهمزة إلى الواو، ووجهُ قَلْبِها أنَّ فَعِيلاً جاء في معنى مُفاعِل مجيئاً صالحاً، كعَشِير وجَلِيس وقَعِيد وخَلِيل وصَدِيق ونَدِيم، فلما قُلبت في أخيه قُلبت فيه، وحَمْلُ الشيء على نظيره ليس بعزيز، ونظراً إلى «يُوازر» وأخواتِهِ وإلى الموازَرة. انتهى.

ولا حاجةَ إلى ادِّعاء قلبِ الهمزة واواً لأنَّ لنا اشتقاقاً واضحاً وهو الوَزْر[٧]، وأما قَلْبُها في «يُوَازِر» فلأجل ضمةِ ما قبلَ الواو، وهو أيضاً إبدالٌ غيرُ لازم.

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: لأن موضع الصفة لعقدة. والتصويب من النهر الماد بهامش البحر ٦/ ٢٣٧.
(٢) الإملاء ٢/ ١٢١.
(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: من، بدل: شرّ. والتصويب من العُزلة للخطَّابي ص١٦١ والبيتان له، ومعجم الأدباء ١٠/ ٢٧١، وغرر الخصائص الواضحة ص٤٧٦.
(٤) في (ع) والمطبوع: نرى.
(٥) في الكشاف ٢/ ٥٣٥: «ويُلْجِئُ إليه أمورَه». أي: يُسندها إليه. وهو أحسن.
(٦) المصدر السالف، وقول الأصمعي فيه. وينظر الدر المصون ٨/ ٣٣.
(٧) في (ح) و(ع): وهو الوَزْر والوَزَر.

وجوَّزوا أن يكون «لي وزيراً» مفعولين لـ «اجْعَلْ»[(١)]، و«هارون» بدلاً أو عطفَ بيان[(٢)].

وأن يكون «وزيراً» و«هارون» مفعولَيه، وقُدِّم الثاني اعتناءً بأمر الوِزَارة.

و«أخي» بدل من «هارون» في هذين الوجهين؛ قال الزمخشريّ: وإن جُعِلَ عطفَ بيان آخر جاز وحسُن. انتهى.

ويبعُد فيه عطف البيان لأنَّ الأكثر في عطف البيان أن يكون الأولُ دونَه في الشُّهرة، والأمرُ هنا بالعكس[(٣)].

وجوَّزوا أن يكون «وزيراً من أهلي» هما المفعولان، و«لي» مثل قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ يعنُون أنه به يتمُّ المعنى، وهارون على ما تقدَّم[(٤)].

وجوَّزوا أن ينتصب «هارون» بفعل محذوف، أي: اضْمُمْ إليَّ هارونَ. وهذا لا حاجة إليه لأنَّ الكلام تامٌّ بدون هذا المحذوف.

وقرأ الحسن وزيد بنُ علي وابنُ عامر: «أَشْدُدْ» بفتح الهمزة، و«أُشْرِكْهُ» بضمِّها، فعلاً مضارعاً مجزوماً على جواب الأمر، وعُطف عليه «وأُشْرِكْه»[(٥)].

---

(١) المفعول الأول «وزيراً»، و«لي» مفعول ثانٍ مقدَّم. ينظر الإملاء ٢/ ١٢١، والدر المصون ٨/ ٣٠.

(٢) الإملاء ٢/ ١٢١، ولم يذكر الزمخشري ٢/ ٥٣٥ غير عطف البيان، وعجبَ السمين من إيراد المصنِّف تجويز أن يكون «هارون» عطفَ بيان لـ «وزير» دون تعقُّب له، وقال: إنَّ عطف البيان يشترط فيه التوافق تعريفاً وتنكيراً، وقد عرفتَ أن «وزيراً» نكرة، و«هارون» معرفة. ينظر الدر المصون ٨/ ٣٠-٣١.

(٣) ذكر السمين أن الزمخشريّ أراد أنّ «أخي» عطف بيان لـ «وزيراً» ولم يُرِدْ أنه عطف بيان لـ «هارون» كما هو ظاهرٌ من كلامه في الكشاف ٢/ ٥٣٥، فلا يَرِدُ عليه تعقُّب المصنِّف له.

(٤) الإملاء ٢/ ١٢١. وتعقَّب السمين تجويز «وزيراً من أهلي» مفعولين بأنَّ شرطَ المفعولين في باب النواسخ صحةُ انعقاد الجملة الاسمية؛ قال: وأنتَ لو ابتدأت بـ «وزير» وأخبرتَ عنه بـ «من أهلي»، لم يَجُز، إذْ لا مُسَوِّغ للابتداء به.

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٥٥. وقراءة ابن عامر في السبعة ص٤١٨، والتيسير ص١٥١.

وقال صاحب «اللوامح» عن الحسن أنه قرأ «أُشَدِّدْ به» مضارع «شَدَّدَ» للتكثير والتكرير، أي: كلَّما حَزَبَني أمرٌ[١] شَدَّدْتُ به أزْرِي.

وقرأ الجمهور: «ٱشْدُدْ» و«أَشْرِكْهُ» على معنى الدُّعاء في شَدِّ الأَزْرِ وتشريكِ هارونَ في النبوَّة، وكأنَّ الأمرَ في قراءة ابن عامر لا يريد به النُّبوَّة، بل يريد تدبيرَه ومساعدتَه، لأنه ليس لموسى أن يُشْرِكَ في النبوَّة أحداً.

وفي مصحف عبد الله: «أخي واشْدُدْ»[٢].

وقال الزمخشريّ[٣]: ويجوزُ فيمن قرأ على لفظ الأمر أن يجعلَ «أخي» مرفوعاً على الابتداء، و«اشْدُدْ به» خبرُه، ويُوقف على «هارون». انتهى. وهو خلاف الظاهر، فلا يُصار إليه لغير حاجة.

وكان هارون أكبرَ من موسى بأربعة أعوام، وجَعَلَ موسى ما رَغِبَ فيه وطَلَبَهُ من نِعَم سبباً تلزمُ منه العبادة والاجتهادُ في أمر الله[٤]، والتظافرُ على العبادة والتعاونُ فيهاً مثيرٌ للرغبة والتزيُّدِ من الخير[٥].

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ نُنزِّهَك عمَّا لا يليقُ بك ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ بالدُّعاء والثناءِ عليك. وقدَّم التسبيح لأنه تنزيهُه تعالى في ذاتِه وصفاتِه وبراءتِهِ عن النقائص، ومحلُّ ذلك القلب، والذِّكرُ: الثناءُ على الله بصفات الكمال، ومحلُّه اللسان، فلذلك قدَّم ما محلُّه القلبُ على ما محلُّه اللسان.

و«كثيراً» نعت لمصدر محذوف، أو منصوبٌ على الحال، أي: نُسبِّحَكَ التسبيح في حال كثرتهم على ما ذهب إليه سيبويه.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾: عالماً بأحوالنا.

والسُّؤْلُ فُعْلٌ بمعنى المسؤول، كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول،

---

(١) حَزَبَهُ أمرٌ، أي: نابَهُ واشتدَّ عليه. ووقع في (أ) و(د١) والمطبوع: حزنَني، وهو تصحيف.
(٢) القراءات الشاذة ص٨٨، والكشاف ٢/ ٥٣٦.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٣٦.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣.
(٥) بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٣٦.

والمعنى أُعطيتَ طَلِبَتَكَ وما سألتَه من شَرْحِ الصدرِ وتيسيرِ الأمرِ وحلِّ العُقدةِ وجَعْلِ أخيك وزيراً، وذلك من المنَّة عليك[١].

ثم ذكَّره تعالى بقديمِ[٢] منَّتِه عليه على سبيل التوقيف ليعظُم اجتهادُه وتَقْوَى بصيرتُه.

و«مَرَّةً» معناه مِنَّةً، و«أُخْرَى» تأنيث «آخَر» بمعنى «غير» أي: منَّةً غيرَ هذه المِنَّة، وليست «أُخْرى» هنا بمعنى آخِرة فتكونَ مقابلةً للأولى، وتَخيَّلَ ذلك بعضُهم فقال: سمَّاها «أُخْرى» وهي أُولى لأنها أُخْرَى في الذِّكْر.

والأُخرى لفظ مشترك يكون تأنيث الآخَر بفتح الخاء، وتأنيث الآخِر بمعنى آخِرة، فهذه يُلحظ فيها معنى التأخُّر، والمعنى أني قد حفظتُك وأنت طفل رضيعٌ، فكيف لا أحفظُك وقد أهَّلتُك للرِّسالة.

وفي قوله: ﴿مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ إجمالٌ يفسِّرُه قولُه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾؛ قال الجمهور: هو[٣] وَحْيُ إلهام، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] وقيل: وَحْيُ إعلام؛ إمَّا بإراءةِ ذلك في منام، وإمَّا ببَعْثِ مَلَكٍ إليها لا على جهة النبوَّة كما بُعث إلى مريم، وهذا هو الظاهرُ لظاهر قوله: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ ولظاهرِ آية القَصَص [٧] ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ويَبْعُدُ ما صَدَّرَ به الزمخشريُّ من قوله في تَرْدِيدِهِ: إمَّا أن يكون على لسانِ نبيّ في وقتها كقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾[٤] [المائدة: ١١١]؛ لأنه لم يُنقل أنَّه كان في زمن فرعونَ نبيّ، وكان في زمنِ الحواريِّين زكريا ويحيى.

وفي قوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إبهامٌ وإجمال، كقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]، وفيه تهويل، وقد فُسِّرَ هنا بقوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾.

---

(١) في (أ) و(ع) والمطبوع: عليه.
(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: تقديم، وهو تحريف. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٣.
(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: هي.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٣٦، والأقوال السالفة فيه بعد هذا القول.

قال الزمخشريّ: و«أنْ» هي المفسِّرة، لأنَّ الوَحْيَ بمعنى القول. وقال ابنُ عطيَّة: و«أنْ» في قوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ بدلٌ من «ما»[1]. يعني أنَّ «أَنْ» مصدريَّة، فلذلك كان لها موضعٌ من الإعراب، والوجهان سائغان.

والظاهر أنَّ «التابوت» كان من خشب، وقيل: من بَرْدِيّ شجر مؤمن آل فرعون[2]، سدَّتْ خُرُوقَهُ وفرشَتْ فيه نِطْعاً، وقيل: قُطْناً مَحْلُوجاً وسَدَّتْ فَمَهُ وجَصَّصَتْهُ وقَيَّرَتْهُ[3]، وألقَتْه في اليَمِّ، وهو اسمٌ للبحر العَذْب، وقيل: اسمٌ للنِّيل خاصَّة، والأوَّل هو الصواب، كقوله: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٦] ولم يغرقوا في النِّيل.

والظاهر أنَّ الضمير في ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ عائدٌ على موسى، وكذلك الضميرانِ بعدَه، إذ هو المحدَّثُ عنه، لا التابوت، وإنَّما ذُكِرَ التابوتُ على سبيل الوعاء والفَضْلَة.

وقال ابنُ عطيَّة[4]: والضميرُ الأوَّل في «اقْذِفِيهِ» عائدٌ على موسى، وفي الثاني عائد على «التابوت»، ويجوزُ أن يعود على «موسى».

وقال الزمخشريّ: والضمائرُ كلُّها راجعةٌ إلى موسى، ورجوعُ بعضِها إليه وبعضِها إلى التابوت فيه هُجْنَةٌ لِما يؤدِّي إليه من تنافر النَّظْم. فإنْ قلت: المقذوفُ في البحر هو التابوت، وكذلك المُلْقَى إلى الساحل؟

قلت: ما ضرَّكَ لو قلتَ: المقذوفُ والمُلْقَى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تتفرَّق[5] الضمائر فيتنافرَ عليك النظم الذي هو أمُّ إعجاز القرآن، والقانونُ الذي وقعَ عليه التحدِّي ومراعاتُه أهمُّ ما يجب على المفسِّر. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤.
(٢) كذا في النسخ، ولعل لفظة «شجر» محرَّفة عن «نَجْر». وعبارة روح المعاني ١٦/ ٣٠٠: من بَرْدِيّ، عملَه مؤمنُ آلِ فرعون. ونقل القرطبي ١٤/ ٥٧ عن مقاتل قولَه: «مؤمنُ آل فرعون هو الذي صنعَ التابوت ونجرَه». والبَرْدِيّ ـ كما في المعجم الوسيط ـ نباتٌ مائي يبلغ طوله نحو متر وأكثر، ينمو بكثرة في منطقة المستنقعات بأعالي النيل.
(٣) أي: طَلَتْهُ بالقار (الزّفت).
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤.
(٥) في (أ) و(ع) والكشاف ٢/ ٥٣٦ (والكلام منه): تفرّق.

ولقائلٍ أن يقول: إنَّ الضمير إذا كان صالحاً لأن يعودَ على الأقرب وعلى الأبعد كان عَوْدُه على الأقرب راجحاً، وقد نصَّ النَّحْويون على هذا، فعَوْدُهُ على التابوت في قوله: ﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ﴾ راجحٌ؟

والجواب أنَّه إذا كان أحدُهما هو المحدَّث عنه، والآخَرُ فَضْلة؛ كان عَوْدُهُ على المحدَّث عنه أرجح، ولا يُلتفت إلى القُرب، ولهذا رَدَدْنا على أبي محمد بن حَزْم في دعواه أنَّ الضمير في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾[١] عائد على «خنزير» لا على «لحم» لكونه أقربَ مذكور، فيحرمُ بذلك شحمُه وغضروفُه وعظمُه وجِلْدُه بأنَّ المحدَّث عنه هو «لَحْمَ خِنْزِير» لا «خنزير».

و«فَلْيُلْقِهِ» أمرٌ معناه الخَبَر، وجاء بصيغة الأمر مبالغةً، إذِ الأمرُ أقطعُ الأفعال وأوجَبُها، ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «قُومُوا فلأُصَلِّ لكم»[٢] أخرج الخبرَ في صيغة الأمر لنفسِه مبالغةً، ومن حيث خرجَ الفعلُ مخرجَ الأمر حسُن جوابُه كذلك، وهو قولُه: «يأخُذْه»[٣].

وقال الزمخشريّ[٤]: لمَّا كانت مشيئةُ الله وإرادتُه أن لا تخطئَ جِرْيَةُ ماءِ اليمِّ الوصولَ به إلى الساحل وإلقاءَهُ إليه؛ سلكَ في ذلك سبيلَ المجاز، وجعل اليمَّ كأنه ذو تمييز أُمِرَ بذلك ليُطيعَ الأمر ويمتثلَ رَسْمَه فقيل: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾. انتهى. وقال الترمذي[٥]: إنما ذكرَه بلفظ الأمر لسابقِ علمِه بوقوع المُخبَرِ به على ما أَخبَرَ به، فكأنَّ البحر مأمورٌ ممتثلٌ للأمر.

وقال الفرَّاء: «فاقْذِفِيهِ في اليمّ» أمْرٌ، وفيه معنى المجازاة، أي: اقذفيه يُلْقِهِ اليمُّ[٦].

---

(١) الآية (١٤٥) من سورة الأنعام، وينظر كلام المصنف عليها ثمة. وينظر المحلّى ١/ ١٢٤، ٧/ ٣٩٠.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠) من حديث أنس ﷺ في خبر دَعوةِ عمَّتِه رسولَ الله ﷺ لطعامٍ صنَعَتْهُ له، فأكل منه، ثم قال: «قوموا فلأصلِّ لكم».

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٣٦.

(٥) في (يه): اليزيدي. ولم أقف على القول.

(٦) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٩، وبلفظه في تفسير القرطبي ١٤/ ٥٧.

والظاهرُ أنَّ البحرَ ألقاه بالساحل فالتقَطَهُ منه، ورُوِيَ أنَّ فرعون كان يشربُ في موضع من النِّيل إذْ رأى التابوتَ، فأمَرَ به فسِيقَ إليه وامرأتُه معه، ففُتِحَ فرأوه، فرَحِمَتْهُ امرأتُه وطلبته لتتَّخذَه ابناً، فأباحَ لها ذلك.

ورُوِيَ أنَّ التابوت جاء في الماء إلى المَشْرَعَة التي كانت جواري امرأةِ فرعونَ يَسْتقينَ منها الماء، فأخَذْنَ التابوتَ وجَلَبْنَهُ إليها، فأخْرَجْنَهُ وأعْلَمَتْ فرعونَ به(١).

والعدوّ الذي للهِ ولموسى هو فرعونُ، وأُخْبِرَتْ به أمُّ موسى على طريق الإلهام، ولذلك قالت لأختِه: «قُصِّيهِ» وهي لا تدري أين استقرَّ(٢).

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ قيل: محبَّةُ آسِيَة وفرعونَ، وكان فرعونُ قد أحبَّهُ حُبًّا شديداً حتى لا يتمالك أن يصبر عنه(٣). قال ابن عبَّاس: أحبَّه الله وحبَّبَه إلى خَلْقِه، وقال عطيَّة: جُعلت عليه مَسْحَةٌ من جَمال لا يكادُ يصبرُ عنه من رآه. وقال قتادة: كان في عينيه مَلَاحةٌ، ما رآه أحدٌ إلا أحبَّه(٤).

وقال ابنُ عطيَّة: وأقوى الأقوال أنه القبول(٥).

وقال الزمخشريّ: «منِّي» لا يخلُو أن يتعلَّق بـ «أَلْقَيْتُ» فيكونُ المعنى على: أحْبَبْتُك(٦)، ومَنْ أحبَّهُ الله أحبَّتْهُ القلوب، وإمَّا أنْ يتعلَّق بمحذوف هو صفة لـ «مَحَبَّة» أي: مَحبَّةً خالصةً، أو واقعةً منِّي قد رَكَزْتُها أنا في القلوب(٧)، وزَرَعْتُها فيها، فلذلك أَحبَّكَ فرعونُ وكلُّ مَنْ أَبْصَرَكَ.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣. والمَشْرَعة: مَوْرِدُ الماء الذي يُستقى منه بلا رِشاء.

(٢) المصدر السالف ٤/ ٤٤.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٣٦.

(٤) الأقوال الثلاثة في تفسير الثعلبي ٤/ ٢٠٦-٢٠٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٥٨. وعطيَّة: هو ابنُ سَعْد العَوْفيّ.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤، وذكر فيه ابن عطيَّة الأقوال السالفة بمعناها دون نسبة، وضعَّف الأخيرين منها.

(٦) في الكشاف ٢/ ٥٣٦: على أني أحببتُك.

(٧) في النسخ الخطية: فيها في القلوب، والمثبت من الكشاف ٢/ ٥٣٦، والكلام منه.

وقرأ الجمهور: «ولِتُصْنَعَ» بكسر لام «كي» وضمّ التاء ونصب الفعل، أي: ولتُرَبَّى ويُحسَنَ إليك وأنا مُرَاعِيك ورَاقِبُك[١] كما يُراعِي الرجلُ الشيءَ بعينيه إذا اعتَنَى به. وقال قريباً منه قتادة[٢].

وقال النحاس: يُقال: صنعتُ الفرسَ إذا أحسنتَ إليه[٣].

وهو معطوف على علّة محذوفة، أي: ليُتَلَطَّف بك ولتُصنَع، أو متعلّقة بفعل متأخّر تقديره: فعلتُ ذلك.

وقرأ الحسن وأبو نَهِيك بفتح التاء؛ قال ثعلب: معناه لتكونَ حركتُك وتصرُّفُك على عينٍ مني[٤].

وقرأ شيبة وأبو جعفر في رواية بإسكان اللام والعين وضمِّ التاء، فعلُ أمر[٥]، وعن أبي جعفر كذلك إلا أنه كسرَ اللام.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ﴾ قيل: اسمُها مريم، سببُ ذلك أنَّ آسِيةَ عرَضَتْه للرَّضَاع فلم يقبلِ امرأةً، فجعلت تُنادي عليه في المدينة ويُطافُ به ويُعرَضُ للمراضع، فيأبَى، وبقيت أمُّه بعد قَذفِهِ في اليمِّ مغمومةً، فأمَرَتْ أختَهُ بالتفتيش في المدينة لعلَّها تقعُ على خبرِه، فبَصُرَتْ به في طوَافها، فقالت: أنا أدلُّكُم على مَنْ يكفُلُهُ لكم وهم له ناصحون، فتعلَّقوا بها وقالوا: أنتِ تعرفينَ هذا الصبيّ؟ فقالت: لا، ولكن أعلمُ من أهلِ هذا البيت الحرصَ على التقرُّب إلى المَلِكة والجِدَّ في خدمِتها ورِضاها، فتَرَكوها وسألُوها الدَّلالةَ، فجاءت بأمِّ موسى، فلما قَرَّبَتْهُ شربَ ثديَها فسُرَّتْ آسِيَةُ وقالت لها: كُوني معي في القصر، فقالتْ: ما كنتُ لأدَعَ بيتي وولَدي، ولكنه يكونُ

(١) في (يه): ومراقبك. والكلام في الكشاف ٢/ ٥٣٦-٥٣٧.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٥٩، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٢، وزاد المسير ٥/ ٢٨٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٥٩.

(٣) تفسير القرطبي ١٤/ ٥٩، وفيه: إذا أحسنتَ القيام عليه.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤، والقراءة فيه عن أبي نَهِيك، وهي أيضاً في تفسير الطبري ١٦/ ٦٠، والمحتسب ٢/ ٥١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٥٩، وهي في الكشاف ٢/ ٥٣٧ دون نسبة.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٥٩، والنشر ٢/ ٣٢٠ عن أبي جعفر، وهي في الكشاف ٢/ ٥٣٧ دون نسبة.

عندي. قالت: نعم، فأحسَنَتْ إلى أهل ذلك البيت غايةَ الإحسان، واعتزَّ بنو إسرائيل بهذا الرَّضاع والنَّسَبِ من المَلِكة.

ولمَّا كَمُلَ رضاعُه أرسلَتْ آسِيَةُ إليها أنْ جِيئيني بولدي ليوم كذا، وأمَرَتْ خَدَمَها ومَنْ لها أن يلقَيْنَهُ بالتُّحف والهدايا واللِّباس، فوصلَ إليها على ذلك وهو بخير حالٍ وأجملِ ثياب[1]، فسُرَّتْ به ودخلَتْ به على فرعونَ ليَراه وليهَبه، فأعجَبَهُ وقرَّبَهُ، فأخذَ موسى بلحيةِ فرعونَ. وتقدَّم ما جَرَى له عند ذكر العُقْدة[2].

والعاملُ في «إذ» قالَ ابنُ عطيَّة: «فعلٌ» مضمرٌ تقديرُه: ومنَنَّا إذْ، وقال الزمخشريّ: العاملُ في «إذْ تمشي»: «ألقَيْتُ» أو «تُصْنَعَ»، ويجوزُ أن يكون بَدَلاً من «إذْ أوْحَيْنا». فإنْ قلتَ: كيف يصحُّ البَدَلُ والوقتانِ مختلفانِ متباعدان؟

قلت: كما يصحُّ وإن اتَّسع الوقتُ وتباعدَ طَرَفاه أن يقول لك الرجل: لَقِيتُ فلاناً سَنَةَ كذا، فتقولُ: وأنا لَقِيتُه إذ ذاك، وربَّما لَقِيَه هو في أوَّلها وأنتَ في آخِرِها. انتهى.

وليس كما ذكر؛ لأنَّ السَّنَةَ تَقْبَلُ الاتِّساع، فإذا وقعَ لُقِيُّهما فيها بخلافِ هذَيْن الظَّرَفَيْن فإنَّ كلَّ واحدٍ منهما ضيِّقٌ ليس بمتَّسع لتخصيصهما بما أُضِيفا إليه، فلا يمكن أن يقعَ الثاني في الظَّرَف الذي وقع فيه الأول، إذِ الأولُ ليس متَّسِعاً لوقوعِ الوَحْي فيه ووقوعِ مَشْيِ الأخت، فليس وقتُ وقوعِ الوَحْي مشتملاً على أجزاءٍ وقعَ في بعضها المَشْي، بخلاف السَّنَة.

وقال الحَوْفيّ: «إذْ» متعلِّقة بـ «تُصْنَعَ»، ولك أن تنصب «إذْ» بفعل مضمر تقديرُه: واذْكُرْ.

وقرأ الجمهور: ﴿كَىْ تَقَرَّ﴾ بفتح التاء والقاف، وقرأت فرقة بكسر القاف[3]، وتقدَّمَ أنهما لغتان في قوله: ﴿وَقَرِّى عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٦] وقرأ جَناح بنُ حُبَيْش بضمِّ

(١) في النسخ الخطية: شباب، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٤٤، والكلام فيه.
(٢) ينظر الخبر أيضاً مطولاً في تفسير الطبري ١٦/ ٦٤-٦٩، وسنن النسائي الكبرى (١١٢٦٣) عن ابن عباس ﵄.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥، وذكرها القرطبي ١٤/ ٦٠ روايةً عن ابن عامر.

التاء وفتح القاف مبنياً للمفعول[١].

و«قتَلْتَ نفساً» هو القِبْطيّ الذي استغاثَهُ عليه الإسرائيليّ، قتلَه وهو ابنُ اثنتي عَشْرَة سنةً، واغتمَّ بسبب القتل خوفاً من عقاب الله ومنِ اقتصاصِ فرعون، فغفر الله له باستغفارِهِ حين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦] ونجّاه من فرعونَ حين هاجرَ به إلى مدين[٢].

والغَمُّ ما يَغُمُّ على القلب بسبب خوفٍ أو فَوَاتِ مقصودٍ، والغَمُّ بلغة قريش القتلُ، وقيل: من غَمِّ التابوت، وقيل: من غَمِّ البحر، والظاهرُ أنه من غَمِّ القتل حين ذهبنا بك من مصر إلى مدين.

و«الفُتُون» مصدر، وجمعُ فَتْن[٣]، أو فِتْنَة على ترك الاعتدادِ بالتاء، كحُجُوز وبُدُور في حُجْزَة وَبَدْرَة[٤]، أي: فَتَنَّاكَ ضُرُوباً من الفِتَن.

والفتنة: المِحْنَةُ، وما يَشُقُّ على الإنسان، وعن ابن عباس: خلَّصْناك من مِحْنةً بعدَ مِحْنة، وُلِدَ في عام كان يُقتلُ فيه الوِلْدانُ، وألقَتْهُ أمُّه في البحر، وهَمَّ فرعونُ بقتلِه، وقَتَلَ قِبطياً، وآجَرَ نفسَه عَشْرَ سنين، وضلَّ الطريقَ، وتفرَّقت غنمُه في ليلة مظلمة. انتهى[٥]. وهذه الفتون اختبرَه بها وخلَّصه حتى صَلَحَ للنبوَّة وسَلِمَ لها.

والسِّنون التي لَبِثَها في مَدْيَنَ عشرُ سنين، وقال وَهْب: ثمانٍ وعشرون سنة، منها مَهْرُ ابنتِه[٦]، وبين مصرَ ومَدْيَنَ ثماني مراحل.

---

(١) ينظر القراءات الشاذة ص٨٧.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٣٧.
(٣) كالظُّنُون جمع ظَنّ. ينظر روح المعاني ١٦/ ٣٠٦.
(٤) حُجْزةُ الإزار: مَعْقِدُه، وحُجْزَةُ السراويل التي فيها التِّكَّة، والبَدْرَة: كيسٌ فيه ألفُ أو عشرة آلاف درهم، ينظر القاموس وشرحُه.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٣٧. وهو بمعناه قطعة من حديث الفتون المطوَّل الذي أخرجه الطبري ١٦/ ٦٤-٦٩، والنسائي في الكبرى (١١٢٦٣)، وسلف بعضُه قريباً عند الكلام عن رَضاع موسى عليه الصلاة والسلام.
(٦) أي: ابنةِ شعيب عليه السلام، وقد قَضَى موسى في مَهْرِها أَوْفَى الأجَلَيْن، أي: عَشْرَ سنين، ولفظُ كلام وَهْب من الكشاف ٢/ ٥٣٧، وسياقتُه فيه تامَّة، وينظر أيضاً المحرر الوجيز ٤/ ٤٥، وتفسير القرطبي ١٦/ ٦١.

وفي الكلام حذفٌ، والتقدير: وفتنَّاك فتوناً فخرجْتَ خائفاً إلى أهل مَدْين فلبثتَ سنين.

وكان عمرُه حين ذهب إلى مدين اثنَيْ عشر عاماً، وأقامَ عَشَرَةَ أعوام في رَعْي غنم شُعيب، ثم ثمانيةَ عَشَرَ عاماً بعد بنائِه بامرأتِه بنتِ شعيب ووُلِدَ له فيها، فكَمُلَ له أربعون سنة، وهي المدَّةُ التي عادةُ الله إرسالُ الأنبياء على رأسها، «ثم جئتَ» إلى المكان الذي ناجيتُك فيه وكلَّمتُك واستنبأتُك.

﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: وقتٍ معيَّن قَدَّرْتُهُ، لم تتقدَّمْهُ ولم تتأخَّرْ عنه، وقيل: على مقدارٍ من الزمان يُوحَى إلى الأنبياء فيه، وهو الأربعون. وقال الشاعر:

نالَ الخِلافةَ أو جاءَتْ على قَدَرٍ كما أَتَى رَبَّهُ موسى على قَدَرِ[١]

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾ أي: جعلتُك مَوْضِعَ الصَّنيعة ومَقَرَّ الإجمال[٢] والإحسان، وأخلصتُك بالألطاف، واخترتُك لمحبتي، يقال: اصطنَع فلانٌ فلاناً: اتَّخذَهُ صنيعةً، وهو افتعالٌ من الصُّنع، وهو الإحسان إلى الشخص حتى يُضاف إليه، فيقال: هذا صنيعُ فلان.

وقال الزمخشريّ: هذا تمثيلٌ لِما خوَّلَه من منزلةِ التقريب والتكريم والتكليم، مَثَّلَ حالَهُ بحالِ مَنْ يراه الملوك بجوامع خصالٍ فيه وخصائصَ أهلاً لأَنْ يكونَ أقربَ منزلةً إليه وألطفَ محلًّا، فيصطنعُه بالكرامة والأثَرة، ويستخلصه لنفسه. انتهى[٣].

ومعنى «لنفسي» أي: لأوامري وإقامةِ حُجَجِي وتبليغِ رسالتي، فحرَكاتُك وسَكَنَاتُك لي لا لنفسِك ولا لأحدٍ غيرِك[٤].

❁ ❁ ❁

(١) البيت لجرير، وهو في ديوانه ١/٤١٦، وفيه: إذ كانت له قَدَراً، ولم أقف على رواية المصنف في المصادر التي قبله.
(٢) في (يه) والمطبوع: الإكمال.
(٣) بنحوه في الكشاف ٢/٥٣٧-٥٣٨.
(٤) ينظر تفسير الرازي ٢٢/٥٦.

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا
لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ
لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا
يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ
﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا
فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ
وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ
لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ
وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا
يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ
﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾
فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ
وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ
مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا
عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي
فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم
مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ

وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾.

المفردات الوَنْيُ: الفُتُور، يقال: وَنَى يَنِي، وهو فعلٌ لازم، وإذا عُدِّيَ فبعَنْ وبفي، وزعمَ بعضُ البغداديِّين أنه يأتي فعلاً ناقصاً من أخوات «مازالَ» وبمعناها، واختارَه ابنُ مالك، وأنشد:

لا يَني الحُبُّ شِيمَةَ الحِبِّ ما دا ... مَ فلا تَحْسَبَنَّهُ ذا ارْعِواءِ[1]

وقالوا: امرأة أَنَاةٌ، أي: فاترةٌ عن النهوض، أبدلُوا من واوِها همزةً على غير قياس، قال الشاعر:

فما أَنَا بالوَانِي ولا الضَّرِعِ الغَمْرِ[2]

---

(١) قال السمين: أي: لا يزالُ الحُبُّ ـ بضم الحاء ـ شِيمةَ الحِبِّ ـ بكسرها ـ وهو المُحِبُّ، ومن منعَ ذلك يتأوَّلُ البيتَ على حذف حرف الجرّ، والتقدير: لا يفتُرُ الحُبُّ في شِيمةِ المُحِبِّ. انتهى. والبيت في شرح التسهيل ١/ ٣٥٠، وهمع الهوامع ١/ ٤١٢ والدُّرر اللوامع ٢/ ٤٨ برواية: لا يَنِي الخِبُّ شِيمةَ الخَبِّ. . .، وفي الدُّرر عن الدَّماميني قولُه: الخِبُّ الأول بكسر الخاء المعجمة: الخِداع والخُبْث، والثاني بالفتح: صفة لمن قام به ذلك.

(٢) هو عجز بيت، وصدرُه: أناةً وحِلْماً وانتظاراً بهم غداً. وهو من أبيات نُسبت في الأغاني ٢٢/ ٢١٦ للحارث بن وَعْلَة، قال أبو الفَرَج: وقيل: لوَعْلَة، ونُسبت في الشعر والشعراء ٢/ ٧٣٤ للأجرد، وهو من ثَقِيف، ونُسب في العين ١/ ٢٦٩ (ضرع) لطَرَفَة بن العبد، وقيل غير ذلك، وكتبها عبد الملك بن مروان إلى الحجَّاج كما في تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٧٧-٢٧٨. وينظر الحماسة البصرية ١/ ٦٢-٦٣، ومعجم مقاييس اللغة ١/ ١٤٢ و٣/ ٣٩٦ و٤/ ٣٩٣ (أنى ـ ضرع ـ غمر)، واللسان (ضرع). قوله: الضَّرِع، أي: الخاضع الذليل، والغَمْر: من لم يجرّب الأمور.

شَتَّ الأمرُ شَتًّا، أي: تَفَرَّق[1]، وأمْرٌ شَتٌّ: متفرِّقٌ، و«شَتَّى» فَعْلَى، من الشَّتِّ، وألفُه للتأنيث، جمع شَتِيت، كمريض ومَرْضَى، ومعناه: متفرِّقة، و«شَتَّان» اسم فعل.

سَحَتَ لغة الحجاز، وأسْحَتَ لغة نجد وتميم، وأصلُه استقصاء الحَلْقِ للشعر، وقال الفرزدق وهو تميمي:

وعَضُّ زَمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يَدَعْ من المالِ إلا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ[2]

ثم استُعمل في الإهلاك والإذهاب.

الخَيْبَة عدم الظَّفَر بالمطلوب.

الصَّفُّ موضع المجمع. قاله أبو عبيدة[3]، وسَمَّى المُصَلَّى الصفَّ[4]، وعن بعض العرب الفصحاء: ما استطعتُ أنْ آتِيَ الصَّفَّ، أي: المُصَلَّى. وقد يكونُ مصدراً، ويقال: جاؤوا صفّاً، أي: مصطفِّين.

التخييل إبداءُ أمْرٍ لا حقيقةَ له، ومنه الخيال، وهو الطَّيف الطارق في النوم، قال الشاعر:

ألا يا لَقَومي لِلخيالِ المشوِّقِ ولِلدارِ تنأى بالحبيبِ ونلتقي[5]

* * *

التفسير ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا
لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ
لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ

---

(١) في (د١) والمطبوع: شتًّا وشُتُوتاً تفرَّق.
(٢) ديوان الفرزدق ص٥٥٦.
(٣) نقله الرازي ٢٢/ ٨١ عن أبي عبيدة والزجَّاج، ولفظُه فيه: «الصفُّ موضع الجمع». وهو أولى.
(٤) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٢٣.
(٥) لم أقف عليه، وسلف في تفسير الآية (١٢) من سورة البقرة.

إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾.

أمرَهُ الله تعالى بالذهاب إلى فرعون، فلمَّا دعا ربَّه وطلبَ منه أشياءَ كان منها أن يُشْرِكَ أخاه هارون، فذَكَرَ الله أنه آتاهُ سُؤْلَهُ، وكان منه إشراكُ أخيه، فأمرَه هنا وأخاه بالذهاب.

«وأخوك» معطوف على الضمير المستكنّ في «اذْهَبْ» كما تقدَّم الكلامُ على نظيره في قوله: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ في سورة المائدة[1] [٢٤] وقولُ بعض النحاة: إنَّ «وربُّك» مرفوعٌ على إضمار فعل، أي: وليذهَبْ ربُّك، وذلك البحث جارٍ هنا.

ورُوِيَ أنَّ الله أوْحَى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقَّى موسى، وقيل: سمع بمَقْدَمِه، وقيل: أُلْهِمَ ذلك[2].

وظاهر «بآياتي» الجمع، فقيل: هي العصا واليد وعُقدة[3] لسانه، وقيل: اليد والعصا، وقد يطلق الجمع على المثنَّى، وهما اللتان تقدَّم ذِكرُهما، ولذلك لما قال: فائتِ بآية[4]؛ ألقى العصا ونَزَعَ اليد، وقال: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ﴾ [القصص: ٣٢].

وقيل: العصا مشتملةٌ على آياتٍ: انقلابها حيواناً، ثم في أول الأمر كانت صغيرة، ثم عظُمت حتى صارت ثعباناً، ثم إدخال موسى يدَه في فمها فلا تضرُّه.

وقيل: ما أُعطِيَ من معجزةٍ ووَحْي.

---

(١) المثبت من (د١) و(يه)، وبنحوه في (ح)، وسقط بعض الكلام من (أ) و(ع) والمطبوع.

(٢) الكشاف ٢/٥٣٨.

(٣) في (يه): وحلّ عقدة. وينظر تفسير الرازي ٢٢/٥٧.

(٤) لم يرد هذا اللفظ في قصة موسى عليه الصلاة والسلام في القرآن، وورد في قصة صالح عليه السلام في الآية (١٥٤) من سورة الشعراء. والظاهر أن المصنف تابع الرازي فيها، فقد وقعت كذلك في تفسيره ٢٢/٥٧، والكلام فيه بنحوه مطول.

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ أي: لا تَضْعُفا ولا تُقَصِّرَا[١]. وقيل: تنسياني[٢] ولا أزال منكما على ذِكْرٍ حيثما تقلَّبتما.

ويجوز أن يُرادَ بالذِّكْر تبليغُ الرسالة، فإنَّ الذِّكر يقعُ على سائر العبادات، وتبليغُ الرسالة من أجلِّها وأعظمِها، فكان جديراً أن يُطلقَ عليه اسم الذِّكْر[٣].

وقرأ ابنُ وثَّاب: «ولا تِنِيا» بكسر التاء إتباعاً لحركة النون[٤]، وفي مصحف عبد الله: «ولا تَهِنا»[٥] أي: ولا تَلِنا، من قولهم: هَيِّنٌ ليِّن.

ولما حذف من يَذهبُ إليه في الأمر قبلَه نصَّ عليه في هذا الأمر الثاني، فقيل: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ أي: بالرسالة، وأبعدَ مَنْ ذهبَ إلى أنهما أُمِرَا بالذَّهاب أولاً إلى الناس، وثانياً إلى فرعون، فكرَّر الأمر بالذهاب لاختلاف المتعلَّق[٦].

ونبَّه على سبب الذهاب إليه بالرسالة من عنده بقوله: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: تجاوزَ الحدَّ في الفساد ودَعْواه الرُّبوبيَّةَ والإلهيَّةَ من دون الله.

والقولُ الليِّن هو مثل ما في النازعات [١٨-١٩] ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ وهذا من لطيف الكلام إذْ أبرزَ ذلك في صورة الاستفهام والمشورةِ والعَرْضِ لِما فيه من الفوز العظيم.

وقيل: عِدَاهُ شَباباً لا يَهْرَمُ بعدَه، ومُلْكاً لا يُنْزَعُ منه إلا بالموت، وأن تَبقى له لذَّةُ المطعم والمَشْرَب والمَنْكَح إلى حينِ موته.

وقيل: لا تَجْبَهاهُ بما يكره وألطِفَا له في القول لِما له من حقِّ تربيةِ موسى[٧].

(١) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٧٣، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥، وزاد المسير ٥/ ٢٨٧، وتفسير الرازي ٢٢/ ٥٧.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٣٨.
(٣) المصدر السالف.
(٤) هي في القراءات الشاذة ص٨٨ وتفسير الرازي ٢٢/ ٥٧ دون نسبة.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٦٣.
(٦) ينظر تفسير الرازي ٢٢/ ٥٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٦٣.
(٧) الأقوال في الكشاف ٢/ ٥٣٨. وينظر تفسير كل من الثعلبي ٤/ ٢٠٧، والرازي ٢٢/ ٥٨، والقرطبي ١٤/ ٦٤-٦٥.

وقيل: كُنْياه، وهو ذو الكُنَى الأربع[١]: أبو مُرَّة، وأبو مصعب، وأبو الوليد، وأبو العباس[٢].

وقيل: القولُ الليِّن: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له[٣]، ولِينُها خِفَّتُها على اللسان.

وقال الحسن: هو قولُهما: إنَّ لك ربًّا، وإنَّ لك معاداً، وإنَّ بين يديك جنةً وناراً، فآمِنْ باللهِ يُدخِلْكَ الجنةَ ويَقِكَ عذابَ النار.

وقيل: أمرَهما تعالى أن يُقَدِّما المواعيدَ على الوعيد كما قال الشاعر:

أُقَدِّمُ[٤] بالوَعْدِ قبلَ الوَعِيد لِتَنْهَى القبائلُ جُهَّالَها[٥]

وقيل: حين عرض عليه موسى وهارون عليهما السلام ما عَرَضَا؛ شاورَ آسيةَ، فقالت: ما ينبغي لأحدٍ أنْ يَرُدَّ هذا، فشاور هامان، وكان لا يَبُتُّ أمراً دون رأيه، فقال له: كنتُ أعتقدُ أنك ذو عقل، تكون مالكاً فتصيرُ مملوكاً، وربًّا فتصيرُ مربُوباً! فامتنعَ من قبول ما عَرَض عليه موسى[٦].

والترجِّي بالنسبة لهما، إذ هو مستحيلٌ وقوعُه من الله تعالى، أي: اذْهَبا على رَجائكما وطمَعِكما، وباشِرَا الأمرَ مباشرةَ مَنْ يَرْجُو ويطمعُ أن يُثْمِرَ عملُه ولا يَخِيبَ سَعْيُه. وفائدةُ إرسالِهما مع علمِه تعالى أنه لا يؤمنُ إقامةُ الحُجَّة عليه وإزالةُ المعذرة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ الآية[٧] [طه: ١٣٤].

---

(١) في الكشاف ٢/٥٣٨، وتفسير الرازي ٢٢/٥٨: وهو من ذوي الكنى الثلاث، وجاء في زاد المسير ٥/٢٥٨: وفي كنيته أربعة أقوال. وينظر التعليق التالي.
(٢) لم يذكر الزمخشري والرازي تكنيتَه بأبي مصعب، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/٢٥٨ عن أبي سليمان الدمشقي. وينظر النكت والعيون ٣/ ٤٠٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٦٤.
(٣) هو في زاد المسير ٥/ ٢٨٧ عن ابن عباس ﵄.
(٤) في (أ): وقدَّم.
(٥) البيت من شعر الحماسة، وهو لعبيد بن ماوية، ينظر شرح الحماسة للمرزوقي ٢/٦٠٦، وفيه: بالزجر، بدل: بالوعد.
(٦) بنحوه في زاد المسير ٥/ ٢٨٦.
(٧) الكشاف ٢/٥٣٨.

وقيل: القولُ الليِّن ما حكاه اللهُ هنا وهو ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

وقرأ أبو معاذ: قولاً لَيْناً[١].

وقال الفرَّاء: «لعلَّ» هنا بمعنى «كي» أي: كي يتذكَّر أو يخشى كما تقول: اعملْ لعلك تأخذُ أجْرَك، أي: كي تأخذَ أجرَك[٢].

وقيل: «لعلَّ» هنا استفهام، أي: هل يتذكَّر أو يخشى[٣]؟ والصحيح أنها على بابها من التَّرجِّي، وذلك بالنسبة إلى البشر، وفي قوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ دلالةٌ على أنه لم يكن شاكًّا في الله.

وقيل: يتذكَّر حالَه حين احتبسَ النيلُ، فسار إلى شاطئه وأبعدَ وخرَّ للهِ ساجداً راغباً أن لا يُخجِلَه، ثم ركب فأخذ النيلُ يتبعُ حافرَ فرسه، فرجا أنْ يتذكَّر حِلْمَ الله وكَرَمَهُ، وأنْ يحذرَ من عذاب الله.

وقال الزمخشريّ[٤]: أي: يتذكَّر ويتأمَّل، فيبذُل النَّصَفَةَ من نفسه والإذعانَ للحقّ، أو يخشى أن يكونَ الأمر كما يصفان فيجرُّه إنكارُه إلى الهَلَكة.

فَرَطَ: سَبَقَ وتقدَّم، ومنه الفارط الذي يتقدَّم الواردة، وفرسٌ فُرُطٌ: تسبقُ الخيل. انتهى. قال الشاعر:

واستَعْجَلُونا وكانوا من صَحَابَتِنا   كما تَقَدَّمَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ[٥]

---

(١) يعني بالتخفيف. وينظر القراءات الشاذة ص٨٨، والكشاف ٢/ ٥٣٨. وأبو معاذ هو الفضل بن خالد النحوي.

(٢) بنحوه دون نسبة للفراء في تفسير الطبري ١٦/ ٧٥، والهداية ٧/ ٤٦٤٦، وقاله أيضاً الأخفش في معانيه ٢/ ٦٣١، ونقل ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٨٨ عن ابن الأنباري قوله: مذهب الفراء في هذا: كي يتذكَّر.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٧٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٦٥-٦٦، وردَّ السمين هذا القولَ في الدر المصون ٨/ ٤٣.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٣٨.

(٥) البيت للقَطَامي، وهو في ديوانه ص٩٠، وروايتُه فيه: تَعجَّلَ فُرَّاطٌ. وسلف بهذه الرواية في تفسير الآية (٦٢) من سورة النحل، والبيت بالرواية أعلاه في اللسان (فرط).

وفي الحديث: «أنا فَرَطُكم على الحَوْض»[(١)] أي: مُتَقَدِّمُكُمْ وسابقُكُمْ. والمعنى إنَّنا نخافُ أن يُعجِّلَ علينا بالعقوبة ويُبادِرَنا بها.

وقرأ يحيى وأبو نوفل وابنُ محيصن في رواية: «أن يُفْرَطَ» مبنياً للمفعول[(٢)]، أي: يسبق في العقوبة ويُسرِع بها. ويجوزُ أن يكون من الإفراط ومجاوزةِ الحدِّ في العقوبة؛ خافا أن يحملَه حاملٌ على المعاجلة بالعذاب من شيطان، أو من جَبَرُوتِهِ واستكبارِه وادِّعائِهِ الرُّبُوبيةَ، أو من حُبِّه الرِّياسة، أو من قومه القِبْط المتمرِّدِين الذين قال الله فيهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾[(٣)].

وقرأت فرقة والزَّعفرانيّ عن ابنِ مُحَيْصن: «يُفْرِطَ» بضمّ الياء وكسرِ الراء[(٤)]، من الإفراط في الأذيَّة.

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ في التخطِّي إلى أن يقولَ فيك ما لا ينبغي لِجُرأتِهِ[(٥)] عليك وقسوةِ قلبِه.

وفي المجيء به هكذا على سبيل الإطلاق والرمز بابٌ من حُسن الأدبِ وتجافٍ[(٦)] عن التفوُّه بالعظيمة.

والمعيَّة هنا بالنُّصرة والعَوْن «أسمعُ» أقوالَكما «وأَرَى» أفعالَكما. وقال ابنُ

---

(١) هو قطعة من حديث عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٩٧). ورُوي أيضاً من حديث غيره.

(٢) ينظر القراءات الشاذة ص٨٧، والمحتسب ٢/ ٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦، وزاد المسير ٥/ ٢٨٩.

(٣) اللفظ الأول من «الأعراف» (١٠٩) و(١٢٧)، والثاني ليس في قصة موسى عليه السلام، واختلفت الألفاظ في النسخ الخطية، وكذا في الكشاف ٢/ ٥٣٨، والكلام منه. ولم يرد في النسخة (ح) سوى قوله: «قال الملأ». وهو المراد من الكلام.

(٤) القراءات الشاذة ص٨٧، والكشاف ٢/ ٥٣٨ دون نسبة.

(٥) المثبت من الكشاف ٢/ ٥٣٨، ووقع في مطبوع البحر: تجرئة، وجاء رسمها كذلك في (أ) و(ح) و(ع) لكنها لم تنقط فيها بتمامها، ورسمُها في (د١) و(يه): لجريته.. ولعلها: لِجُرَتِه، يقال: جُرَة وجُرْأة، ينظر لسان العرب (جرأ).

(٦) في الكشاف ٢/ ٥٣٨ (والكلام فيه): وتحاشٍ.

عبَّاس: أسمعُ جوابَه لكما، وأرَى ما يفعلُ بكما[(١)]. وهما كناية عن العلم.

﴿فَأْتِيَاهُ﴾ كرّر الأمر بالإتيان. ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ وخاطباه بقولهما: «ربِّك» تحقيراً له وإعلاماً أنه مربُوبٌ مملُوك إذْ كان هو يَدَّعِي الرُّبُوبيَّة. وأُمِرَا بدعوتِه إلى أن يَبعثَ معهما بني إسرائيل ويُخرجَهم من ذُلّ خدمة القِبْط، وكانوا يُعذّبُونهم بتكليف الأعمال الشَّاقَّة من الحَفْرِ والبناء ونقلِ الحجارة والسُّخْرَةِ في كلِّ شيء مع قتلِ الوِلْدَانِ واستخدامِ النساء.

وقد ذُكر في غير هذه الآية دعاؤه إلى الإيمان[(٢)]، فجُمْلَةُ ما دُعِيَ إليه فرعونُ الإيمانُ وإرسالُ بني إسرائيل.

ثم ذَكَرا ما يدلُّ على صدقهما في إرسالهما إليه، فقالا: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ وتكرَّر أيضاً قولُهما: «من ربِّك» على سبيل التوكيد بأنه مربُوبٌ مقهور.

والآيةُ التي أحالا عليها هي العصا واليد، ولمَّا كانا مشترِكَيْنِ في الرسالة صحَّ نسبةُ المجيء بالآية إليهما وإن كانت صادرةً من أحدِهما.

وقال الزمخشري: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ جاريةٌ من الجملة الأولى - وهي ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ - مَجْرَى البيان والتفسير لأنَّ دعوى الرِّسالة لا تثبتُ إلا ببيِّنتِها التي هي المجيءُ بالآية، وإنما وحَّدَ «بآية» ولم يُثنِّ ومعه آيتان لأنَّ المرادَ في هذا الموضع تثبيتُ الدعوى ببرهانِها، فكأنه قال: قد جئناك بمعجزةٍ وبرهانٍ وحُجَّة على ما ادَّعيناه من الرِّسالة، وكذلك ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ انتهى[(٣)].

وقيل: الآية اليد، وقيل: العصا، والمعنى: بآيةٍ تشهدُ لنا بأنَّا رسولا ربِّك.

والظاهر أنَّ قوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ فصلٌ للكلام، فالسلام بمعنى

---

(١) هو بهذا اللفظ في زاد المسير ٥/ ٢٩٠ عن الكلبي، ولفظه في تفسير الواحدي ٣/ ٢٠٨ والبغوي عن ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه، وأرى ما يراد بكما فأمنعه.

(٢) في الآية السالفة: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٦.

(٣) الآيات في الأعراف والشعراء بالأرقام (١٠٥) (١٥٤) (٣٠) على الترتيب، غير أن لفظ الثانية في قصة صالح لا في قصة موسى عليهما السلام. والكلام في الكشاف ٢/ ٥٣٩.

التحيَّة، رَغِبا بها عنه، وجَرْياً على العادة في التسليم عند الفراغ من القول، فسلَّما على متَّبعي الهدى، وفي هذا توبيخٌ له، وفي هذا المعنى استعملَ الناسُ هذه الآيَةَ في مخاطباتهم ومحاوراتهم.

وقيل: هو مُدْرَجٌ متصل بقوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ﴾ فيكون إذ ذاك خبراً بسلامة المهتدين من العذاب.

وقيل: «على» بمعنى اللام، أي: والسلامةُ لمن اتَّبعَ الهدى[١].

وقال الزمخشريّ[٢]: وسلامُ الملائكة الذين هم خَزَنَةُ الجنة على المهتدين، وتوبيخُ خَزَنَةِ النار والعذابُ على المكذِّبين. انتهى. وهو تفسيرٌ غريب.

وقد يقال: السلامُ هنا السلامةُ من العذاب بدليل قوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٤٨﴾.

وبُنيَ «أُوحِيَ» لِما لم يُسَمَّ فاعلُه ولم يُذكر المُوحَى؛ لأنَّ فرعون كانت له بادرة، فربَّما صدرَ منه في حقِّ المُوحَى ما لا يليقُ به. والمعنى: على من كذَّب الأنبياءَ وتولَّى عن الإيمان.

وقال ابنُ عبَّاس: هذه أَرْجَى آية في القرآن لأنَّ المؤمنَ ما كذَبَ ولا تَوَلَّى، فلا ينالُه شيء من العذاب[٣].

وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: فأتَيا فرعونَ وقالا له ما أمَرَهما الله أنْ يُبَلِّغاه.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾ خاطبَهما معاً وأفردَ بالنِّداء موسى؛ قال ابنُ عطيَّة: إذ كان صاحبَ عُظْم الرِّسالة وكريم[٤] الآيات. وقال الزمخشريّ: لأنه الأصل في النبوَّة، وهارون وزيرُه وتابعُه. ويحتمل أن يحملَه خُبثُه ودَعارتُه على استدعاء كلام موسى دونَ كلام أخيه لِما عرفَ من فصاحة هارون والرُّتَّةِ في لسان موسى، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]. انتهى.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦، وتفسير الرازي ٢٢/ ٦١.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٣٩.
(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٧٠.
(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ٤٦: «ولزيم». وهو الصواب.

واستبدَّ موسى عليه السلام بجواب فرعون من حيث خصَّه بالسؤال والنِّداء معاً، ثم أعلمَه من صفات الله تعالى بالصِّفة التي لا شِرْكَ لفرعون فيها ولا بوجه مجاز[١].

قال الزمخشريّ: ولله دَرُّ هذا الجواب ما أخْصَرَهُ وما أجمعَهُ وما أبينَهُ لمن ألقى الذِّهْنَ ونظرَ بعينِ الإنصاف وكانَ طالباً للحقِّ. انتهى.

والمعنى: أعطَى كلَّ ما خلقَ خِلْقتَهُ وصُورَتَهُ على ما يُناسبُه من الإتقان، لم يجعل خَلْقَ الإنسانِ في خَلْقِ البهائم، ولا خلقَ البهائم في خَلْقِ الإنسان، ولكن خلقَ كلَّ شيء فقدَّرَهُ تقديراً. وقال الشاعر:

ولـهُ فـي كـلِّ شـيءٍ خِـلْـقَـةٌ وكـذاكَ اللهُ مـا شـاءَ فَـعَـلْ[٢]

وهذا قولُ مجاهد وعطيَّة ومقاتل[٣].

وقال الضحَّاك: خَلَقَهُ من المنفعة المَنُوطةِ به المطابِقةِ له[٤].

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي: يَسَّرَ كلَّ شيء لمنافعِه ومَرَافقِه[٥]، فأعطى العينَ الهيئةَ التي تُطابقُ الإبصار، والأذنَ الشكلَ الذي يوافق الاستماع، وكذلك الأنفُ واليدُ والرِّجْلُ واللِّسان، كلُّ واحد منها مطابقٌ لِما علِّق به من المنفعة غيرَ نابٍ عنه[٦].

قال القشيري: والخَلْقُ المخلوق؛ لأنَّ البطشَ والمَشْيَ والرؤيةَ والنُّطقَ مَعانٍ مخلوقةٌ أودَعَها الله للأعضاء.

وعلى هذا مفعول «أعطَى» الأول: «كلَّ شيء» والثاني: «خَلْقَهُ». وكذا في قول ابن عباس وابن جُبير والسُّدِّيّ، وهو أنَّ المعنى: أعطى كلَّ شيء مخلوقَهُ من جِنْسِهِ، أي: كلَّ حيوان ذَكَرٍ نظيره أنثى في الصورة، فلم يُزاوج منهما غيرَ جنسِه، ثم هداه إلى مَنْكَحِه ومطعمِه ومشربِه ومَسْكَنِه.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٤٠٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٧١ دون نسبة.
(٣) ينظر إضافة إلى المصدرين السالفين: تفسير الطبري ١٦/ ٨٠-٨١، وزاد المسير ٥/ ٢٩١.
(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ٧١.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٣٩.

وعن ابنِ عبَّاس أنه هدَاه إلى إلْفِهِ والاجتماعِ به والمناكحة.

وقال الحسن وقتادة: أَعْطَى كلَّ شيء صلاحَه، وهَدَاه لِما يُصْلِحُهُ[١].

وقيل: «كلَّ شيء» هو المفعول الثاني لـ «أَعْطَى» و«خَلْقَهُ» المفعول الأول، أي: أعْطَى خليقَتَه كلَّ شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به[٢].

وقرأ عبد الله وأناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ وأبو نَهِيك وابنُ أبي إسحاق والأعمش والحسن ونُصير عن الكسائي وابنُ نوح عن قتيبة وسَلَام: «خَلَقَهُ» بفتح اللام[٣] فعلاً ماضياً في موضع الصفة لـ «كلَّ شيء» أو لـ «شيء»، ومفعول «أعْطَى» الثاني حُذف اقتصاراً، أي: كلَّ شيء خَلَقَهُ لم يُخْلِهِ من عطائه وإنعامِه «ثم هَدَى» أي: عَرَفَ كيف يرتفق بما أُعطِيَ وكيفَ يتوصَّل إليه. وقيل: حُذف اختصاراً لدلالة المعنى عليه، أي: أعْطَى كلَّ شيء خَلَقَهُ ما يحتاجُ إليه، وقدَّرَه ابنُ عطية: كمالَه أو مصلحتَه.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾ لمَّا أجابَه موسى بجوابٍ مُسكت ولم يَقدِرْ فرعونُ على معارضته فيه انتقلَ إلى سؤال آخر وهو ما حالُ مَنْ هَلَكَ من القرون؟ وذلك على سبيل الرَّوَغان عن الاعتراف بما قال موسى وما أجابَه به والحَيْدَةِ والمغالطة.

قيل: سألَه عن أخبارِها وأحاديثِها ليختبرَ أهما نَبِيَّان، أو هما من جملة القُصَّاص الذين دارسُوا قَصَصَ الأمم السالفة، ولم يكن عندَه عليه السلام علمٌ بالتوراة، إذِ التوراةُ إنَّما أُنزلت عليه بعد هلاكِ فرعون، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾.

وقيل: مُرادُه من السؤال عنها: لِمَ عُبِدَتِ الأصنام، ولِمَ لَمْ يُعبَدِ الله إن كان الحقُّ ما وصفتَ؟

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ٧١.
(٢) المصدر السالف.
(٣) ينظر القراءات الشاذة ص٨٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠، وزاد المسير ٥/ ٢٩١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٧٢.

وقيل: مُرادُه: ما لها لا تُبعثُ ولا تُحاسَبُ ولا تُجازَى؟ فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ فأجابه بأنَّ هذا سؤالٌ عن الغيب، وقد استأثرَ اللهُ به لا يعلمُه إلا هو[١].

وقال النقَّاش: إنما سألَ لمَّا سمعَ وَعْظَ مؤمنِ آلِ فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ الآية. فردَّ عِلْمَ ذلك إلى الله لأنَّه لم تكن نزلت عليه التوراة[٢].

وقيل: لمَّا قال: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ قال فرعون: فما بالُ القرونِ الأولى؟ فإنها كذَّبَتْ ثم إنهم ما عُذِّبُوا.

وقيل: لما قرَّرَ أمْرَ المبدأ والدلالة القاطعة على إثبات الصانع قال فرعون: إنْ كان ما ذكرتَ في غاية الظهور، فما بالُ القرون الأولى؟ نَسُوهُ[٣] وتركوه، فلو كانت الدلالةُ واضحةً وجبَ على القرون الماضية أن لا يكونوا غافلينَ عنها، فعارضَ الحُجَّةَ النقلية[٤].

ويجوزُ أن يكون فرعونُ قد نازعَه في إحاطةِ اللهِ بكلِّ شيء وتبيُّنِه لكلِّ معلوم، فتعنَّتَ وقال: ما تقولُ في سوالف القرون وتَمادِي كثرتِهم وتَباعُدِ أطرافِ عددِهم؛ كيف أحاطَ بهم وبأجزائهم وجواهِرِهم؟ فأجابَ بأنَّ كلَّ كائنٍ محيطٌ به عِلْمُه، وهو مُثْبَتٌ عندَه في كتاب، ولا يجوزُ عليه الخطأ والنِّسيان كما يجوزُ عليك أيُّها العبدُ الذليلُ والبشرُ الضئيل، أي: لا يَضِلُّ كما تَضِلُّ أنتَ ولا يَنسَى كما تَنْسَى يا مُدَّعِي الرُّبُوبيَّة بالجهل والوقاحة. قاله الزمخشريّ[٥].

والظاهرُ عَوْدُ الضمير في «عِلْمُها» إلى القرون الأولى، أي: مكتوبٌ عند ربِّي في اللوح المحفوظ، لا يجوزُ عليه أن يُخطئ شيئاً أو ينساه، يقال: ضَلَلْتُ الشيءَ: إذا أخطأتَ[٦] في مكانه ـ وضَلِلْتُه؛ لغتان ـ فلم تَهتدِ إليه، كقولك: ضَلَلْتُ الطريقَ

(١) ينظر ما سلف في زاد المسير ٥/ ٢٩٢ (بنحوه).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧.
(٣) في تفسير الرازي ٢٢/ ٦٦ (والكلام فيه بنحوه): ما أثبتوه.
(٤) في (ح): فعارض الحجة القطعية بالنقلية، وفي تفسير الرازي ٢٢/ ٦٦: فعارض الحجة بالتقليد.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٤٠.
(٦) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: أخطأته.

والمنزلَ، ولا يقال: أضَلَلْتُه إلا إذا ضاعَ منك كالدَّابَّة انفلتَتْ وشِبْهِها. قاله الفرَّاء[١].

وقال الزجَّاج: ضَلَلْتُه أَضِلُّه: إذا جعلتَه في مكان ولم تَدْرِ أينَ هو، وأضللتُه[٢].

والكتابُ هنا اللوح المحفوظ، وقيل: «في كتاب» فيما كَتَبتْه الملائكة من أحوال البشر.

وقيل: الضمير في «عِلْمُها» عائد على القيامة لأنه سألَه عن بعث الأمم.

وقال السُّدِّيّ: «لا يَضِلُّ»: لا يَغْفُلُ.

وقال ابنُ عيسى: «لا يَضِلُّ»: لا يذهبُ عليه، تقول العرب: ضَلَّ منزلَه بغير ألف، وفي الحيوان: أضلَّ بعيرَه بالألف.

وقيل: التقدير: لا يَضِلُّ ربِّي الكتابَ ولا ينسى ما فيه. قاله مقاتل.

وقال القفَّال: «لا يضلُّ» عن معرفة الأشياء فيُحيطُ بكلِّ المعلومات، و«لا ينسى» إشارة إلى بقاء ذلك العلم أبدَ الآبادِ على حالِهِ لا يتغيَّر.

وقال الحسن: لا يُخطئ وقتَ البعث ولا ينساه[٣].

وقال مجاهد: معنى الجملتين واحد[٤]، وهو إشارةٌ إلى أنه لا يَعْرِضُ في علمه ما يُغَيِّرُه.

وقال ابنُ جَرِير: لا يُخطئُ في التدبير فيعتقد في غير الصواب صواباً، وإذا عرفَه لا ينساه[٥].

---

(١) بنحوه في معاني القرآن له ٢/ ١٨١، وينظر الكشاف ٢/ ٥٣٩.
(٢) في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٥٩: ويُضِلُّ مِنْ أضللتُه.
(٣) الأقوال الثلاثة السالفة في تفسير الرازي ٢٢/ ٦٧.
(٤) تفسير الطبري ١٦/ ٨٣-٨٤، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٠٩، وتفسير الرازي ٢٢/ ٦٧.
(٥) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ١٦/ ٨٣ أحسنُ منه، وهذا اللفظُ حكاه عنه الرازي في تفسيره ٢٢/ ٦٧، وهو لفظٌ مشكل.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: عِلْمُ الله صفةٌ قائمةٌ به، ولا تكون حاصلةً في الكتاب لأنَّ ذلك لا يُعقَلُ، فالمعنى أنَّ بقاءَ تلك المعلومات في علمه كبقاءِ المكتوبات في الكتاب، فالغرضُ التوكيدُ بأنَّ أسرارَها معلومةٌ له لا يزولُ شيءٌ منها، ويتأكَّد هذا بقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

أو المعنى أنه أثبتَ تلك الأحكامَ في كتاب عندَه يظهرُ ما كتبَه فيه للملائكة زيادةً لهم في الاستدلال على أنه عالمٌ بكلِّ المعلومات، منزَّهٌ عن السَّهْوِ والغفلة. انتهى، وفيه بعضُ تلخيص.

وقرأ الحسن وقتادة والجَحْدَرِيّ وحمَّاد بنُ سَلَمة وابنُ مُحيصن وعيسى الثقفيّ: «لا يُضِلُّ» بضمّ الياء[١]، أي: لا يُضِلُّ اللهُ ذلك الكتابَ فيضيعَ، ولا يَنْسَى ما أثبتَه فيه.

وقرأ السُّلَمِيُّ: «لا يُضَلُّ ربِّي ولا يُنْسَى» مبنيَّيْنِ للمفعول[٢].

والظاهر أنَّ الجملتين استئنافٌ وإخبارٌ عنه[٣] تعالى بانتفاء هاتين الصفتين عنه، وقيل: هما في موضع وصف لقوله: «في كتاب» والضميرُ العائدُ على الموصوف محذوف، أي: لا يَضِلُّه ربِّي ولا ينساه.

والظاهر أنَّ الضمير في «ولا يَنْسَى» عائدٌ على الله، وقيل: يحتمل أن يعود على «كتاب» أي: لا يدعُ شيئاً، فالنِّسيان استعارة كما قال: ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَآ﴾ [الكهف: ٤٩] فأسندَ الإحصاءَ إليه من حيثُ الحصرُ فيه[٤].

وعن ابن عباس: لا يَتْرُكُ مَن كفرَ به حتى ينتقمَ منه، ولا يَترُك من وَحَّدَه حتى يُجازِيَه[٥].

---

(١) القراءات الشاذة ص٨٧، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤١، وزاد المسير ٥/ ٢٩٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٧٨.
(٢) ينظر زاد المسير ٥/ ٢٩٢.
(٣) في (به): منه.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٤٠.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾.

ولمَّا ذكرَ موسى دلالتَه علي رُبُوبيَّةِ الله تعالى وتَمَّ كلامُه عند قوله: ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ذكرَ تعالى ما نبَّه به على قدرتِه تعالى ووحدانيَّتِه، فأخبرَ عن نفسه بأنَّه تعالى هو الذي صنعَ كيت وكيت، وإنَّما ذهبنا إلى أنَّ هذا هو من كلام الله تعالى لقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، وقوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ فيكون قولُه: «فأخْرَجْنا» و«أرَيْنَاهُ» التفاتاً من ضمير الغائب في «جعلَ» و«سلكَ» إلى ضمير المتكلِّم المعظِّم نفسَه، ولا يكون الالتفاتُ من قائلين، وأبعدَ من ذهبَ إلى أنَّ «الذي» نعتٌ لقوله: «ربي» فيكون في موضع رفع أو يكون في موضع نصب على المدح، وقالهما الحَوْفيّ والزمخشريّ[1] لكونه كان يكونُ كلامَ موسى، فلا يتأتَّى الالتفاتُ في قوله: «فأخرجنا» «ولقد أريناه».

وقال ابنُ عطيَّة: يحتمل أن يكون «فأخْرَجْنا» من كلام موسى حكايةً عن الله تعالى على تقدير يقول عزَّ وجلَّ: «فأخرجنا»[2]، ويحتمل أن يكون كلامُ موسى تمَّ عند قوله: «وأنزلَ من السماء ماءً» ثم وصلَ اللهُ كلامَ موسى بإخبارِهِ لمحمدٍ ﷺ، والمرادُ بالخطاب في «لكم» الخلقُ أجمع، نبَّههم على هذه الآيات.

وقرأ الأعمش وطلحة وابنُ أبي ليلى وعاصم وحمزة والكِسائيّ: «مَهْداً» بفتح

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٤٠.

(٢) لم يرد هذا القول في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٤٨، وفيه القول الآتي بعده. وينظر تفسير الرازي ٢٢/ ٦٨-٦٩.

الميم وإسكان الهاء، وباقي السبعة: «مِهَاداً»، وكذا في «الزُّخرف»[١] [١٠] فقال المفضَّل: مصدران: مَهَدَ مَهْداً ومِهَاداً، وقال أبو عُبيد[٢]: «مِهَاد» اسم، و«مَهْد» الفعل، يعني المصدر، وقال آخر: «مَهْداً» مفرد، و«مهاد» جمعُه.

ومعنى ذلك أنه تعالى جعلَها لهم يتصرَّفون عليها في جميع أحوالِهم ومنافعِهم، ونَهَجَ لكم فيها طُرُقاً[٣] لمقاصدِكم حتى لا تَتعذَّرَ عليكم مصالِحُكم.

والضمير في «به» عائدٌ على الماء، أي: بسببه، «أزواجاً» أي: أصنافاً.

وهذا الالتفات في «أخْرَجْنا» كهو في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ [فاطر: ٢٧] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾ [النمل: ٦٠] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩٩]. وفي هذا الالتفات تخصيصٌ أيضاً بأنَّا نحن نقدرُ على مثل هذا، ولا يدخلُ تحت قدرةِ أحد[٤].

والأجودُ أن يكون «شَتَّى» في موضع نصب نعتاً لقوله: «أزواجاً» لأنها المحدَّثُ عنها، وقال الزمخشريّ: يجوزُ أن يكون صفةً للنبات، والنباتُ مصدر سُمِّيَ به النابت كما سُمِّيَ بالنبت، فاستوَى فيه الواحد والجمع، يعني أنها شَتَّى مختلفةُ النفع والطعم واللون والرائحة والشكل؛ بعضُها يصلحُ للناس، وبعضُها للبهائم، قالوا: من نعمتِه عزَّ وجلَّ أنَّ أرزاقَ العباد إنَّما تحصلُ بعملِ الأنعام، وقد جعلَ الله عَلَفَها مما يَفضُلُ عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله[٥].

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ أمرُ إباحةٍ معمولٌ لحالٍ محذوفة، أي: فأخْرَجْنا قائلين، أي: آذِنين في الانتفاع بها مُبيحين أن تأكلوا بعضَها وتَعْلِفُوا بعضَها؛ عُدِّيَ هنا «وارْعَوْا»، و«رَعَى» يكون لازماً ومتعدِّياً، تقول: رَعَتِ الدابةُ رَعْياً ورَعاها صاحبُها

(١) ينظر السبعة ص٤١٨، والتيسير ص١٥١.
(٢) في (د١) و(به) وتفسير الرازي ٢٢/ ٦٨ (والأقوال فيه): أبو عبيدة.
(٣) قوله: ونهج لكم فيها... تفسير لقوله تعالى: وسلك لكم فيها....
(٤) الكشاف ٢/ ٥٤٠.
(٥) المصدر السالف.

رِعايةً إذا أسامَها وسَرَحَها وأراحَها. قاله الزجَّاج، وأشار بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ للآيات السابقة مِن جعلِ الأرضِ مهداً وسَلْكِ سُبُلِها وإنزالِ الماء وإخراجِ النبات.

وقالوا: «النُّهَى» جمع نُهْيَة، وهو العقل، سُمِّيَ بذلك لأنَّه يَنْهَى عن القبائح، وأجاز أبو عليّ أن يكون مصدراً كالهُدى[١].

والضمير في «منها» يعود على «الأرض» وأرادَ خَلْقَ أصلِهم آدم.

وقيل: ينطلقُ المَلَكُ إلى تُربة المكان الذي يُدفن فيه مَنْ يُخلق فيبدِّدُها على النُّطفة، فيُخلق من التراب والنُّطفة معاً. قاله عطاء الخُراساني[٢].

وقيل: من الأغذية التي تتولَّد من الأرض، فيكون ذلك تنبيهاً على ما تولَّدت منها الأخلاط المتولِّد منها الإنسان[٣]، فهو من باب مجاز المجاز.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي: بالدَّفنِ بها، أو بالتمزيقِ عليها ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ أي: بالبعث ﴿تَارَةً﴾ مرَّةً أخرى[٤] يؤلِّفُ أجزاءَهم المتفرِّقة ويردُّهم كما كانوا أحياءً.

وقوله: «أُخرى» أي: إخراجةً أُخرى، لأنَّ معنى قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾: أخرجناكم.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ هذا إخبارٌ من الله تعالى لمحمد ﷺ، وهذا يدلُّ على أنَّ قولَه: «فأخرَجْنا» إنما هو خطابٌ له عليه الصلاة والسلام، و«أرَيْناه آياتِنا» هي المنقولة من «رَأَى» البصريَّة، ولذلك تعدَّت إلى اثنين بهمزة النقل.

و«آياتنا» ليس عامّاً، إذْ لم يُرِهِ تعالى جميعَ الآيات، وإنما المعنى: آياتِنا التي رآها، فكانت الإضافة تُفيدُ ما تُفيدُه الألف واللام من العهد، وإنَّما رأى العَصَا واليدَ والطَّمْسَةَ[٥] وغيرَ ذلك ممَّا رآه، فجاء التوكيد بالنسبة لهذه الآيات المعهودة.

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/٦٩.

(٢) ينظر التمهيد ٢٤/٤٠٠، والكشاف ٢/٥٤١، وتفسير القرطبي ١٤/٨١. وفي هذا الخبر نظر.

(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٢٢/٦٩-٧٠.

(٤) في (د١) و(يه): أي: مرَّة أخرى.

(٥) وذلك في قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨]، وينظر تفسير قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا =

وقيل: المعنى: آياتِ بكمالها، وأضافَ الآياتِ إليه على حسب التشريف، كأنَّه قال: آياتٍ لنا[١].

وقيل: يكون موسى قد أراه آياتِه، وعَدَّدَ عليه ما أوتِيَ غيرُه من الأنبياء من آياتِهم ومعجزاتِهم، وهو نبيٌّ صادقٌ لا فرقَ بين ما يُخبِرُ عنه وبين ما يُشاهد به، فكذَّب بها جميعاً، وأبى أن يقبلَ شيئاً منها. انتهى.

وقاله الزمخشري[٢] وفيه بُعد، لأنَّ الإخبار بالشيء لا يُسَمَّى رؤيةً إلا بمجازٍ بعيد.

وقيل: «أَرَيْناه» هنا من رؤية القلب لا من رؤية العين، لأنه ما كان أراه في ذلك الوقت إلا العصا واليد البيضاء، أي: ولقد أعلمناه آياتِنَا كلَّها، وهي الآيات التِّسع[٣].

قيل: ويجوزُ أن يكون أرادَ بالآيات آياتِ توحيدِه التي أظهرَهَا لنا في ملكوت السماوات والأرض، فيكون من رؤية العين.

وقال ابنُ عطيَّة[٤]: «وأَبَى» يقتضي كَسْبَ فرعونَ، وهذا الذي يتعلَّق به الثوابُ والعقاب.

ومتعلَّق التكذيب محذوف، فالظاهر أنه الآيات، واحتمل أن يكون التقدير: فكذَّبَ موسى وأَبَى أَنْ يقبلَ ما ألقاه إليه من رسالته.

قيل: ويجوز أن يكون أراد: وكذَّبَ أنها من آيات الله وقال: من سِحْر، ولهذا قال: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ ويُبْعِدُ هذا القولَ قولُه: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقولُه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا

= مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] في تفسير كل من الطبري ١٥/ ١٠٠، والقرطبي ١٣/ ١٨٢.

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٤٨، وتفسير الرازي ٢٢/ ٧١.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٤١.
(٣) سلف ذكر الآيات التسع في سورة الإسراء، الآية (١٠١).
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨.

وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤]. فيظهرُ أنه كذَّبَ لِظلمِهِ، لا أنَّه التبسَ عليه أنها آياتُ سِحْر.

وفي قوله: «أجِئْتَنا لتُخْرِجَنا» وَهَنٌ ظَهَرَ منه كثيرٌ واضطرابٌ لِما جاءَ به موسى، إذْ عَلِمَ أنه على الحقِّ، وأنه غالبُه على مُلكِهِ لا محالة، وذكرَ علَّةَ المجيءِ وهي إخراجُهم، وألقاها في مسامع قومِه ليصيرُوا مبغضين له جدًّا، إذِ الإخراجُ من الموطن مما يَشُقُّ، وجعلَه اللهُ مساوياً للقتل في قوله: ﴿أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم﴾(١) [النساء: ٦٦].

وقوله: «بسحرِك» تعلُّلٌ وتَحَيُّر لأنه لا يخفَى عليه أنَّ ساحراً لا يقدرُ أن يُخرِجَ مَلِكاً مثلَه من أرضِه ويَغْلِبَه على مُلكه بالسِّحر(٢)، وأوردَ ذلك على سبيل الشُّبهة الطاعنة في النبوَّة وأنَّ المُعجِزَ إنما يتميَّز عن السِّحر بكون المُعجِز ممَّا يتعذَّر معارضتُه، فقال: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾(٣)، ويدلُّ على أنَّ أمرَ موسى عليه السلام كان قد قَوِيَ وكَثُرَ مَنَعَتُه(٤) من بني إسرائيل ووقع أمرُه في نفوس الناس، إذ هي مقالةُ من يحتاجُ إلى الحُجَّة، لا من يَصْدَعُ بأمرِ نفسِه، وأرضُهم هي أرضُ مصر.

وخاطبه بقوله: «بسحرِك» لأنَّ الكلام كان معه، والعصا واليد إنَّما ظَهَرَتا من قِبَلِه.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ﴾ جوابٌ لقَسَم محذوف، أوْهَمَ الناسَ أنَّ ما جاء به موسى إنَّما هو من باب السِّحْر، وأنَّ عندَه مَنْ يُقاوِمُه في ذلك، فطلبَ ضَرْبَ موعدٍ للمناظرة بالسِّحر.

والظاهرُ أنَّ «مَوْعِداً» هنا هو زمان، أي: فعَيِّنْ لنا وقتَ اجتماع، ولذلك أجابَ بقوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ ومعنى «لا نُخْلِفُه» أي: لا نُخلِفُ ذلك الوقتَ في الاجتماع فيه، وقدَّرَهُ بعضُهم: مكاناً معلوماً، وينبُو عنه قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

---

(١) ينظر تفسير الرازي ٢٢/ ٧١.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٤١.
(٣) تفسير الرازي ٢٢/ ٧١.
(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ٤٨ (والكلام فيه): متبعوه.

وقال القُشيريّ: الأظهر أنه مصدر، ولذلك قال: «لا نُخْلِفُه» أي: ذلك الموعد، والإخلافُ أنْ يَعِدَ شيئاً ولا يُنجِزَه[١].

وقال الزمخشريّ[٢]: إنْ جعلتَه زماناً نظراً في أنَّ[٣] قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ مطابقٌ له، لَزِمَك شيئان: أن تجعلَ الزمان مُخْلَفاً[٤]، وأن يَعْضُلَ عليك ناصبُ «مكاناً»، وإنْ جعلتَه مكاناً لقوله: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ لَزِمَك أيضاً أن يقع الإخلافُ على المكان، وأن لا يطابقَ قولَه: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ وقراءةُ الحسن غيرُ مطابقة له مكاناً وزماناً جميعاً، لأنه قرأ: «يومَ الزِّينة» بالنصب[٥]، فبقيَ أن يُجعلَ مصدراً بمعنى الوَعْد، ويقدَّر مضافٌ محذوف، أي: مكان موعد، ويُجعل الضمير في «نُخْلِفُهُ» للموعد[٦]، و«مكاناً» بدل من المكان المحذوف.

فإن قلت: كيف طابقَه قولُه: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ ولا بدَّ من أن تجعلَه زماناً، والسؤالُ واقعٌ عن المكان لا عن الزمان؟

قلت: هو مطابقٌ معنًى وإن لم يطابق لفظاً، لأنه لا بدَّ لهم من أن يجتمعوا يومَ الزِّينة في مكان بعينه مشتهرٍ باجتماعهم فيه في ذلك اليوم، فبذِكرِ الزَّمان عُلم المكان. وأمَّا قراءةُ الحسن فالموعدُ فيها مصدر لا غير، والمعنى: إنجازُ وعدِكم يومَ الزِّينة، وطابقَ هذا أيضاً من طريق المعنى، ويجوزُ أن لا يقدَّر مضافٌ محذوفٌ، ويكون المعنى: اجْعَلْ بينَنا وبينَك وعداً لا نُخْلِفُهُ.

فإنْ قلتَ: فبم ينتصبُ «مكاناً»؟

قلت: بالمصدر، أو بفعل يدلُّ عليه المصدر.

فإن قلتَ: كيف يُطابقه الجواب؟

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ٨٢-٨٣.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٤١.
(٣) لفظة «أنَّ» من (د١) و(به)، وسقطت من (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع.
(٤) قال الآلوسي: إنما يتعلَّق الإخلاف بالوعد، يقال: أخلفَ وعدَه، لا زمان وعدِهِ ولا مكانه. ينظر روح المعاني ١٦/ ٣٥٧.
(٥) المحتسب ٢/ ٥٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٥.
(٦) لفظة «للموعد» سقطت من (به) والمطبوع.

قلت: أمَّا على قراءة الحسن فظاهر، وأمَّا على قراءة العامَّة فعلى تقدير: وَعْدُكُم وَعْدُ يومِ الزِّينة، ويجوزُ على قراءة الحسن أن يكون «مَوْعدُكم» مبتدأ بمعنى الوقت، و«ضُحَى» خبرُه على نيَّة التعريف فيه لأنه ضُحَى ذلك اليومِ بعينِه. انتهى.

وقولُه: إنَّ «مكاناً» ينتصبُ بالمصدر، ليس بجائز[1]، لأنه قد وُصف قبل العمل بقوله: «لا نُخلفُه»، وهو موصول، والمصدر إذا وُصفَ قبل العمل لم يَجُزْ أن يَعملَ عندَهم.

وقولُه: «وضُحَى» خبرُه على نيَّة التعريف فيه لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه: هو وإن كان ضُحى ذلك اليوم بعينه ليس على نيَّة التعريف، بل هو نكرة وإن كان من يوم بعينه، لأنه ليس معدولاً عن الألف واللام كـ «سَحَر»، ولا هو معرَّف بالإضافة. ولو قلتَ: جئتُ يومَ الجمعة بَكَراً لم ندَّعِ أنَّ بَكَراً معرفة وإن كنَّا نعلم أنه من يومٍ بعينه.

وقرأ أبو جعفر وشيبة: «لا نُخْلِفْهُ» بجزم الفاء على أنه جواب الأمر[2]، وقرأ الجمهور برفعها صفةً لـ «مَوْعِد».

وقال الحَوْفي: «مَوْعِداً» مفعول «اجْعَلْ»، «مكاناً»: ظرفُ العاملُ فيه «اجْعَلْ».

وقال أبو علي «مَوْعِداً» مفعول أول لـ «اجْعَلْ»، و«مكاناً» مفعولٌ ثانٍ، ومنعَ أن يكون «مكاناً» معمولاً لقوله: «مَوْعِداً» لأنه قد وُصف.

قال ابنُ عطيَّة[3]: وهذه الأسماءُ العاملةُ عملَ الفعل إذا نُعتت أو عُطف عليها أو أُخبِرَ عنها أو صُغِّرَتْ أو جُمعت وتوغَّلت في الأسماء[4] كمِثْلِ هذا لم تعمل، ولا يُعلَّق بها شيء هو منها، وقد يُتَوَسَّع في الظروف فتعلَّق بعد ما ذكرنا، كقوله عزّ وجلّ: ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [غافر: ١٠] فقولُه: «إذ» متعلِّق بقوله: «لَمَقْتُ»، وهو قد أُخبر عنه، وإنما جازَ هذا

(١) من قوله: لأنه ضحى ذلك اليوم... إلى هذا الموضع، سقط من المطبوع.
(٢) النشر ٢/ ٣٢٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٣. وقراءة أبي جعفر من القراءات العشر.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨، وكلام أبي علي السالف قبله فيه.
(٤) في المحرر الوجيز: الاسمية.

في الظروف خاصَّة. ومنعَ قومٌ أن يكون «مكاناً» نصباً على المفعول الثاني لـ«نُخْلِفُهُ»، وجوَّزَهُ جماعة من النُّحاة، ووجهُه أن يُتَّسَعَ في أن يُخلف الموعد. انتهى.

وقولُه: إذا نُعِتَتْ، هذا ليس مُجمَعاً عليه في كلِّ عاملٍ عَمَلَ الفعلِ، ألا ترى اسم الفاعل العاري عن «ألْ» إذا وُصف قبل العمل، في إعماله خلافٌ؛ البصريُّون يمنعون، والكوفيُّون يُجوِّزون، وكذلك أيضاً إذا صُغِّر؛ في إعمالِه خلافٌ، وأمَّا إذا جُمع فلا نعلم خلافاً في جواز إعمالِه، وأمَّا المصدر إذا جُمِعَ ففي جوازِ إعمالِه خلاف، وأمَّا استثناؤه من المعمولات الظروفَ فغيرُه يذهبُ إلى منعِ ذلك مطلقاً في المصدر ويَنصبُ «إذْ» بفعلٍ يُقَدَّر بما قبلَه، أي: مَقَتَكم إذ تُدْعَوْن.

«ولا أنتَ» معطوف على الضمير المستكنّ في «نُخْلِفُهُ» المؤكَّد بقوله: «نحن».

وقرأ ابنُ عامر وحمزة وعاصم ويعقوب والحسن وقتادة وطلحة والأعمش وابنُ أبي ليلى وأبو حاتم وابنُ جرير: «سُوًى» بضمِّ السين منوَّناً في الوصل، وقرأ باقي السبعة بكسرها منوَّناً في الوصل(١).

وقرأ الحسن أيضاً «سُوَى» بضمِّ السين من غير تنوين في الحالين؛ أجرَى الوصل مُجرى الوقف، لا أنه منعَه الصَّرْفَ لأنَّ فُعَلاً من الصفات مُنْصرف كـ«حُطَم» و«لُبَد».

وقرأ عيسى: «سِوَى» بكسر السين من غير تنوين في الحالين، أجرَى الوصلَ أيضاً مُجرى الوقف.

ومعنى «سُوًى» أي عدلاً ونَصَفَة، قال أبو علي: كأنه قال: قُرْبُهُ منكم قُرْبُهُ مِنَّا، وقال غيرُه(٢): إنما أراد أنَّ حالَنا فيه مستويةٌ، فيَعُمُّ ذلك القُرْبَ(٣)، وأن تكونَ المنازلُ فيه واحدةً في تعاطي الحقّ، لا تعترضُكم فيه الرئاسة، وإنما تُقْصَدُ الحُجَّة.

---

(١) ينظر السبعة ص٤١٨، والتيسير ص١٥١، والنشر ٢/ ٣٢٠، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢١١، وزاد المسير ٥/ ٢٩٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٣.

(٢) هو ابنُ عطية، وكلامه في المحرر الوجيز ٤/ ٤٩، وكلام أبي علي السالف فيه.

(٣) في (أ) و(ح) و(ع): القرآن، وفي (د١) و(يه): القرى، والتصويب من المصدر السالف، والكلام فيه.

وعن مجاهد: وهو من الاستواء، لأنَّ المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية لا تفاوتَ فيها[١]. وهذا معنى ما تقدَّم من قول أبي عليّ: قُرْبُهُ منكم قُرْبُهُ منَّا.

وقال الأخفش[٢]: «سُوًى» مقصورٌ إن كسرتَ سينَه أو ضممتَ، وممدودٌ إن فتحتَها، ثلاثُ لغات، ويكون فيها جميعاً بمعنى «غير»، وبمعنى عَدْل ووَسَط بين الفريقين. وقال الشاعر:

وإنَّ أبانا كانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ[٣] سِوًى بين قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ[٤]

قال: وتقولُ: مررتُ برجلٍ سِوَاك وسُوَاك وسَوَائك[٥]، أي: غيرِك، ويكون للجميع، وأعلى هذه اللغات الكسر، قاله النحاس[٦].

وقالت فرقة: معنى «مكاناً سُوًى»: مستوياً من الأرض[٧]، أي: لا وَعْرَ فيه ولا جَبَلَ ولا أَكَمَةَ ولا مطمئنَّ من الأرض، بحيث يستُرُ ناظِرَ أَحَدٍ فلا يَرَى مكانَ موسى والسَّحَرة وما يصدُرُ عنهما. قال ذلك واثقاً من غَلبة السَّحَرة لموسى، فإذا شاهدُوا غَلَبَهم إياه رَجعُوا عمَّا كانوا اعتقَدُوا فيه.

وقالت فرقة: معناه: مكاناً سِوَى مكانِنا هذا. وليس بشيء، لأنَّ «سِوَى» إذا كانت بمعنى «غَيْر» لا تُستعمل إلا مضافةً لفظاً، ولا تُقطَعُ عن الإضافة.

وقرأ الحسن والأعمش وعاصم في رواية وأبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلَة وقتادة

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٤٢. وينظر تفسير الطبري ١٦/ ٨٩.
(٢) بنحوه عنه في الصحاح (سوى).
(٣) في (أ) و(ح) و(ع): بأهله.
(٤) البيت لموسى بن جابر الحنفي، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٢٠، وتفسير الطبري ١٦/ ٨٩، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢١١، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٤. قال أبو عبيدة: الفِزْر: سعد بن زيد مناة.
(٥) في (د١) و(يه): سواك، وفي (أ) و(ح) و(ع): سواءك، وهو خطأ. وينظر الصحاح (سوى) وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٥.
(٦) في إعراب القرآن ٣/ ٤٢، ولفظه فيه: والكسر أشهر وأعرف، ونقله عنه القرطبي في تفسيره ١٤/ ٨٣.
(٧) هو قول ابن زيد، ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٩٠، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٣، وهو بدون نسبة في المحرر الوجيز ٤/ ٤٩.

والجَحْدَرِيّ وهُبيرة والزَّعفرانيّ: «يومَ الزِّينة» بنصب الميم، وتقدَّم تخريجُ هذه القراءة في كلام الزَّمخشريّ.

ورُوِيَ أنَّ يومَ الزّينة كان عيداً لهم ويوماً مشهوراً[١]، وصادف يومَ عاشوراء وكان يومَ سبت.

وقيل: هو يومُ كسر الخليج الباقي إلى اليوم[٢].

وقيل: يومُ النَّيْرُوز وكان رأسَ سنتِهم، وقيل: يومُ السبت فإنه يومُ راحة ودَعَة، وقيل: يومُ سُوقٍ لهم، وقيل: يومُ عاشوراء[٣].

وقرأ ابنُ مسعود والجَحْدرِيّ وأبو عِمْران الجَوْنيُّ وأبو نَهِيك وعَمرو بنُ فائد: «وأنْ تَحْشُرَ» بتاء الخطاب، أي: يا فرعون، ورُوِيَ عنهم بالياء على الغيبة، و«الناسَ» نصب في كلتا القراءتين[٤]، قال صاحب «اللوامح»: وأن يَحْشُرَ الحاشرُ الناسَ ضُحًى، فحذف[٥] الفاعلِ للعلم به. انتهى. وحَذْفُ الفاعل في مثل هذا لا يجوز عند البصريّين. وقال غيرُه[٦]: وأن يَحْشُرَ اليومَ[٧]؛ قال: ويجوز أن يكون

(١) في (ح) و(ع) والمطبوع: مشهوداً، والمثبت من (أ) و(دا) و(يه)، وهو كذلك في المحرر الوجيز ٤/ ٤٩، والكلام فيه.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٩، قال ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٦/ ٢٤٦: يوم كسر الخليج أو الخِلْجان، وهي المنافذ والتُّرَع المجعولة على النِّيل لإرسال الزائد من مياهه إلى الأرضين البعيدة عن مجراه للسقي، فتنطلق المياه في جميع النواحي التي يمكن وصولها إليها ويزرعون عليها، وزيادة المياه في النيل هو توقيت السنة القبطية، وذلك هو أولُ يوم من شهر توت القبطي، وهو أيلول بحسب التاريخ الإسكندري.

(٣) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ١٦/ ٩١-٩٢، والنكت والعيون ٣/ ٤٠٩، وزاد المسير ٥/ ٢٩٤-٢٩٥. وتفسير الرازي ٢٢/ ٧٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٥.

(٤) ينظر القراءات الشاذة ص٨٨، والمحتسب ٢/ ٥٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨، وزاد المسير ٥/ ٢٩٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٦.

(٥) في (يه): بحذف.

(٦) هو الزمخشري، وكلامه في الكشاف ٢/ ٥٤٢.

(٧) وذلك على المجاز، قال السمين في الدّرّ ٨/ ٦٠: «لمَّا كان الحشرُ واقعاً فيه نُسب إليه، نحو: نهارُه صائم وليلُهُ قائمٌ». وتحرفت لفظة «اليوم» في (أ) و(ح) و(ع) ومطبوع البحر إلى: «القوم».

فيه ضميرُ فرعون ذكرَه بلفظ الغيبة؛ إمَّا على العادة التي تُخاطَبُ بها الملوك، أو خاطبَ القومَ لقوله: «مَوْعِدُكم» وجعلَ «يَحْشُرَ» لفرعون.

ويجوز أن يكون «وأن يَحْشُرَ» في موضع رفع عطفاً على «يومُ الزِّينة»، وأن يكون في موضع جرّ عطفاً على «الزِّينة».

وانتصب «ضُحًى» على الظرف، وهو ارتفاع النهار، ويُؤنَّث ويذكَّر، والضَّحاء بفتح الضاد ممدودٌ مذكَّر، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى.

وإنما واعدَهم موسى ذلك اليومَ ليكون عُلُوّ كلمةِ الله وظهورُ دينِه وكَبْتُ الكافرِ وزُهوقُ الباطلِ على رؤوسِ الأشهادِ وفي المجمع الغاصِّ؛ لتقوَى رغبةُ من رغبَ في اتِّباع الحقّ، ويَكِلَّ حدُّ المُبطِلين وأشياعِهم، ويَكثُرَ المُحَدِّثُ بذلك الأمرِ العَلَمِ في كلِّ بَدْوٍ وحَضَر، ويَشِيعَ في جميع أهلِ الوَبَر والمَدَر[1].

والظاهر أنَّ قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ من كلام موسى عليه السلام لأنه جوابٌ لقول فرعون: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ ولأنَّ تعيين اليوم إنما يليقُ بالمُحِقِّ الذي يعرف أنَّ اليَدَ لَهُ، لا المُبْطِلِ الذي يعرف أنه ليس معه إلا التلبيس، ولقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ وهو خطابٌ للجميع. وأبعدَ من ذهبَ إلى أنَّه من كلام فرعون[2].

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أي: معرِضاً عن قَبولِ الحقّ، أو تولَّى ذلك الأمرَ بنفسه، أو فرجَع إلى أهله لاستعداد مكايدِه، أو أدبرَ على عادة المتواعِدين أن يولِّيَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَهُ ظهرَه إذا افترقا. أقوال[3].

﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي: ذَوِي كيدِه، وهم السَّحَرة، وكانوا عصابةً لم يخلق الله أسحرَ منها، ثم أتى للموعدِ الذي كانوا تواعدُوه، وأتى موسى أيضاً بمن معه من بني إسرائيل.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ ـ وتقدَّم تفسير «وَيْل» في

(١) الكشاف ٢/ ٥٤٢-٥٤٣. وينظر تفسير الرازي ٢٢/ ٧٣.
(٢) هو القاضي عبد الجبَّار كما في تفسير الرازي ٢٢/ ٧٢، والكلام السالف للرازي.
(٣) ينظر زاد المسير ٥/ ٢٩٥، وتفسير الرازي ٢٢/ ٧٣.

سورة البقرة ـ خاطبَهم خطابَ محذِّر، ونَدَبَهم إلى قول الحقِّ إذا رأَوْه، وأن لا يُباهِتوا بكذب[١].

وعن وَهْب: لمَّا قال للسَّحَرة: «وَيْلَكُم» قالوا: ما هذا بقول ساحر[٢].

«فيُسْحِتَكم»: يُهْلِكَكُم ويستأصلَكم، وفيه دلالةٌ على عِظَم الافتراء، وأنه يترتَّبُ عليه هلاكُ الاستئصال. ثم ذكرَ أنه لا يظفرُ بالبُغية ولا ينجحُ طَلبُه من افترى على الله الكذبَ.

ولمَّا سمعَ السَّحرةُ منه هذه المقالةَ؛ هالَهم ذلك ووقعت في نفوسهم مهابتُه «فتنازعُوا أمْرَهُم» أي: تجاذَبُوه، والتنازعُ يقتضي الاختلاف.

وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص والأعمش وطلحة وابنُ جرير: «فيُسْحِتَكُم» بضمّ الياء وكسر الحاء، من: أَسْحتَ رباعياً، وقرأ باقي السبعة ورُويس وابنُ عبَّاس بفتحهما، من: سَحَت ثلاثيًا[٣].

وإسرارُهم النَّجوى خِيفةً من فرعون أن يتبيَّن فيهم ضعفاً لأنهم لم يكونوا مصمِّمين على غَلَبة موسى، بل كان ظنًّا من بعضهم[٤].

وعن ابن عبَّاس أنَّ نَجْوَاهُم: إنْ غَلَبَنا موسى اتَّبعناه. وعن قتادة: إنْ كان ساحراً فسنَغْلِبُه، وإن كان من السماء فله أمرٌ[٥].

وقال الزمخشريّ: والظاهرُ أنهم تشاورُوا في السِّرِّ وتجاذَبُوا أهدابَ القول ثم قالوا: «إنْ هذانِ لَسَاحِران»، فكانت نجواهم في تلفيقِ هذا الكلام وتزويرِه خوفاً من غَلَبتِهما، وتثبيطاً للناس عن اتِّباعِهما. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩-٥٠. وقوله: يُباهِتوا، أي: يستقبلوا ببهتان.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٤٣، وبنحوه أطول منه في تفسير الطبري ١٦/ ٩٦.
(٣) ينظر السبعة ص٤١٩، والتيسير ص١٥١. والذي جاء في النشر ٢/ ٣٢٠ أن رُوَيْس قرأ بضمّ الياء.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٤٣. وينظر النكت والعيون ٣/ ٤١٠، وزاد المسير ٥/ ٢٩٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٨.

وحكى ابنُ عطيَّة قريباً من هذا القول عن فرقة قالوا: إنَّما كان تناجيهم بالآية التي بعد هذا: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ والأظهرُ أنَّ تلك قيلت علانيةً، ولو كان تناجيهم ذلك لم يكن ثَمَّ تنازع.

وقرأ أبو جعفر والحسن وشيبة والأعمش وطلحة وحُميد وأيوب وخَلَف في اختياره وأبو عُبيد وأبو حاتم وابنُ عيسى الأصبهانيّ وابنُ جرير وابنُ جُبير الأنطاكيّ والأخَوَان والصاحبان من السبعة: «إنَّ» بتشديد النون «هذانِ» بألف ونون خفيفة «لساحران»[١].

واختُلف في تخريج هذه القراءة، فقال القدماء من النُّحاة: إنه على حذف ضمير الشأن، والتقدير: إنه هذانِ لَساحران، وخبر «إنَّ» الجملة من قوله: «هذانِ لَسَاحِران»، واللام في «لَسَاحران» داخلة على خبر المبتدأ. وضُعّف هذا القول بأنَّ حذف هذا الضمير لا يجيءُ إلا في الشعر، وبأنَّ دخول اللام في الخبر شاذّ.

وقال الزجاج[٢]: اللام لم تدخل على الخبر، بل التقدير: لَهُما ساحران، فدَخَلَتْ على المبتدأ المحذوف، واستحسنَ هذا القولَ شيخُه أبو العباس المبرِّد والقاضي إسماعيل بنُ إسحاق بن حمَّاد بن زيد.

وقيل: «ها» ضمير القصة وليس محذوفاً. وكان يناسبُ على هذا أن تكون متصلة في الخطّ فكانت كتابتها: «إنَّهاذانِ لَساحران». وضُعِّفَ ذلك من جهة مخالفته خطَّ المصحف.

وقيل: «إنَّ» بمعنى «نَعَمْ» وثبت ذلك في اللغة، فتُحمل الآية عليه، و«هذان لساحران» مبتدأ وخبر، واللام في «لَسَاحران» على ذَيْنِك التقديرَيْن في هذا التخريج

---

(١) وقرأ بها أيضاً عاصم في رواية أبي بكر بن عياش، ويعقوب من العشرة، ينظر السبعة ص٤١٩، والتيسير ص١٥١، وتفسير الطبري ١٦/ ١٠١، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٩، والنشر ٢/ ٣٢٠.
الأخوان: حمزة والكسائي، والصاحبان: نافع المدني وابنُ عامر الشامي.

(٢) بنحوه في معاني القرآن له ٣/ ٣٦٣، والقول السالف فيه أيضاً وفي زاد المسير ٥/ ٢٩٩.

والتخريجِ الذي قبلَه. وإلى هذا ذهبَ المبرِّد وإسماعيل بن إسحاق وأبو الحسن الأخفش الصغير[١].

والذي نختارُه في تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بعض العرب من إجراء المثنَّى بالألف دائماً، وهي لغةٌ لِكِنانة، حكى ذلك أبو الخطَّاب، ولبني الحارث بن كعب وخثعم وزَبِيد وأهلِ تلك الناحية، حُكي ذلك عن الكسائيّ، ولبني العنبر وبني الهُجيم ومُراد وعُذرة[٢].

وقال أبو زيد[٣]: سمعتُ من العرب من يقلبُ كلَّ ياء ينفتحُ ما قبلها ألفاً.

وقرأ أبو بحريَّة وأبو حَيْوَة والزُّهريُّ وابنُ مُحَيْصن وحُميد وابنُ سَعْدان وحفص وابنُ كثير: «إنْ» بتخفيف النون «هذانِ» بالألف، وشَدَّدَ نونَ «هذانِّ» ابنُ كثير.

وتخريج هذه القراءة واضحٌ، وهو على أنَّ «إنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة، و«هذان» مبتدأ، و«لَسَاحران» الخبر، واللام للفرق بين «إنْ» النافية و«إنْ» المخفَّفة من الثقيلة على رأي البصريِّين، والكوفيُّون يزعُمون أنَّ «إنْ» نافية، واللام بمعنى «إلَّا».

وقرأت فرقة: «إنْ ذانِ لَسَاحران»[٤] وتخريجُها كتخريج القراءة التي قبلَها.

وقرأت عائشة والحسن والنَّخَعيُّ والجَحْدَريُّ والأعمش وابنُ جُبير وابنُ عُبيد وأبو عَمرو: «إنَّ هذَيْن» بتشديد نون «إنَّ» وبالياء في «هذَيْن» بدل الألف، وإعراب هذا واضح، إذْ جاءَ على المَهْيَع المعروف في التثنية، كقوله: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَـٰنَانِ﴾ [القصص: ٣٢] ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ﴾ [القصص: ٢٧] بالألف رفعاً، والياء نصباً وجرًّا.

وقال الزَّجاج[٥]: لا أُجيزُ قراءة أبي عَمرو لأنها خلافُ المصحف.

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٩٢. الأخفش الصغير هو علي بن سليمان.
(٢) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٢١، والمصادر السالفة. أبو الخطَّاب هو الأخفش الكبير عبد الحميد بن عبد المجيد شيخ سيبويه.
(٣) بنحوه في النوادر ص٥٨.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠.
(٥) معاني القرآن ٣/ ٣٦٤.

وقال أبو عُبيد[١]: رأيتُها في الإمام مصحف عثمان: «هذن» ليس فيها ألف، وهكذا رأيتُ رفع الاثنين في ذلك المصحف بإسقاط الألف، وإذا كتبوا النصب والخفض كتبوه بالياء ولا يسقطونها.

وقالت جماعة منهم عائشة وأبو عَمرو: هذا مما لحنَ الكاتبُ فيه وأُقيم بالصواب[٢].

وقرأ عبد الله: «إنْ ذانِ إلَّا ساحران». قاله ابن خالويه[٣]، وعزاها الزمخشريّ لأُبيّ[٤].

وقال ابن مسعود: «أنْ هذانِ ساحران» بفتح «أنْ» وبغير لام بدل من «النجوى»[٥]. انتهى.

وقرأت فرقة: «ما هذا إلا ساحران»[٦].

وقولهم: «يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما» تَبِعُوا فيه مقالة فرعون: «أجئْتَنا لتُخْرِجَنا من أرْضِنا بسحرك»، ونسبُوا السِّحْرَ أيضاً لهارون لمَّا كان مشتركاً معه في الرسالة وسالِكاً طريقتَه، وعلَّقوا الحُكْم على الإرادة - وهم لا اطِّلاعَ لهم عليها - تعليقاً للحُكم على الظاهر عندهم. و«أرضكم» هي أرضُ مصر، وصفُوهما بالسِّحْر[٧] تنقيصاً لهما وحطًّا من قَدْرِهما، وقد كان ظهرَ لهم من أمرِ اليدِ والعصا ما يدلُّ على صدقِهما، وعلمُوا أنه ليس في قدرة الساحر أن يأتيَ بمثلِ ذلك.

(١) ينظر المُقْنع للداني ص١٥.
(٢) معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٦، وفضائل القرآن لأبي عبيد ص١٦١، وتفسير الطبري ٧/ ٦٨٠-٦٨١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٩٠.
(٣) القراءات الشاذة ص٨٨.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٤٣، وهي في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٤.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٤، وتفسير الرازي ٢٢/ ٧٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٩.
(٦) كذا في النسخ، ولفظُها في المحرر الوجيز ٤/ ٥٠: ما هذان إلا ساحران، ونسبت في تفسير الرازي ٢٢/ ٧٥ لأُبيّ، وجاء اللفظ في النكت والعيون ٣/ ٤١٠ وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٩ تفسيراً لمعنى قراءة حفص، لا قراءة.
(٧) من قوله: تعليقاً للحكم... إلى هذا الموضع، من (د١) و(يه)، وسقط من (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع.

والظاهرُ أن الضمير في «قالوا» عائد على السَّحَرة؛ خاطبَ بعضُهم بعضاً. وقيل: خاطبُوا فرعون مخاطبةَ التعظيم.

والطريقة: السِّيرة والمَمْلَكة والحالُ التي هم عليها، والمُثْلَى: تأنيث الأمثل، أي: الفُضْلى الحسنى[١].

وقيل: عبَّر عن السَّادة[٢] بالطريقة، وأنَّه يُراد بها أهلُ العقل والسِّنِّ والحِجَى، وحكوا أنَّ العرب تقول: فلان طريقةُ قومِه، أي: سيِّدُهم، وعن عليّ نحوُ ذلك؛ قال: ويصرفانِ وجوهَ الناس إليهما[٣].

وقيل: هو على حذف مضاف، أي: ويذهبا بأهلِ طريقتِكم، وهم بنو إسرائيل، لقول موسى «أرْسِلْ معنا بني إسرائيل»[٤]، بالغوا في التنفير عنهما بنسبتهما إلى السحر، والطبعُ[٥] ينفرُ عن السِّحْرِ وعن رؤية الساحر، ثم بإرادة الإخراج من أرضهم، ثم بتغيير حالتهم من المناصب والرُّتب المرغوبِ فيها. وحكى تعالى عنهم في متابعة فرعون في قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ قوله[٦]: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾، وقيل: هو من كلام فرعون. والظاهرُ أنه من كلام السَّحَرَة بعضِهم لبعض.

وقرأ الجمهور: «فأجْمِعُوا» بقطعِ الهمزة وكسر الميم من «أجْمَعَ» رباعياً، أي: اعْزِمُوا واجعلوه مُجَمعاً عليه حتى لا تختلفُوا ولا يتخلَّفَ واحدٌ منكم، كالمسألةِ المجمَعِ عليها.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥١.
(٢) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: السيرة، وهو خطأ، والكلام في المصدر السالف، وهو معنى قول مجاهد كما في تفسير الطبري ١٦/ ١٠٢، والنكت والعيون ٣/ ٤١١، وزاد المسير ٥/ ٣٠٠، وفسَّرها الفراء كذلك في معانيه ٢/ ١٨٥.
(٣) تفسير الطبري ١٦/ ١٠٤، والهداية ٧/ ٤٦٦٥.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٤، وذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٠٠، والرازي في تفسيره ٢٢/ ٨٠.
(٥) في النسخ الخطية: وبالطبع، وأثبتُّ اللفظة على الجادة، وينظر تفسير الرازي ٢٠/ ٨٠، والكلام فيه بنحوه.
(٦) في (د١): قولهم، وفي (ح): وقوله. وينظر الكشاف ٢/ ٥٤٣، وتفسير الرازي ٢٢/ ٨١.

وقرأ الزُّهريُّ وابنُ مُحيصِن وأبو عَمرو ويعقوب في رواية وأبو حاتم بوصل الألف وفتح الميم[1] موافقاً لقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ وتقدَّم الكلامُ في «جمعَ» و«أجمعَ» في سورة يونس في قصة نوح عليه السلام.

وتداعَوْا إلى الإتيان صفًّا لأنه أهيبُ في عيون الرائين وأظهرُ في التمويه. وانتصبَ «صفًّا» على الحال، أي: مصطفِّين، أو مفعولاً به إذ هو المكان الذي يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم.

وقرأ شِبْل بنُ عبَّاد وابنُ كثير في رواية شِبْل عنه: «ثمِّ ايتُوا» بكسر الميم وإبدال الهمزة ياء تخفيفاً[2]؛ قال أبو علي: وهذا غلط ولا وَجْهَ لكسر الميم من «ثمَّ»[3].

وقال صاحب «اللوامح»: وذلك لالتقاء الساكنين كما كانت الفتحة في العامَّة كذلك.

﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: ظَفِرَ وفازَ ببُغيته من طلب العُلُوّ في أمره وسعى سَعْيَه.

واختلفُوا في عدد السحرة اختلافاً مضطرباً جدًّا، فأقلُّ ما قيل: إنهم كانوا اثنين وسبعين ساحراً، مع كلِّ ساحر عِصيٌّ وحِبالٌ[4]، وأكثرُ ما قيل تسعُ مئة ألف[5].

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ

---

(١) ينظر السبعة ص٤١٩، والتيسير ص١٥٢، والنشر ٢/ ٣٢١.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥١، وجاء فيه أيضاً رواية عن ابن كثير بفتح الميم وسكون الياء من «ايتُوا».
(٣) المصدر السالف.
(٤) هو في النكت والعيون ٣/ ٤١٣ وتفسير الرازي ٢٢/ ٧٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) جاء هذا ضمن أقوال في تفسير القرطبي ٩/ ٢٩٥، والظاهر أنه وهم، وينظر كلام المصنف في «الأعراف» (١١٣)، وكلام الرازي ٢٢/ ٨٣.

وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾.

في الكلام حذفٌ تقديرُه: فجاؤوا مصطفِّين إلى مكان الموعد وبيدِ كلٍّ واحدٍ منهم عصاً وحبلٌ، وجاء موسى وأخوه ومعه عصاه، فوقفُوا وقالوا: يا موسى إما أن تلقي، وذكرُوا الإلقاء لأنهم علمُوا أنَّ آيةَ موسى في إلقاء العصا؛ قيل: خَيَّرُوه ثقةً منهم بالغَلَب لموسى، وكانوا يعتقدون أنَّ أحداً لا يُقاومهم في السِّحر.

وقال الزمخشريّ: وهذا التخييرُ منهم استعمالُ أدبٍ حَسَنٍ معه وتواضعٌ له وخفضُ جناح، وتنبيهٌ على إعطائهم النَّصَفَة من أنفسهم، وكان الله عزَّ وجلَّ ألهمَهم ذلك، وعلم موسى عليه السلام اختيارَ إلقائهم أوَّلاً مع ما فيه من مقابلة أدبٍ بأدب حتى يُبْرِزُوا ما معَهم من مكايد السِّحْر ويَستنفِدُوا أقصى طرقِهم ومجهودِهم، فإذا فعلوا أظهرَ الله سلطانَه وقذفَ بالحقِّ على الباطل فدمغَه، وسلَّطَ المعجزة على السِّحرِ فمَحقَتْهُ، وكانت آيةً بيِّنةً[1] للناظرين، وعِبْرةً[2] للمُعتبِرين. انتهى. وهو تكثيرٌ وخَطابة.

و«أنْ» وما بعده ينسبكُ بمصدر، فإمَّا أن يكون مرفوعاً، وإمَّا أن يكون منصوباً، والمعنى أنك تختارُ أحدَ الأمرَيْن، وقدَّرَ الزمخشريُّ الرفعَ: الأمْرُ إلقاؤك أو إلقاؤُنا، فجعلَه خبراً لمبتدأ محذوف، وأختارُ أن يكونَ مبتدأً، والخبرُ محذوفٌ تقديرُه: إلقاؤك أوَّل، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ فتحسُنُ المقابلةُ من حيث المعنى، وإن كان من حيث التركيبُ اللفظيُّ لم تحصل المقابلة لأنَّا قدَّرنا: إلقاؤك أوَّل، ومقابِلُهُ كونُهم يكونون أوَّلَ من يُلقي، لكنه يلزم من ذلك أن يكون إلقاؤهم أوَّل، فهي مقابلةٌ معنوية، وفي تقدير الزمخشريّ: الأمرُ إلقاؤك، لا مقابلةَ فيه. وقدَّرَ الزمخشريُّ النصبَ: اخْتَرْ أَحَدَ الأمرَيْن، وهذا تفسيرُ

(١) في الكشاف ٢/ ٥٤٣: نَيِّرَةً.
(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: بيِّنة. وفي (ح): ظاهرة. والمثبت من (د١) و(يه)، وهو كذلك في المصدر السالف.

معنًى لا تفسيرُ إعراب، وتفسيرُ الإعراب: إمَّا نختارُ أنْ تُلْقِيَ. وتقدَّم هذا التركيب في «الأعراف» [١١٥].

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ﴾ لا يكون الأمرُ بالإلقاء من باب تجويز السِّحر والأمرِ به لأنَّ الغَرضَ في ذلك الفرقُ بين إلقائهم والمعجزة، وتعيَّنَ ذلك طريقاً إلى كشف الشُّبهة، إذِ الأمرُ مقرونٌ بشرط، أي: أَلْقُوا إن كنتم مُحقِّين كقوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨] ثم قال: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

وفي الكلام حذفٌ تقديرُه: فألْقَوْا فإذا؛ قال أبو البقاء[2]: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾ الفاء جواب ما حُذفَ وتقديرُه: فألقَوْا، و«إذا» في هذا ظرف مكان، والعامل فيه «ألقَوْا» انتهى. فقولُه: «فإذا» الفاء جواب ما حُذف «وتقديرُه» فألقَوْا ليست هذه فاءَ جواب، لأنَّ «فألقَوْا» لا تُجاب، وإنما هي للعطف، عطفت جملة المفاجأة على ذلك المحذوف، وقولُه: «وإذا» في هذا ظرف مكان يعني أن «إذا» التي للمفاجأة ظرفُ مكان، وهو مذهبُ المبرِّد وظاهرُ كلام سيبويه[3]، وقوله: والعاملُ فيه «ألقَوْا» ليس بشيء لأنَّ الفاء تمنعُ من العمل، ولأنَّ «إذا» هذه إنما هي معمولةٌ لخبر المبتدأ الذي هو «حبالُهم وعِصِيُّهم» إنْ لم يجعلها هي في موضع الخبر، لأنه يجوز أن يكون الخبر «يُخَيَّلُ»؛ ويجوز أن تكون «إذا» و«يُخَيَّلُ» في موضع الحال، وهذا نظير: خرجتُ فإذا الأسدُ رابضٌ ورابضاً، فإذا رفعنا «رابضاً» كانت «إذا» معمولة له[4]، والتقدير: فبالحضرة الأسدُ رابضٌ أو في المكان، وإذا نصبنا كانت «إذا» خبراً، ولذلك يُكتَفى بها وبالمرفوع بعدها كلاماً، نحو: خرجتُ فإذا الأسد.

وقال الزمخشريّ: يقالُ في «إذا» هذه: «إذا» المفاجأة، والتحقيقُ فيها أنها «إذا» الكائنة بمعنى الوقت الطالبةُ ناصباً لها وجملةً تُضافُ إليها خُصَّتْ في بعض المواضع بأن يكونَ ناصبُها فعلاً مخصوصاً وهو فعلُ المفاجأة، والجملة ابتدائيةٌ

---

(١) ينظر تفصيل الكلام في تفسير الرازي ٢٢/ ٨٢.

(٢) لم أقف عليه في مطبوع الإملاء.

(٣) ينظر الكتاب ٤/ ٢٢٢، والمقتضب ٢/ ٥٧-٥٨، وشرح التسهيل ٢/ ١٥٥، ومغني اللبيب ص١٢٠.

(٤) لفظة «له» من (د١). وسقطت من النسخ الأخرى والمطبوع.

لا غير، فتقديرُ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: ففاجَأَ موسى وقت تخييلِ سَعْيِ[١] حِبالِهم وعِصِيِّهم، وهذا تمثيل، والمعنى: على مفاجأته حِبالهم وعِصِيِّهم مخيِّلةً إليه السَّعيَ. انتهى.

فقوله: والتحقيقُ فيها أنها «إذا» الكائنة بمعنى الوقت: هذا مذهبُ الرِّياشيِّ أنَّ «إذا» الفجائية ظرف زمان، وهو قولٌ مرجوح، وقولُ الكوفيِّين إنها حرف قولٌ مرجوحٌ أيضاً.

وقوله: الطالبةُ ناصباً لها: صحيح، وقوله: وجملةً تُضافُ إليها، هذا عند أصحابنا ليس بصحيح لأنها إمَّا أن تكون هي خبراً لمبتدأ، وإمَّا معمولةً لخبر المبتدأ، وإذا كان كذلك استحالَ أن تُضاف إلى الجملة لأنها إمَّا أن تكون بعض الجملة أو معمولةً لبعضها، فلا تمكن الإضافة.

وقولُه: خُصَّت في بعض المواضع بأن يكون ناصبُها فعلاً مخصوصاً وهو فعلُ المفاجأة: قد بيَّنَّا الناصبَ لها.

وقولُه: والجملة ابتدائية لا غير: هذا الحَصْرُ ليس بصحيح؛ بل قد نصَّ الأخفش في «الأوسط» على أنَّ الجملة المصحوبة بـ «قد» تليها وهي فعلية، تقول: خرجتُ فإذا قد ضربَ زيدٌ عَمراً، وبَنَى على ذلك مسألةَ الاشتغال: خرجْتُ فإذا زيدٌ قد ضربَه عَمرٌو، برفع «زيد» ونصبه.

وأمَّا قولُه: والمعنى: على مفاجأته حِبالهم وعِصِيِّهم مخيِّلةً إليه السَّعي: فهذا بعكس ما قدَّر، بل المعنى: على مفاجأة حبالِهم وعِصِيِّهم إيَّاه[٢]، فإذا قلت: خرجتُ فإذا السَّبُعُ، فالمعنى أنه فاجأني السَّبُعُ وهجمَ ظهورُه.

وقرأ الحسن وعيسى: «عُصِيُّهم» بضم العين حيث كان[٣]، وهو الأصل لأنَّ الكسر إتْباع لحركة الصاد، وحركةُ الصاد لأجل الياء[٤]. وفي كتاب «اللوامح»:

---

(١) كلمة «سَعْي» من (د١) و(ب) وهي كذلك في الكشاف ٢/ ٥٤٤، والكلام منه.

(٢) كذا وقعت لفظة «مفاجأة» في روح المعاني ١٦/ ٣٨٠ (كما في حواشيه) عن الكشاف، ولعل ذلك راجع إلى اختلاف النسخ، وعندئذ لا إشكال في عبارة الزمخشري.

(٣) القراءات الشاذة ص٨٨ عن عيسى، وتفسير القرطبي ١٤/ ٩٩ عن الحسن.

(٤) عِصِيّ؛ أصلُها: عُصُوّ، وزن فُعُول، أُبدلت الواو الثانية ياءً للتخفيف، فصارت: عُصُوي،

الحسن: «وعُصْيُهُمْ» بضم العين وإسكان الصاد وتخفيف الياء مع الرفع، وهو أيضاً جمع كالعامَّة لكنه على فُعْل.

وقرأ الزُّهْرِيُّ والحسن وعيسى وأبو حَيْوَة وقتادة والجَحْدريُّ ورَوْح والوليدان وابنُ ذكوان: «تُخَيَّلُ» بالتاء مبنيًّا للمفعول[١]، وفيه ضمير الحِبال والعِصِيّ، و«أنها تسعى» بدل اشتمال من ذلك الضمير.

وقرأ أبو السَّمَّال: «تَخَيَّلُ» بفتح التاء، أي: تَتَخَيَّلُ، وفيها أيضاً ضمير ما ذُكر، و«أنها تسعى» بدل اشتمال أيضاً من ذلك الضمير، لكنه فاعل من جهة المعنى، وقال ابنُ عطيَّة: إنها مفعول من أجله[٢].

وقال أبو القاسم بن جُبارة الهُذليّ الأندلسيّ في كتاب «الكامل»[٣] من تأليفه عن أبي السَّمَّال أنه قرأ: «تُخَيِّلُ» بالتاء من فوق المضمومة وكسر الياء، والضميرُ فيه فاعل، و«أنها تسعى» في موضع نصب على المفعول به، ونَسَبَ ابنُ عطية هذه القراءة إلى الحسن والثقفيّ يعني عيسى[٤]. ومَنْ بَنَى «تُخَيِّلُ» للمفعول، فالمخيِّلُ لهم ذلك هو الله للمحنة والابتلاء.

وروى الحسنُ بن يمن[٥] عن أبي حَيْوَة: «نُخَيِّلُ» بالنون وكسر الياء، فالمخيِّلُ لهم ذلك هو الله.

= ثم أبدلت الواو الأولى ياءً أيضاً لأنها ساكنة وبعدها ياء، ثم أدغمت الياءان، وكُسرت الصاد لمناسبة الياء، ثم منهم من يكسر العين إتْباعاً للصاد، ومنهم من يبقيها على حالها مضمومة. ينظر شرح المفصل ١٠/ ١١٠.

(١) ينظر التيسير ص١٥٢، والنشر ٢/ ٣٢١، وزاد المسير ٥/ ٣٠١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٩٩، ورواية ابن ذكوان هي عن ابن عامر من السبعة، ورواية رَوْح هي عن يعقوب من العشرة. والوليدان: لعلهما ابنُ عتبة وابنُ مسلم الدمشقيان، ذكرهما المصنف في «سبأ» (١٤) عند قوله: «مِنْسَأَتَه». وترجم لهما ابن الجزري في غاية النهاية ٢/ ٣٦٠.

(٢) جاء هذا القول في المحرر الوجيز ٤/ ٥١ على قراءة: «تُخَيِّلُ» بالتاء وكسر الياء، ونُسبت فيه للحسن وعيسى الثقفي، وسيرد ذكرها. ولم يرد فيه ذكر قراءة أبي السمَّال هذه. والله أعلم.

(٣) وهو الكامل في القراءات، واسم أبي القاسم يوسف بن علي، توفي سنة (٤٦٥هـ) وسلف ذكرُه في «الكهف» (٣٨).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥١.

(٥) في (د١): علي، وفي المطبوع: أيمن. ولم أعرفه.

والضميرُ في «إليه» الظاهر أنه يعود على موسى لقوله قبلُ: «قال بل أَلْقُوا» ولقوله بعدُ: «فأوجسَ في نفسه خِيفةً موسى». وقيل: يعودُ على فرعون[١].

والظاهر من القَصَص أنَّ الحِبالَ والعِصِيَّ كانت تتحرَّكُ وتنتقلُ الانتقالَ الذي يُشبه انتقالَ من قامت به الحياة، ولذلك ذكرَ السَّعْيَ، وهو وصفُ مَنْ يمشي من الحيوان، فرُوِيَ أنهم جعلوا في الحِبال والعِصِيّ زئبقاً وألقَوْها في الشمس، فأصابَ الزئبقَ حرارةُ الشمس فتحرَّكَ، فتحرَّكت العِصِيُّ والحِبالُ معه[٢].

وقيل: حفرُوا الأرضَ وجعلُوا تحتَها ناراً وكانت العِصِيُّ والحِبالُ مملوءةً بزئبق، فلما أصابتها حرارةُ الأرض تحرَّكت، وكان هذا من باب الدَّكّ[٣].

وقيل: إنها لم تتحرَّك، وكان ذلك من سِحْرِ العيون، وقد صرَّح تعالى بهذا فقال: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦] فكان الناظرُ يُخَيَّلُ إليه أنها تنتقلُ[٤].

وتقدَّم شرحُ «أَوْجَسَ»، وقال الزمخشريّ: كان ذلك لطبع الجِبِلَّةِ البشريَّة، وأنه لا يكادُ يمكنُ الخُلُوّ من مثلِه[٥]، وهو قول الحسن[٦].

وقيل: كان خوفُه على الناس أن يَفتتِنُوا لِهَوْلِ ما رأى قبلَ أن يُلْقيَ عصاه، وهو قول مقاتل[٧].

والإيجاس: هو من الهاجس الذي يخطرُ بالبال، وليس يتمكَّن.

---

(١) ينظر النكت والعيون ٣/ ٤١٣.
(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٤/ ٢١٤-٢١٥، والكشاف ٢/ ٥٤٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٩٩.
(٣) غمز الآلوسي في روح المعاني١٤/ ٣٨٢ في صحة هذا الخبر والذي قبله. والدَّكّ من أبواب الحِيَل، وذكر المصنف في «البقرة» (١٠٢) كتاباً في هذا الباب اسمُه «كشف الدَّكّ والشعوذة لإيضاح الشّكّ».
(٤) هو معنى قول وهب كما في تفسير الطبري ١٦/ ١٠٦، والرازي ٢٢/ ٨٣، واستظهره الآلوسي ١٦/ ٣٨٢، والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٤/ ٥١.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٤٤.
(٦) تفسير الرازي ٢٢/ ٨٤. وهو في النكت والعيون ٣/ ٤١٣، وزاد المسير ٥/ ٣٠٥ دون نسبة.
(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ٢١٥، والمصادر السالفة. قال ابن الجوزي: هذا أصحّ من الأول.

و«خِيفَة» أصلُه: خِوْفَة، قُلبت الواو ياءً لكسرةِ ما قبلَها، وقال ابنُ عطية: يحتملُ أن تكون «خَوْفَة» بفتح الخاء؛ قلبت الواو ياءً ثم كُسرت الخاء للتناسب[١].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ تقريرٌ لغَلَبتِه وقهرِه، وتوكيدٌ بالاستئناف، وبكلمة التوكيد[٢]، وبتكرير الضمير، وبلام التعريف، وبالأعلويَّة الدالة على التفضيل.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ لم يأت التركيب: وألْقِ عصاك، لِما في لفظ اليمين من معنى اليُمْنِ والبَرَكة؛ قال الزمخشري: وقولُه: «ما في يمينك» ولم يقل: عصاك، جائزٌ أنْ يكونَ تصغيراً لها، أي: لا تُبالِ بكثرة حِبالِهم وعِصِيِّهم، وألْقِ العُوَيْدَ الفَرْدَ الصغيرَ الجِرْمِ الذي في يمينك، فإنه بقدرة الله يَتَلقَّفُها على وَحْدَتِهِ وكَثْرتِها، وصِغَرِهِ وعِظَمِها، وجائزٌ أن يكون تعظيماً لها، أي: لا تحتفل بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة، فإنَّ في يمينك شيئاً أعظمَ منها كلِّها، وهذه على كثرتها أقلُّ شيء وأنْزَرُهُ عندها[٣]، فألْقِهِ تتلقَّفْها بإذن الله وتَمحَقْها. انتهى. وهو تكثيرٌ وخَطابة لا طائلَ في ذلك.

وفي قوله: «تَلْقَفْ» حملٌ على معنى «ما» لا على لفظِها، إذْ أُطلقت «ما» على العصا، والعصا مؤنَّثة، ولو حُمل على اللفظ لكان بالياء.

وقرأ الجمهور: «تَلَقَّفْ» بفتح اللام وتشديد القاف مجزوماً على جواب الأمر، وقرأ ابنُ عامر كذلك وبرفع الفاء على الاستئناف، أو على الحال من المُلْقَى، وقرأ أبو جعفر وحفص وعِصْمَة عن عاصم: «تَلْقَفْ» بإسكان اللام والفاء وتخفيف القاف[٤]، وعن قُنبل أنه كان يشدُّ التاء من «تَلَقَّفْ» يريد: تَتَلَقَّفُ[٥].

---

(١) مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٥٢: يصحُّ أن يكون أصلُها خِوْفة، قُلبت الواو ياءً للتناسب.

(٢) وهي «إنَّ». وينظر تفسير الرازي ٢٢/ ٨٤.

(٣) في الكشاف ٢/ ٥٤٥ (والكلام منه): عنده.

(٤) ينظر السبعة ص٤٢٠-٤٢١، والتيسير ص١٥٢، والنشر ٢/ ٣٢١، وقراءة ابن عامر هي من رواية ابن ذكوان عنه، ولم أقف على من ذكر هذه القراءة عن أبي جعفر.

(٥) هي في المصادر السالفة والمحرر الوجيز ٤/ ٥٢ من رواية البزِّي عن ابن كثير المكي. وقُنْبُل هو راوي ابن كثير أيضاً.

وقرأ الجمهور: «كَيْدُ» بالرَّفع على أنَّ «ما» موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف، ويحتمل أن تكون «ما» مصدرية، أي: إنَّ صُنْعَهُم كَيْدُ.

ومعنى «صنعوا» هنا: زَوَّرُوا وافتعلوا، كقوله: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

وقرأ مجاهد وحُميد وزيد بنُ علي: «كَيْدَ سِحْرٍ» بالنصب[١] مفعولاً لـ «صنعُوا» و«ما» مهيِّئة[٢].

وقرأ أبو بحريَّة والأعمش وطلحة وابنُ أبي ليلى وخَلَف في اختياره وابنُ عيسى الأصبهانيّ وابنُ جُبير الأنطاكي وابنُ جرير وحمزة والكسائيّ: «سِحْر» بكسر السين وإسكان الحاء[٣] بمعنى ذي سِحْر أو ذَوِي سِحْر، أو هُم لِتَوَغُّلِهِم في سِحْرِهم كأنهم السِّحْرُ بعينِه أو بذاته، أو بَيِّنَ الكيدَ، لأنه يكون سِحْراً وغيرَ سِحْر كما تُبَيِّنُ المئةُ بدرهم[٤]، ونحوُه: عِلْمُ فِقْهٍ وعِلْمُ نَحْوٍ.

وقرأ الجمهور: «ساحر» اسمُ فاعل من سَحَرَ، وأفرد «ساحر» من حيث إنَّ فِعْلَ الجميع نوعٌ واحد من السِّحْر، وذلك الحِبال والعِصِيّ، فكأنه صدرَ من ساحرٍ واحد لعدمِ اختلافِ أنواعِه.

وقال الزمخشريّ: لأنَّ القصد في هذا الكلام إلى معنى الجنسيّة لا إلى معنى العدد، فلو جُمع لَخُيِّلَ أنَّ المقصود هو العدد، ألا ترى أن قوله[٥]: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ أي: هذا الجنس؟ انتهى.

وعُرِّفَ في قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ لأنه عادَ على «ساحر» النكرة قبلَه كقوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

---

(١) نسبت القراءة في زاد المسير ٥/ ٣٠٦ لابن مسعود وأبي عمران الجَوْني، ولم يستجزها الطبري ١٦/ ١١٢.

(٢) هي «ما» الكافَّة المتصلة بـ «إنَّ» وأخواتها إذا تلاها فعل، وتسمَّى مهيئة لأنها هيَّأت الحرف للدخول على الفعل. ينظر مُغني اللبيب ص٤٠٤، وشرحه للدسوقي ١/ ٣٠٧.

(٣) ينظر السبعة ص٤٣١، والتيسير ص١٥٢، والنشر ٢/ ٣٢١.

(٤) أي: تقول: مئة درهم. والكلام أعلاه في الكشاف ٢/ ٥٤٥.

(٥) في الكشاف ٢/ ٥٤٥ (والكلام منه): ألا ترى إلى قوله.

وقال الزمخشري: إنَّما نَكَّرَ - يعني أوَّلاً - من أجل تنكير المضاف لا من أجلِ تنكيرِه في نفسه كقول العجَّاج:

فـي سَـعْـي دُنْـيـا طـالـمـا قـد مُـدَّتِ[1]

وفي حديث عمر ﷺ: «لا في أمرِ دُنْيا ولا في أمرِ آخرة»[2] المرادُ تنكير الأمر، كأنه قال: إنما صنعوا كيدٌ سِحْرِيٌّ، وفي سَعْيٍ دنياويّ، وأمرِ دنياويّ وأخراوي. انتهى.

وقولُ العجَّاج: في سَعْيِ دُنْيا محمولٌ على الضرورة، إذْ «دُنْيا» تأنيث «الأدنى»، ولا يُستعمل تأنيثُه إلا بالألف واللام أو بالإضافة[3]، وأمَّا قولُ عمر فيحتمل أن يكون من تحريف الرُّواة.

ومعنى «ولا يُفْلِحُ»: لا يظفَرُ ببُغيتِه «حيثُ أتى» أي: حيثُ توجَّهَ وسَلَكَ.

وقالت فرقة: معناه أنَّ الساحرَ يُقتل حيث ثُقِفَ، وهذا جزاءُ مَنْ عَدِمَ الفلاحَ[4].

وقرأت فرقة: «أين أتى»[5].

وبعدَ هذا جُملٌ محذوفة، والتقدير: فزالَ إيجاسُ الخِيفة، وألْقَى ما في يمينِه وتَلَقَّفَتْ حِبالَهم وعِصِيَّهم ثم انقلبتُ عصاً وفَقَدُوا الحبالَ والعِصِيَّ وعلمُوا أنَّ ذلك مُعْجِزٌ ليس في طَوْقِ البشر.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ وجاء التركيب: «فأُلْقِيَ السَّحَرَةُ» ولم يأتِ: فسجدُوا، كأنَّهُ

---

(١) ديوان العجَّاج ص٢٦٢. وينظر خزانة الأدب ٨/ ٢٩٦.
(٢) بنحوه في معجم الطبراني (٨٥٣٨) (٨٥٣٩) عن ابن مسعود، ولم أقف عليه عن عمر ﷺ.
(٣) قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على البيضاوي ٦/ ٢١٥: ليس تنكير «دنيا» ضرورة لأنها غلبت عليها الاسمية، فلذا أثبتت من غير ضرورة لما في حديث البخاري: «إلى دنيا يُصيبُها». وينظر كلام ابن جني في التمام في تفسير أشعار هُذيل ص١٧٣.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢. وينظر تفسير الطبري ١٦/ ١١٢.
(٥) المصدر السالف، وذكر الطبري ١٦/ ١١٢ عن بعض نحويِّي البصرة أنها في حرف ابن مسعود.

جاءهم أمرٌ وأزعَجهم وأخذَهم[١] فصنَعَ بهم ذلك، وهو عبارةٌ عن سرعة ما تأثَّروا لذلك الخارقِ العظيم، فلم يتمالكُوا أنْ وقعُوا ساجدين.

وقُدِّمَ موسى في الأعراف [١٢٢] وأُخِّر هارون لأجل الفواصل، ولكون موسى هو المنسوب إليه العصا التي ظهرَ فيها[٢] ما ظهر من الإعجاز، وأُخِّر هنا[٣] موسى لأجل الفواصل أيضاً كقوله: ﴿لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ إذا كان «شَتَّى» صفة لقوله: «أزواجاً»، ولا فرقَ بين قامَ زيدٌ وعَمرو، وقامَ عمرٌو وزيدٌ، إذِ الواو لا تقتضي ترتيباً، على أنه يحتمل أن يكون القولان من قائلين؛ نطقت طائفة بقولهم: «رَبِّ موسى وهارون»، وطائفة بقولهم: «رَبِّ هارون وموسى»، ولما اشتركوا في المعنى صحَّ نسبةُ كلٍّ من القولين إلى الجميع.

وقيل: قُدِّمَ هارون هنا لأنه كان أكبرَ سِنًّا من موسى، وقيل: لأنَّ فرعون كان رَبَّى موسى فبدؤوا بهارون لِيزولَ تمويهُ فرعونَ أنه رَبَّى موسى فيقول: أنا رَبَّيْتُه، وقالوا: ربِّ هارون وموسى، ولم يكتفوا بقولهم: «ربِّ العالمين» للنصِّ على أنهم آمنوا بربِّ هذين، وكان فيما قيل يزعم أنه ربُّ العالمين[٤].

وتقدَّم الخلاف في قراءة «آمنتم» وفي «لأقطِّعنَّ» و«لأُصَلِّبنَّ» في الأعراف [١٢٣-١٢٤] وتفسيرُ نظير هذه الآية فيها، وجاء هناك: «آمنتم به» وهنا «له». و«آمَنَ» يُوصلُ بالباء إذا كان بالله، وباللام لغيره في الأكثر نحو: «فما آمنَ لموسى» «لن نؤمنَ لك» «وما أنتَ بمؤمنٍ لنا» «فآمَنَ له لوط»[٥]، واحتملَ في «به»[٦] أن يعودَ على موسى، وأن يعودَ على الرَّبِّ.

وأراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيلَ بهم، ولمَّا كانَ الجِذْعُ مَقَرًّا

---

(١) في (د١) و(يه): وأرغبهم وأكذبهم.
(٢) في (د١) و(يه): منها.
(٣) لفظة «هنا» من (د١) و(يه).
(٤) ينظر تفسير الرازي ٢٢/ ٨٧.
(٥) مواضعها على الترتيب: يونس (٨٣)، البقرة (٥٥)، يوسف (١٧)، العنكبوت (٢٦).
(٦) في المطبوع: واحتمل الضمير في «به». ولفظة «آمنتم به» في «الأعراف» (١٢٣).

للمصلوب واشتملَ عليه اشتمالَ الظرف على المظروف عُدِّيَ الفعل بـ «في» التي للوعاء، وقيل: «في» بمعنى «على».

وقيل: نَقَرَ فرعونُ الخشبَ وصلبَهم في داخله، فصار ظرفاً لهم حقيقةً حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً. ومن تعدية «صَلَبَ» بـ «في» قولُ الشاعر:

وهُمْ صَلَبُوا العبْدِيَّ في جِذْعِ نَخْلةٍ فلا عَطَسَتْ شيبانُ إلا بأجْدَعَا[1]

وفرعونُ أوَّلُ من صَلَبَ، وأقسمَ فرعونُ على ذلك وهو فعلُ نفسِه، وعلى فعلِ غيره وهو ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ أي: أيِّي وأيُّ مَنْ آمنتُم به، وقيل: أيِّي وأيُّ موسى. وقال ذلك على سبيل الاستهزاء لأنَّ موسى لم يكن من أهل التعذيب، وإلى هذا القول ذهبَ الزمخشريّ قال: بدليل قوله: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ واللامُ مع الإيمان في كتاب الله لغيرِ الله، كقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] وفيه نَفَاجَةٌ[2] باقتدارِه وقهرِهِ وما أَلِفَهُ وضَرِيَ به من تعذيب الناس بأنواع العذاب، وتوضيعٌ لموسى عليه السلام واستضعافٌ مع الهُزْءِ به. انتهى.

وهو قولُ الطبريّ قال[3]: يريد نفسَه وموسى عليه السلام، والقول الأول أذْهَبُ مع مخرقة فرعون.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ هنا معلَّق، و«أيُّنا أشَدُّ» جملة استفهامية من مبتدأ وخبر في موضع نصب لقوله: «ولَتَعْلَمُنَّ» سَدَّت مسدَّ المفعولين، أو في موضع مفعول واحد إن كان «لَتَعْلَمُنَّ» معدًّى تعدية «عَرَفَ»، ويجوز على هذا الوجه أن يكون «أيُّنا» مفعولاً لـ «تَعْلَمُنَّ» وهو مبني على رأي سيبويه، و«أشَدُّ» خبر مبتدأ محذوف، و«أيُّنا» موصولة، والجملة بعدها صلة، والتقدير: ولَتَعْلَمُنَّ مَنْ هو أشدُّ عذاباً وأبقى.

---

(١) نُسب البيت في الأزهيَّة ص٢٦٨ وأمالي ابن الشجري ٢/٦٠٦ وتفسير الثعلبي ٤/٢١٥ وتفسير القرطبي ١٤/١٠٣ لسويد بن أبي كاهل، ونُسب في الحماسة البصرية ١/ ٨٠ لقراد بن حنش، وهو دون نسبة في تفسير الطبري ١٦/ ١١٥.

(٢) أي: تكبُّر، فالانتفاج: الارتفاع، ومن المجاز: رجلٌ نَفَّاج، أي: متكبِّر، ويقال أيضاً: فيه نفجٌ ونَفَاجة. ينظر تاج العروس وأساس البلاغة (نفج).

(٣) بنحوه في تفسير الطبري ١٦/١١٦، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/٥٣.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نختار اتّباعَك وكونَنا من حزبك وسلامتَنا من عذابك على ما جاءنا من البيِّنات، وهي المعجزةُ التي أتَتْنا وعَلِمْنا صحَّتَها، وفي قولهم هذا توهينٌ له واستصغارٌ لِما هدَّدهم به وعدمُ اكتراثٍ بقوله.

وفي نسب المجيء إليهم وإن كانت البيِّناتُ جاءت لهم ولغيرِهم لأنهم كانوا أعرفَ بالسِّحْرِ من غيرهم وقد علموا أنَّ ما جاء به موسى ليس بِسِحْرٍ، فكانوا على جَلِيَّةٍ من العلم بالمُعجِز، وغيرُهم يُقلِّدُهم في ذلك، وأيضاً فكانوا هم الذين حصلَ لهم النَّفْعُ بها، فكانت بيِّناتٍ واضحةً في حقِّهم.

والواو في «والذي فَطَرَنا» واو عطف على «ما جاءنا» أي: وعلى الذي فطرَنا، لمَّا لاحَتْ لهم حُجَّةُ الله في المعجزة بدؤوا بها، ثم تَرَقَّوْا إلى القادر على خرقِ العادة وهو الله تعالى.

وذكروا وَصْفَ الاختراعِ وهو قولُهم: «الذي فَطَرَنا» تبييناً لعجزِ فرعون وتكذيبِه في ادِّعاء رُبُوبيَّتِه وإلاهيَّتِهِ وهو عاجزٌ عن صرفِ ذُبابةٍ فضلاً عن اختراعِها.

وقيل: الواو للقسم وجوابُه محذوف، ولا يكون «لن نُؤْثِرَكَ» جواباً لأنه لا يُجاب في النفي بـ «لَنْ» إلا في شاذّ من الشِّعر.

و«ما» موصولة بمعنى «الذي» وصِلتُه «أنت قاضٍ» والعائد محذوف، أي: ما أنت قاضِيهِ.

قيل: ولا يجوز أن تكون «ما» مصدريَّة لأن المصدريَّة تُوصل بالأفعال، وهذه موصولة بابتداء وخبر. انتهى. وهذا ليس مجمعاً عليه، بل قد ذهبَ ذاهبون من النُّحاة إلى أنَّ «ما» المصدرية تُوصل بالجملة الاسمية.

وانتصب «هذه الحياةَ» على الظرف، و«ما» مهيِّئة[1]، ويحتمل أن تكون مصدريَّة، أي: إنَّ قضاءَك كائنٌ في هذه الحياةِ الدنيا لا في الآخرة، بل في الآخرة لنا النعيمُ ولك العذاب.

وقرأ الجمهور: «تَقْضِي» مبنيًّا للفاعل خِطاباً لفرعون. وقرأ أبو حَيْوَة وابنُ

---

(١) هي «ما» الكافَّة المتصلة بـ «إنَّ» وأخواتها إذا تلاها فعل، وسلف التعليق عليها قريباً.

أبي عَبْلَة: «تُقْضَى» مبنيًا للمفعول «هذه الحياةُ» بالرفع[١]؛ اتُّسِعَ في الظرف فأجْرِيَ مجرى المفعول به، ثم بُنِيَ الفعل لذلك ورُفع به، كما تقول: صِيمَ يومُ الجمعة، ووُلِدَ له ستون عاماً.

ولم يصرِّح في القرآن بأنه أنفذَ فيهم وعيدَه ولا أنه قطَّعَ أيديَهم وأرجلَهم وصلَّبهم، بل الظاهرُ أنه تعالى سلَّمهم منه، ويدُلُّ على ذلك قولُه: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[٢] [القصص: ٣٥].

وقيل: أنفذَ فيهم وعيدَه وصلَّبهم على الجذوع[٣].

وإكراهُه إيَّاهم على السِّحْر قيل حملَهم على معارضةِ موسى، وقيل: كان يأخذُ وِلدانَ الناسِ ويُجبرهم على ذلك، فأشارت السَّحَرَةُ إلى ذلك. قاله الحسن[٤].

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ رَدٌّ على قوله: ﴿أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ أي: وثوابُ اللهِ وما أعدَّه لمن آمنَ به، رُوِيَ أنهم قالوا لفرعون: أرِنا موسى نائماً، ففعلَ، فوجدُوه تحرُسُه عصاه، فقالوا: ما هذا بسحر، الساحرُ إذا نامَ بطلَ سحرُه، فأبَى إلا أن يُعارِضُوه[٥]. ويظهرُ من قولهم ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ عدمُ الإكراه.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ﴾ إلى ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ قيل: هو حكايةُ قولِهم عِظةً لفرعون، وقيل: خبرٌ من الله لا على وجهِ الحكاية، تنبيهاً على قُبح ما فعلَ فرعونُ وحُسْنِ ما فعلَ السَّحَرة موعظةً وتحذيراً[٦].

والمجرمُ هنا الكافرُ لذِكرِ مُقابِلِه: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾ ولقوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: يُعذَّبُ عذاباً ينتهي به إلى الموت، ثم لا يُجهَزُ عليه فيستريحَ، بل يُعاد جِلدُه ويُجدَّدُ عذابُه، فهو لا يحيا حياةً طيبةً، بخلاف المؤمن الذي يدخلُ النارَ،

(١) القراءات الشاذة ص٨٨ عن أبي حيوة، والكشاف ٢/ ٥٤٦ دون نسبة.
(٢) تفسير الرازي ٢٤/ ٢٥٠ عند تفسير آية القصص هذه.
(٣) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ١١٥-١١٦، وتفسير الرازي ٢٢/ ٨٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٠٣.
(٤) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ١١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٣، وزاد المسير ٥/ ٣٠٨.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ٢١٦، والكشاف ٢/ ٥٤٦.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٠٧.

فهم يُقارِبُون الموتَ ولا يُجهَزُ عليهم[١]، فهذا فرقُ ما بينَ المؤمنِ والكافر. وفي الحديث أنَّهم يُماتُون إماتةً، وهذا هو معناه لأنه لا موتَ في الآخرة[٢].

و«تَزَكَّى»: تطهَّر من دَنَس الكفر، وقيل: قال لا إله إلا الله[٣].

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

هذا استئنافُ إخبارٍ عن شيء من أمر موسى عليه السلام، وبينه وبين مقالِ السَّحرةِ المتقدِّم مدةٌ من الزمان حدثَ فيه لموسى وفرعونَ حوادثُ، وذلك أنَّ فرعونَ لـمَّا انقضَى أمرُ السَّحرةِ وغلبَ موسى وقَوِيَ أمرُه وعَدَهُ فرعون أن يُرسل معه بني إسرائيل، فأقامَ موسى على وَعْدِهِ حتى غدرَه فرعون ونكثَ وأعلمَه أنَّه لا يُرسلُهم معه، فبعثَ الله حينئذٍ الآياتِ المذكورةَ في غير هذه الآيات: الجرادَ والقُمَّلَ، إلى آخِرها[٤]، كلما جاءت آيةٌ وعدَ فرعونُ أن يُرسلَ بني إسرائيل عند انكشاف العذاب، فإذا انكشفَ نكثَ حتى تأتيَ أُخرى، فلمَّا كَمُلت الآياتُ أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يَخرُجَ ببني إسرائيل[٥] في الليل سارياً، والسُّرَى مسيرُ الليل.

ويحتمل أن تكون «أنْ» مفسِّرة، وأن تكون الناصبة للمضارع، و«بعبادي» إضافةُ تشريف، كقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩].

---

(١) بعدها في المحرر الوجيز ٤/ ٥٤ (والكلام فيه): ولا يُجدَّدُ عذابُهم.

(٢) المصدر السالف، وقولُه: «يُماتون إماتةً» هو بنحوه قطعة من حديث أبي سعيد الخدري في إثبات الشفاعة وإخراج الموحِّدين من النار أخرجه مسلم (١٨٥).

(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٢١٦، والكشاف ٢/ ٥٤٦، وزاد المسير ٥/ ٣٠٨.

(٤) يعني الآية (١٣٣) من سورة الأعراف.

(٥) المثبت من (ح) و(د١). وفي (أ) و(ع) و(يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤ (والكلام منه): يُخرج بني إسرائيل.

والظاهرُ أن الإيحاء إليه بذلك وبأنْ يَضربَ البحرَ كان متقدِّماً بمصر على وقتِ إتْباعِ فرعونَ موسى وقومَه بجنودِه. وقيل: كان الوَحْيُ بالضرب حين قاربَ فرعونُ لحَاقَه وقَوِيَ فَزَعُ بني إسرائيل.

ويُروى أنَّ موسى عليه السلام نهضَ ببني إسرائيل وهم ستُّ مئة ألفِ إنسان، فسارَ بهم من مصر يريدُ بحرَ القُلْزُم، واتصل الخبرُ بفرعون، فجمعَ جنودَه وحشرَهم ونهضَ وراءَه، فأوْحَى الله إلى موسى أن يقصدَ البحرَ، فخرجَ ببني إسرائيل[1]، ورأوا أنَّ العدوَّ من ورائهم والبحرَ من أمامِهم، وموسى يثقُ بصُنْعِ الله، فلما رآهم فرعون قد نهضُوا[2] نحو البحر طَمِعَ فيهم، وكان مقصدُهم إلى موضع تنقطع فيه الفحوص[3] والطرقُ الواسعة.

قيل: وكان في خيل فرعونَ سبعون ألف أدهم، ونسبةُ ذلك من سائر الألوان، وقيل أكثر من هذا، فضرب موسى عليه السلام البحرَ فانفلق[4] اثنتي عشرة فِرْقةً طرقاً واسعةً بينها حيطانُ الماء واقفة، ويدلُّ عليه: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

وقيل: بل هو طريق واحد لقوله: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ انتهى. وقد يُرادُ بقوله: «طريقاً» الجنس[5].

فدخل موسى عليه السلام بعد أن بعثَ اللهُ رِيح الصَّبا فجفَّفت تلك الطرقَ حتى يَبِسَتْ، ودخلَ بنو إسرائيل ووصلَ فرعون إلى المدخل وبنو إسرائيل كلُّهم في

---

(١) المثبت من (د١) و(يه)، وفي (أ) و(ح) و(ع) ومطبوع البحر: فجزع بنو إسرائيل، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٥٤ (والكلام منه): فخرج بنو إسرائيل.

(٢) في المصدر السالف: هبطوا.

(٣) جمع فحص، وهو كلُّ موضع يُسكن، وهو في الأصل اسم لِما استوى من الأرض. ينظر تاج العروس (فحص).

(٤) المثبت من (يه) وهو كذلك في المحرر الوجيز ٤/ ٥٥ (والكلام فيه)، وهو المناسب للفظ آية الشعراء (٦٣): ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾. وفي النسخ الأخرى ومطبوع البحر: فانفرقَ.

(٥) ينظر تفسير الرازي ٢٢/ ٩٤.

البحر، فرأى الماء على تلك الحال، فجَزِعَ قومُه واستعظمُوا الأمر، فقال لهم: إنَّما انفلقَ من هَيبتي[١].

وتقدَّم غرقُ فرعونَ وقومُه في سورة يونس [٩٠].

والظاهر أنَّ لفظة «اضرِبْ» هنا على حقيقتها من مسِّ العصا البحرَ بقوَّة وتحاملٍ على العصا، ويوضِّحُهُ في آية أخرى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] فالمعنى أنِ اضربْ بعصاك البحرَ لينفلقَ لهم فيصيرَ طريقاً، فتعدَّى إلى الطريق بدخول هذا المعنى، لمَّا كان الطريقُ متسبَّباً عن الضرب جُعل كأنَّه المضروب.

وقال الزمخشري[٢]: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾: فاجْعلْ لهم، من قولهم: ضَربَ له في ماله سهماً، وضربَ اللَّبِنَ: عَمِلَهُ. انتهى. وفي الحديث: «اضْرِبُوا لي معكم بسهم»[٣].

ولمَّا لم يذكر المضروب حقيقة ـ وهو البحر ـ قال: «في البحر»، ولو كان صرَّح بالمضروب حقيقةً لكان التركيب: طريقاً فيه، فكان يعودُ الضمير على البحر المضروب.

و«يَبَساً» مصدرٌ وُصف به الطريق، وصفَه بما آلَ إليه، إذْ كان حالةَ الضربِ لم يتَّصف باليَبَس، بل مرَّت عليه الصَّبا فجفَّفَتْه كما رُوي، ويُقال: يَبِسَ يَبَساً ويُبْساً كالعَدَم والعُدْم، ومن كونه مصدراً وُصف به المؤنَّث قالوا: شاة يَبَسٌ وناقة يَبَس: إذا جفَّ لَبَنُها.

وقرأ الحسن: «يَبْساً» بسكون الباء[٤]، قال صاحب «اللوامح»: قد يكون مصدراً كالعامَّة[٥]، وقد يكون بالإسكان المصدر وبالفتح الاسم كالنَّقَض[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٤٦.

(٣) هو قطعة من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الرُّقية بفاتحة الكتاب، أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

(٤) القراءات الشاذة ص٨٨، وزاد المسير ٥/ ٣١٠.

(٥) أي كقراءة الجمهور، بفتح الباء.

(٦) بالتحريك، أي: المنقوض، ينظر تاج العروس (نقض).

وقال الزمخشريّ: لا يخلُو اليَبْسُ من أن يكون مخفَّفاً عن اليَبَس، أو صفةً على فَعْل، أو جمع يابس، كصاحب وصَحْب وُصِف به الواحد تأكيداً، كقوله: ومِعًى جِيَاعَا[1]، جعلَه لِفَرْطِ جُوعِهِ كجماعةٍ جِياع. انتهى.

وقرأ أبو حَيْوَة: «يابساً» اسم فاعل[2].

وقرأ الجمهور: «لا تخافُ» وهي جملة في موضع الحال من ضمير «فاضْرِبْ»، وقيل: في موضع الصفة للطريق، وحُذف العائد، أي: لا تخاف فيه[3].

وقرأ الأعمش وحمزة وابنُ أبي ليلى: «لا تَخَفْ» بالجزم على جواب الأمر، أو على نَهْي مستأنف[4]. قاله الزَّجَّاج[5].

وقرأ أبو حَيْوة وطلحة والأعمش: «دَرْكاً» بسكون الراء[6]، والجمهورُ بفتحها، والدَّرَكُ والدَّرْكُ اسمان من الإدْراك، أي: لا يُدْرِكُكَ فرعونُ وجنودُه ولا يلحقونك «ولا تخشى» أنت ولا قومُك غَرَقاً، وعطفُهُ على قراءة الجمهور «لا تخافُ» ظاهرٌ، وأمَّا على قراءة الجزم فخُرِّجَ على أنَّ الألفَ جِيءَ بها لأجْلِ أواخرِ الآي فاصلةً، نحو قوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، وعلى أنه إخبارٌ مستأنف، أي: وأنت لا تخشى، وعلى أنه مجزوم بحذفِ الحركة المقدَّرة على لغة من قال:

ألَمْ يَأْتِيكَ والأنباءُ تَنْمي[7]

(١) هو قطعة من بيت للقَطامي، وتمامه:
كأنَّ نُسُوعَ رَحْلِي حين ضُمَّتْ حَوَالبُ غُرَّزاً ومِعًى جِياعا
وهو في ديوانه ص٤١. قوله: نُسُوع جمع نِسْع، وهو سَيْرٌ عريضٌ طويلٌ تُشَدُّ به الرِّحال، وحوالب جمع حَالِب، وغرَّز جمع غارِز، وهي الناقة التي قلَّ لبنُها.
(٢) القراءات الشاذة ص٨٨، وينظر زاد المسير ٥/ ٣١٠.
(٣) وزاد أبو البقاء والسمين الحلبي وبدأا به أنها على الاستئناف، ينظر الإملاء ٢/ ١٢٥، والدر المصون ٨/ ٨١.
(٤) قراءة حمزة من السبعة، وينظر السبعة ص٤٢١، والتيسير ص١٥٢. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٥.
(٥) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٦٩-٣٧٠.
(٦) القراءات الشاذة ص٨٨.
(٧) هو صدر بيت لقيس بن زهير، وعجزُه: بما لاقَتْ لَبُونُ بني زيادِ. وهو في النوادر ص٢٠٣،

وهي لغة قليلة، وقال الشاعر:

إذا العجوزُ غَضِبَتْ فطَلِّقِ ولا تَرَضَّاها ولا تَمَلَّقِ[١]

وقرأ الجمهور: «فأَتْبَعَهُمْ» بسكون التاء، و«أَتْبَعَ» قد يكون بمعنى «تَبِعَ» فيتعدَّى إلى واحد كقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وقد يتعدَّى إلى اثنين كقوله: «وأَتْبَعْناهُم ذُرِّيَّاتِهِمْ»[٢] فتكون الباء زائدةً، أي: جنودَه، أو تكون للحال والمفعول الثاني محذوف، أي: رؤساءَهُ وحَشَمَهُ.

وقرأ أبو عَمْرو في رواية والحسنُ: «فاتَّبَعَهُم» بتشديد التاء[٣]، وكذا عن الحسن في جميع ما في القرآن إلا ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] والباء في «بجنوده» في موضع الحال كما تقول: خرجَ زيدٌ بسلاحِهِ، أو الباء للتعدِّي لمفعول ثانٍ بحرف جر، إذ لا يتعدَّى «اتَّبَعَ» بنفسه إلا إلى واحد[٤]. وقرأ الجمهور: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ على وزن فَعِلَ مجرَّد من الزيادة، وقرأت فرقة منهم الأعمش: «فغشَّاهُمْ من اليمِّ ما غشَّاهم»[٥] بتضعيف العين، فالفاعل في القراءة الأولى «ما» وفي الثانية الفاعل: الله، أي: فغشَّاهم الله؛ قال الزمخشريّ[٦]: أو فرعون لأنه الذي وَرَّطَ جنودَه وتسبَّب لهلاكهم. وقال: «ما غَشِيَهُم» من باب الاختصار ومن جوامع الكَلِم

= والأغاني ١٧/ ١٩٨، وفيه: ألم يبلغك، وهو في الكتاب ٣/ ٣١٦ والمحتسب ١/ ٦٧ دون نسبة.

(١) الرَّجَز لرؤبة كما في معجم الأدباء ١١/ ١٥٠، وأنشدَه أبو زيد كما في الخصائص ١/ ٣٠٧، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٧٨، والمخصَّص ١٣/ ٢٥٨ و١٤/ ٩، والإنصاف ١/ ٢٦. والبيتُ الثاني من الرجز هو الشاهد (٦٣٥) في خزانة الأدب ٨/ ٣٥٩.

(٢) من الآية (٢١) من سورة الطور، وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ ابنُ عامر: «واتَّبَعَتْهم ذُرِّيَّاتُهم»، وقرأ باقي السبعة: «واتَّبَعَتْهم ذُرِّيَّتُهم».

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥ عن أبي عمرو، وهي في السبعة ص٤٢٢ من رواية عبيد عن أبي عمرو، وفي زاد المسير ٥/ ٣١٠ من رواية هارون عن أبي عمرو. والرواية المشهورة عنه هي رواية الجماعة.

(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: إلى حرف واحد. وهو خطأ. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٥، والكلام فيه بنحوه.

(٥) القراءات الشاذة ص٨٨، وزاد المسير ٥/ ٣١١.

(٦) الكشاف ٢/ ٥٤٧، وفيه القراءة السالفة دون نسبة.

التي تستقلُّ مع قلَّتها بالمعاني الكثيرة، أي: غَشِيَهُم ما لا يعلم كُنْهَهُ إلا الله.

وقال ابن عطية[(١)]: «ما غَشِيَهُم» إبهامٌ أهْوَلُ من النَّصِّ على قدرٍ مّا، وهو كقوله: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦].

والظاهرُ أنَّ الضمير في «غَشِيَهُم» في الموضعين عائدٌ على فرعون وقومِه، وقيل: الأول على فرعونَ وقومِه، والثاني على موسى وقومِه. وفي الكلام حذف على هذا القول تقديرُه: فنجا موسى وقومُه وغرقَ فرعونُ وقومُه[(٢)].

وقال الزجَّاج: وقُرئ: «وجنودُه» عطفاً على فرعون[(٣)].

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ أي: من أول أمرِه[(٤)] إلى هذه النهاية، ويعني الضلالَ في الدِّين.

وقيل: أضلَّهم في البحر لأنهم غرقُوا فيه.

واحتجَّ به القاضي[(٥)] على مذهبِه، فقال: لو كان الضلالُ من خَلْقِ الله لَمَا جازَ أن يقال: وأضلَّ فرعونُ قومَه، بل وجبَ أنْ يُقال: اللهُ أضَلَّهُم، لأنَّ الله تعالى ذَمَّهُ بذلك، فكيف يكون خالقاً للكفر؟ لأنَّ مَنْ ذمَّ غيرَه بفعل شيء[(٦)] لا بدَّ أن يكونَ المذموم فاعلاً لذلك الفعل[(٧)]، وإلا استحقَّ الذامُّ الذمَّ. انتهى. وهو على طريق الاعتزال.

﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ أي: ما هداهم إلى الدِّين، أو ما نَجا من الغرق، أو ما اهتدى في نفسه؛ لأنَّ «هدى» قد يأتي بمعنى «اهْتَدَى».

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥.
(٢) ذكره الآلوسي في روح المعاني ١٦/ ٤٠٥ وقال: ليس بشيء.
(٣) تفسير الرازي ٢٢/ ٩٣. وليست هي في معاني الزجاج.
(٤) المثبت من (د١) و(يه) وهو كذلك في المحرر الوجيز ٤/ ٥٥. والكلام منه. وفي (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: مرَّة.
(٥) هو القاضي عبد الجبَّار المعتزليّ، وكلامه في تفسير الرازي ٢٢/ ٩٣.
(٦) في (يه): سيئ.
(٧) قوله: لا بدَّ أن يكون المذمومُ فاعلاً لذلك الفعل.... صوابُه: لا بدَّ أن يكون الذامُّ غيرَ فاعل لذلك الفعل... إلخ. وإلا فقوله المذكور تحصيلُ حاصل. ولفظُه في المصدر السالف: لأن من ذَمَّ غيره بشيء لا بدَّ وأن يكون هو غير فاعل لذلك الفعل... إلخ.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ ذَكَّرَهُم تعالى بأنواع نِعمِه وبدأ بإزالة ما كانوا فيه من الضُّرِّ من الإذلال والخَراج والذَّبح وهي آكَدُ أن تكونَ مقدَّمة على المنفعة الدنياويَّة لأنَّ إزالة الضرر أعظم في النعمة من إيصال تلك المنفعة.

ثم أعقبَ ذلك بذكر المنفعة الدينيَّة وهو قوله: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ إذْ أنزلَ على نبيِّهم موسى كتاباً فيه بيانُ دينهم وشرحُ شريعتِهم، ثم بذكرِ المنفعة الدنياويَّة، وهو قولُه: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾.

والظاهر أنَّ الخطاب لمن نجا مع موسى بعد إغراقِ فرعون. وقيل: لمعاصري الرسولِ ﷺ اعتراضاً في أثناء قصة موسى توبيخاً لهم إذ لم يصبر سَلَفُهُم على أداء شُكرِ نعمِ الله، فهو على حذف مضاف، أي: أنجينا آباءَكم من تعذيبِ آلِ فرعون. وخاطبَ الجميعَ بـ «واعَدْناكم» وإنْ كان الموعودون هم السبعين الذين اختارَهم موسى عليه السلام لسماع كلامِ الله، لأنَّ سماعَ أولئك السبعين تعودُ منفعتُه على جميعِهم إذْ تطمئنُّ قلوبُهم وتسكنُ. وتقدَّمَ الكلامُ في «جانب الطور الأيمن» في سورة مريم [٥٢] وعلى ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ في سورة البقرة [٥٧].

وقرأ حمزة والكسائيُّ وطلحة: «قَدْ أنجَيْتُكم» «وواعَدْتُكم» «ما رَزَقْتُكم» بتاء الضمير، وباقي السبعة بنون العظمة[١]، وحُميد: «نَجَّيْناكم» بتشديد الجيم من غير ألف قبلها وبنون العظمة. وتقدَّمَ خلافُ أبي عَمرو في «وَاعَدَ» في البقرة [٥١].

والطيِّبات هنا الحلال اللذيذ لأنه جمعَ الوصفَيْن.

وقُرئ: «الأيمنِ» قال الزمخشريّ[٢]: بالجرّ على الجوار، نحو: جُحْرُ ضبٍّ خربٍ. انتهى. وهذا من الشُّذُوذ والقلَّة بحيثُ ينبغي أن لا تُخرَّج القراءةُ عليه، والصحيح أنه نعتٌ للطُّور لِما فيه من اليُمن، وإمَّا لكونه على يمين من يستقبلُ الجبل[٣].

(١) قرأ نافع وعاصم وابن كثير وابن عامر: وواعَدْناكم، وقرأ أبو عَمْرو: ووَعَدْناكم، بغير ألف. ينظر السبعة ص٤٢٢، والتيسير ص٧٣ و١٥٢.

(٢) الكشاف ٢/٥٤٧.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/٥٦.

ونهاهم عن الطغيان فيما رزقهم، وهو أن يتعَدَّوْا حدودَ الله فيها بأن يكفروها ويشغلَهم اللهو والنِّعم عن القيام بشُكرِها وأن يُنفقوها في المعاصي ويمنعُوا الحقوقَ الواجبةَ عليهم فيها.

وقرأ زيد بنُ عليّ: «ولا تطغُوا» فيه بضم الغين[1].

وعن ابن عباس «ولا تَطْغَوْا فيه»: لا يظلم بعضُكم بعضاً فيأخذَه من صاحبه، يعني بغير حقّ[2].

وعن الضحَّاك ومقاتل: لا تُجاوزوا حَدَّ الإباحة.

وعن الكلبي: لا تكفُروا النعمة، أي: لا تستعينُوا بنعمتي على مخالفتي[3].

وقرأ الجمهور: «فيَحِلَّ» بكسر الحاء «ومَنْ يَحْلِلْ» بكسر اللام، أي: فيجبُ ويلحق، وقرأ الكسائي بضمّ الحاء ولام «يَحُلّ»[4] أي: ينزل، وهي قراءة قتادة وأبي حَيْوة والأعمش وطلحة، ووافقَ ابنُ عُتْبَةَ[5] في «يَحْلُلْ» فضمَّ.

وفي «الإقناع» لأبي علي الأهوازي ما نصُّه: ابنُ غزوان عن طلحة: «لا يَحِلَّنَّ عليكم غضبي» بلام ونون مشدَّدة وفتحِ اللام وكسرِ الحاء، أي: لا تتعرَّضُوا للطغيان فيه فيحلَّ عليكم غضبي، من باب: لا أرَيَنَّكَ هنا.

وفي كتاب «اللوامح»: قتادة وعبد الله بنُ مسلم بنِ يسار وابنُ وثَّاب والأعمش: «فيُحِلَّ» بضم الياء وكسر الحاء من الإحلال، فهو متعدٍّ من حَلَّ بنفسه، والفاعل فيه مقدَّر تُرك لشهرته، وتقديرُه: فيُحِلَّ به طغيانُكم غضبي عليكم، ودلَّ على ذلك: «ولا تَطْغَوْا» فيصير «غضبي» في موضع نصب مفعول به، وقد يجوزُ أن يُسند الفعل إلى «غضبي» فيصير في موضع رفع بفعله وقد حُذف منه المفعولُ للدليل عليه، وهو العذاب أو نحوه. انتهى.

---

(١) مثل غدا يغدو. قاله السمين في الدر المصون ٨/ ٨٧.

(٢) تفسير الرازي ٢٢/ ٩٦. وأخرجه الطبري مختصراً بقوله: لا تظلموا.

(٣) القولان في تفسير الرازي ٢٢/ ٩٦. وينظر تفسير الثعلبي ٤/ ٢١٩.

(٤) السبعة ص٤٢٢، والتيسير ص١٥٢.

(٥) لعله الوليدُ بن عتبة، ووقع في المطبوع: ابن عُتيبة، فلعله الحكم.

﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ كَنَى به عن الهلاك، وأصلُه أن يسقط من جبل فيَهلِك، يقال: هَوَى الرجلُ أي: سقط، ويُشَبَّهُ الذي يقعُ في وَرْطةٍ بعد أن كان بنَجْوةٍ منها بالساقط، أو[1] هَوَى في جهنم وفي سَخَطِ الله، وغَضَبُ الله عقوباتُه، ولذلك وُصف بالنزول.

ولما حَذَّرَ تعالى من الطغيان فيما رزقَ وحذَّر من حُلُول غضبِه فَتَحَ بابَ الرجاء للتائبين، وأتى بصيغة المبالغة، وهي قولُه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾[2] قال ابنُ عباس: من الشِّرْك، «وآمَنَ» أي وحَّدَ الله «وعَمِلَ صالحاً» أدَّى الفرائض[3]. «ثم اهْتَدَى»: لَزِمَ الهدايةَ وأدامَها إلى الموافاة على الإسلام[4].

وقيل: معناه لم يَشُكَّ في إيمانه[5]، وقيل: ثم استقام[6]، وقال ابنُ عطية[7]: والذي يَقْوَى في معنى «ثم اهْتَدَى» أن يكون: ثمَّ حَفِظَ مُعتَقَداتِهِ من أن يُخالِفَ الحقَّ في شيء من الأشياء، فإنَّ الاهتداءَ على هذا الوجه غيرُ الإيمان وغيرُ العمل[8].

وقال الزمخشري: الاهتداءُ هو الاستقامةُ والثباتُ على الهدى المذكور، وهو التوبةُ والإيمانُ والعملُ الصالح، ونحوُه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، وكلمة التراخي دلَّت على تباين المنزلتين دلالتَها على تباين الوقتين في: جاءني زيدٌ ثم عَمْرو، أعني أنَّ منزلةَ الاستقامة على الخبر مباينةٌ لمنزلة الخبرِ نفسِه لأنها أعلى منه[9] وأفضل.

---

(١) لعلها «أي» كما في «المحرر الوجيز» ٤/٥٦ والكلام فيه بنحوه.
(٢) نهاية النسخة (د١) عند هذا الموضع.
(٣) تفسير الطبري ١٦/١٢٧.
(٤) هو بنحوه عن قتادة كما في تفسير الطبري ١٦/١٢٨.
(٥) تفسير الطبري ١٦/١٢٧-١٢٨، والنكت والعيون ٣/٤١٦، وتفسير القرطبي ١٤/١١٤.
(٦) بنحوه عن الربيع بن أنس في المصادر السالفة.
(٧) المحرر الوجيز ٤/٥٧، والقولان السالفان وأقوال أُخَر غيرهما فيه.
(٨) وتتمةُ كلام ابن عطية بعده يوضِّحُه؛ قال: ورُبَّ مؤمن عمل صالحاً قد أوبقه عدم الاهتداء كالقدرية والمرجئة وسائر أهل البدع والخوارج، فمعنى «ثم اهتدى»: ثم مشى في عقائد الشرع على طريق قويم، جَعَلَنا اللهُ منهم بمَنِّهِ. وفي حفظ المعتقدات ينحصر عِظَمُ أمر الشرع.
(٩) في الكشاف ٢/٥٤٧: أعلى منها.

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ۝٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ۝٨٦ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٧ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ۝٨٩﴾.

لمَّا نهضَ موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى جانب الطُّورِ الأيمنِ حيث كان الموعدُ أن يكلِّم اللهُ موسى بما فيه شَرَفُ العاجِلِ والآجِل، رأى على وجه الاجتهاد أنْ يَقْدَمَ وحدَه مبادِراً إلى أمرِ الله وحرصاً على القُرب منه وشوقاً إلى مناجاته، واستخلفَ هارونَ على بني إسرائيل، وقال لهم موسى: تسيرون إلى جانب الطُّور. فلمَّا انتهى موسى عليه السلام وناجَى ربَّه زادَهُ في الأجل عَشْراً، وحينئذٍ وقَفَهُ على استعجالِهِ دونَ القوم ليُخبِرَه موسى أنهم على الأثر فيقع الإعلام له بما صنعُوا[1].

و«ما» استفهام، أيْ: أيُّ شيء عَجِلَ بك عنهم؟

قال الزمخشريّ: وكان قد مضى مع النُّقباء إلى الطُّور على الموعدِ المضروبِ، ثم تَقدَّمَهُم شوقاً إلى كلام ربِّه وتنجيز[2] ما وعدَ به بناءً على اجتهاده، وظنَّ أنَّ ذلك أقربُ إلى رضا الله، وزَلَّ عنه أنه عزَّ وجلَّ ما وقَّت أفعالَه إلا نظراً إلى دواعي الحكمة، وعلماً بالمصالح المتعلِّقة بكلِّ وقت، فالمرادُ بالقوم النُّقباء. انتهى.

والظاهرُ أن قوله: «عن قومك» يُريدُ به جميعَ بني إسرائيل كما قد بيَّنَّا قبلُ، لا السبعين[3].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٧.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: وينجز، وفي الكشاف ٢/ ٥٤٨ (والكلام منه): وتنجّز، والمثبت من (ح) و(يه).

(٣) ينظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ (قبل آيتين).

وقال الزمخشري: وليس لقولِ[١] مَنْ جَوَّزَ أن يُرادَ جميعُ قومِه وأن يكونَ قد فارقَهم قبل الميعادِ وجهٌ صحيح، يأباه[٢] قولُه: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ انتهى.

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾ سؤالٌ عن سبب العَجَلة، وأجاب بقوله: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ لأن قوله: «وما أعْجَلكَ» تضمَّن تأخُّر قومِه عنه، فأجابَ مشيراً إليهم لقُربهم منه أنهم على أَثَرِهِ جائين للموعد، وذلك على ما كان عَهِدَ إليهم أن يجيئوا للموعد، ثم ذكرَ السببَ الذي حملَه على العَجَلة وهو ما تضمَّنَه قولُه: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ من طلبِهِ رضا اللهِ تعالى في السَّبق إلى ما وعدَه ربُّه.

ومعنى «إليك»: إلى مكان وَعْدِك، و«لتَرْضَى» أي: ليدومَ رضاك ويستمرَّ، لأنه تعالى كان عنه راضياً.

وقال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: «ما أعْجَلَكَ» سؤالٌ عن سبب العَجَلَة، فكان الذي ينطبقُ عليه من الجواب أن يقال: طلبُ زيادةِ رضاك، والشوقُ إلى كلامك وتَنَجُّزُ موعدِك، وقوله: ﴿هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ كما ترى غيرُ منطبق عليه؟

قلت: قد تضمَّنَ ما واجَهَهُ به ربُّ العزَّة شيئين: أحدُهما: إنكارُ العَجَلةِ في نفسِها، والثاني: السؤالُ عن سبب المستنكَر والحاملِ عليه، فكان أهمَّ الأمرين إلى موسى بسطُ العذر وتمهيدُ العلَّة في نفس ما أنكرَ عليه، فاعتلَّ بأنه لم يوجد منِّي[٣] إلا تقدُّمٌ يسيرٌ مثلُه لا يُعتدُّ به في العادة ولا يُحتَفَلُ به، وليس بيني وبين مَن سبَقْتُهُ إلا مسافةٌ قريبةٌ يتقدَّم بمثلها الوفدَ رأسُهم ومُقدَّمُهم، ثم عقَّبه بجواب السؤال عن السبب فقال: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾، ولقائلٍ أن يقول: حارَ لِما وردَ عليه من التهيُّبِ لعتاب الله، فأذهلَه ذلك عن الجواب المنطبق المترتِّب على حدودِ الكلام. انتهى. وفيه سوء أدب على الأنبياء عليهم السلام.

وقرأ الحسن وابنُ معاذ عن أبيه: «أُولايِ» بياء مكسورة[٤]، وابنُ وثَّاب وعيسى

---

(١) في (ح) والمطبوع: يقول، وفي (أ) و(ع) و(يه): بقولِ. والمثبت من الكشاف ٢/ ٥٤٨.
(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: ما يأباه. والمثبت من المصدر السالف.
(٣) في (يه): منه.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٨، وفيه: أبو معاذ عن أبيه.

في رواية: «أُولا» بالقصر[١]، وقرأت فرقة: «أولايَ» بياء مفتوحة[٢].

وقرأ عيسى ويعقوب وعبد الوارث عن أبي عَمرو وزيدُ بنُ عليّ: «إثْرِي» بكسر الهمزة وسكون الثاء[٣]، وحكى الكسائيُّ «أُثْرِي» بضم الهمزة وسكون الثاء[٤]، وتُروى عن عيسى.

وقرأ الجمهور: «أولاءِ» بالمدِّ والهمز «على أَثَرِي» بفتح الهمز والثاء. و«على أثَرِي» يحتمل أن يكون خبراً بعد خبر، أو في موضع نصب على الحال.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ أي: اختبَرْناهم بما فعلَ السَّامريّ، أو ألقيناهم في فتنة، أي: ميلٍ مع الشهوات ووقوعٍ في اختلاف «من بعدِك» أي: من بعد فراقِكَ لهم.

وقال الزمخشري: أراد بالقوم المفتونين الذين خلَّفهم مع هارون، وكانوا ستَّ مئة ألف، ما نَجا من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً.

فإن قلت: في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقتِه عشرينَ ليلةً، وحَسَبُوا[٥] أربعين مع أيامها وقالوا: قد أكملنا العِدَّة، ثم كان أمرُ العجلِ بعدَ ذلك، فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مَقْدَمِه: «إنَّا قد فتنَّا قومَك من بعدك»؟

قلت: قد أخبرَ الله تعالى عن الفتنة المترقَّبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته، أو افترضَ السامريُّ غَيْبَتَه، فعزمَ على إضلالهم غِبَّ انطلاقِه[٦] وأخذَ في تدبيرِ ذلك، فكان بَدْءَ الفتنة موجوداً. انتهى.

وقرأ الجمهور: «وأضلَّهم» فعلاً ماضياً، وقرأ أبو معاذ وفرقة: «وأضلُّهم» برفع

---

(١) المصدر السالف عن عيسى.
(٢) المصدر السالف عن ابن وثّاب. قال الزجاج في معاني القرآن ٣/ ٣٧١: لا وجه لها، لأن الياء لا تكون بعد الألف آخرةً إلا للإضافة، نحو هُدايَ.
(٣) ينظر القراءات الشاذة ص٨٨. وقراءة يعقوب من العشرة، وهي من رواية رُويس عنه. ينظر النشر ٢/ ٣٢١.
(٤) القراءات الشاذة ص٨٨-٨٩.
(٥) في الكشاف ٢/ ٥٤٩ (والكلام منه): وحَسَبُوها.
(٦) أي بعد انطلاقه.

اللام[١] مبتدأ و«السامِريُّ» خبرُه، وكان أشدَّهم ضلالاً لأنه ضالٌّ في نفسه مُضِلٌّ غيرَه، وفي القراءة الشُّهْرَى أسندَ الضلالَ إلى السَّامِريّ لأنه كان السببَ في ضلالهم. وأسندَ الفتنةَ إليه تعالى لأنه هو الذي خلقَها في قلوبهم.

والسَّامِرِيّ قيل: اسمُه موسى بنُ ظَفَر[٢]، وقيل منجا[٣]، وهو ابنُ خالة موسى أو ابنُ عمِّه، أو عظيمٌ من بني إسرائيل من قبيلة تُعرف بالسَّامِرَة، أو عِلْجٌ من كَرْمَان[٤]، أو من باجَرْمَا[٥]، أو من اليهود، أو من القِبْط، آمنَ بموسى وخرجَ معه وكان جارَه، أو من عُبَّاد البقر؛ وقعَ في مصر، فدخلَ في بني إسرائيل[٦] بظاهرِهِ وفي قلبه عبادةُ البقر، أقوال.

وتقدَّم في «الأعراف» [١٤٨] كيفية اتخاذ العجل، وقبل ذلك في البقرة [٥١]، فأغْنَى عن إعادته هنا.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وذلك بعدما استَوْفَى الأربعين، وانتصبَ «غضبانَ أسِفاً» على الحال والأسَفُ أشدُّ الغضب.

وقيل: الحزنُ، وغضبُه من حيث له قدرة على تغيير مُنكرهِم، وأسَفُه - وهو حُزْنُه - من حيث علمَ أنه موضعُ عقوبة لا يدَ له بِدَفْعِها ولا بدَّ منها.

قال ابنُ عطيَّة[٧]: والأسفُ في كلام العرب متى كان مِن ذي قدرة على مَنْ

---

(١) القراءات الشاذة ص٨٩، ونسبت في زاد المسير ٥/ ٣١٣ لمعاذ القارئ وأبي المتوكل وعاصم الجحدري وابنِ السميفع، وهي في الكشاف ٢/ ٥٤٩ والمحرر الوجيز ٤/ ٥٧ دون نسبة.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٦٧٣ في تفسير الآية (٥١) من سورة البقرة، وسلف في الأعراف (١٤٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في المنتظم ١/ ٣٥٣ عن ابن المنادي.

(٤) تفسير الرازي ٢٢/ ١٠١، وتفسير القرطبي ١٤/ ١١٨. وكَرْمان ولاية كبيرة من بلاد فارس. ينظر معجم البلدان ٤/ ٤٥٤.

(٥) تفسير الطبري ١/ ٦٧٢ (في خبر مطوّل)، والكشاف ٢/ ٥٤٩. وباجَرْما قرية قريبة من الرَّقَّة من أرض الجزيرة. ينظر معجم البلدان ١/ ٣١٣.

(٦) في تفسير القرطبي ١٤/ ١١٨ (والكلام فيه): فدخل في دين بني إسرائيل... وفي (يه): فدخل على بني إسرائيل.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٥٨.

دونَه فهو غضب، ومتى كان مِن الأقلِّ على الأقوى فهو حُزْن، وتأمَّلْ ذلك فهو مطَّرد.

ثم أخذَ موسى عليه السلام يُوبِّخُهم على إضلالهم، والوَعْدُ الحسَن ما وعَدَهُم من الوصولِ إلى جانب الطُّور الأيمن، وما بعدَ ذلك من الفتوح في الأرض، والمغفرةِ لمن تاب وآمن، وغيرِ ذلك ممَّا وعدَ الله أهلَ طاعتِه.

وقال الزمخشري[1]: وعَدَهُم الله بعد ما استَوْفَى الأربعين أن يُعطيَهُم التوراةَ التي فيها هدًى ونورٌ، ولا وَعْدَ أحْسَنُ من ذاك وأجمل.

وقال الحسن: الوَعْدُ الحسنُ الجنَّة، وقيل: أن يُسْمِعَهُم كلامَهُ[2].

و«العَهد»: الزمان، يُريد [مدَّةَ] مفارقتِه لهم، يُقال: طالَ عَهْدِي بك[3]، أي: طالَ زماني بسبب مفارقتِك، وعَدُوه أن يُقيموا على أمرِهِ وما تركَهم عليه من الإيمان، فأخْلَفُوا مَوْعِدَه بعبادتهم العجل. انتهى.

وانتصبَ «وَعْداً» على المصدر، والمفعولُ الثاني لـ «يَعِدْكُم» محذوف، أو أُطلق الوعد ويُراد به الموعود، فيكون هو المفعول الثاني.

وفي قوله: «أفَطَالَ» إلى آخره، توقيف على أعذار لم تكن ولا تصحُّ لهم، وهو طُولُ العهد حتى يتبيَّن لهم خُلف في الموعد، وإرادةُ[4] حلولِ غضبِ الله، وذلك كلُّه لم يكن، ولكنهم عملوا عَمَلَ من لم يتدبَّر، وسُمِّيَ العذابُ غضباً من حيث هو ناشئ عن الغضب، فإنْ جُعل بمعنى الإرادة فصفة ذات، أو عن ظهور النِّقْمة والعذاب فصفةُ فِعل[5].

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٤٩.

(٢) القولان في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٥٤ وتفسير القرطبي ١٤/ ١١٨ دون نسبة. والأول بنحوه في النكت والعيون ٣/ ٤١٨.

(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: بكذا. والمثبت (وما سلف بين حاصرتين) من الكشاف ٢/ ٥٤٩، والكلام منه.

(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ٥٨ (والكلام منه): أو إرادة.

(٥) بعده في المصدر السالف: فهو من المتردِّد بين الحالين.

و«مَوْعِدي» مصدر يحتمل أن يُضاف إلى الفاعل، أي أَوَجَدْتُموني أخلفتُ ما وعَدْتُكم؟ من قَول العرب: فلانٌ أخلفَ وَعْدَ فلان: إذا وجدَه وقعَ فيه الخُلف. قاله المفضَّل، وأن يُضاف إلى المفعول، وكانوا وعدُوه أن يتمسَّكُوا بدين الله وسُنَّةِ موسى عليه السلام ولا يُخالفوا أمْرَ الله أبداً، فأخلفُوا موعدَه بعبادتهم العجل.

وقرأ الأخَوَان والحسن والأعمش وطلحةُ وابنُ أبي ليلى وقَعنب: «بِمُلْكِنا» بضمّ الميم، وقرأ زيد بن عليّ ونافع وعاصم وأبو جعفر وشيبة وابنُ سعدان بفتحها، وباقي السبعة بكسرها[١]، وقرأ عمر رضي الله عنه: «بِمَلَكِنا» بفتح الميم واللام، وحقيقتُه: بسلطاننا، فالمُلْكُ والمِلْكُ بمنزلة النُّقْضِ والنِّقْض[٢]، والظاهر أنها لغات والمعنى واحد، وفرَّقَ أبو عليّ[٣] وغيرُه بين معانيها، فمعنى الضمّ أنه لم يكن لنا مُلْكٌ فنُخلِفَ مَوْعِدَكَ بسلطانه، وإنَّما أخلَفْناه بنظرٍ أدَّى إليه ما فعلَ السامِرِيّ، فليس المعنى أنَّ لهم مُلكاً، وإنما هذا كقولِ ذي الرُّمَّة:

لا يُشْتَكَى سَقَطٌ منها وقد رَقَصَتْ بها المَفَاوِزُ حتى ظَهْرُها حَدِبُ[٤]

أي: لا يكون منها سَقْطَةٌ فتُشْتَكَى.

وفتحُ الميم مصدر من مَلَكَ، والمعنى: ما فَعَلْنا ذلك بأنَّا مَلَكْنا الصوابَ ولا وقَفْنا له، بل غَلَبَتْنَا أنفسُنا، وكَسْرُ الميم كَثُرَ استعمالُه فيما تَحُوزُه اليدُ، ولكنه يُستعمل في الأمور التي يُبْرِمُها الإنسان، ومعناها كمعنى التي قبلَها، والمصدرُ في هذين الوجهين مضافٌ إلى الفاعل، والمفعولُ مقدَّر، أي: بملكنا الصوابَ.

---

(١) ينظر السبعة ص٤٢٢، والتيسير ص١٥٣، والنشر ٢/ ٣٢١. وقرأ بضم الميم أيضاً خلف من العشرة.

(٢) وهو المنقوض، ويقال النَّقَض أيضاً (بالتحريك) ينظر تاج العروس (نقض).

(٣) الحجة ٥/ ٢٤٤، وذكره أيضاً عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٨.

(٤) ديوان ذي الرُّمَّة (بشرح أبي نصر صاحب الأصمعي) ١/ ٤٤، وروايتُه فيه: وتُشْتَكَى سَقْطَة منها... وهو برواية المصنف في المحرر الوجيز ٤/ ٥٨، والسَّقْطَةُ والسَّقَطُ، أي: العَثْرة (كما في تاج العروس). وقوله: حتى ظهرُها حَدِبُ، أي: قد حَدِبَ من الهُزال. قاله شارحُه. والبيت في وصف ناقته.

وقال الزمخشري: أي: ما أخْلَفْنا مَوْعِدَك بأنْ مَلَكْنا أمْرَنا، أي: لو ملَكْنَا أمْرَنا وخُلِّينا ورَأْيَنَا لَمَا أخْلَفْنَاه، ولكن غُلِبْنا من جهة السَّامِرِيِّ وكيدِه[١].

وقرأ الأخَوان وأبو عَمرو وابنُ مُحيصن بفتح الحاء والميم[٢]، وأبو رجاء بضمّ الحاء وكسر الميم، وقرأ باقي السبعة وأبو جعفر وشيبة وحُميد ويعقوب غيرَ رَوْح كذلك إلا أنهم شدَّدُوا الميم.

والأوزار: الأثقال، أطلق على ما كانوا استعارُوا من القِبْط برسم التزيُّن أوزاراً لِثِقَلها، أو لسببِ أنهم أَثِمُوا في ذلك، فسُمِّيت أوزاراً لمَّا حصلت الأوزارُ - التي هي الآثام - بسببها، والقومُ هنا القِبْط.

وقيل: أمرَهم بالاستعارة موسى، وقيل: أمرَ الله موسى بذلك، وقيل: هو ما ألقاه البحرُ ممَّا كان على الذين غرقوا، وقيل: الأوزار هنا الآثام من جهة أنهم لم يَرُدُّوها إلى أصحابها[٣]. ومعنى أنهم حُمِّلوا الآثامَ وقذفوها على ظهورهم كما جاء: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١] وقيل: معنى «فقَذَفْنَاها» أي: الحُلِيَّ على أنفسنا وأولادنا، وقيل: فقذفناها في النار، أي ذلك الحُلِيّ، وكان أشارَ عليهم بذلك السامِرِيُّ، فحُفرت حفرة وسُجرت فيها النار وقَذَفَ كلُّ مَنْ معه شيءٌ ما عندَه من ذلك في النار، وقَذفَ السَّامِرِيُّ ما معه.

ومعنى «فكذلك» أي: مِثْلَ قَذْفِنا إيَّاها ألقَى السَّامِرِيُّ ما كان معه، وظاهرُ هذه الألفاظ أنَّ العجل لم يَصُغْهُ السَّامِرِيّ.

وقال الزمخشريّ: «فكذلك ألقَى السَّامِرِيّ» أراهم أنه يُلقي حُلِيًّا في يدِه مثلَ ما أَلْقَوْا، وإنما ألقَى التُّربةَ التي أخذَها من موطئ حَيْزُوم فرسِ جبريلَ عليه السلام، أوْحَى إليه وليُّه الشيطان أنها إذا خالطَتْ مَوَاتاً صارَ حيواناً، فأخرجَ لهم السَّامِرِيُّ

(١) الكشاف ٢/ ٥٥٠.

(٢) وقرأ بها أيضاً شعبة ورَوْح وخَلَف. ينظر السبعة ص٤٢٣، والتيسير ص١٥٣، والنشر ٢/ ٣٢٢.

(٣) تنظر الأقوال السالفة بنحوها في النكت والعيون ٣/ ٤١٨، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٠٣، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٣٣، و١٤/ ١٢٠.

من الحفرة عِجْلاً خلقَه اللهُ من الحُلِيّ التي سبكَتْها النارُ يخورُ كخَوْرِ العَجاجِيل، والمرادُ بقوله: إنَّا قد فتنَّا قومَك هو خلقُ العجلِ للامتحان، أي: امتحنَّاهم بخلقِ العجل، وحملَهم السَّامِريُّ على الضلال وأوقعَهم فيه حين قال لهم: «هذا إلهكم وإلهُ موسى» انتهى.

وقيل: معنى «جسداً»: شخصاً، وقيل: لا يتغذَّى، وتقدَّم الكلام على قوله: «له خُوار» في «الأعراف» [١٤٨].

والضمير في «فقالوا» لبني إسرائيل، أي: ضلُّوا حين قال كبارهم لصغارهم، و«هذا» إشارة إلى العجل، وقيل: الضمير في «فقالوا» عائدٌ على السَّامِريّ؛ أخبر عنه بلفظ الجمع تعظيماً لجُرْمِهِ، وقيل: عليه وعلى تابعيه.

وقرأ الأعمش: «فنَسِي» بسكون الياء[١].

والظاهر أنَّ الضمير في «فنَسِيَ» عائد على السَّامِرِيّ، أي: فنَسِيَ إسلامَه وإيمانَه. قاله ابنُ عبَّاس، أو فترَكَ ما كان عليه من الدِّين. قاله مكحول، وهو كقول ابن عباس، أو فنَسِيَ أنَّ العجلَ لا يرجعُ إليهم قولاً ولا يملكُ لهم ضَرًّا ولا نفعاً[٢].

أو فنَسِيَ الاستدلال على حدوث الأجسام، وأنَّ الإلَـهَ لا يَحُلُّ في شيء ولا يَحُلُّ فيه شيء[٣]. وعلى هذه الأقوال يكون «فنَسِيَ» إخباراً من الله عن السَّامِريّ.

وقيل: الضمير عائد على موسى عليه السلام، أي: فنَسِيَ موسى أن يذكر لكم أن هذا إلهكُم، أو فنسيَ الطريقَ إلى ربِّه، وكلا هذين القولين عن ابن عباس، أو فنَسِيَ موسى إلهه عندكم وخالفَه في طريق آخر، قاله قتادة[٤]. وعلى هذه الأقوال يكون من كلام السَّامِريّ.

---

(١) ذكرها ابن عطية عن الأعمش في المحرر الوجيز في اللفظة الآتية في الآية (١١٥): ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

(٢) الأقوال في زاد المسير ٥/ ٣١٤، وهو عن ابن عباس في تفسير الطبري ١٦/ ١٤٠-١٤١، وينظر النكت والعيون ٣/ ٤١٩.

(٣) تفسير الرازي ٢٢/ ١٠٤.

(٤) زاد المسير ٥/ ٣١٤. وينظر تفسير الطبري ١٦/ ١٤١.

ثم بيَّنَ تعالى فسادَ اعتقادِهم بأنَّ الألوهيَّة لا تصلحُ لمن سُلبت عنه هذه الصفات، فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ وهذا كقول إبراهيم لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢].

والرؤية هنا بمعنى العلم، ولذلك جاء بعدها «أنْ» المخفَّفة من الثقيلة، كما جاء: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. بـ «أنَّ» الثقيلة.

وبرفعِ «يَرْجِعُ» قرأ الجمهور، وقرأ أبو حَيْوَة: «أنْ لا يرجعَ» بنصب العين، قاله ابن خالويه[١]، وفي «الكامل»[٢]، ووافقه على ذلك وعلى نصب «ولا يملك» الزعفرانيّ وابنُ صُبيح وأبانُ والشافعيّ محمد بنُ إدريس الإمام المطَّلبيّ، جعلوها «أنْ» الناصبة للمضارع، وتكون الرؤية من الإبصار[٣].

* * *

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟
أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ
رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ
إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ
يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا
وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ
لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى
ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾
كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ
يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ

---

(١) القراءات الشاذة ص٨٩.

(٢) هو الكامل في القراءات لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهُذلي، تكرر ذكره في الكتاب.

(٣) نقل الآلوسي في روح المعاني ١٦/٤٢٨ عن الرَّضيّ وغيره أنَّ «أنْ» الناصبة لا تقع بعد أفعال القلوب ممّا يدلُّ على يقين أو ظنٍّ غالب، لأنها لكونها للاستقبال تدخلُ على ما ليس بثابت مستقرّ، فلا يناسبُ وقوعُها بعد ما يدلُّ على يقين ونحوه. . .

وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا
يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى
نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ
ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا
فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ
بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ
مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ
إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾
إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ
ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ
لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ
رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى
هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً
ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾
قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ
رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى
مَسَـٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ
مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ
ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا
مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ
عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ
تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ
أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ
فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾.

المفردات

اللِّحْيةُ معروفة، وتُجمع على لِحًى بكسر اللام وضمِّها.

نَسَفَ يَنْسِفُ بكسر سين المضارع وضمِّها نَسْفاً: فَرَّقَ وذَرَّى، وقال ابن الأعرابيّ: قَلَعَ من الأصل[(١)].

الزُّرْقَة: لونٌ معروف، يقال: زَرِقَتْ عَيْنُهُ وازْرَقَّت وازْرَاقَّت.

القاع؛ قال ابن الأعرابي: الأرضُ الملساء لا نباتَ فيها ولا بناء[(٢)]. وقال الجوهريّ: المستوي من الأرض[(٣)]. ومنه قولُ ضِرارِ بنِ الخطَّاب:

لـتـكـونـنَّ بـالـبِـطـاحِ قُـريـشٌ فَـقْـعَـةَ الـقـاعِ فـي أَكُـفِّ الإمـاءِ[(٤)]

والجمع أَقْوُع، وأَقْوَاع وقِيعان، وحكى مكِّيٌّ أنَّ القاعَ في اللغة المكان المنكشف[(٥)]، وقال بعض أهل اللغة: القاعُ مستنقع الماء[(٦)].

الصَّفْصَف: المستوي الأملس، وقيل: الذي لا نباتَ فيه، وهو مضاعف كالسَّبْسَب[(٧)].

---

(١) في تهذيب اللغة ١٣/٦ عن ابن الأعرابي: النَّسْفُ: القَلْعُ، وفي ياقوتة الصراط ص٣٥٠ وتفسير القرطبي ١٣٦/١٤ عنه: يَنْسِفُها نَسْفاً: يقلعُها قَلْعاً من أصولها.

(٢) ياقوتة الصراط ص٣٥١، وتفسير القرطبي ١٣٧/١٤.

(٣) الصحاح (قوع) ٣/ ١٢٧٤.

(٤) البيت من قصيدة لِضِرارِ بنِ الخطَّاب؛ خاطبَ بها رسولَ الله ﷺ يومَ فتح مكة عندما توعَّدَ سعدُ بنُ عبادة أبا سفيان بقوله: اليومَ يومُ الملحمة، اليومَ تُستَحَلُّ الحُرْمَة، اليومَ أذلَّ الله قريشاً. تنظر القصيدة في ترجمة سعد بن عُبادة في الاستيعاب ص٢٨٢. والبيتُ أيضاً في المحرر الوجيز ٤/ ٦٤، وتحرف فيه «فَقْعَة» إلى «بقعة». قوله: «فَقْعَةُ القاع» يقال لمن لا أصلَ له، وذلك لأنَّ الفَقْعَةَ لا عروق لها ولا أغصان، والفَقْعَةُ: الكمأة البيضاء. قاله المبرِّد في الكامل ٣/١٠٩٣. وجاء في مجمع الأمثال ١/ ٢٨٤: أذلُّ من فَقْعٍ بقَرْقَرَة. قال الميداني: لأنه لا يمتنع على من اجتناه، ويقال: بل لأنه يُوطأ بالأرجل، وجمعُ فَقْع: فَقَعَة. (يعني أن التاء فيها للجمع لا للمفرد).

(٥) الهداية ٧/ ٤٦٩٩.

(٦) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ١٩١، ونقله عنه القرطبي ١٣٧/١٤.

(٧) أي: المفازة، أو الأرض المستوية البعيدة، والجمع سباسب.

الأَمْتُ: التَّلُّ، والعِوَج: التعوُّج في الفِجاج. قاله ابن الأعرابيّ[(١)].

الهَمْسُ: الصوتُ الخَفِيّ. قاله أبو عُبيدة[(٢)]، وقيل: وَطْءُ الأقدام؛ قال الشاعر:

وهُنَّ يَمْشِينَ بنا هَمِيسَا[(٣)]

ويقال للأسد: الهَمُوس لِخَفَاءِ وَطْئِهِ، ويقال: هَمَسَ الطعامَ: مَضَغَهُ[(٤)].

عَنَا يَعْنُو: ذَلَّ وخَضَعَ، وأعْنَاه غيرُه: أذلَّه، وقال أمية بن أبي الصَّلْت[(٥)]:

مَلِيكٌ على عَرْشِ السَّماءِ مُهَيْمِنٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الوُجُوهُ وتَسْجُدُ

الهَضْمُ: النَّقْصُ، تقول العرب: هَضَمْتُ لك حقِّي، أي: حَطَطْتُ منه، ومنه: هَضِيمُ الكَشْحَيْن، أي: ضامِرُهُما. وفي «الصّحاح»[(٦)]: رجلٌ هَضِم ومُهْتَضَم: مظلوم، وتهضَّمه واهتَضَمَه: ظَلَمَه، وقال المتوكِّل الليثي:

إنَّ الأذِلَّةَ واللِّئامَ لَمَعْشَرٌ مَوْلاهُمُ المُتَهضَّمُ المظلومُ[(٧)]

عَرِيَ يَعْرَى: لم يكن على جِلدِهِ شيء يَقِيهِ، قال الشاعر:

وأنْ يَعْرَيْنَ إنْ كَسِيَ[(٨)] الجَوَارِي فتَنْبُو العينُ عن كَرَمٍ عِجَافِ[(٩)]

(١) ياقوتة الصراط ص٣٥١، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٧.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٠، وهو قول مجاهد كما في النكت والعيون ٣/ ٤٢٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٩.

(٣) أنشده ابنُ عبَّاس وهو مُحْرِمٌ كما في تفسير الطبري ٣/ ٤٥٨-٤٥٩. وينظر أيضاً تفسير الطبري ١٦/ ١٦٨، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٩.

(٤) في القاموس (همس): الهَمْسُ: مَضْغُ الطعام والفمُ منضمٌّ، وبنحوه في تفسير القرطبي ١٤/ ١٣٩.

(٥) ديوانه ص٣٩.

(٦) مادة (هضم). والكَشح: ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخلف.

(٧) طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٨٤ (وفيه: معاشر، بدل: لَمَعْشَرٌ)، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٤٣. والبيت من قصيدة للمتوكل وفيها البيت المشهور:

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

(٨) وزن «فَرِحَ» كما قيَّده ابنُ هشام في مغني اللبيب ص٦٨٣. وينظر اللسان (كَسَا).

(٩) نسبَهُ المبرِّد في الكامل ٣/ ١٠٨٢ لأبي خالد القَنَاني الخارجي، وذكر الأصبهاني في الأغاني ١٨/ ١٠٨ عن أبي عَمرو الشيباني أنه لِعمْران بن حِطَّان، وذكر عن المدائني أنه لعيسى

ضَحِيَ يَضْحَى: بَرَزَ للشمس؛ قال عُمر بنُ أبي ربيعة:

رَأَتْ رجلاً أَيْمَا إذا الشمسُ عارَضَتْ فيَضْحَى وأمَّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ(١)

الضَّنْك: الضِّيقُ والشدَّة، ضَنُكَ عيشُه يَضْنُكُ ضَنَاكَةً وضَنْكاً، وامرأةٌ ضِناك: كثيرةُ اللحم ضاقَ(٢) جِلْدُها به.

«زَهْرَة» بفتح الهاء وسكونها نحو: نَهْر ونَهَر: ما يَرُوقُ(٣) من النَّوْر(٤)، وسِراجٌ زاهرٌ: له بَرِيق، والأنْجم الزُّهْر: المضيئة، وأزْهَرَ الشجرُ: بَدَا زَهْرُهُ، وهو النَّوْر.

* * *

التفسير ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾.

أَشْفَقَ هارونُ على نفسه وعليهم وبَذَلَ لهم النصيحةَ، وبَيَّنَ أنَّ ما ذهبوا إليه من

= الحَبَطيّ، ونُسب في اللسان (عجف) لِمرْداس بن أُذَيَّة، ونُسب فيه في (كَسَا) لسعيد بن مسجوح، وقيل غير ذلك، ينظر اللسان (كرم)، وشرح أبيات المغني ٧/ ١٣٨-١٤٠، وشعر الخوارج ص٥٧-٥٨. والبيت من عدة أبيات ذكر قائلُها أنه مَنَعَتْهُ الشفَقَةُ على بَناتِهِ من الخروج للقتال. وقوله: كَرَمِ: وَصْفٌ بالمصدر، أي: ذوات كَرَم.

(١) ديوانه ص٩٤، وروايته فيه: أمَّا إذا الشمس. . .، و«أَيْمَا» لغة في «أمَّا» بقلبِ الميم ياءً، وقولُه: يَخْصَرُ، أي: يُؤْلِمُهُ البردُ في أطرافِهِ، من الخَصَر، بالتحريك، وهو البَرْد. وخَصِرَ من باب فَرِحَ.

(٢) في النسخ الخطيَّة والمطبوع: صار، وهو تحريف. وينظر الدُّرّ المصون ٨/ ١١٦.

(٣) في (يه): ما يُورِقُ.

(٤) في تفسير القرطبي ١٤/ ١٦٣: زَهْرُ الأشجار: ما يروقُ من ألوانها.

أمرِ العِجْلِ إنما هو فتنةٌ، إذْ كان مأموراً من عندِ الله بالأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أخيه موسى عليه السلام ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِى﴾ الآية، ولا يمكنه أنْ يُخالفَ أمرَ اللهِ وأمرَ أخيه(١).

ورُوِيَ أنَّ الله أَوْحَى إلى يُوشَع إني مُهْلِكٌ من قومك أربعينَ ألفاً(٢)، فقال: يا ربّ، فما بالُ الأخيار؟! قال: إنَّهم لم يغضبوا لغضبي.

والمضاف إليه المقطوع عنه «من قبلُ» قدَّره الزمخشريُّ: من قبلِ أن يقولَ لهم السامريُّ ما قال، كأنهم أوَّلَ ما وَقَعَتْ عليه أبصارُهم حين طلعَ من الحفرة افتتنُوا به واستحسنُوه، فقَبْلَ(٣) أنْ ينطقَ السامريُّ بادرَ هارونُ عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

وقال ابن عطية(٤): أخبرَ عزَّ وجلَّ أنَّ هارونَ قد كان قال لهم في أوَّلِ حالِ العِجْل: إنَّما هي فتنةٌ وبلاءٌ وتمويهٌ مِن السَّامِرِيّ، وإنَّما ربُّكم الرحمنُ الذي له القُدرةُ والعلمُ والخَلْقُ والاختراع، فاتَّبِعُوني إلى الطُّور الذي واعَدَكم اللهُ تعالى إليه، وأطيعوا أمْرِي فيما ذكرتُه لكم. انتهى.

والضمير في «به» عائدٌ على العِجل؛ زَجَرَهُم أوَّلاً هارونُ عن الباطل وإزالةِ الشبهة بقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ ثم نَبَّهَهُمْ على معرفةِ ربِّهم، وذكرَ وصفَ الرحمة تنبيهاً على أنهم متى تابُوا قَبِلَهُمْ، وتذكيراً لتخليصِهم من فرعونَ زمانَ لم يُوجد العِجل، ثم أمرَهم باتِّباعِهِ تنبيهاً على أنه نبيٌّ يجبُ أنْ يُتَّبَعَ ويُطاعَ أمرُه(٥).

وقرأ الحسن وعيسى وأبو عَمرو في رواية: «وأنَّ ربَّكم» بفتح الهمزة(٦)،

(١) بنحوه في تفسير الرازي ٢٢/١٠٥.
(٢) في المصدر السالف (والخبر فيه): أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم.
(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: قبل. والمثبت من الكشاف ٢/ ٥٥٠ والكلام منه.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٩-٦٠.
(٥) ينظر تفسير الرازي ٢٢/١٠٦.
(٦) نُسبت في إتحاف الفضلاء ص٣٨٧ للحسن. والقراءةُ المشهورةُ عن أبي عمرو هي قراءةُ الجمهور بكسر الهمزة.

والجمهور بكسرها، والمصدرُ المنسبِكُ منها[١] في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديرُه: والأمرُ أنَّ ربَّكم الرحمنُ، فهو من عطف جملة على جملة، وقدَّرَهُ أبو حاتم: ولأنَّ ربَّكم الرحمنُ.

وقرأت فرقة: «أنَّما» و«أنَّ ربَّكم» بفتح الهمزتين، وتخريجُ هذه القراءة على لغة سُليم حيث يفتحون «أنَّ» بعد القولِ مطلقاً.

ولمَّا وعظَهم هارونُ ونبَّههم على ما فيه رُشْدُهم اتَّبعُوا سبيلَ الغَيّ وقالُوا: لن نَبْرَحَ على عبادته مقيمين ملازمين له، وغَيَّوْا ذلك برجوع موسى، وفي قولهم ذلك دليلٌ على عدم رجوعِهم إلى الاستدلال وأخْذِهم بتقليدِ السَّامِرِي[٢]، ودلالةٌ على أنَّ «لَنْ» لا تقتضي التأبيد خلافاً للزمخشريّ[٣]، إذْ لو كان من موضوعها التأبيد لما جازت التَّغيِيَة بـ «حتَّى» لأنَّ التَّغيِيَة لا تكونُ إلا حيث يكون الشيء محتملاً فيزيل ذلك الاحتمال بالتَّغيِيَة. وقبلَ قولِه: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ﴾ كلامٌ محذوف تقديرُه: فرجَعَ موسى ووجَدَهم عاكفين على عبادةِ العِجل، قال: يا هارون.

وكان ظهورُ العِجل في سادسٍ وثلاثين يوماً، وعبدُوه، وجاءهم موسى بعد استكمالِ الأربعين[٤]، فعتَبَ موسى على عدم اتِّباعه لمَّا رآهم قد ضلُّوا.

و«لا» زائدة، كهي في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال عليُّ بنُ عيسى: دخلت: «لا» هنا لأنَّ المعنى: ما دعاك إلى أنْ لا تتَّبعني، وما حملَكَ على أنْ لا تتَّبعني بمن معكَ من المؤمنين؟ أفعصيت أمري؟ يريد قوله: ﴿اَخْلُفْنِي﴾ الآية.

وقال الزمخشريّ: ما منعكَ أنْ تتَّبعني في الغضب للهِ وشدَّةِ الزَّجْرِ عن الكفر والمعاصي، وهلَّا قاتلتَ مَنْ كفرَ بمَنْ آمنَ، وما لَكَ لم تُباشِرِ الأمرَ كما كنتُ

---

(١) يعني من «أنَّ» المفتوحة.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: وأخذِ بتقليدهم السامري.

(٣) وذلك في أحد قوليه كما نقل المصنف عنه في تفسير الآية (٢٤) من سورة البقرة، وينظر التعليق عليه ثمة، وينظر أيضاً كتاب «النحو وكتب التفسير» ١/ ٧١٣-٧١٤ للدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة.

(٤) النكت والعيون ٣/ ٤١٩ عن مقاتل.

أُباشِرُهُ أنا لو كنتُ شاهداً؟ أو ما لَكَ لم تلحقني[١]؟ وفي ذلك تحميلٌ للَّفظِ ما لا يحتملُه وتكثير.

ولمَّا كان قوله: «تتَّبعني» لم يُذْكَر متعلَّقُهُ كان الظاهرُ: أن لا تتَّبعني إلى جبل الطُّور ببني إسرائيل، فيجيءُ اعتذارُ هارون بقوله: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إذْ كان لا يتَّبعُهُ إلا المؤمنون، ويبقَى عُبَّادُ العِجل عاكفين عليه كما قالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾.

ويحتملُ أن يكون المعنى: «تتَّبعني»: تسيرُ بِسَيْرِي في الإصلاح والتسديد، فيجيءُ اعتذارُه أنَّ الأمرَ تَفاقَمَ، فلو تقَوَّيْتُ عليه تقاتلوا واختلفوا فكان تفريقاً بينهم، وإنما لايَنْتُ جُهدي[٢].

وقرأ عيسى بن سليمان الحجازي: «بلَحْيَتي» بفتح اللام، وهي لغةُ أهلِ الحجاز[٣].

وكان موسى عليه السلام شديدَ الغضب للهِ ولدينِه، ولمَّا رأى قومَه عبدُوا عِجْلاً من دون الله بعد ما شاهدُوا من الآيات العِظام لم يتمالك أن أقبلَ على أخيه قابضاً على شَعْرِ رأسِهِ ـ وكان كثيرَ الشَّعر[٤] ـ وعلى شعرِ وجهِهِ يجرُّه إليه، فأبدَى عُذْرَه فإنه[٥] لو قاتلَ بعضَهم ببعض لتفرَّقُوا وتفانَوْا، فانتظرتُك لتكونَ المتدارِكَ لهم، وخشيتُ عتابَك على إطراحِ ما وصيتَني به والعمل بموجبها.

وتقدَّم الكلامُ على «ابنَ أمَّ» قراءةً وإعراباً وغيرَ ذلك[٦].

وقرأ أبو جعفر: «ولم تُرْقِبْ» بضمّ التاء وكسرِ القاف[٧] مضارع «أَرْقَبَ».

(١) الكشاف ٢/ ٥٥٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٦٠. وينظر النكت والعيون ٣/ ٤٢٠.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٥٠ والإملاء ٢/ ١٢٦ دون نسبة.
(٤) لم أقف على هذه الصفة لهارون، وذُكرت عن موسى عليهما الصلاة والسلام، وينظر الكشاف ٢/ ٥٥١.
(٥) لعلها: بأنه.
(٦) ينظر الآية (١٥٠) من سورة الأعراف.
(٧) ضبطت في القراءات الشاذة ص٨٩ بتشديد القاف، والقراءة المشهورة عن أبي جعفر كقراءة الجماعة.

ولمَّا اعتذرَ له أخوه رجع إلى مخاطبةِ الذي أوقعَهم في الضلال وهو السَّامِرِيّ.

وتقدَّم الكلام في الخَطْب في سورة يوسف [٥١].

وقال ابنُ عطيَّة[١]: «ما خَطْبُكَ» كما تقول: ما شأنُك وما أمْرُك، لكن لفظة الخَطْب تقتضي انتهاراً لأنَّ الخَطْبَ مستعملٌ في المكاره، فكأنَّه قال: ما نَحْسُكَ وما شُؤْمُك، وما هذا الخَطْبُ الذي جاء من قِبَلِكَ؟ انتهى.

وهذا ليس كما ذكر، ألا ترى إلى قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٥٧]؟ وهو قول إبراهيم لملائكة الله، فليس هذا يقتضي انتهاراً ولا شيئاً ممَّا ذَكَر.

وقال الزمخشريّ[٢]: خَطْب مصدر خَطَبَ الأمْرَ إذا طَلَبَهُ، فإذا قيل لمن يفعل شيئاً: ما خَطْبُك؟ فمعناه: ما طلبُك له. انتهى. ومنه خِطْبَةُ النِّكاح، وهو طَلَبُهُ، وقيل: هو مشتقٌّ من الخِطاب، كأنَّه قال له: ما حَمَلَكَ على أنْ خاطبتَ بني إسرائيل بما خاطَبْتَ وفعلتَ معهم ما فعلتَ؟

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ قال أبو عبيدة: علمتُ ما لم يعلموا[٣]، وقال الزَّجَّاج: بَصُرَ بالشيء إذا عَلِمَهُ، وأبْصَرَ: إذا نَظَرَ[٤]. وقيل: بَصُرَ به وأبْصَرَهُ بمعنًى واحد.

وقرأ الأعمش وأبو السَّمال[٥]: «بَصِرْتُ» بكسر الصاد «بما لم يَبْصَرُوا»[٦] بفتح

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٦١.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٥١.
(٣) في مجاز القرآن ٢/ ٢٦: علمتُ ما لم تعلموه، وفي زاد المسير ٥/ ٣١٨ عنه: علمتُ ما لم تعلموا. اهـ. وهذا على قراءة «تَبْصُروا» (بالتاء) كما سيرد، وينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١١٠.
(٤) بنحوه في معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ٣٧٤، وزاد المسير ٥/ ٣١٨.
(٥) تحرَّف في (أ) و(به) والمطبوع إلى: السمَّاك، ولم ترد كلمة «الأعمش» في (ح) و(به).
(٦) بالياء كما في (به)، وهو موافق لما في القراءات الشاذة ص٨٩، والدر المصون ٨/ ٩٤ وروح المعاني ١٦/ ٤٣٧. ووقع في (أ) و(ح) ومطبوع البحر: تَبْصَرُوا (بالتاء)، وسقط الكلام من (ع).

الصاد، وقرأ عَمرو بنُ عُبيد: «بُصِرْتُ» بضم الباء وكسر الصاد «بما لم تُبْصَرُوا» بضم التاء[١] وفتح الصاد مبنيًّا للمفعول فيهما.

وقرأ الجمهور: «بَصُرْتُ» بضم الصاد، وحمزةُ والكسائيُّ وأبو بحريَّة والأعمش وطلحة وابنُ أبي ليلى وابنُ مناذر وابنُ سعدان وقَعْنَب: «تَبْصُروا» بتاء الخطاب لموسى وبني إسرائيل، وباقي السبعة: «يَبْصُرُوا» بياء الغَيْبة[٢].

وقرأ الجمهور: «فقَبَضْتُ قَبْضَةً» بالضاد المعجمة فيهما، أي: أخذتُ بكفِّي مع الأصابع، وقرأ عبدُ الله وأُبيّ وابنُ الزُّبير وحُميد والحسن بالصاد فيهما[٣]، وهو الأخْذُ بأطراف الأصابع.

وقرأ الحسن بخلاف عنه وقتادة ونصر بنُ عاصم بضم القاف والصاد المهملة[٤]، وأدغمَ ابنُ مُحيصن الضاد المنقوطة في تاء المتكلم وأبقى الإطباق مع تشديد التاء.

وقال المفسِّرون: الرسولُ هنا جبريلُ عليه السلام، وتقديرُه: من أثرِ فرسِ الرسول، وكذا قرأ عبدُ الله[٥]، والأثرُ التراب الذي تحتَ حافرِهِ.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتُها على الحُلِيّ الذي تَصَوَّرَ منه العِجْل فكان منها ما رأيت.

وقال الأكثرون: رأى السَّامِرِيُّ جبريلَ يومَ فلقِ البحر، وعن عليّ: رآه حين ذهبَ موسى إلى الطُّور وجاءه جبريل فأبصرَهُ دونَ الناس[٦].

---

(١) كذا في (أ) و(ح)، وسقط الكلام من (ع) و(يه). ولعل الصواب: يُبْصَرُوا (بالياء) كما هو ظاهر السياق هنا وفي الدر المصون ٨/ ٩٤، وكذا استظهرها بالياء محقق القراءات الشاذة ص٨٩.

(٢) ينظر السبعة ص٤٢٤، والتيسير ص١٥٣. وقرأ بتاء الخطاب أيضاً خلف من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٣٢٢ وتفسير القرطبي ١٤/ ١٢٨.

(٣) ينظر القراءات الشاذة ص٨٩، والكشاف ٢/ ٥٥١، والمحرر الوجيز ٤/ ٦١، وزاد المسير ٥/ ٣١٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٢٨.

(٤) القراءات الشاذة ص٨٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٢٨، وهي في الكشاف ٢/ ٥٥١ عن الحسن بالضاد المعجمة.

(٥) القراءات الشاذة ص٨٩، والكشاف ٢/ ٥٥١.

(٦) تفسير الرازي ٢٢/ ١١٠.

وقال الزمخشريّ[١]: فإنْ قلتَ: لِمَ سمَّاه الرسولَ دونَ جبريل وروح القدس؟

قلت: حين حلَّ ميعادُ الذهاب إلى الطور أرسلَ اللهُ إلى موسى جبريلَ راكبَ حَيْزوم فرسِ الحياة ليذهبَ به، فأبصرَهُ السَّامِرِيُّ، فقال: إنَّ لهذا لَشأناً. فقبضَ القبضةَ من تربةِ مَوْطِئِهِ، فلمَّا سأله موسى عن قصَّتِهِ قال: قبضتُ من أثرِ فرسِ المُرسَلِ إليك يومَ حُلُول الميعاد، ولعلَّه لم يعرف أنه جبريل. انتهى. وهو قول عليٍّ مع زيادة[٢].

وقال أبو مسلم الأصبهانيُّ: ليس في القرآن تصريحٌ بهذا الذي ذكرَهُ المفسِّرُون، وهنا وَجْهٌ آخرُ، وهو أن يكونَ المرادُ بالرسول موسى عليه السلام، وأثرُه سنَّتُه ورَسْمُه الذي أمَرَ به، فقد يقول الرجل: فلانٌ يَقْفُو أثرَ فلان ويقتصُّ[٣] أثرَه إذا كان يمتثلُ رسمه، والتقدير أن موسى لمَّا أقبلَ على السَّامِرِيّ باللَّومِ والمسألةِ عن الأمر الذي دَعاه إلى إضلالِ القوم في العِجْلِ قال: بَصُرْتُ بما لم يَبْصُرُوا به، أي: عرفتُ أنَّ الذي أنتم عليه ليس بحقّ، وقد كنتُ قبضتُ قبضةً من أثرِكِ أيها الرسول، أي: شيئاً من دينِكَ «فنبذتُها» أي: طرحتُها. فعند ذلك أُعْلِمَ[٤] موسى بما لَه من العذاب في الدنيا والآخرة، وإنما أراد لفظَ[٥] الإخبار عن غائب، كما يقولُ الرجلُ لرئيسِهِ وهو مواجهٌ له: ما يقولُ الأمير في كذا؟ أو بماذا يأمرُ الأمير؟ وتسميتُه رسولاً مع جَحْدِهِ وكفْرِه فعلى مذهب من حكى اللهُ عنه قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] وإن لم يؤمنوا بالإنزال.

(١) الكشاف ٢/ ٥٥١.

(٢) ذكر الطاهر ابنُ عاشور رحمه الله في التحرير والتنوير ١٦/ ٢٩٦ أنه لم يرد أثرٌ من السنَّة بهذا الذي ذكره المفسِّرون هنا، وإنما هي أقوال لبعض السَّلَف، ولعلها تسرَّبَتْ للناس من روايات القصَّاصين. لكن الآلوسي ذكر أن هذا ممَّا لا يُقال بالرأي. ينظر روح المعاني ١٦/ ٤٤٢.

(٣) في (أ) وتفسير الرازي ٢٢/ ١١١ (والكلام فيه): ويقبض.

(٤) في تفسير الرازي ٢٢/ ١١١: أعلمه. وهو أحسن لمناسبته معنى الآية. وفي النهر الماد (بهامش البحر ٦/ ٢٧٤): عَلِمَ.

(٥) في المصدر السالف: وإنما أورد بلفظ. . . .، وفي النهر الماد (بهامش البحر ٦/ ٢٧٤): وإنما أفاد لفظ. . .

قيل: وما ذكره أبو مسلم أقربُ إلى التحقيق إلا أنَّ فيه مخالفةَ المفسِّرين.

قيل: ويُبعِدُ ما قالوه أنَّ جبريلَ ليس معهوداً باسم رسول، ولم يَجْرِ له فيما تقدَّمَ ذِكْرٌ حتى تكون اللام في «الرسول» لسابقٍ في الذِّكْر.

ولأنَّ ما قالوه لا بدَّ من إضمارٍ فيه[1]، أي: من أثرِ حافرِ فَرَسِ الرَّسول، والإضمارُ خلافُ الأصل.

ولأنَّ اختصاصَ السَّامِرِيِّ برؤية جبريل ومعرفتِهِ من بين الناس يَبْعُدُ جدًّا، وكيفَ عَرَفَ أنَّ أَثَرَ[2] حافرِ فرسِهِ يُؤثِّرُ هذا الأثرَ الغريبَ العجيبَ من إحياء الجماديَّة وصيرورتِهِ لحماً ودماً؟ وكيف عَرَفَ جبريلَ يتردَّدُ إلى نبيٍّ وقد عَرَفَ نبوَّته وصحَّت عنده فحاولَ الإضلال؟ وكيف اطَّلعَ كافرٌ على ترابٍ هذا شأنُهُ؟ فلقائلٍ أن يقول: لعلَّ موسى اطَّلعَ على شيء آخرَ يُشبهُ هذا فلأجلِهِ أتى بالمعجزات، فيصيرُ ذلك قادحاً فيما أَتَوْا به من الخوارق. انتهى ما رَجَّحَ به هذا القائل[3] قولَ أبي مسلم الأصبهانيّ.

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ أي: كما حَدَثَ ووقعَ قرَّبَتْ[4] لي نفسي وجَعَلَتْهُ لي سُولاً وإرْباً حتى فعلتُه، وكان موسى عليه السلام لا يقتلُ بني إسرائيلَ إلا في حدٍّ أو وَحْي، فعاقبَه باجتهادِ نفسِهِ بأنْ أبعَدَهُ ونحَّاه عن الناس، وأَمَرَ بني إسرائيلَ باجتنابِه واجتنابِ قبيلتِه، وأن لا يُواكَلُوا ولا يُناكَحُوا، وجعلَ له أن يقولَ مدَّة حياتِه: «لا مِسَاسَ» أي: لا مُماسَّةَ ولا إذاية.

وقال الزمخشري: عُوقِبَ في الدنيا بعقوبة لا شيءَ أطَمُّ منها وأوحشُ، وذلك أنه مُنِعَ من مخالطة الناس منعاً كليًّا، وحُرِّمَ عليهم[5] ملاقاتُهُ ومكالمتُه ومُبايعتُه

(١) لفظة «فيه» من (ح). وسقط هذا الكلام من (يه).

(٢) كلمة «أثر» من (يه).

(٣) هو الرازي، والكلام بنحوه في تفسيره ٢٢/١١١. وقد ردَّ الآلوسيُّ كلام أبي مسلم، وانتصارَ الرازي له وقال: زَعْمُ أنَّ ما ذكرَه أقربُ إلى التحقيق باطلٌ عند أرباب التدقيق. ينظر روح المعاني ١٦/٤٣٩-٤٤٢.

(٤) في المحرر الوجيز ٤/٦١ (والكلام فيه): قَوِيَتْ.

(٥) في النسخ الخطية: عليه. والمثبت من المطبوع، وهو كذلك في الكشاف ٢/٥٥١ والكلام منه.

ومواجهتُه وكلُّ ما يُعايِشُ به الناسُ بعضهم بعضاً، وإذا اتَّفَقَ أن يُماسَّ أَحَدٌ رجلاً أوِ امرأةً حُمَّ الماسُّ والممسوس، فتَحامَى الناسَ وتحامَوْه، وكان يصيحُ: لا مِسَاسَ. ويقال: إنَّ قومَهُ باقٍ فيهم ذلك إلى اليوم. انتهى. وكونُ الحُمَّى تأخذُ الماسَّ والممسوسَ قولُ قتادة[١].

والأمرُ بالذهاب حقيقة، ودخلت الفاء للتعقيب إثر المحاورة وطردِهِ بلا مُهلة زمانيَّة، وعبَّر بالمُمَاسَّةِ عن المخالطة لأنها أدنى أسبابِ المخالطة، فنبَّه بالأدنى على الأعلى، والمعنى لا مخالطةَ بينَك وبينَ الناس، فنفرَ من الناس ولَزِمَ البَرِّيَّة وهَجَرَ البَرِيَّة، وبَقِيَ مع الوحوش إلى أنِ استوحشَ، وصارَ إذا رأى أحداً يقول: لا مِسَاسَ[٢]، أي: لا تَمسُّني ولا أَمَسُّك.

وقيل: ابتُلِيَ بعذابٍ قيل له لا مساس بالوسواس[٣]، وهو الذي عَناه الشاعر بقوله:

فأصبحَ ذلك كالسَّامِرِيِّ إذْ قالَ موسى له لا مِسَاسَا[٤]

ومنه قول رؤبة:

حتى تقولَ الأَزْدُ لا مِسَاسَا[٥]

وقيل: أرادَ موسى قَتْلَهُ فمنعَه اللهُ مِنْ قتلِهِ لأنه كان شيخاً.

قال بعضُ شيوخنا: وقد وقعَ مثلُ هذا في شرعنا في قصَّة الثلاثة الذين خُلِّفُوا، أَمَرَ الرسولُ عليه الصلاة والسلام أن لا يُكَلَّمُوا ولا يُخالَطُوا، وأن يعتزلوا نساءهم حتى تابَ الله عليهم.

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ١٢٩. وينظر تفسير الواحدي ٣/ ٢٢٠.

(٢) بنحوه في النكت والعيون ٣/ ٤٢٣ وتفسير القرطبي ١٤/ ١٢٩، وفيهما: «حتى صار كالقائل لا مِساس؛ لبُعدِه عن الناس وبُعدِ الناسِ منه» وجاء بعده رَجَز رُؤبة الآتي.

(٣) بنحوه في تفسير السمرقندي ٣/ ٣٥٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٢٩.

(٤) البيت للنابغة الجَعْدي، وهو في ديوانه ص٨٣ برواية: فأصبح في الناس كالسامِرِيّ. وهو كذلك في مجالس ثعلب ص٥٧٧. وجاء في مجاز القرآن ٢/ ٢٧ والمحرر الوجيز ٤/ ٦١ برواية: فأصبح من ذاك...

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٦١. ونُسب في مجاز القرآن ٢/ ٢٧ للقُلاخ بن حَزْن المنقري، وهو في النكت والعيون ٣/ ٤٢٣ وتفسير القرطبي ١٤/ ١٢٩ دون نسبة.

وقرأ الجمهور: «لا مِسَاسَ» بفتح السين والميم المكسورة، و«مِسَاس» مصدر «مَاسَّ»، كقتال من قاتَلَ، وهو منفيّ بـ «لا» التي لنفي الجنس، وهو نفيٌ أُرِيدَ به النهيُ، أي: لا تَمَسُّني ولا أَمَسُّكَ.

وقرأ الحسنُ وأبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلة وقَعْنَب بفتح الميم وكسر السين[١]؛ فقال صاحب «اللوامح»: هو على صورة نَزَالِ ونَظَارِ، من أسماء الأفعال بمعنى: انْزِلْ وانْظُرْ، فهذه الأسماءُ التي بهذه الصيغة معارف، ولا تدخلُ عليها «لا» النافية التي تَنصِبُ النَّكِرات، نحو: لا مالَ لك، لكنه فيه نَفْي الفعل، فتقديرُه: لا يكونُ منك مِسَاسٌ، ولا أقول مساس، ومعناه النهي، أي: لا تمسُّني. انتهى. وظاهرُ هذا أنَّ «مَسَاسِ» اسمُ فعل.

وقال الزمخشريّ: «لا مَسَاسِ» بوزن فَجَارِ، ونحوُه قولُهم في الظِّباء: إنْ وَرَدَتِ الماءَ فلا عَبَابِ، وإنْ فَقَدَتْهُ فلا أَبَابِ[٢]، وهي أعلامٌ للمَسَّةِ والعَبَّةِ والأبَّة، وهي المرَّةُ من الأبِّ، وهو الطَّلَب.

وقال ابنُ عطيَّة: «لا مَسَاسِ» هو معدولٌ عن المصدر كـ «فَجَارِ» ونحوِه، وشبَّهه أبو عبيدة وغيرُه بـ «نَزَال» و«دَرَاكِ» ونحوِه، والشَّبه صحيحٌ من حيث هي معدولاتٌ، وفارَقَهُ في أنَّ هذه عُدلت عن الأمر، و«مَسَاسِ» و«فجَارِ» عُدلت عن المصدر، ومن هذا قول الشاعر:

---

(١) المحتسب ٢/ ٥٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٦١، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣١ عن أبي حيوة، وهي في الكشاف ٢/ ٥٥١ والإملاء ٢/ ١٢٦ دون نسبة. وقد وهم السمين في هذه القراءة وظنَّ أن قوله: «وكسر السين» إنما هو للسين الأولى، فتعقَّب أبا حيان بأنه يلزم أن يُقرأ: مَسِيس، بقلب الألف ياءً لانكسار ما قبلَها ثم قال: لكنه لم يُروَ ذلك فينبغي أن يكونوا أرادوا بالكسر الإمالة. وذكر السمين أيضاً أن أبا حيان تابعَ أبا البقاء على قوله: «بفتح الميم وكسرِ السين» مع أنَّ ابن عطية عبَّر بهذا اللفظ عن القراءة قبل أبي البقاء. ينظر الدر المصون ٨/ ٩٥-٩٦.

(٢) أي: إن وَجَدَتْهُ لم تعُبَّ، وإن لم تجده لم تتهيَّأ لطلبه ولشربه. وينظر مجالس ثعلب ص٣٠٧، والمزهر ٢/ ١٣١، واللسان وتاج العروس (أبب - عبب).
ووقع في النسخ الخطية: إن وردنَ... وإن فقدْنَه... والمثبت من الكشاف ٢/ ٥٥١ (والكلام منه) والمصادر.

تـمـيـمٌ كـرَهْـطِ الـسَّـامِـرِيِّ وقـولِـهِ ألَا لَا يُـريـدُ الـسَّـامِـرِيُّ مَـسَـاسِ[١]

انتهى. فكلامُ الزَّمخشريِّ وابنِ عطية يدلُّ على أنَّ «مَسَاسِ» معدولٌ عن المصدر الذي هو المَسَّة كفَجَارِ معدولاً عن الفَجْرَة.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي في القيامة.

وقرأ الجمهور: «لن تُخْلَفَهُ» بالتاء المضمومة وفتح اللام على معنى: لن يقعَ فيه خُلف بل يُنجِزُهُ لك الله في الآخرة على الشِّرك والفساد بعدَ ما عاقبَك في الدنيا.

وقال الزمخشري[٢]: وهذا من أخلفتُ الموعد إذا وجدتَه خَلْفاً، قال الأعشى:

أَثْـوَى وقَـصَّـرَ لـيـلـةً لِـيُـزَوَّدَا فَمضَى وأَخْلَفَ من قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا[٣]

وقرأ ابنُ كثير والأعمش وأبو عَمرو بضم التاء وكسر اللام[٤]، أي: لن تستطيعَ الرَّوَغَانَ عنه والحَيْدَةَ فتزولَ عن موعد العذاب[٥].

وقرأ أبو نَهِيك: «لن تَخْلُفَهُ» بفتح التاء وضمّ اللام، هكذا بالتاء منقوطة من فوق عن أبي نَهِيك في نقل ابن خالويه[٦]، وفي «اللوامح»: أبو نَهِيك: «لن يَخلُفَهُ» بفتح الياء وضمّ اللام[٧]، وهو من خَلَفَهُ يَخْلُفُهُ: إذا جاء بعدَه، أي: الموعدُ الذي لك لا يدفعُ قولَك الذي تقولُه فيما بعد لا مِساسَ بالفعل، فهو مسند إلى الموعد، أو الموعدُ لن يَخْلُف[٨] ما قُدِّرَ لك من العذاب في الآخرة. وقال سهل - يعني أبا حاتم -: لا يعرف لقراءة أبي نَهِيك مذهباً. انتهى.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٦٢ (والكلام منه). وهو في النكت العيون ٣/ ٤٢٤ وتفسير القرطبي ١٤/ ١٢٩ برواية: مِسَاسَا.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٥١ وجاء هذا القولُ فيه على تفسير قراءة «تُخْلِفَهُ» بضم التاء وكسر اللام الآتي ذكرُها. وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٣١.

(٣) ديوان الأعشى ص٢٧٧، وفيه: فَمَضَتْ، بدل: فمضى. والكلام في المصدر السالف.

(٤) السبعة ص٤٢٤، والتيسير ص١٥٣.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٦٢.

(٦) القراءات الشاذة ص٨٩.

(٧) ذكرها ابن جنّي في المحتسب ٢/ ٥٧.

(٨) في (أ) و(ح) و(يه) والمطبوع: يختلف، وفي (ع): تخلف. والصواب ما أثبتُّه إن شاء الله تعالى. وينظر المحتسب ٢/ ٥٧.

وقرأ ابنُ مسعود والحسن بخلاف عنه: «نُخْلِفَهُ» بالنون وكسر اللام[١]، أي: لا نَنْقُصُ ممَّا وَعَدْنا لك من الزَّمان شيئاً. وقال ابنُ جنِّي: لن يُصادِفَه مُخْلَفاً[٢]، وقال الزمخشريّ: لن يُخْلِفَهُ الله، حكى قولَه عزَّ وجلَّ في: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم: ١٩]. انتهى.

ثم وَبَّخَ موسى عليه السلام السامريَّ بما أرادَ أن يفعلَ بالعِجْل الذي اتَّخَذَه إلهاً من الاستطالة عليه بتغيير هيئته، فواجهَه بقوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ وخاطبَه وحدَه إذ كان هو رأسَ الضلال وهو ينظر لقولهم: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾.

وأقسم «لَنُحَرِّقَنَّه» وهو أعظمُ فساد الصُّورَة ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ﴾ حتى تتفرَّق أجزاؤه فلا يجتمع.

ويظهر أنه لمَّا كانَ قد أخَذَ السَّامِرِيُّ القبضةَ من أثرِ فرسِ جبريلَ وهو داخلٌ البحرَ حالةَ تَقَدَّمَ[٣] وتَبِعَهُ فرعونُ في الدخول ناسبَ أن يُنْسَفَ ذلك العجلُ - الذي صاغَهُ السَّامِرِيُّ من الحُلِيِّ الذي كان أصلُه للقِبْط وأَلْقَى فيه القبضة - في البحر ليكونَ ذلك تنبيهاً على أنَّ ما كان به قيام الحياة آلَ إلى العَدَم، وأُلقِيَ في محلٍّ ما قامت به الحياة، وأنَّ أموالَ القِبْط قذَفَها الله في البحر، لا يُنتفع بها[٤]؛ كما قذفَ الله أشخاصَ مالكِيها في البحر وغرَّقَهم فيه[٥].

وقرأ الجمهور ونَصْرُ بنُ عاصم لابن يعمر: «ظَلْتَ» بظاء مفتوحة ولام واحدة ساكنة، وقرأ ابنُ مسعود وقتادة والأعمش بخلاف عنه وأبو حَيْوة وابنُ أبي عَبْلَة

---

(١) المحتسب ٢/ ٥٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٦٢ عن الحسن، والكشاف ٢/ ٥٥١، وتفسير الرازي ٢٢/ ١١٢ عن ابن مسعود.

(٢) كذا في النسخ، وهو في المحرر الوجيز ٤/ ٦٢ عن ابن جنِّي بلفظ: لن نُصادفه مُخلَفاً، لكنَّ قول ابن جنِّي في المحتسب ٢/ ٥٧ في تفسير قراءة الحسن هو: «لن نُخْلِفَكَ إيَّاه، أي: لن نَنْقُصَ منه ما عقدناه لك» وأما القول أعلاه فهو في تفسير قراءة الجماعة ولفظه في المحتسب: لن تُصادفه مُخْلَفاً.

(٣) في (أ) والمطبوع: تقدَّم فرعون. وهو خطأ.

(٤) في المطبوع: بحيث لا ينتفع بها.

(٥) غمز الآلوسي بهذا الكلام في روح المعاني ١٦/ ٤٤٩ وقال: لا يخفى ما فيه.

وابنُ يَعْمَر بخلاف عنه كذلك إلا أنهم كسروا الظاء، وعن ابن يَعْمَر ضمُّها، وعن أُبيّ والأعمش: «ظَلِلْتَ» بلامين على الأصل[1].

فأمَّا حذفُ اللام فقد ذكره سيبويه في الشذوذ[2] - يعني شذوذ القياس لا شذوذ الاستعمال - مع مَسْتُ وأصلُه: مَسِسْتُ، وأَحَسْتُ وأصلُه: أحْسَسْتُ. وذكر ابنُ الأنباري: هَمْتُ وأصلُه: هَمَمْتُ، ولا يكون ذلك إلا إذا سكَنَ آخِرُ الفعل، نحو ظَلْتُ، إذْ أصلُه: ظَلِلْتُ، وذكر بعض من عاصرناهُ أن ذلك منقاسٌ في كلِّ مضاعف العين واللام في لغة بني سُليم حيث تُسكِّنُ آخِرَ الفعل، وقد أمعنَّا الكلام على هذه المسألة في «شرح التسهيل» من تأليفنا[3].

فأمَّا من كسرَ الظاء فلأنه نقلَ حركةَ اللام إلى الظاء بعد نزع حركتها تقديراً ثم حذفَ اللام، وأمَّا من ضَمَّها فيكون على أنه جاء في بعض اللغات على فَعُلَ بضم العين فيهما، ونُقلت ضمة اللام إلى الظاء كما نقلت في حالة الكسر على ما تقرَّر.

وقرأ الجمهور «لنُحَرِّقَنَّهُ» مشدَّداً مضارع «حَرَّقَ» مشدَّداً، وقرأ الحسن وقتادة وأبو جعفر وأبو رجاء والكلبيُّ مخفَّفاً من «أحْرقَ» رباعيّاً، وقرأ عليٌّ وابنُ عبَّاس وحُميد وأبو جعفر في رواية وعَمرو بنُ فايد بفتح النون وسكون الحاء وضمّ الراء[4].

والظاهر أنَّ حَرَّقَ وأحرق هو بالنار، وأما القراءة الثالثة فمعناها: لَنَبْرُدَنَّهُ بالمِبْرَد، يقال: حَرَقَ يَحْرُقُ ويَحْرِقُ بضم راء المضارع وكسرها، وذكرَ أبو علي أنَّ التشديد قد يكون مبالغةً في حَرَقَ إذا بَرَدَ بالمِبْرَد.

وفي مصحف أُبيّ وعبدِ الله: «لَنَذْبَحَنَّهُ ثم لَنَحْرِقَنَّهُ ثم لننسفَنَّه»[5] وتُوافق هذه

(١) ينظر القراءات الشاذة ص٨٩ وزاد المسير ٥/ ٣١٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣١.
(٢) ينظر الكتاب ٤/ ٤٢١-٤٢٢ و٤٨٢-٤٨٣.
(٣) واسمُه التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، وقد طُبع قسم منه، وينظر مختصرُه للمؤلف، واسمُه ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب ١/ ٢٤٧.
(٤) ينظر القراءات الشاذة ص٨٩، والمحتسب ٢/ ٥٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٢. وقراءة أبي جعفر (بروايتيه) من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٣٢٢.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ١٥٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٦٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٢.

القراءة من روى أنه صارَ لحماً ودماً ذا رُوح، ويترتَّب الإحراقُ بالنار على هذا، وأمَّا إذا كان جَماداً مَصُوغاً من الحُلِيّ فيترتَّبُ بَرْدُهُ لا إحراقُه، إلا إنْ عُنِيَ به إذابتُه[١].

وقال السُّدِّيّ: أمَرَ موسى بذبح العجل، فذُبح وسالَ منه الدَّمُ، ثم أُحرق ونُسف رمادُه[٢].

وقيل: بُرِدَتْ عظامُهُ بالمِبْرَد حتى صارت بحيث يمكن نَسْفُها.

وقرأ الجمهور: «لَنَنْسِفَنَّه» بكسر السين، وقرأت فرقة منهم عيسى بضم السين[٣]، وقرأ ابنُ مقسم «لَنُنَسِّفَنَّهُ» بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد السين.

والظاهرُ ـ وقولُ الجمهور ـ أنَّ موسى تعجَّلَ وحدَهُ، فوقعَ أمرُ العجل، ثم جاء موسى وصنعَ بالعجل ما صنَع، ثم خرجَ بعدَ ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة في ذنب بني إسرائيل وأن يُطلِعَهم أيضاً على أمرِ المناجاة، فكان لموسى عليه السلام نهضتان[٤].

وأسندَ مكّيّ خلافَ هذا أنَّ موسى كان مع السبعين في المناجاة، وحينئذٍ وقعَ أمرُ العِجْل، وأنَّ اللهَ أعْلَم مُوسى بذلك، فكتَمَهُ عنهم وجاء بهم حتى سمعوا لَغَطَ بني إسرائيل حول العجل، فحينئذ أعْلَمَهُم موسى[٥]. انتهى.

ولما فرغ من إبطال ما عَمِلَهُ السَّامِرِيُّ عادَ إلى بيان الدِّين الحقِّ فقال: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾.

وقرأ الجمهور: «وَسِعَ» فانتصبَ «عِلْماً» على التمييز المنقول من الفاعل[٦]، وتقدَّم نظيرُه في الأنعام [٨٠].

---

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٦٢.
(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٢.
(٣) القراءات الشاذة ص٨٩.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٦٢.
(٥) بنحوه أطول منه في الهداية ٧/ ٤٦٩١، وبلفظه عن مكّيّ في المصدر السالف.
(٦) إذ الأصل: وَسِعَ كلَّ شيءٍ عِلْمُهُ. ينظر الدُّرّ المصون ٨/ ١٠٠.

وقرأ مجاهد وقتادة: «وَسَّعَ» بفتح السين مشدَّدة[١]؛ قال الزمخشريّ: وجهُه أنَّ «وَسِعَ» متعدٍّ إلى مفعول واحد، وهو «كلَّ شيءٍ» وأمَّا «عِلْماً» فانتصابُه على التمييز، وهو في المعنى فاعل، فلما ثُقِّل نُقل إلى التعدية إلى مفعولين، فنصبَهما معاً على المفعولية؛ لأنَّ المميَّز فاعل في المعنى كما تقول [في][٢] خافَ زيدٌ عَمراً: خَوَّفْتُ زيداً عَمْراً، فتردُّ بالنَّقل ما كان فاعلاً مفعولاً.

وقال ابنُ عطية[٣]: «وَسَّعَ» بمعنى خَلَقَ الأشياءَ وكثَّرها بالاختراع، فوسَّعَها موجوداتٍ. انتهى.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ
فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ
وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾
فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ
لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞
وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن
يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾.

«ذلك» إشارةٌ إلى نبأ موسى وبني إسرائيل وفرعون، أي: كقَصِّنا هذا النبأَ الغريبَ نَقُصُّ عليك من أنباء الأمم السابقة، وهذا فيه ذِكْرُ نعمةٍ عظيمة، وهي الإعلام بأخبارِ الأمم السالفة ليتَسلَّى بذلك ويعلمَ ما صدرَ من الأمم لرسلهم، وما قاسَتِ الرُّسُلُ منهم.

---

(١) القراءات الشاذة ص٨٩، والمحتسب ٢/ ٥٨، والكشاف ٢/ ٥٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٦٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٣.
(٢) لفظة «في» بين حاصرتين من الكشاف ٢/ ٥٥٢. والكلام منه.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٦٣.

والظاهرُ أنَّ الذِّكرَ هنا القرآن؛ امتنَّ تعالى عليه بإيتائهِ الذِّكرَ المشتملَ على القَصَص والأخبارِ الدالِّ ذلك على معجزاتٍ أُوتِيَها.

وقال مقاتل: «ذِكْراً» بياناً، وقال أبو سهل: شَرَفاً وذِكْراً في الناس[١].

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ أي: عن القرآن بكونهِ لم يؤمنْ به ولم يتَّبع ما فيه.

وقرأ الجمهور: «يَحْمِلُ» مضارع «حَمَلَ» مخفَّفاً مبنيًّا للفاعل، وقرأت فرقة منهم داود بنُ رُفَيع: «يُحَمَّلُ» مشدَّدَ الميم مبنيًّا للمفعول[٢]، لأنه يكلَّف ذلك، لا أنه يَحْمِلُه طَوْعاً.

و«وِزْراً» مفعول ثانٍ، و«وِزْراً»: ثِقْلاً باهظاً يَؤُودُه[٣] حَمْلُه، وهو ثِقَل العذاب. وقال مجاهد: إثماً[٤]. وقال الثوري: شركاً[٥].

والظاهر أنه عبَّر عن العقوبة بالوِزْرِ لأنَّه سببُها، ولذلك قال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ﴾ أي: في العذاب والعقوبة، وجمعَ «خالدين» والضميرَ في «لهم» حملاً على معنى «مَنْ» بعدَ الحمل على لفظها في «أعْرَضَ» وفي «فإنَّه يَحْمِلُ».

والمخصوصُ بالذمِّ محذوف، أي: «وِزْرُهُم»، و«لهم» للبيان[٦] كهيَ في «هَيْتَ لكَ» لا متعلقة بـ «ساءَ»، و«ساءَ» هنا هي التي جَرَتْ مَجْرَى «بِئْسَ» لا «ساءَ» التي بمعنى «أَحْزَنَ» و«أَهَمَّ» لفساد المعنى.

و«يومَ يُنْفَخُ» بدل من «يومَ القيامة»، وقرأ الجمهور: «يُنْفَخُ» مبنيّاً للمفعول، «ونَحْشُرُ» بالنون مبنيًّا للفاعل بنون العظمة، وقرأ أبو عَمرو وابنُ مُحيصن وحُميد:

---

(١) ردَّ الآلوسي هذا القول في روح المعاني ١٦/ ٤٥٠-٤٥١ وقال: الظاهر أنَّ ضمير «عنه» للذِّكر، والجملة في موضع الصفة له، ولا يحسن وصف الشرف أو الذِّكر في الناس بذلك.

(٢) القراءات الشاذة ص٨٩-٩٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٤، ونُسبت القراءة في زاد المسير ٥/ ٣٢٠ لعكرمة وأبي المتوكل وعاصم الجحدريّ.

(٣) أي: يُثقِلُه.

(٤) تفسير الطبري ١٦/ ١٥٩.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) أي: اللام في «لهم» للبيان. ينظر الدر المصون ٨/ ١٠٣.

«نَنْفُخُ» بنون العظمة[١] كـ «نَحشُرُ» أسندَ النفخَ إلى الآمرِ به، والنافِخُ هو إسرافيل، ولكرامَتِهِ أسندَ ما يتولّاه إلى ذاته المقدّسة.

و«الصُّور» تَقدَّمَ الكلامُ فيه في الأنعام [٧٣].

وقُرِئ: «يَنْفُخُ» و«يَحْشُرُ» بالياء فيهما مبنيًّا للفاعل.

وقرأ الحسنُ وابنُ عِياض في جماعة: «في الصُّوَر» على وزن «دُرَر»[٢]، والحسنُ: «يُحْشَرُ» بالياء مبنيًّا للمفعول، و«يَحْشُر» مبنيًّا للفاعل وبالياء[٣]، أي: ويَحْشُرُ الله.

والظاهر أنَّ المراد بالزرق زُرْقَةُ العيون، والزُّرْقَةُ أبغضُ ألوانِ العيونِ إلى العرب لأنَّ الرُّوم أعداؤهم وهم زُرْقُ العيون، ولذلك قالوا في صفة العدوّ: أسودُ الكبد، أَصْهَبُ السِّبال[٤]، أزْرَقُ العين. وقال الشاعر:

وما كنتُ أخْشَى أنْ تكونَ وَفاتُهُ ... بكفَّيْ سَبَنْتَى أزْرَقِ العينِ مُطْرِقِ[٥]

وقد ذُكر في آية أُخرى أنهم يُحشَرُون سودَ الوجوه[٦]، فالمعنى تشويهُ الصورةِ من سَوَادِ الوَجْهِ وزُرْقَةِ العين، وأيضاً فالعرب تتشاءمُ بالزُّرْقَة. قال الشاعر:

---

(١) ينظر السبعة ص٤٢٤ والتيسير ص١٥٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٦٣. وهي في المحتسب ٢/ ٥٩ عن عياض، وفي تفسير القرطبي ١٤/ ١٣٤ عن أبي عياض. ولم أعرفه.

(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٥٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٦٣، وزاد المسير ٥/ ٣٢١، وتفسير الرازي ٢٢/ ١١٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٤.

(٤) السِّبَال جمع سَبَلَة، هي طرف الشارب من الشعر أو مقدَّم اللحية، والأصْهب: ذو اللون الأصفر الضارب إلى شيء من الحُمرة والبياض. (المعجم الوسيط).

(٥) البيت من أبيات في رثاء عمر بن الخطاب ﷺ، نَسبَها أبو تمَّام في الحماسة ٣/ ٦٥-٦٦ (بشرح التبريزي) للشَّمَّاخ بن ضِرار، ونَسبَها ابن سلَّام في طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٢ والجاحظ في البيان والتبيين ٣/ ٣٦٤ لمزَرِّد أخي الشمَّاخ، وكذا نقل التبريزي عن أبي رياش أنها لمزرِّد، ونقل عن أبي محمد الأعرابي أنها لِجَزْءِ بن ضِرار أخي الشمَّاخ أيضاً. وينظر الأغاني ٩/ ١٥٩. قوله: سَبَنْتَى، أي: جريء، وأزرق العين يعني أبا لؤلؤة الفارسي لعنه الله.

(٦) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] و﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزُّمَر: ٦٠].

لَقَدْ زَرِقَتْ عيناكَ يا ابْنَ مُكَعْبِرٍ أَلَا كلُّ ضَبِّيٍّ[١] من اللُّؤمِ أَزْرَقُ[٢]

وقيل: المعنى عُمْياً[٣]، لأنَّ العين إذا ذهبَ نُورُها ازْرَقَّ ناظِرُها. وبهذا التأويل يقعُ الجمع بين قوله: «زُرْقاً» في هذه الآية و«عُمْياً» في الآية الأخرى[٤]. وقيل: زُرْقُ ألوانِ أبدانِهم، وذلك غاية في التشويه، إذ يجيئون كلونِ الرَّماد، وفي كلام العرب يُسَمَّى هذا اللون أزرق، ولا تزرقُّ الجلودُ إلا من مكابدةِ الشَّدائدِ وجُفوفِ رطوبتِها.

وقيل: «زُرْقاً»: عِطاشاً، والعطشُ الشديدُ يَرُدُّ سَوادَ العين إلى البياض، ومنه قولُهم: سِنانٌ أزرَقُ، وقولُه:

فلمَّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ[٥]

أي: أبْيضَ.

وذُكرتِ الآيتانِ لابن عبَّاس، فقال: ليومِ القيامةِ حالات، فحالةً يكونون فيها زُرْقاً، وحالةً يكونون فيها عُمْياً[٦].

﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يَتَسارُّون لِهَوْلِ المُطَّلَع وشدَّةِ ذهابِ أذهانِهم قد عَزبَ عنهم قَدْرُ المدَّة التي لبثُوا فيها[٧].

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: عليسى، وهو تحريف، والمثبت من المصادر.

(٢) نُسب البيت في جمهرة اللغة ٢/ ٣٢٤ والأغاني ٢١/ ٣٩٦ لسُويد بن أبي كاهل اليَشكري، ونسبه المَرْزُباني ـ كما ذكر ابن حجر في الإصابة ٣/ ٢٩٧ ـ لرُشَيْد بن رَبِيض، وهو دون نسبة في الحيوان ٥/ ٣٣٢، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٤-٤٢٥، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٢٣، والقرطبي ١٤/ ١٣٥. وابن مُكَعْبِر هو مُحْرِز الضَّبِّي من شعراء المفضَّليات ص٢٥١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٩١، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٤، وزاد المسير ٥/ ٣٢١، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٥.

(٤) رقم (٩٧) من الإسراء، وسيرد الجمع بين الآيتين من كلام ابن عباس ﷺ.

(٥) هو صدرُ بيت لزهير بن أبي سُلْمى، وعَجُزه: وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضرِ المُتَخيِّم. وهو في ديوانه ص١٣ (بشرح ثعلب). وجاء في شرحه: الجِمام: ما اجتمع من الماء، والواحدة جُمَّة وجَمّ، والمُتخيِّم المقيم، والحاضر: الذين حضرُوا الماء، وقال الأصمعي: زُرْقاً: لم يُورَدْ قبلهنَّ فيحرَّك، فهو صافٍ.

(٦) تفسير القرطبي ١٤/ ١٣٥. والآيتان يعني هذه الآية، والآيةَ (٩٧) من الإسراء: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٦٤.

﴿إن لَّبِثْتُمْ﴾ أي: في دار الدُّنيا، أو في البَرْزَخ، أو بين النفختين في الصُّور. ثلاثة أقوال[١].

ووصف ما لبثُوا فيه بالقِصَر لأنها لِمَا يُعاينون من الشدائد كانت لهم في الدنيا أيامَ سرور، وأيامُ السرور قِصار، أو لِذهابِها عنهم وتَقَضِّيها، والذاهبُ وإنْ طالت مدَّتُه قصيرٌ بالانتهاء، أو لاستطالتهم الآخرةَ وأنها أبدٌ سَرْمدٌ يستقصرُ إليها عُمر الدنيا. ويَتَقَالُّ لَبْثُ أهلِها فيها بالقياس إلى لَبْثِهم في الآخرة[٢].

و«إذْ» معمولة لـ «أعْلَمُ» و«أمْثَلُهُمْ»: أعْدَلُهم، و«طَرِيقَةً» منصوبة على التمييز.

«إلا يَوْماً» إشارةٌ لِقِصَرِ مدَّةِ لَبْثِهم، و«إلا عَشْراً» يحتمل عَشْرَ ليالٍ أو عَشَرَةَ أيام، لأنَّ المذكَّر إذا حُذف وأُبْقِيَ عددُه قد لا يأتي بالتاء؛ حكى الكسائيُّ عن أبي الجرَّاح: صُمْنا من الشهر خمساً، ومنه ما جاء في الحديث: «ثم أَتْبَعَهُ بستٍّ من شَوَّال»[٣] يريد ستةَ أيام، وحَسُنَ الحذفُ هنا كونُ ذلك فاصلةً رأسَ آية، ذكرَ أولاً منتهى أقلِّ العدد وهو العَشْر، وذكرَ أعدَلُهم طريقةً أقلَّ العدد وهو اليومُ الواحد، ودلَّ ظاهرُ قولِه: «إلا يَوْماً» على أنَّ المرادَ بقولهم: «عَشْراً» عَشَرَةُ أيَّام.

وضمير الغائب في «ويسألونك» عائدٌ على قريش منكري البعث، أو على المؤمنين؛ سألُوا عن ذلك، أو على رجلٍ من ثَقِيف وجماعةٍ من قومه، أقوالٌ ثلاثة[٤].

والكاف خطابٌ للرَّسول ﷺ، والظاهرُ وجودُ السؤال ويبعُدُ قولُ من قال: إنَّه لم يكن سؤال بل المعنى: إنْ يسألوك عن الجبال فقُلْ، فضُمِّنَ معنى الشرط، فلذلك أجيب بالفاء[٥].

---

(١) المصدر السالف. وينظر زاد المسير ٥/ ٣٢١، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٦.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٥٣.
(٣) هو قطعة من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ، أخرجه عنه بهذا اللفظ أبو داود (٢٤٣٣) وابنُ ماجه (١٧١٦) وابن حبان (٣٦٣٤)، وأخرجه مسلم (١١٦٤) بلفظ: «ثم أتبعَه ستاً من شوال». وسلف هذا الكلام عند تفسير قوله: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦].
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٦٤، وزاد المسير ٥/ ٣٢٢، وتفسير الرازي ٢٢/ ١١٧.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٢٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٦، وذكر الرازي ٢٢/ ١١٧ أنه عقَّب بالفاء
=

ورُوِيَ أنَّ اللهَ يُرْسِلُ على الجبال رِيحاً فتُدَكْدِكُها حتى تكونَ كالعِهْنِ المنفوش، ثم تَتَوَالَى عليها حتى تُعِيدَها كالهَباء المنبثّ، فذلك هو النَّسْف[١].

والظاهرُ عَوْدُ الضمير في «فيَذَرُها» على «الجبال» أي: بعدَ النَّسْفِ تَبْقَى قاعاً، أي: مستوياً من الأرض معتدلاً، وقيل: فيذرُ مَقَارَّها ومراكزَها، وقيل: يعود على الأرض وإنْ لم يجرِ لها ذِكْرٌ لدلالة الجبالِ عليها[٢].

وقال ابنُ عباس: «عِوَجاً» مَيْلاً «ولا أَمْتاً»: أثَراً مثل الشِّراك، وعنه أيضاً: «عِوَجاً»: وادياً «ولا أمتاً»: رابية، وعنه أيضاً: الأَمْتُ الارتفاع. وقال قتادة: «عِوَجاً»: صَدْعاً، «ولا أمتاً»: أَكَمَة، وقيل: الأَمْتُ: الشُّقُوق في الأرض، وقيل: غِلَظُ مكانٍ في الفضاء والجبلِ ويرقُّ في مكان[٣]. حكاه الصُّوليّ.

وقيل: كأنَّ الأَمْتَ في الآية العِوَجُ في السماء تجاه الهواء، والعِوَجُ في الأرض مختصٌّ بالأرض.

وقال الزمخشريّ[٤]: فإن قلتَ: قد فرَّقُوا بين العِوَجِ والعَوَج، فقالوا: العِوَج بالكسر في المعاني، والعَوَج بالفتح في الأعيان، والأرضُ [عينٌ] فكيف صَحَّ فيها المكسور العين؟

قلت: اختيارُ هذا اللفظ له موقعٌ حَسَنٌ بديعٌ في وصف الأرض بالاستواءِ والمَلَاسَةِ ونَفْيِ الاعوجاجِ عنها على أبلغ ما يكون، وذلك أنك لو عَمَدْتَ إلى قطعة أرض فسَوَّيْتَها وبالغتَ في التسوية على عينِك وعيونِ البُصَراء من الفَلَّاحة، واتفقتُم على أنْ لم يبقَ فيها اعوجاجٌ قطُّ، ثم استطلعتَ رأيَ المهندس فيها، وأَمَرْتَهُ أن

= لأن مقصودهم من هذا السؤال الطعن في الحشر والنشر، فلا جَرَمَ أمرَه بالجواب مقروناً بفاء التعقيب، لأن تأخير البيان في مثل هذه المسألة الأصولية غير جائز، أما في المسائل الفروعية فجائزة، لذلك ذكر هناك «قل» من غير حرف التعقيب.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٦٤. وينظر النكت والعيون ٣/ ٤٢٥-٤٢٦، وزاد المسير ٥/ ٣٢٢.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٥٣.

(٣) لفظُه في النكت والعيون ٣/ ٤٢٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٣٨ (والكلام فيهما): الأَمْتُ أن يغلُظ مكانٌ في الفضاء أو الجبل ويدقَّ في مكان.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٥٣، وما سيرد بين حاصرتين منه، وينظر جمهرة اللغة ٢/ ١٠٥.

يَعْرِضَ استواءَها على المقاييس الهندسيَّة لَعَثَرَ فيها على عِوَجٍ في غير موضع لا يُدْرَكُ ذلك بحاسَّةِ البصر ولكن بالقياس الهندسيّ، فنَفَى اللهُ عزَّ وجلَّ ذلك العِوَجَ الذي دَقَّ ولَطُفَ عن الإدراك؛ اللهمَّ إلا بالقياس الذي يعرفُه صاحبُ التقدير والهندسة، وذلك الاعوجاجُ لمَّا لم يُدْرَكْ إلا بالقياس دون الإحساس لَحِقَ بالمعاني، فقيل فيه: «عِوَج» بالكسر. الأمْتُ: النُّتُوُّ اليسير، يقال: مَدَّ حَبْلَهُ حتى ما فيه أمْتٌ. انتهى.

«يومئذٍ» أي: يوم إذْ يَنْسِفُ اللهُ الجبالَ «يتَّبعُون» أي: الخلائقُ «الداعيَ» داعيَ الله إلى المحشر، نحو قوله: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨] وهو إسرافيل، يقوم على صخرة بيتِ المقدس يدعو الناسَ فيُقبلون من كلِّ جهة، يضعُ الصُّور في فيه ويقول: أيتُها العِظامُ البالية، والجلودُ المتمزِّقة، واللحومُ المتفرِّقة، هلمَّ إلى العَرْضِ على الرحمن[١].

وقال محمد بن كَعْب: يُجمعون في ظُلمة؛ قد طُويت السماء، وانتثرتِ النجوم، فيُنادي منادٍ فيَؤُمُّونَ صَوْتَهُ[٢].

وقال عليُّ بنُ عيسى: الدَّاعي هنا الرسولُ الذي كان يدعوهم إلى الله، فيَعُوجُون على الصراط يميناً وشمالاً ويميلون عنه ميلاً عظيماً، فيومئذٍ لا ينفعُهم اتِّباعُه[٣].

والظاهر أنَّ الضمير في «له» عائدٌ على «الدَّاعي» نَفَى عنه العِوَج، أي: لا عِوَجَ لدعائه يسمعُ جميعَهم فلا يميل إلى ناسٍ دون ناس، وقيل: هو على القلب، أي: لا عِوَجَ لهم عنه، بل يأتون مقبلين إليه متَّبعين لصوته من غير انحراف.

---

(١) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٧٥ عن كعب، وأورده النحاس في إعرابه ٤/ ٢٣٣ عنه أيضاً، وأورده البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣١٢ (٣٥٣م) مطولاً عن ابن عباس ﷺ وضعَّفَ إسناده إليه، وينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١١٨.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: فيموتون موتةً، وهو تحريف، والخبر في الهداية ٧/ ٤٧٠٠ بنحوه، وفيه: وينادي منادٍ فيتبع الناس الصوت يؤمُّونه. وفي تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٤٣٥: يأتونه، بدل: يؤمُّونه.

(٣) ذكر الآلوسي صدر هذا القول وقال: الأول أصح. ينظر روح المعاني ١٦/ ٤٦٢.

وقال الزمخشري[١]: أي: لا يعوجُ له مَدْعُوٌّ، بل يستوون إليه. انتهى.

وقيل: «لا عِوَجَ له» في موضع وصف لمنعوتٍ محذوف، أي: اتِّباعاً لا عِوَجَ له، فيكون الضمير في «له» عائداً على ذلك المصدر المحذوف.

وقال ابنُ عطية: يحتمل أن يُريد به الإخبار، أي: لا شكَّ فيه ولا يُخالف وجودَهُ خبرُهُ، ويحتمل أن يُريد: لا مَحِيدَ لأحدٍ عن اتِّباعِهِ والمشي نحو صوتِه، والخُشوع التَّطامُنُ والتواضع، وهو في الأصوات استعارة بمعنى الخَفَاءِ والاستسرار. «للرَّحمن» أي: لِهيبةِ الرحمن وهَوْلِ مطلع قدرتِه[٢].

وقيل: هو على حذف مضاف، أي: وخَشَعَ أهلُ الأصوات.

والهَمْسُ: الصوتُ الخفيُّ الخافت، ويحتمل أن يريد بالهمسِ المسموعِ تخافتَهم بينَهم وكلامَهم السِّرّ، ويحتمل أن يريد صوتَ الأقدام وأنَّ أصواتَ النُّطق ساكنَة[٣].

وقال الزمخشريّ: «إلا همساً» وهو الرِّكْزُ الخفيّ[٤]، ومنه الحروف المهموسة[٥]، وقيل: هو من هَمْسِ الإبل، وهو صوتُ أخْفَافِها إذا مَشَتْ، أي: لا تسْمعُ إلا خَفْقَ الأقدام ونقلها إلى المحشر. انتهى[٦].

وعن ابنِ عبَّاس وعكرمة وابن جُبير: الهَمْسُ وَطْءُ الأقدام. واختارَه الفرَّاء والزَّجَّاج[٧].

وعن ابن عباس أيضاً: تحريك الشفاه بغير نُطق[٨]، وعن مجاهد: الكلام

(١) الكشاف ٢/ ٥٥٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٦٤.
(٣) في (يه): ساكتة. والكلام في المصدر السالف.
(٤) الرِّكْزُ: الصوتُ الخفيّ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨].
(٥) وهي عشرة، يجمعُها قولك: حَثَّهُ شخصٌ فسكت. ينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٤٠.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٥٤، وينظر تفسير الثعلبي ٤/ ٢٢٤.
(٧) تفسير الطبري ١٦/ ١٦٨، وزاد المسير ٥/ ٣٢٣ (والكلام منه). وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٩٢ وللزجاج ٣/ ٣٧٧.
(٨) زاد المسير ٥/ ٣٢٣. قال الآلوسي في روح المعاني ١٦/ ٤٦٣: استُبعِدَ بأنَّ ذلك ممَّا يُرى لا ممَّا يُسمع.

الخَفِيّ، ويؤيِّدُه قراءة أُبيّ: فلا ينطقون إلا همساً[١]، وعن أبي عبيدة: الصوتُ الخفِيّ[٢].

«يومئذٍ» بدل من «يومئذٍ يتَّبعِون» أو يكون التقدير: يومَ إذْ يتَّبعون، ويكون منصوباً بـ «لا تَنْفَعُ»، و«مَنْ» مفعول بقوله: «لا تَنْفَعُ».

و«له» معناه: لأَجْلِهِ، وكذا في «ورَضِيَ له»، أي: لأجلِهِ، ويكون «مَنْ» للمشفوع له، أو بدل من الشفاعة على حذف مضاف، أي: إلا شفاعةَ مَنْ أَذِنَ له، أو منصوب على الاستثناء على هذا التقدير، أو استثناء منقطع فنُصب على لغة الحجاز، ورُفع على لغة تميم، وتكون «مَنْ» في هذه الأوجه للشافع.

والقول المرضيّ عن ابن عباس: لا إله إلا الله[٣].

والظاهر أنَّ الضمير في «أيديهم وما خلفَهم» عائدٌ على الخلق المحشورين، وهم متَّبِعُو الداعي، وقيل: يعود على الملائكة، وقيل: على الناس لا بقيد الحشر والاتِّباع، وتقدَّم تفسيرُ هذه الجملة في آية الكرسيّ في البقرة [٢٥٥].

والضمير في «به» عائدٌ على «ما» أي: ولا يحيطون بمعلوماتِهِ علماً.

والظاهرُ عُمومُ الوجوه، أي: وجوهُ الخلائق، وخصَّ الوجوه لأنَّ آثار الذُّلّ إنما تظهرُ أوّلَ في الوجوه.

وقال طَلْقُ بنُ حَبِيب: المرادُ سجودُ الناس على الوجوه والآراب السبعة[٤]. فإن كان رُوِيَ أنَّ هذا يكون يومَ القيامة فتكونُ الآيةُ إخباراً عنه، واستقامَ المعنى، وإن كان أرادَ في الدنيا فليس ذلك بملائم للآيات التي قبلَها وبعدَها.

وقال الزمخشريّ[٥]: المرادُ بالوجوه وجوهُ العُصاة وأنهم إذا عايَنُوا يومَ القيامة

---

(١) ينظر النكت والعيون ٣/ ٤٢٧، وزاد المسير ٥/ ٣٢٣.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٣٠، ونقله المصنف بواسطة زاد المسير ٥/ ٣٢٣، وهو بنحو قول مجاهد السالف.

(٣) تفسير الواحدي ٣/ ٢٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٤٠.

(٤) المحرر الوجيز، والكلام بعدَه بنحوه لابن عطية. وأخرجه الطبري في تفسيره ١٦/ ١٧٤ مفصَّلاً بلفظ: هو وضعُك جبهتَك وكفَّيْك وركبتَيْك وأطراف قدميك في السجود.

(٥) الكشاف ٢/ ٥٥٤.

الخَيْبَةَ والشَّقْوَةَ وسوءَ الحساب صارَتْ وجُوهُهم عانِيَة، أي: ذليلةً خاضعةً مثلَ وُجوهِ العُناة، وهم الأسارى، ونحوُه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧]، و﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤].

و«القَيُّوم» تقدَّم الكلامُ عليه في البقرة [٢٥٥].

«وقد خابَ» أي: لم ينجح ولا ظَفِرَ بمطلوبه، والظلمُ يعمُّ الشِّرْكَ والمعاصيَ، وخَيْبَةُ كلِّ حاملٍ بقَدْرِ ما حملَ من الظُّلم، فخيبةُ المشركِ دائماً، وخَيْبَةُ المؤمن العاصي مقيَّدة بوقت في العقوبة إن عُوقب[١].

ولمَّا خصَّ الزمخشريُّ الوجوهَ بوجوهِ العُصاة قال في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: إنه اعتراض كقولك: خابُوا وخَسِرُوا، حتى تكون الجملةُ دخلَتْ بين العُصاة وبين «ومَنْ يعملْ من الصالحات» فهذا عنده قَسِيمُ «وعَنَتِ الوُجُوهُ».

وأمَّا ابنُ عطيَّة فجعلَ قولَه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ إلى ﴿هَضْمًا﴾ مُعادلاً لقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ لأنه جعلَ «وعَنَتِ الوُجُوهُ» عامَّةً في وجوهِ الخلائق، و«من الصالحات» تيسيرٌ في الشرع لأنَّ «مِنْ» للتبعيض.

والظُّلم مجاوزةُ الحدِّ في عُظْمِ سيِّئاتِه، والهَضْمُ نقصٌ من حسناته. قاله ابنُ عبَّاس، وقال قتادة: الظُّلم أن يُزاد من ذنبِ غيرِه، وقال ابنُ زيد: الظُّلمُ أن لا يُجْزَى بعملِهِ[٢].

وقيل: الظُّلمُ أنْ يأخُذَ من صاحبِه فوقَ حَقِّه، والهَضْمُ أنْ يَكسِرَ من حقِّ أخيه فلا يُوَفِّيهِ له؛ كصفة المطفِّفين؛ يسترجِحُون لأنفسهم إذا اكْتَالُوا، ويُخْسِرُون إذا كَالُوا. انتهى[٣].

والظُّلم والهَضْمُ متقاربان؛ قال الماورديُّ[٤]: والفرقُ أنَّ الظُّلْمَ مَنْعُ الحقِّ كلِّه، والهَضْمُ مَنْعُ بعضِهِ.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٦٥.
(٢) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ١٧٦-١٧٧، والنكت والعيون ٣/ ٤٢٨، وزاد المسير ٥/ ٣٢٤.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٥٤.
(٤) في النكت والعيون ٣/ ٤٢٨، ونقله عنه أيضاً القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٤٣.

وقرأ الجمهور: «فلا يخافُ» على الخبر، أي: فهو لا يخافُ، وقرأ ابنُ كثير وابنُ مُحيصن وحُميد: «فلا يَخَفْ» على النَّهْي[١].

«وكذلك» عطف على «كذلك نَقُصُّ» أي: ومِثْلَ ذلك الإنزال أو كما أنزلنا عليك هذه الآياتِ المضمَّنةَ الوعيدَ أنزَلْنا القرآنَ كلَّه على هذه الوتيرة مُكَرِّرِينَ فيه آياتِ الوعيد ليكونوا بحيث يُراد منهم تركُ المعاصي، أو فعلُ الخيرِ والطاعة[٢].

والذِّكْرُ يُطلق على الطاعة والعبادة[٣].

وقيل: كما قَدَّرْنا هذه الأمورَ وجعلناها حقيقةً بالمرصاد للعباد كذلك حَذَّرْنا هؤلاءِ أمْرَها[٤] وأنزلناه قرآناً عربيًّا وتَوَعَّدْنَا فيه بأنواعٍ من الوعيد لعلَّهم بحسب توقُّع البشر وترجِّيهم يتَّقون الله ويَخْشَوْنَ عقابَه فيؤمنون ويتذكَّرون نِعَمَهُ عندَهم وما حَذَّرَهم من أليمِ عقابِه. هذا تأويلُ فِرْقةٍ في قوله: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

وقالت فِرْقة: معناه أو يُكْسِبَهُمْ شَرَفاً ويُبْقي عليهم إيمانُهم ذِكْراً صالحاً في الغابرين[٥].

وقيل: المعنى كما رغَّبْنَا أهلَ الإيمان بالوَعْد حَذَّرْنا أهلَ الشِّرْكِ بالوعيد[٦].

﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ كالطُّوفان والصَّيحة والرَّجفة والمَسْخ، ولم يذكر الوَعْد لأنَّ الآية سِيقَتْ مساقَ التهديد.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ليكونوا على رجاءٍ من أن يُوقِعَ في قُلوبهم الاتِّقاءَ، أو يتَّقون أن ينزلَ بهم ما نزلَ بمن تقدَّمَهم.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي: عِظَةً وفِكْراً واعتباراً، وقال قتادة: وَرَعاً[٧].

---

(١) قراءة ابن كثير في السبعة ص٤٢٤ والتيسير ص١٥٣. وينظر تفسير القرطبي ١٤/١٤٣.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٥٤.
(٣) المصدر السالف.
(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ٦٥ (والكلام فيه): أمْرَنا.
(٥) المصدر السالف.
(٦) بنحوه في تفسير الطبري ١٦/ ١٧٨.
(٧) تفسير الطبري ١٦/ ١٧٩ وفيه: جدّاً ووَرَعاً، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٤٤ وفيه: حذراً وورعاً.

وقيل: أنزل القرآن ليصيرُوا مُحترزِين عمَّا لا ينبغي، أو يحدث لهم ذِكْراً يدعُوهم إلى الطاعات[(١)].

وأسندَ ترجِّي التقوى إليهم وترجِّي إحداثِ الذِّكْر للقرآن لأنَّ التقوى عبارة عن انتفاء فعل القبيح، وذلك استمرارٌ على العَدَم الأصلي، فلم يُسنَد [إلى] القرآن، وأُسنِدَ إحداثُ الذِّكْرِ إلى القرآن لأنه أمرٌ حَدَثَ بعد أنْ لم يكن[(٢)].

والظاهرُ أنَّ «أو» هنا لأحد الشيئين؛ قيل: «أو» كهي في: جَالِسِ الحسنَ أوِ ابْنَ سِيرين، أي: لا تكن خالياً منهما[(٣)].

وقرأ الحسن: «أو يُحْدِثْ» ساكنة الثاء[(٤)]، وقرأ عبد الله ومجاهد وأبو حَيْوَة والحسنُ في رواية والجَحْدَرِيّ وسلام «أو نُحْدِثْ» بالنون وجزم الثاء[(٥)]، وذلك حَمْلُ وصلٍ على وَقْف، أو تسكينُ حرفِ الإعراب استثقالاً لحركته، نحو قولِ جرير:

أو نَـهْـرُ تِـيـرَى فـلا تَـعْـرِفْـكُـمُ الـعَـرَبُ[(٦)]

ولمَّا كان فيما سبق تعظيم القرآن في قوله: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ذكرَ عَظَمةَ مُنْزِلِهِ تعالى، ثم ذكرَ هاتين الصفتين، وهي صفة المُلكِ التي تضمَّنَتِ القَهْرَ والسَّلْطَنَة، والحقّ وهي الصفة الثابتةُ له، إذْ كلُّ مَنْ يُدْعَى إلهاً دونَه باطلٌ ـ لاسيَّما الإلهُ الذي صاغُوه من الحُلِيّ ـ ومضمحلٌّ ملكُه ومستعارٌ.

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/ ١٢١.

(٢) بنحوه في المصدر السالف، ولفظة «إلى» بين حاصرتين لضرورة السياق.

(٣) المصدر السالف.

(٤) المحتسب ٢/ ٥٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٦٥. وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٤٤.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٦٥ عن الحسن، وزاد المسير ٥/ ٣٢٥ عن ابن مسعود والجحدريّ. والكشاف ٢/ ٥٥٤ دون نسبة.

(٦) هو عجز بيت، وصدرُه: سيروا بني العمِّ فالأهوازُ منزلكُمْ. وهو في ديوان جرير ١/ ٤٤١ برواية: ونهرُ تِيرَى فلم تعرفكمُ العرب، وعندئذ فلا شاهد فيه. ونهر تِيرَى (كضِيزَى) بالأهواز.

وتقدَّم أيضاً صفةُ سلطانِه يومَ القيامة وعِظَمُ قُدرتِه وذِلَّةُ عبيدِه وحُسْنُ تلطُّفِه بهم، فناسبَ تعاليَه ووصفَه بالصفتين المذكورتين[١].

ولما ذكرَ القرآنَ وإنزالَه قال على سبيل الاستطراد طالباً منه التأنّي في تحفُّظ القرآن: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: تَأَنَّ حتى يَفرُغَ المُلْقِي إليك الوَحْيَ، ولا تُساوِقْ في قراءتك قراءتَه وإلقاءَه، كقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[٢] [القيامة: ١٦].

وقيل: معناه لا تُبلِّغ ما كانَ منه مجملاً حتى يأتِيَك البيان[٣].

وقيل: سببُ الآية أنَّ امرأةً شكَتْ إلى النبيِّ ﷺ أنَّ زوجَها لَطَمَها فقال لها: «بينكما القِصَاص» ثم نزلت: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ ونزلت هذه بمعنى الأمر بالتثبُّت في الحُكم بالقرآن[٤].

وقيل: كان إذا نزلَ عليه الوَحْي أمَرَ بكَتْبِهِ للحين، فأُمِرَ أن يَتَأَنَّى حتى تُفَسَّرَ له المعاني ويتقرَّر عنده[٥].

وقال الماورديّ: معناه ولا تَسألْ قبلَ أن يأتيَك الوَحْيُ[٦]، إنَّ أهل مكة[٧] وأُسْقُف نَجْران قالوا: يا محمد أَخبِرْنا عن كذا وقد ضرَبْنا لك أجلاً ثلاثة أيام. فأبطأ الوَحْي عليه، وفشت المقالةُ بين اليهود: قد غُلب محمد[٨]، فنزلت: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: بنزوله.

---

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٦٥-٦٦.
(٢) بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٥٥.
(٣) المصدر السالف.
(٤) بعدها في المحرر الوجيز ٤/ ٦٦ (والكلام فيه): حتى يُبَيَّن. وأخرجه الطبري ٦/ ٦٨٩ عن الحسن مرسلاً.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٦٦.
(٦) بنحوه في النكت والعيون ٣/ ٤٢٩.
(٧) كذا وقع سياق الكلام، ولعل فيه سقطاً. والكلام بنحوه في روح المعاني ١٦/ ٤٧٢ وفيه: وذلك أن أهل مكة... إلخ. وهذا الخبر من قول الضحاك في تفسير الرازي ٢٢/ ١٢٢.
(٨) عبارة تفسير الرازي (والقول فيه): وفَشَتْ المقالةُ بأنَّ اليهود قد غلبُوا محمداً...

وقال أبو مسلم: ولا تَعْجَلْ بقراءته في نفسك، أو في تأديتِه إلى غيرِك، أو في اعتقادِ ظاهرِه، أو في تعريفِ غيرِكِ ما يقتضيه ظاهرُه؛ احتمالات ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: تمامُه أو بيانُه؛ احتمالان، فالمرادُ إذنْ أن لا يبعثَ[1] نفسَه ولا غيرَه عليه حتى يتبيَّن بالوحي تمامُه أو بيانُه أو هما جميعاً، لأنَّه يجبُ التوقُّفُ في المعنى لِما يجوزُ أن يَحْصُلَ عَقِيبه من استثناءٍ أو شرطٍ أو غيرِهما من المخصِّصات، وهذه العَجَلة لعله فعلَها باجتهادِهِ عليه الصلاة والسلام. انتهى. وفيه بعضُ تلخيص[2].

وقرأ الجمهور: «يُقْضَى إليك» مبنيًّا للمفعول «وَحْيُهُ» مرفوع به، وقرأ عبدُ الله والجَحْدرِيُّ والحسَن وأبو حَيْوَة ويعقوب وسلام والزَّعفرانيُّ وابنُ مِقْسَم: «نَقْضِيَ» بنون العظمة مفتوح الياء «وَحْيَهُ» بالنصب[3]، وقرأ الأعمش كذلك إلا أنه سكَّن الياء من «نقضي»[4]؛ قال صاحبُ «اللَّوامح»: وذلك على لغة مَنْ لا يَرَى فتحَ الياء بحالٍ إذا انكسرَ ما قبلَها وحَلَّتْ طَرَفاً. انتهى.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ قال مقاتل: أي: قرآناً، وقيل: فَهْماً، وقيل: حِفْظاً.

وهذا القولُ متضمِّنٌ للتواضعِ للهِ والشكرِ له عندما علَّم من ترتيب التَّعلُّم، أي: علَّمتَني مآرِبَ[5] لطيفةً في باب التعلُّم وأدباً جميلاً ما كان عندي، فزِدْني علماً.

وقيل: ما أمرَ اللهُ رسولَه بطلب الزيادة في شيء إلا في طلبِ العلم[6].

---

(١) في (أ) و(ع): يُتعب، وفي المطبوع: يُنصب.

(٢) الكلام للرازي في تفسيره ٢٢/ ١٢٢ وليس لأبي مسلم، ولعل وهماً وقع للمصنف، فقد نقل الرازي كلاماً قبله لأبي مسلم.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٦٦، وزاد المسير ٥/ ٣٢٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٤٥. وقراءة يعقوب من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٣٢٢.

(٤) في (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: يقضى، وسقط الكلام من (يه). وأثبتُّ اللفظة حسب سياقها. وينظر الدُّرُّ المصون ٨/ ١١١ وروح المعاني ١٦/ ٤٧٢.

(٥) في الكشاف ٢/ ٥٥٥ ومخطوطه الورقة (٥٨): يا ربّ، بدل: مآرب. وهو أشبه.

(٦) المصدر السالف.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ
ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا
يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟
فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ
وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ
ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا
مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ
وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا
فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾.

تقدَّمت قصةُ آدمَ عليه السلام في البقرة والأعراف والحِجْر والكهف، ولمَّا ذكرَ ههنا: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ كان من هذه الأنباء قصةُ آدم ليتحفَّظ بَنُوهُ من وسوسةِ الشيطان ويتَنبَّهُوا على غوائله، ومن أطاع الشيطانَ منهم ذُكِّر بما جَرَى لأبيه آدمَ معه وأنه أُوضحت له عداوتُه، ومع ذلك نَسِيَ ما عهدَ إليه ربُّه.

وأيضاً لمَّا أُمِرَ بأن يقولَ: ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ كان من ذلك ذِكْرُ قصة آدمَ وذِكْرُ شيء من أحوالِهِ فيها لم يتقدَّم ذِكْرُها، فكان في ذلك مزيدُ علم له عليه الصلاة والسلام.

والعهدُ عند الجمهور الوصيَّةُ، والظاهر أنَّ المضافَ إليه المحذوف بعد قوله: «مِنْ قبلُ» تقديرُه: مِن قبلِ هؤلاء الذين صَرَّفَ لهم من الوعيد في القرآن لعلهم يتقون، وهم الناقضُو عهدِ الله والتاركُو الإيمان.

وقال الحسن: من قبلِ الرسولِ والقرآنِ.

وقيل: من قبلِ أن يأكلَ من الشجرة[1].

(١) هو قول ابن عباس ﷺ، وهو في تفسير الرازي ٢٢/ ١٢٤، وكذا القول السالف قبله.

وقال الطبري[١]: المعنى وإنْ يُعْرِضْ يا محمد هؤلاء الكفرةُ عن آياتي ويُخالفوا رسلي ويُطيعوا إبليسَ، فقِدْماً فعلَ ذلك أبوهم آدم.

قال ابن عطية: وهذا ضعيف، وذلك أنَّ كونَ آدمَ مثالاً للكفار الجاحدين بالله ليس بشيء، وآدمُ عليه السلام إنما عَصَى بتأويل، ففي هذا غضاضة عليه، وإنَّما الظاهرُ في هذه الآية إمَّا أن يكونَ ابتداءَ قصصٍ لا تعلُّقَ له بما قبلَه، وإمَّا أن يُجعلَ تعلُّقه إنما هو[٢] لمَّا عَهِدَ إلى محمد ﷺ أن لا يَعْجَلَ بالقرآن مَثَّلَ له بنبيٍّ قبلَه عَهِدَ إليه فنسيَ فعُرِّفَ[٣] ليكونَ أشدَّ في التحذير وأبلغَ في العهد إلى محمد ﷺ.

وقال الزمخشري[٤]: يقال في أوامر الملوك ووصاياهم: تقدَّمَ الملكُ إلى فلان، وأوعَزَ إليه، وعَزَمَ عليه، وعَهِدَ إليه، عطفَ الله سبحانه وتعالى قصةَ آدم على قوله: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ والمعنى: وأُقسِمُ قَسماً لقد أَمَرْنَا أباهم آدمَ ووصَّيْناه أنْ لا يَقْرَبَ الشجرةَ وتوعَّدْناه بالدخول في جملة الظالمين إنْ قَرِبَها، وذلك مِن قبلِ وُجودِهم ومِن قبلِ أن نَتَوَعَّدَهم، فخالفَ إلى ما نُهِيَ عنه وتُوُعِّدَ في ارتكابه مخالفَتَهم، ولم يلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفتون، كأنه يقول: إن أساسَ أمرِ بني آدم على ذلك، وعِرْقُهم راسخٌ فيه. انتهى.

والظاهر أنَّ النِّسيان هنا التَّرْك، أي: تركَ ما وُصِّيَ به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرتها.

وقال الزمخشريّ: يجوزُ أن يُرادَ بالنِّسْيَان الذي هو نقيضُ الذِّكْر، وأنَّه لم يُعْنَ بالوصية العنايةَ الصادقة، ولم يَستَوْثِقْ منها بِعَقْدِ القلبِ عليها وضبطِ النفسِ حتى تولَّد من ذلك النِّسيان. انتهى، وقاله غيره.

---

(١) تفسيره ١٦/ ١٨١، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/ ٦٦.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٦٦ (والكلام منه): أنه، بدل: إنما هو. وكذا هو في تفسير القرطبي ١٤/ ١٤٦. وهو أحسن.

(٣) في المصدرين السالفين: فعوقبَ.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٥٥.

وقال ابنُ عطيَّة[1]: ونِسْيَانُ الذُّهول لا يمكن هنا لأنه لا يتعلَّق بالناسي عقاب. انتهى.

وقرأ اليمانيُّ والأعمش: «فنُسِّيَ» بضم النون وتشديد السِّين، أي: نسَّاهُ الشيطان[2].

والعَزْمُ التصميم والمُضِيُّ؛ قال الزمخشريّ[3]: أي على ترك الأكل، وأن يتصلَّبَ في ذلك تصلُّباً يُؤْيِسُ الشيطانَ من التسويلِ له، والوجودُ يجوزُ أن يكون بمعنى العِلْم، ومفعولاه: «له عَزْماً»، وأن يكون نقيضَ العَدَم، كأنَّه قال: وعَدِمْنا له عَزْماً. انتهى.

وقيل: «ولم نَجِدْ له عَزْماً» على المعصية[4]، وهذا يتخرَّج على قول من قال: إنَّه فعلَ نِسياناً.

وقيل: حِفْظاً لِما أُمِرَ به، وقيل: صَبْراً عن أكل الشجرة، وقيل: عَزْماً في الاحتياط في كيفية الاجتهاد[5].

وتقدَّم الكلام على نظير قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾﴾ و«أبى» جملة مستأنَفة مبيِّنة أنَّ امتناعَه من السجود إنَّما كان عن إباءٍ منه وامتناع، والظاهرُ حذفُ متعلَّق «أبَى» وأنه يُقَدَّر هنا ما صَرَّحَ به في الآية الأخرى: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣١].

وقال الزمخشريّ: «أَبَى» جملة مستأنفة كأنه جوابُ قائلٍ قال: لِمَ لَمْ يسجد؟ والوجهُ أن لا يقدَّرَ له مفعول، وهو السجودُ المدلول عليه بقوله: «سَجَدُوا»[6] وأن

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/٦٦، وتفسير القرطبي ١٤/١٤٧.

(٢) القراءات الشاذة ص٩٠ عن اليَمانيّ، ونُسبت في زاد المسير ٥/٣٢٨ لمعاذ القارئ وعاصم الجحدري وابن السَّمَيْفَع، ولم أقف عليها عن الأعمش في المصادر قبل أبي حيَّان. وجاء في المحرر الوجيز ٤/٦٧ وتفسير القرطبي ١٤/١٤٥-١٤٦ عنه: فَنَسِيْ، مثل قراءة الجماعة إلا أنه سكَّن الياء؛ قال ابنُ عطية: وَجْهُها أنه طلبَ الخِفَّة.

(٣) الكشاف ٢/٥٥٥.

(٤) تفسير الرازي ٢٢/١٢٤.

(٥) ينظر تفسير الطبري ١٦/١٨٣-١٨٤، وزاد المسير ٥/٣٢٨، وتفسير القرطبي ١٤/١٤٧.

(٦) في المطبوع: اسجُدوا، وهو خطأ، وفي الكشاف ٢/٥٥٥ (والكلام منه): فسجدوا.

يكون معناه: أظهرَ الإباءَ وتوقَّف وتثبَّط. انتهى.

و«هذا» إشارةٌ إلى إبليس، و«عَدُوٌّ» يُطلقَ على الواحد والمثنَّى والمجموع، عرَّف تعالى آدمَ عداوةَ إبليس له ولزوجِهِ ليحذراه فلن يغن[1] الحذَرُ عن القَدَر.

وسببُ العداوة فيما قيل أنَّ إبليسَ كان حسوداً، فلما رأى آثارَ نِعَمِ اللهِ على آدمَ حَسَدَهُ وعاداه.

وقيل: العداوةُ حصلت من تنافي أصلَيْهما، إذْ إبليسُ من النار، وآدمُ من الماء والتراب[2].

﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾ النَّهيُ له والمرادُ غيرُه، أي: لا يَقَعْ منكما طاعةٌ له في إغوائه فيكونَ ذلك سببَ خروجكما من الجنة.

وأسندَ الإخراجَ إليه ـ وإنْ كان المُخرِجُ هو الله تعالى ـ لمَّا كان بوسوسته هو الذي فَعَلَ ما ترتَّبَ عليه الخروج.

«فتَشْقَى» يحتمل أن يكون منصوباً بإضمار «أنْ» في جواب النَّهي، وأن يكونَ مرفوعاً على تقدير: فأنتَ تشقى. وأسندَ الشقاءَ إليه وحدَه بعد اشتراكِهِ مع زوجِهِ في الإخراج من حيثُ كان هو المخاطَبَ أولاً والمقصودَ بالكلام، ولأنَّ في ضمنِ شقاءِ الرجلِ شقاءَ أهلِه، وفي سعادتهِ سعادتها، فاختصرَ الكلام بإسناده إليه دونَها مع المحافظة على الفاصلة[3].

وقيل: أرادَ بالشقاء التعب في طلب القوت، وذلك راجعٌ إلى الرَّجل[4].

وعن ابنِ جُبير: أُهبِطَ له ثورٌ أحمرُ يَحْرُثُ عليه فيأكلُ بكدِّ يمينِه وعرقِ جبينِه[5].

---

(١) كذا. والجادَّة: فلم يُغْنِ، أو: فلن يُغْنِيَ.
(٢) القولان في تفسير الرازي ٢٢/ ١٢٤-١٢٥.
(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٥٥٥-٥٥٦ وتفسير الرازي ٢٢/ ١٢٥.
(٤) تفسير الرازي ٢٢/ ١٢٥.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ١٨٦ وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٢٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٥٠.

وقرأ شيبة ونافع وحفص وابنُ سَعْدان: «وإنَّك لا تظمأ» بكسر همزة «وإنك»[١] وقرأ الجمهور بفتحها، فالكَسْرُ عطفٌ على «إنَّ لك»، والفتح عطف على المصدر المنسبك من «أنْ لا تجوعَ» أي إنَّ لك انتفاءَ جُوعك وانتفاءَ ظمئك. وجاز عطف «أنَّك» على «أنْ» لاشتراكهما في المصدر، ولو باشَرَتْها «إنَّ» المكسورة لم يجز ذلك وإنْ كان على تقديرها، ألا ترى أنها معطوفة على اسم «إنَّ» وهو «أنْ لا تجوع» لكنه يجوزُ في العطف ما لا يجوزُ في المباشرة.

ولمَّا كان الشِّبَعُ والرِّيُّ والكُسْوةُ والكِنُّ هي الأمورُ التي هي ضروريةٌ للإنسان اقتُصر عليها لكونها كافيةً له، وفي الجنة ضُروبٌ من أنواع النعيم والرَّاحة ما هذه[٢] بالنسبة إليها كالعَدَم، فمنها الأمْنُ من الموت الذي هو مُكدِّرٌ لكلِّ لذَّة، والنظرُ إلى وجه الله سبحانه، ورضاه تعالى عن أهلها، وأنْ لا سَقَم ولا ألَمَ ولا كِبَرَ ولا هَرَمَ ولا غِلَّ ولا غَضَبَ ولا حَدَثَ ولا مقاذيرَ ولا تكليف ولا حُزنَ ولا خوفَ ولا مَلَلَ.

وذُكرت هذه الأربعة بلفظ النفي لإثباتِ أضدادِها وهو الشِّبَعُ والرِّيُّ والكُسْوةُ والكِنُّ، وكانت نقائضُها بلفظ النَّفي وهو الجوع والعُرْيُ والظمأ والضَّحْوُ ليَطْرُقَ سمعَه بأسامي أصناف الشَّقوة التي حذَّرَه منها حتى يتحامَى السببَ المُوقِعَ فيها كراهةً لها[٣].

قال ابنُ عطيَّة: وكان عُرْفُ الكلام أن يكون الجوعُ مع الظمأ، والعُرْيُ مع الضَّحاء لأنها تتضادُّ، إذِ العُرْيُ سببٌ لمماسة البرد[٤] فيؤذي، والحرُّ يفعلُ ذلك بالضَّاحي، وهذه الطريقة مَهْيَعٌ في كلام العرب أن تُفرِّقَ النِّسَب[٥]، ومنه قولُ امرئ القيس:

---

(١) كذا وقع، وإنما قرأ حفص عن عاصم بفتح الهمزة، وقرأ أبو بكر (شعبة) بن عياش عن عاصم بكسرها. ينظر السبعة ص٤٢٤، والتيسير ص١٥٣.

(٢) «ما» اسم موصول بمعنى التي.

(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٥٥٦، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٢٥.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: إذِ العُرْيُ نفسه البرد، وفي (يه): إذِ العُرْيُ سبب المماسة البرد، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٦٧ (والكلام منه): إذِ العُرْيُ يُمسُّ بسببه البرد. والمثبت من (ح).

(٥) في (أ) و(ع) والمطبوع: يقرن النِّسَب، وفي (ح) و(يه): يقرن الشيء بشبهه. والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٦٧ (والكلام منه). والمرادُ قطعُ النَّظِيرِ عن النَّظير ـ كما في روح المعاني

كـأنِّـيَ لَـمْ أركَـبْ جَـوَاداً لِـلَـذَّةٍ ولَـمْ أَتَـبَـطَّـنْ كـاعِـبـاً ذاتَ خَـلْـخَـالِ
ولـم أَسْـبَـأ الـزِّقَّ الـرَّوِيَّ ولـم أَقُـلْ لِـخَـيْـلـيَ كُـرِّي كَـرَّةً بـعـد إجْـفـالِ[(١)]

وقد ذهبَ بعضُ الأدباء إلى أنَّ بَيْتَي امرئ القيس حافظانِ[(٢)] للنَّسَب، وأنَّ ركوبَ الخيل للصيد وغيرِه من الملاذّ يُناسبُ تبطُّنَ الكاعِب. انتهى.

وقيل: جاء هذا الجوابُ على قدر السؤال، لمَّا أمرَ الله آدمَ بسُكْنَى الجنة قال: إلهي، أَلِي فيها ما آكل؟ أَلِي فيها ما أَلْبَسُ؟ أَلي فيها ما أشرَبُ؟ أَلِي فيها ما أستظلُّ به؟

وقيل: هي مقابلةٌ معنوية، فالجوعُ خُلُوُّ الباطن، والتَّعرِّي خُلُوُّ الظاهر، والظَّمأ إحراقُ الباطن، والضَّحْو إحراقُ الظاهر، فقابلَ الخُلُوَّ بالخُلُوِّ، والإحراقَ بالإحراق.

وقيل: جمعَ امرؤ القيس في بَيْتَيْهِ بين ركوب الخيل للَّذَّةِ والنُّزهة وبين تَبَطُّن الكاعِب للَّذَّةِ الحاصلة فيهما، وجمعَ بين سِباء الزِّقِّ وبين قوله لخيله: كُرِّي لِما فيهما من الشَّجاعة.

ولمَّا عِيبَ على أبي الطَّيِّب قولُه:

وَقَفْـتَ وما فـي الـموتِ شَـكٌّ لـواقِـفٍ كـأنَّـك فـي جَـفْـنِ الـرَّدَى وَهْـوَ نـائـمُ
تَـمُـرُّ بـك الأبـطـالُ هَـزْمَـى كَـلِـيـمـةً[(٣)] ووَجْـهُـكَ وضَّـاحٌ وثَـغْـرُكَ بـاسِـمُ

فقال: إنْ كنتُ أخطأتُ فقد أخطأ امرُؤُ القَيْس.

وتقدَّم الكلامُ في «فوَسْوسَ» والخلافُ في كيفيتها في الأعراف.

= ١٦/ ٤٨٠ ـ والغرضُ من ذلك تحقيقُ تعدادِ هذه النِّعَم، ولو قُرن كلٌّ بشكلِهِ لَتُوُهِّمَ المقرونانِ نعمةً واحدة.

(١) ديوان امرئ القيس ص٣٥. قوله: لم أسبأ الزِّقَّ، أي: لم أشترِ زِقَّ الخمر.

(٢) وقع بياض مكان هذه الكلمة في (ح) و(يه)، وجاء رسمها في (أ) و(ع) والمطبوع: كافطاني(!)، والصواب ما أثبتُّه إن شاء الله، من سياق الكلام. وجاء في المحرر الوجيز ٤/ ٦٧ (والكلام منه): .... إلى أنَّ بَيْتَي امرئ القيس حافظة لِنسب....

(٣) في ديوان أبي الطَّيِّب المتنبِّي ٤/ ١٠١-١٠٢ (بشرح البرقوقي): كَلْمَى هزيمةً. وكَلْمَى جمع كليم، أي: جريح. والبيتان من قصيدة له في مدح سيف الدولة الحمداني.

وتعدَّى «وَسْوَسَ» هنا بـ «إلى» وفي الأعراف باللام، فالتَّعدِّي بـ «إلى» معناه أنهى الوَسْوَسَةَ إليه، والتَّعدِّي بلام الجرّ قيل: معناه لأجله(١).

ولمَّا وَسْوَسَ إليه ناداه باسمه ليكونَ أقبلَ عليه وأمكنَ للاستماع، ثم عَرَضَ عليه ما يُلقي بقوله: «هَلْ أَدُلُّكَ» على سبيل الاستفهام الذي يُشعر بالنُّصْح ويُؤثِرُ قَبُول مَنْ يُخاطِبُه، كقول موسى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] وهو عَرْضٌ فيه مناصحة.

وكان آدمُ قد رغَّبه الله تعالى في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾ الآية، ورغَّبه إبليس في دوام الراحة بقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ﴾ فجاءه إبليس من الجهة التي رغَّبه الله فيها(٢).

وفي الأعراف: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الآية [٢٠]، وهنا: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ﴾، والجمعُ بينهما أنَّ قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ﴾ يكون سابقاً على قوله: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا﴾، لمَّا رأى إصغاءَهُ وميلَه إلى ما عَرَضَ عليه انتقلَ إلى الإخبار والحَصْر.

ومعنى ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: الشجرة التي مَنْ أكلَ منها خُلِّدَ وحَصَلَ له مُلْكٌ لا يَخْلُقُ، وهذا يدلُّ لقراءة الحسن بنِ علي وابنِ عباس: «إلا أن تكونا مَلِكَيْنِ» بكسر اللام(٣).

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ تقدَّم الكلام على نحو هذه الآية في الأعراف.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ قال الزمخشريّ عن ابن عباس: لا شُبْهَةَ في أنَّ آدمَ صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسَمَ اللهُ له وتَخطَّى فيه ساحةَ الطاعة، وذلك هو العصيان، ولما عصَى خرجَ فعلُه من أن يكون رُشْداً وخَيْراً، فكان غَيًّا لا محالة، لأنَّ الغَيَّ خلافُ الرُّشْد، ولكن قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ بهذا الإطلاق وهذا التصريح وحيثُ لم يقل: وزَلَّ آدمُ وأخطأ، وما أشبه ذلك ممَّا يُعَبَّرُ به عن الزَّلَّات والفُرطات فيه لُطْفٌ بالمكلَّفين ومزجرةٌ بليغة

(١) تفسير الرازي ٢٢/١٢٦، وينظر الكشاف ٢/٥٥٦.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٢/١٢٦.
(٣) الكشاف ٢/٥٥٧. وسلفت القراءة في الأعراف (٢٠).

وموعظةٌ كافَّة، وكأنه قيل لهم: انظُرُوا واعتَبرُوا كيف نَعَيْتُ[١] على النبيِّ المعصومِ حبيبِ الله ـ الذي لا يجوزُ عليه [إلا] اقترافُ الصغيرة غير المنفِّرة ـ زَلَّتَهُ بهذه الغِلْظَةِ وبهذا اللفظ الشنيع، فلا تتهاونُوا بما يفرُط منكم من السيِّئات والصغائر فضلاً أنْ تَجْسُرُوا على التَّوَرُّط في الكبائر، وعن بعضهم: «فغَوِيَ»: فبَشِمَ[٢] من كثرة الأكل وهذا ـ وإنْ صَحَّ على لغة من يقلبُ الياءَ المكسورَ ما قبلَها ألفاً فيقول في فَنِيَ وبَقِيَ: فَنَا وبَقَا، وهم بنو طيِّئ ـ تفسيرٌ خبيث. انتهى.

وقال القاضي أبو بكر بنُ العربيّ: لا يجوزُ لأحدِنا اليومَ أن يُخبِرَ بذلك عن آدم عليه السلام إلا إذا ذكرناه في أثناء قوله تعالى، أو قولِ نبيِّه عليه الصلاة والسلام، فأمَّا أن يبتدئَ ذلك من قِبَلِ نفسِه فليس بجائزٍ لنا في آبائنا الأدْنَيْنَ إلينا المماثِلين لنا، فكيف في أبينا الأقدمِ الأعظم الأكرم النبيِّ المقدَّم الذي اجتباه الله وتابَ عليه وغفرَ له؟! قال القُرطبيّ[٣]: وإذا كان هذا في المخلوق لا يجوزُ فالإخبارُ عن صفات الله كاليَدِ والرِّجْلِ والإصبع والجَنب والنزول إلى غير ذلك أَوْلَى بالمنع، وأنه لا يجوز الابتداء بشيء من ذلك إلا في أثناء قراءةِ كتابِه أو سنَّةِ رسولِه عليه الصلاة والسلام، ولهذا قال الإمام مالك بنُ أنس: مَنْ وصفَ شيئاً من ذاتِ الله مثلَ قولِه تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ [المائدة: ٦٤] فأشارَ بيدِه إلى عُنقِه قُطعت يدُه، وكذلك في السمع والبصر يُقطع ذلك منه، لأنه شبَّه الله سبحانَه بنفسه.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ﴾ أي: اصطفاه وقرَّبه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي: قَبِلَ توبتَه ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي: هَدَاه للنُّبُوَّة، أو إلى كيفية التوبة، أو هداه رُشْدَهُ حتى رَجَعَ إلى النَّدم.

والضمير في «اهْبِطا» ضمير تثنية، وهو أمرٌ لآدمَ وحوَّاء، جعلَ هبوطَهما عقوبتَهما.

و«جميعاً» حالٌ منهما، وقال ابنُ عطيَّة: ثم أخبرَهما بقول: «جميعاً» أنَّ إبليسَ

---

(١) في (أ) و(ع) والمطبوع: نعتب. والمثبت من (ح) و(يه) وهو كذلك في المصدر السالف والكلام منه. ولفظة «إلا» الآتية بين حاصرتين منه أيضاً.

(٢) أي: تخمَ.

(٣) تفسيره ١٤/١٥٣، وفيه كلام ابن العربي السالف، وهو في أحكام القرآن له ٣/١٢٤٩.

والحيَّةَ يهبطانِ معهما، وأخْبَرَهما أنَّ العداوة بَينهم وبين أنسالِهم إلى يوم القيامة. انتهى.

ولا يدلُّ قولُه: «جميعاً» على أنَّ إبليسَ والحيَّةَ يهبطانِ معهما لأنَّ «جميعاً» حال من ضمير الاثنين، أي: مجتمعين، والضميرُ في «بعضُكم لبعضٍ» ضمير جمع، قيل: يريد إبليسَ وبنيه وآدمَ وبنيه، وقيل: أرادَ آدمَ وذرِّيَّته، فالعداوةُ واقعة بينهم والبغضاءُ لاختلاف الأديان وتشتُّت الآراء. وقيل: آدم وإبليس والحيَّة.

وقال أبو مسلم الأصبهانيّ[1]: الخطابُ لآدم عليه السلام [ومعه ذُرِّيَّتُهُ ولإبليسَ ومعه ذُرِّيَّتُهُ] ولكونهما جنسين صحَّ قولُه: «اهْبِطا» ولأجلِ اشتمالِ كلِّ واحدٍ من الجنسين على الكثرة صحَّ قولُه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾.

وقال الزمخشريّ[2]: لمَّا كان آدمُ وحَوَّاء عليهما السلام أصْلَي البشر والسَّبَبَيْنِ اللَّذَيْنِ منهما نشؤُوا وتفرَّعُوا جُعلا كأنَّهما البشَرُ في أنفسهما، فخُوطِبا مخاطبتَهم، فقيل: «فإمَّا يأتينَّكم» على لفظ الجماعة، ونظيرُه إسنادُهم الفعلَ إلى السبب، وهو في الحقيقة للمسبَّب. انتهى.

و«هُدًى»: شريعة الله، وعن ابن عباس: ضَمِنَ اللهُ لمن اتَّبَعَ القرآنَ أنْ لا يَضِلَّ في الدنيا ولا يَشْقَى في الآخرة، ثم تلا: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[3].

والمعنى أنَّ الشَّقاء في الآخرة هو عقابُ مَنْ ضَلَّ في الدنيا عن طريق الدِّين، فمن اتَّبَعَ كتابَ الله وامتثلَ أوامِرَهُ وانتهى عن نواهيه، نَجَا من الضَّلال ومن عقابِه.

وعن ابن جُبَيْر: مَنْ قرأ القرآنَ واتَّبَعَ ما فيه عَصَمَهُ الله من الضلالة، ووقاه سُوءَ الحساب[4].

---

(١) كلامه في تفسير الرازي ٢٢/١٢٩، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) الكشاف ٢/٥٥٧.

(٣) تفسير الطبري ١٦/١٩١، والكشاف ٢/٥٥٨ (ولفظُه منه)، وزاد المسير ٥/٣٣٠، وتفسير القرطبي ١٤/١٥٦-١٥٧.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١٦/١٩١-١٩٢ من طريق سعيد بن جُبير عن ابن عباس ﵄.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: وهذه الآيةُ تدلُّ على أنَّ المرادَ بالهُدى الذي ذكرَه الله تعالى اتِّباعُ الأدلَّة، واتِّباعُها لا يتكاملُ إلا بأنْ يَستَدِلَّ بها وبأنْ يعملَ بها، ومَنْ هذه حالُهُ فقد ضَمِنَ تعالى [له] أنْ لا يَضِلَّ [ولا يَشْقَى؛ قيل: لا يَضِلُّ في الدُّنيا ولا يَشقَى في الآخرة، وقيل: لا يَضِلُّ] ولا يَشْقَى في الآخرة، لأنه تعالى يَهدِيهِ إلى الجنَّة، وقيل: لا يَضِلُّ ولا يَشْقَى في الدنيا.

فإن قيل: المتَّبِعُ لِهُدَى[1] اللهِ قد يلحقُه الشقاءُ في الدنيا؟

قلنا: المرادُ لا يضلُّ في الدِّين ولا يَشْقَى بسبب الدِّين، فإنْ حَصَلَ [الشقاءُ] بسبب آخر فلا بأس. انتهى.

ولمَّا ذكرَ تعالى من اتَّبَعَ الهُدى أتْبَعَهُ بوعيدِ مَنْ أعرضَ عن ذِكْرِه، والذِّكْرُ يقعُ على القرآن وعلى سائر الكتب الإلهيَّة.

و«ضَنْك» مصدر يُوصَفُ به المُذَكَّر والمؤنَّث والمفرد والمثنَّى والمجموع، والمعنى: النَّكَدُ الشاقُّ من العيش والمنازلِ ومواطنِ الحرب ونحوِها، ومنه قولُ عنترة[2]:

إنَّ المَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ ... مثلي إذا نزلوا بِضَنْكِ المَنْزِلِ

وعن ابن عبَّاس: نزلَتْ هذه الآيةُ في الأسود بن عبد الأسد[3] المخزوميّ، والمرادُ ضغطةُ القبر، تختلفُ فيه أضلاعُه[4].

وقال الحسن وقتادة والكلبيّ: هو الضِّيقُ في الآخرة في جهنم، فإنَّ طعامَهم فيها الضَّريع والزَّقُّوم، وشرابهم الحميم والغِسْلِين، ولا يموتون فيها ولا يَحْيَوْن.

وقال عطاء: المعيشةُ الضَّنْكُ معيشةُ الكافر، لأنه غيرُ مُوقنٍ بالثواب والعقاب[5].

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: المنعَمُ بهدى. والمثبت من تفسير الرازي ٢٢/ ١٣٠ (والكلام منه) وما سلف وسيرد بين حاصرتين منه.
(٢) ديوانه ص٥٨.
(٣) في مطبوع تفسير الرازي ٢٢/ ١٣٠ (والقول فيه): بن عبد العُزَّى.
(٤) المصدر السالف، وهو في زاد المسير ٥/ ٣٣٢ من رواية عطاء عن ابن عباس.
(٥) القولان في تفسير الرازي ٢٢/ ١٣٠-١٣١. وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٥٧.

وقال ابنُ جُبير: يُسْلَبُ القناعةَ حتى لا يشبع[١].

وقال أبو سعيد الخدريُّ والسُّدِّيُّ: هو عذابُ القبر، ورواه أبو هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ[٢].

وقال الجمهور[٣]: المعيشةُ الضَّنْكُ في الدنيا، والمعنى أنَّ الكافر وإنْ كان متَّسع الحال والمال فمعَه من الحِرْص والأمل والتَّعذُّب بأمور الدُّنيا والرَّغبة وامتناع صفاء العيش لذلك ما تصيرُ معيشتُه ضَنْكاً.

وقيل[٤]: ضنكاً بأكل الحرام.

ويُستدلُّ على أنَّ المعيشةَ الضَّنْكَ قبلَ يوم القيامة بقولِه: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ فكأنه ذكرَ نوعاً من العذاب، ثم ذكرَ أنَّ عذاب الآخرة أشدُّ وأبقى.

وحسَّن قولَ الجمهور الزمخشريُّ فقال: ومعنى ذلك أنَّ مع الدِّين التسليمَ والقناعةَ والتوكُّلَ على الله وعلى قِسمتِه، فصاحبُه يُنفق ما رزقَه بسماحٍ وسهولة، فيعيش عيشاً طيِّباً كما قال تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] والمُعْرِضُ عن الدِّين مُستولٍ عليه الحِرْصُ الذي لا يزالُ يُطيح[٥] به إلى الازدياد من الدنيا مُسَلَّطٌ عليه الشُّحُّ الذي يَقْبضُ يدَه عن الإنفاق، فعيشُه ضَنْكٌ وحالُه مُظْلمة. انتهى.

وقرأ الحسن «ضَنْكَى» بألف التأنيث ولا تنوين وبالإمالة[٦]، بَنَاهُ صفةً على فَعْلَى من الضَّنْك، وقرأ الجمهور: «ضَنْكاً» بالتنوين، وفتحةُ الكاف فتحةُ إعراب.

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/٢٢٨.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٦/١٩٦-١٩٩، والنكت والعيون ٣/٤٣١، وزاد المسير ٥/٣٣١، وتفسير الرازي ٢٢/١٣٠.

(٣) في تفسير الرازي ٢٢/١٣٠ (والقول فيه بنحوه): جمعٌ من المفسِّرين، بدل: الجمهور، ووقع في مطبوع البحر: الجوهري، بدل: الجمهور. وهو خطأ.

(٤) في (ع) والمطبوع: وقالت فرقة، وهو في النكت والعيون ٣/٤٣١ وتفسير القرطبي ١٤/١٥٧ عن عكرمة، وزاد الطبري ١٦/١٩٥ نسبته لقيس بن أبي حازم والضحَّاك.

(٥) في الكشاف ٢/٥٥٨ (والكلام منه): يطمح.

(٦) القراءات الشاذة ص٩٠، وتفسير القرطبي ١٤/١٥٧.

وقرأ الجمهور: «ونَحْشُرُهُ» بالنون، وفرقةٌ ـ منهم أبان بنُ تغلب ـ بسكون الراء[١]، فيجوزُ أن يكون تخفيفاً، ويجوز أن يكون جزماً بالعطف على موضع ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ لأنه جواب الشرط، وكأنه قيل: ومَنْ أعرضَ عن ذِكْري تَكُنْ له معيشةٌ ضنكٌ ونَحْشُرْهُ، ومثلُه: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] في قراءة من سَكَّنَ راءَ «ويذرُهم». وقرأت فرقة: «ويَحْشُرُهُ» بالياء[٢]، وقرئ: «ونَحْشُرُهْ»[٣] بسكون الهاء على لفظ الوقف، قاله الزمخشريّ، ونقلَ ابنُ خالويه هذه القراءة عن أبان بن تغلب، والأحسنُ تخريجُهُ على لغة بني كلاب وعُقَيْل فإنهم يُسَكِّنُون مثلَ هذه الهاء، وقرئَ: «لِرَبِّهْ لَكَنُود».

والظاهرُ أنَّ قولَه: «أعمى» المرادُ به عَمَى البصر، كما قال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: ٩٧] وقيل: أعمى البصيرة؛ قال ابنُ عطيَّة: ولو كان هذا لم يُحِسَّ[٤] الكافر بذلك، لأنه مات أعمى البصيرة ويُحشر كذلك.

وقال مجاهد والضحَّاك ومقاتل وأبو صالح ورُويَ عن ابن عباس: أعمى عن حُجَّتِه، لا حجَّةَ له يهتدي بها[٥].

وعن ابن عباس: يُحشر بصيراً ثم إذا استوى إلى المحشر أُعمِيَ[٦].

وقيل: أعمى عن الحِيلة في دفع العذاب عن نفسه كالأعمى الذي لا حِيلة له فيما لا يراه.

وقيل: أعمى عن كلِّ شيء إلا عن جهنَّم.

وقال الجُبَّائيّ: المرادُ من حَشْرِه أعمى: لا يهتدي إلى شيء[٧].

---

(١) المحتسب ٢/ ٦٠، والقراءات الشاذة ص٩٠، وهي في الكشاف ٢/ ٥٥٨ والمحرر الوجيز ٤/ ٦٨ دون نسبة.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٦٨.
(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: ويحشره (بالياء). والمثبت من (ح) و(يه)، وهو كذلك في الكشاف ٢/ ٥٥٨ والقراءات الشاذة ص٩٠.
(٤) في (يه) والمحرر الوجيز ٤/ ٦٨ (والكلام منه): يخش.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٢٠٠، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٣١، وزاد المسير ٥/ ٣٣٢.
(٦) زاد المسير ٢٢/ ٣٣٢، وهو في تفسير الرازي ٢٢/ ١٣١ دون نسبة.
(٧) تفسير الرازي ٢٢/ ١٣١.

وقال إبراهيم بن عَرَفة(١): كلّما ذكرَ الله عزَّ وجلَّ في كتابه [العمى] فذمَّه فإنَّما يريد عَمَى القلب، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال مجاهد: معنى «لِمَ حشرتَني أعمى» أي: لا حُجَّةَ لي وقد كنتُ عالماً بحجَّتي بصيراً بها، أُحاجُّ عن نفسي في الدنيا(٢). انتهى.

سأل العبدُ ربَّه عن السبب الذي استحقَّ به أن يُحشر أعمى لأنه جَهِلَهُ وظنَّ أنه لا ذنبَ له، فقال له جلَّ ذكرُه: ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ أي: مثلَ ذلك [فعلتَ] أنت، ثم فُسِّر بأنَّ آياتِنا أتَتْك واضحةً مستنيرةً فلم تنظر إليها بعين المعتبر، ولم تتبصَّر وتركتَها وعَمِيتَ عنها، فكذلك اليومَ نتركُكَ على عَماك ولا نُزيلُ غطاءَه عن عينيك. قاله الزمخشريّ(٣).

والنِّسْيان هنا بمعنى التَّرك لا بمعنى الذُّهول، ومعنى «تُنْسَى»: نترُكك في العذاب.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ أي: مثلَ ذلك الجزاء نجزي مَنْ أسرفَ، أي: مَنْ جاوزَ الحدَّ في المعصية، ثم أخبرَ تعالى أنَّ عذابَ الآخرة أشدُّ، أي: من عذاب الدُّنيا لأنه أعظمُ منه «وأبقَى» أي: منه؛ لأنه دائمٌ مستمرٌّ، وعذابُ الدُّنيا منقطع.

وقال الزمخشريّ: والحَشْرُ على العَمَى الذي لا يزولُ أبداً أشدُّ من ضِيقِ العيش المنقضي، أو أرادَ: ولَتَرْكُنا إيَّاه في العَمَى أشدُّ وأبقَى مِن تَرْكِهِ لآياتِنا.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ

(١) هو نِفْطَوَيْه العلّامة النحويّ، وكلامه في تهذيب اللغة ٣/ ٢٤٤، والهداية ٧/ ٤٧١٤، واللسان ١٥/ ٩٧ (عمى). وما سلف بين حاصرتين منها.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٠٠-٢٠١، وزاد المسير ٥/ ٣٣٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٥٨، وسلف نحوه عن مجاهد وغيره.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٥٨. وما سلف بين حاصرتين منه.

تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾.

قرأ الجمهور: «يَهْدِ» بالياء، وقرأت فرقة ـ منهم ابنُ عباس والسُّلَميُّ ـ بالنون[١]، وبَّخهم تعالى وذكَّرَهم العِبَرَ بمن تقدَّم من القرون، ويعني بالإهلاك الإهلاكَ الناشئَ عن تكذيب الرُّسلِ وتركِ الإيمان بالله واتِّباع رسلِه.

والفاعل لـ «يَهْدِ» ضمير عائد على الله تعالى، ويؤيِّد هذا التخريج قراءة «نَهْدِ» بالنون، ومعناه: نبيِّن، وقاله الزجاج[٢].

وقيل: الفاعل مقدَّر تقديرُه: الهدى والأمرُ والنظر والاعتبار، وقال ابنُ عطية[٣]: وهذا أحسنُ ما يقدَّرُ به عندي. انتهى.

وهو قول المبرِّد، وليس بجيِّد إذ فيه حذفُ الفاعل، وهو لا يجوزُ عند البصريِّين، وتحسينُه أن يقال: الفاعلُ مضمر تقديرُه: يَهْدِ هو، أي: الهدى.

وقال أبو البقاء[٤]: الفاعلُ ما دلَّ عليه «أهْلَكْنا»، والجملة مفسِّرةٌ له.

قال الحَوْفيُّ: «كَمْ أهلَكْنا» قد دلَّ على هلاك القُرون، فالتقدير: أفلم يَتَبَيَّنْ[٥] لهم هلاكُ مَنْ أهلَكْنَا من القرون ومَحْوُ آثارِهم فيتَّعظُوا بذلك؟

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/ ١٣٢ (عن السُّلَميّ) وتفسير القرطبي ١٤/ ١٥٩، وذُكرت في زاد المسير ٥/ ٣٣٣ عن زيد عن يعقوب، وهي في الكشاف ٢/ ٥٨٨ والمحرر الوجيز ٤/ ٦٨ دون نسبة.

(٢) معاني القرآن له ٣/ ٣٧٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٦٩، وما قبله منه.

(٤) الإملاء ٢/ ١٢٨.

(٥) في النسخ الخطية والمطبوع: نبيِّن، والمثبت من الدُّرّ المصون، وهو الصواب لأن الكلام عن الفاعل.

وقال الزمخشري[١]: فاعل «لم يَهْدِ» الجملة بعدَه، يريد: ألم يَهْدِ لهم هذا بمعناه ومضمونِه، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٨-٧٩] أي: تَرَكْنا عليه هذا الكلام، ويجوزُ أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول. انتهى.

وكون الجملة فاعلاً هو مذهبٌ كوفيّ، وأمّا تشبيهُهُ وتنظيرُه بقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ فإنّ «تَرَكْنَا عليه» معناه معنى القول، فحُكيت به الجملة، كأنه قيل: وقلنا عليه، وأطلقنا عليه هذا اللفظَ، والجملة تُحكى بمعنى القول كما تُحكَى بلفظِهِ، وأحسنُ التخاريج الأول، وهو أن يكون الفاعل ضميراً عائداً على الله، كأنه قال: أفلم يبيِّن الله؟ ومفعول «يُبَيِّن» محذوف، أي: العِبَرَ بإهلاك القرونِ السابقة، ثم قال: «كم أَهْلَكْنَا» أي: كثيراً أهلكنا، فـ «كَمْ» مفعولة بـ «أهلَكْنا» والجملة كأنّها مفسِّرة للمفعول المحذوف لـ «يَهْدِ».

وقال الحَوْفيّ: قال بعضُهم: هي في موضع رفع فاعل «يَهْدِ» وأُنكِرَ هذا على قائله؛ لأنَّ «كَمْ» استفهام لا يعملُ فيها ما قبلَها. انتهى. وليست «كَمْ» هنا استفهاماً بل هي خبريَّة.

وقال أبو البقاء: «يَهْدِ لهم» في فاعله وجهان[٢]: أحدُهما ضميرُ اسم الله تعالى، أي: ألم يُبَيِّنِ اللهُ لهم، وعلَّق «يَهْدِ» هنا إذْ كانت بمعنى يُعْلِم[٣]، كما عُلّقت في قوله تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥] انتهى. و«كَمْ» هنا خبريَّة، والخبريَّة لا يُعَلَّقُ العاملُ عنها، وإنّما يُعَلَّقُ عن الاستفهامية.

وقرأ ابن السَّمَيْفَع: «يُمَشَّوْنَ» بالتشديد مبنيًّا للمفعول، لأنَّ المَشْيَ يُخلَقُ خُطوةً بخُطوة، وحركةً بحركة، وسكوناً بسكون، فناسبَ البناء للمفعول.

والضميرُ في «يمشون» عائدٌ على ما عادَ عليه «لهم»، وهم الكفار الموبَّخون، يريد قريشاً والعربَ، يتقلَّبون في بلادِ عادٍ وثمودَ والطوائفِ التي كانت قريشٌ تمرُّ عليها إلى الشام وغيرِه ويُعاينون آثارَ هلاكِهم.

---

(١) الكشاف ٢/٥٥٨.

(٢) سيذكر المصنف هنا عن أبي البقاء وجهاً واحداً، وأمّا الآخر فقد سلف ذكره عنه.

(٣) عبارة الإملاء: ٢/١٢٨: وعلَّق «يبيِّن» هنا إذ كانت بمعنى أعلمَ.

و«يمشون في مساكنهم» جملة في موضع الحال من ضمير «لهم»، والعاملُ «يَهْدِ» أي: ألم نُبيِّن للمشركين في حال مشيهم في مساكنِ مَنْ أُهلك من الكفَّار؟

وقيل: حال من مفعول «أهلكنا» أي: أهلكناهم غارِّين[١] آمنين متصرِّفين في مساكنهم لم يمنعهم عن التمتُّع والتصرُّف مانعٌ من مرضٍ ولا غيرِه، فجاءهم الإهلاكُ بغتةً على حين غفلة منهم به.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي في ذلك التبيين بإهلاك القرون الماضية ﴿لَآيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ أي: العقول السليمة.

ثم بَيَّنَ تعالى الوَجْهَ الذي لأجله لا ينزلُ العذابُ معجَّلاً على مَن كفرَ بمحمدٍ ﷺ، والكلمةُ السابقةُ هي العِدَةُ بتأخيرِ جزائِهم إلى الآخرة، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ [القمر: ٤٦] يقولُ: لولا هذه العِدَةُ لكانَ مثلُ إهلاكنا عاداً وثمودَ لازماً لهؤلاء الكَفَرة.

واللِّزَام إمَّا مصدر «لازَمَ» وُصف به، وإمَّا فِعال بمعنى مُفْعِل، أي: مُلْزِم، كأنه آلةُ اللزوم لِفَرْطِ[٢] لزومِه، كما قالوا: لِزَازُ خَصْمٍ.

وقال أبو عبد الله الرازيّ[٣]: لا شُبهةَ أنَّ الكلمةَ إخبارُ الله تعالى ملائكتَهُ وكَتبَهُ في اللوح المحفوظ أنَّ أمَّةَ محمدٍ ﷺ - وإن كذَّبوا - يُؤَخَّرُون ولا يُفعل بهم ما فُعل بغيرهم من الاستئصال. انتهى.

والأجَلُ أجَلُ حياتِهم، أو أجَلُ إهلاكِهم في الدنيا، أو عذابهم يومَ القيامة، أقوال، فعلى الأوَّل يكون العذاب ما يَلْقَى في قبره وما بعدَه، وعلى الثاني قتلُهم بالسيف يومَ بدر، وعلى الثالث هو عذابُ جهنم[٤]، وفي صحيح البخاريّ[٥] أنَّ يومَ بَدْرٍ هو اللِّزَامُ، وهو البَطْشَةُ الكُبْرَى.

---

(١) أي: غافلين.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: ولفظ، بدل: لفرط. والتصويب من الكشاف ٢/٥٥٨ والكلام منه.

(٣) تفسيره ٢٢/١٣٣.

(٤) الكلام في المحرر الوجيز ٤/٦٩ بسياق آخر.

(٥) رقم (١٠٠٧) من حديث ابن مسعود ﷺ، وهو أيضاً في صحيح مسلم (٢٧٩٨).

والظاهر عطف «وأَجَلٌ مسمًّى» على «كلمة»، وأُخِّرَ المعطوفُ عن المعطوف عليه وفُصِلَ بينهما بجواب «لولا» لمراعاةِ الفواصلِ ورؤوس الآي.

وأجازَ الزمخشريُّ[1] أن يكونَ «وأَجَلٌ» معطوفاً على الضمير المستكنِّ في «كانَ»، قال: أي: لكانَ الأخذُ العاجلُ وأجلٌ مسمًّى لازمَيْنِ له كما كانا لازمَيْنِ لعادٍ وثمودَ، ولم ينفرد الأجلُ المسمَّى دون الأخذ العاجل. انتهى.

ثم أمرَه تعالى بالصَّبر على ما يقولُ مشركو قريش، وهم الذين عادَ الضميرُ عليهم في «أَفَلَم يَهْدِ لهم»، وكانوا يقولون أشياءَ قبيحةً ممَّا نصَّ الله عنهم في كتابه، فأمرَه تعالى بالصبرِ على أذاهم والاحتمالِ لِما يصدرُ من سوء أخلاقهم، وأمرَه بالتسبيح والحمدِ لله.

و«بحَمْدِ رَبِّك» في موضع الحال، أي: وأنتَ حامدٌ لربِّك.

والظاهر أنه أُمِرَ بالتَّسبيح مقروناً بالحمد، وإمَّا أن يُرادَ اللفظُ، أي: قُلْ: سبحانَ الله والحمدُ لله، أو أُرِيدَ المعنى، وهو التَّنزيهُ والتَّبرِئةُ من السُّوء والثَّناءُ الجميلُ عليه.

وقال أبو مسلم: لا يبعُد حملُه على التَّنزيهِ والإجْلال، والمعنى: اشتَغِلْ بتنزيهِ اللهِ في هذه الأوقات.

قال أبو عبد الله الرازيّ[2]: وهذا القولُ أقربُ إلى الظاهر وإلى ما تقدَّم ذِكْرُهُ لأنه تعالى صَبَّرَهُ أوَّلاً على ما يقولون من التكذيب ومن إظهار الكفر والشِّرك، والذي يليقُ بذلك أن يُؤمر بتنزيههِ عن قولهم حتى يكون مُظهراً لذلك وداعياً، ولذلك [قال] ما جمعَ[3] كلَّ الأوقات.

أو يُراد المجاز، فيكون المرادُ الصلاة، فـ «قَبْلَ طلوعِ الشمس» صلاة الصبح، و«قَبْلَ غروبها» صلاة العصر «ومِنْ آناءِ الليل» المغرب والعَتَمة «وأطرافَ النهار» الظهر وحدَه.

(١) الكشاف ٢/ ٥٥٨-٥٥٩.
(٢) تفسيره ٢٢/ ١٣٤، وقول أبي مسلم (وهو الأصبهاني) السالف فيه.
(٣) في تفسير الرازي ٢٢/ ١٣٤: يجمع، ولفظة «قال» بين حاصرتين منه.

قال ابن عطية: ويَحتمل اللفظُ أن يُراد قولُ: سبحان الله وبحمده؛ من بعد صلاة الصبح إلى ركعتي الضحى وقبلَ غروب الشمس، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَبَّحَ عند غروب الشمس سبعين تسبيحةً غَرَبَتْ بذنوبه». انتهى(١).

وقال الزمخشري(٢): «وقَبْلَ غروبِها» يعني الظهرَ والعصر، لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوالِ الشمس وغروبِها، وتَعَمَّدْ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهار مختصًّا لهما بصلاتك، وذلك أنَّ أفضلَ الذِّكرِ ما كان بالليل، لاجتماع القلبِ وهُدُوِّ الرِّجْل والخلوِّ بالرَّبِّ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٦] وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزُّمر: ٩] الآيتين، ولأنَّ الليلَ وقتُ السُّكون والراحة، فإذا صُرف إلى العبادة كانت على النفس أشدَّ وأشقَّ، وللبدنِ أتعبَ وأنصبَ، فكانت أدخلَ في معنى التكليف وأفضلَ عند الله، وقد تناولَ التسبيحُ في آناء الليل صلاةَ العَتَمة، وفي أطراف النهار صلاةَ المغرب وصلاةَ الفجر على التكرار إرادة الاختصاص كما اختصَّت في قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] عند بعض المفسِّرين. انتهى.

وجاء هنا: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ وفي هود: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [١١٤]، فقيل: جاء على حدِّ قوله:

وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنْ ظَهْرَاهُما مثلُ ظُهورِ التُّرْسَيْنْ(٣)

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٧٠. والحديث في مسند الفردوس للديلمي (٥٦٣٤) عن معاوية بن حَيْدَة بلفظ: «مَنْ سبَّح عند غروب الشمس سبعين تسبيحةً غُفر له سائرُ عمله». قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٦٤: حديث منكر. وينظر لسان الميزان ٢/ ٢٦٢ (ترجمة بانة بنت بَهْز) و٣/ ١٥٥ (ترجمة الحسين بن حسن بن حمَّاد).

(٢) الكشاف ٢/ ٥٥٩.

(٣) نُسب الرَّجَز لخطام المجاشعي في الكتاب ٢/ ٤٨، والحلل ص٣٦٤، وشرح المفصل ٤/ ١٥٦، ونُسب أيضاً في الكتاب ٣/ ٦٢٢ وأمالي ابن الشجري ١/ ١٦ لهميان بن قحافة، وجاء دون نسبة في البيان والتبيين ١/ ١٥٦، ومعاني القرآن للزجاج ٢/ ١٣٧، والجمل للزجاجي ص٣١٣. وصحَّح البغدادي نسبته في خزانة الأدب ٧/ ٥٤٨ لخِطام المجاشعي. وجاء فيه: المَهْمَهُ: القَفْرُ المَخُوف، والقَذَفُ: البعيدُ من الأرض، والمَرْتُ: الأرض التي لا ماءَ فيها ولا نبات، والظَّهْرُ: ما ارتفع من الأرض، شبَّهه بظَهْرِ تُرْسٍ في ارتفاعه وتعرِّيه من النَّبْت.

جاءت التثنية على الأصل والجمع لأمْن اللَّبس، إذِ النهارُ ليس له إلا طَرَفان.

وقيل: هو على حقيقة الجمع، الفجرُ الطرفُ الأول، والظهرُ والعصرُ من الطرف الثاني، والطرفُ الثالث المغربُ والعشاء.

وقيل: النهارُ له أربعةُ أطراف: عند طلوع الشمس، وعند غروبها، وعند زوال الشمس، وعند وقوفها للزوال[١].

وقيل: الظهر في آخِرِ طرف النهار الأوَّلِ وأوَّلِ طرف النهار الآخِر، فهي في طرفين منه، والطرفُ الثالث غروبُ الشمس وهو وقتُ المغرب.

وقيل: يجعل النهار للجنس، فلكلِّ يوم طرفٌ، فيتكرَّرُ بتكرُّرِه[٢].

وقيل: المرادُ بالأطراف الساعات[٣]؛ لأنَّ الطرف آخرُ الشيء.

وقرأ الجمهور: «وأطرافَ» بنصب الفاء، وهو معطوف على «ومِنْ آناءِ الليل»[٤]، وقيل: معطوف على «قبلَ طلوع الشمس».

وقرأ الحسن وعيسى بن عُمر: «وأطرافِ» بخفض الفاء عطفاً على «آناء»[٥].

﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ أي: تُثاب على هذه الأعمال بالثواب الذي تراه، وأبرزَ ذلك في صورة الرَّجاء والطمع، لا على القطع، وقيل: «لعلَّ» من الله واجبة.

وقرأ أبو حَيْوَة وطلحة والكِسائيُّ وأبو بكر وأبانُ وعِصْمةُ وأبو عِمارة عن حفص وأبو زيد عن المفضَّل وأبو عُبيد ومحمد بنُ عيسى الأصبهاني: «تُرْضَى» بضم التاء[٦]، أي: يُرضيك ربُّك.

ولمَّا أمرَه تعالى بالصبر وبالتسبيح جاء النهيُ عن مدِّ البصر إلى ما مُتِّعَ به

---

(١) الهداية ٧/ ٤٧١٨.

(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٦١.

(٣) الإملاء ٢/ ١٢٩.

(٤) يعني معطوف على محلِّها. ينظر الدُّرّ المصون ٨/ ١٢٢.

(٥) القراءات الشاذة ص٩٠، وهي في الكشاف ٢/ ٥٥٩ دون نسبة.

(٦) قراءة الكسائي وأبي بكر (شعبة) في السبعة ص٤٢٥ والتيسير ص١٥٣، وقراءة حفص المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

الكفَّار، يُقال: مَدَّ نظرَه إليه: إذا أدامَ النَّظَر إليه والفِكْرَةَ في جُملتِهِ وتفصيلِه.

قيل: والمعنى على هذا: ولا تَعجَبْ يا محمدُ ممَّا متَّعْناهم به من مالٍ وبنينَ ومنازلَ ومراكبَ وملابسَ ومطاعمَ، فإنَّما ذلك كلُّه كالزَّهْرةِ التي لا بقاءَ لها ولا دوام، وأنَّها عمَّا قليلٍ تَفْنَى وتزول.

والخطابُ وإن كان في الظاهرِ للرسولِ ﷺ فالمرادُ أمَّتُه.

وقد[1] كان ﷺ أبعدَ شيء عن النَّظر في زينة الدُّنيا وأعلقَ بما عندَ الله من كلِّ أحد، وهو القائل: «الدُّنيا ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلا ما أُرِيدَ به وجهُ الله»[2]، وكان شديدَ النهي عن الاغترارِ بالدُّنْيا والنظرِ إلى زُخْرُفِها.

«ولا تَمُدَّنَّ» أبلغُ من: لا تنظر، لأنَّ مدَّ البصر يقتضي الإدامةَ والاستحسان بخلاف النظر؛ فإنه قد لا يكون ذلك معه.

والعينُ لا تُمَدُّ فهو على حذف مضاف، أي: لا تمدنَّ نظرَ عينَيك، والنظرُ غير الممدود معفوٌّ عنه، وذلك مثلُ مَنْ فاجأ الشيءَ ثم غَضَّ بصرَه.

والنظرُ إلى الزخارف مركوزٌ في الطبائع، فمن رأى منها شيئاً أحَبَّ إدمانَ النظرِ إليه، وقد شَدَّدَ المتَّقون في غضِّ البصر عن أبنية الظَّلَمةِ وعُدَدِ الفَسَقة مركوباً وملبوساً وغيرَهما لأنهم إنما اتَّخذُوها لعيونِ النَّظَّارة حتى يفتخرُوا بها، فالناظرُ إليها محصِّلٌ لغرضهم وكالمُغْرِي لهم على اتِّخاذها[3].

وانتصب «أزواجاً» على أنه مفعول به، والمعنى أصنافاً من الكَفَرة، و«منهم» في موضع الصفة لـ «أزواجاً» أي: أصنافاً وأقواماً من الكفَرة كما قال: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٥٨].

وأجازَ الزمخشريُّ أن ينتصبَ «أزواجاً» على الحال من ضمير «به»، و«مَتَّعْنا» مفعولُه «منهم»، كأنَّه قيل: إلى الذي مَتَّعْنا به ـ وهو أصنافٌ ـ بعضَهُمْ وناساً منهم.

---

(١) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى: وهو، بدل: وقد.
(٢) أخرجه بنحوه الترمذي (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١١٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وينظر المفهمَ شرح مسلم ٧/ ١٠٩.
(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٥٥٩، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٣٥.

و«زَهْرةَ» منصوب على الذّمّ، أو مفعولٌ ثان لـ «مَتَّعْنا» على تضمينه معنى: أعطينا، أو بدل من محلّ الجارّ والمجرور[١]، أو بدل من «أزواجاً» على تقدير: ذَوِي زَهْرة، أو جَعْلِهم زهرةً على المبالغة، أو منصوب بفعل محذوف يدلُّ عليه «مَتَّعْنا» أي: جعلنا لهم زهرةً، أو حال من الهاء أو «ما» على تقدير حذف التنوين من «زَهْرَة» لالتقاء الساكنين[٢]، وجرُّ «الحياة» على البَدَل من «ما»، وكلٌّ هذه الأعاريبِ منقولٌ، والأخيرُ اختارَه مكّيّ، ورَدَّ كونَه[٣] بدَلاً من محلِّ «ما» لأنَّ فيه الفصلَ بين الصِّلة وهي «متَّعنا» ومعمولِها وهو «لِنفتنَهم» بالبَدَل وهو «زَهْرَة».

وقرأ الجمهور: «زَهْرَة» بسكون الهاء، وقرأ الحسنُ وأبو البَرَهْسَم وأبو حَيْوَة وطلحة وحُميد وسَلام ويعقوب وسَهْل وعيسى والزُّهريُّ بفتحها[٤].

وقرأ الأصمعيُّ عن نافع: «لنُفْتِنَهم» بضمّ النون من «أفتنَه» إذا جعلَ الفتنةَ واقعةً فيه.

والزَّهْرَة والزَّهَرَة بمعنًى واحد، كالجَهْرَة والجَهَرَة، وأجازَ الزمخشريُّ في «زَهَرَة» المفتوح الهاء أنْ يكون جمعَ «زاهر» نحو: كافر وكَفَرَة، وصفَهم بأنهم زَاهِرُو هذه الدنيا لصفاء ألوانهم ممَّا يَلْهَوْن ويتنعَّمون وتهلُّلِ وجوهِهم وبَهاءِ زِيِّهِمْ وشَارَتِهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصُّلَحاء من شُحوب الألوان والتَّقَشُّفِ في الثياب[٥].

ومعنى «لنفتنَهم فيه»، أي: لنبلوَهم حتى يستوجبُوا العذابَ لوجود الكُفْرانِ منهم، أو لنُعذِّبَهم في الآخرة بسببه.

---

(١) ضُعِّفَ هذا الوجه لأن إبدالَ منصوب من محلِّ جارّ ومجرور ضعيف. ينظر روح المعاني ١٦/ ٥٠٥.

(٢) يعني أن تجعل «زَهْرة» نكرةً بتنوينها، ثم يُحذفُ التنوين لالتقاء الساكنين، على نحو قوله: ولا ذاكرَ اللهَ إلا قليلاً. ينظر الدُّرّ المصون ٨/ ١٢٣.

(٣) أي: «زَهْرَة». وكلام مكي في مشكل إعراب القرآن ص٤٧٥.

(٤) ينظر القراءات الشاذة ص٩٠، وزاد المسير ٥/ ٣٣٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٦٢، وهذه القراءة ليعقوب من العشرة. ينظر النشر ٢/ ٣٢٢.

(٥) لا يلزمُ من كونهم مؤمنين صالحين أنْ تَشْحُبَ ألوانُهم ويتقشَّفوا في ثيابهم، فالزَّهادة في الدُّنيا لا تعني الانصرافَ عنها، قال سفيان بنُ عيينة: ليس من حبِّ طلبُك منها ما لا بدَّ منه، وقال: الزُّهدُ فيما حرَّم الله، وأمَّا ما أحلَّه اللهُ فقد أباحَه.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أي: ما ذَخَرَ لهم من المواهب في الآخرة خيرٌ ممَّا مُتِّعَ به هؤلاء في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾ أي: وأدوم.

وقيل: ما رزقهم وإنْ كان قليلاً خيرٌ ممَّا رُزِقُوا وإن كان كثيراً لِحلِّيَّةِ ذلك وحُرْمِيَّةِ هذا.

وقيل: ما رُزِقْتَ من النبوَّة والإسلام[١]، وقيل: ما يفتحُ الله على المؤمنين من البلاد والغنائم، وقيل: القناعة[٢]، وقيل: ثوابُ الله على الصبر وقلَّةِ المبالاة بالدنيا[٣].

ولمَّا أمرَه تعالى بالتسبيح في تلك الأوقات المذكورة ونهاه عن مَدِّ بصرِه إلى ما مَتَّعَ به الكفارَ؛ أمرَه تعالى بأنْ يأمرَ أهلَه بالصلاة التي هي بعدَ الشهادة آكدُ أركانِ الإسلام، وأمرَه بالاصطبار على مُدَاوَمتِها ومشاقِّها، وأن لا يشتغلَ عنها، وأخبرَه تعالى أنه لا يسألُه أنْ يَرْزُقَ نفسَه، ولا أنْ يسعى في تحصيل الرِّزق ويدأبَ في ذلك، بل أمرَه بتفريغ بالِه لأمرِ الآخرة، ويدخلُ في خطابِه عليه الصلاة والسلام أمَّتُه[٤].

وقرأ الجمهور: «نرزقُك» بضم القاف، وقرأت فرقة ـ منهم ابنُ وثَّاب ـ بإدغام القاف في الكاف، وجاء ذلك عن يعقوب.

قال صاحب «اللوامح»: وإنَّما امتنعَ أبو عَمرو من إدغام مثلِه بعد إدغامه «نرزقكم» ونحوِها لحلولِ الكاف منه طَرَفاً، وهو حرفُ وقف، فلو حُرِّكَ وقفاً لكان وقوفُه على حركة، وكان خروجاً عن كلامِهم، ولو أشارَ إلى الفتح لكان الفتحُ أخفَّ من أن يتبعَّض، بل خروجُ بعضِه كخروج كلِّه، ولو سكَّن لأجحف بحرف، ولعلَّ مَنْ أدغمَ ذهبَ مذهبَ من يقول: جعفرّ وعامرّ ويفعلّ، فيشدِّد وقفاً، أو أدغمَ

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٦٠.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٤٣٣.
(٣) تفسير القرطبي ١٤/ ١٦٤.
(٤) قال الرازي في تفسيره ٢٢/ ١٣٧: ليس في الآية رخصةٌ في ترك التكسُّب لأنه تعالى قال في وصف المتقين: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾. وينظر روح المعاني ١٦/ ٥٠٨-٥٠٩.

على شرط أن لا يقفَ بحال فيصيرُ الطَّرَفُ كالحَشْو. انتهى.

«والعاقبة» أي: الحميدة، أو حُسن العاقبة لأهل التقوى.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ هذه عادتُهم في اقتراح الآيات، كأنَّهم جعلُوا ما ظهرَ من الآيات ليس بآيات، فاقترحوا هم ما يختارون على ديدنهم في التعنُّت، فأُجيبوا بقوله: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: القرآنُ الذي سبقَ التبشيرُ به وبإيحائي من الرُّسل به في الكتب الإلهية السابقة المُنزلة على الرسل، والقرآنُ أعظمُ الآيات في الإعجاز، وهي الآية الباقيةُ إلى يوم القيامة، وفي هذا الاستفهام توبيخٌ لهم.

وقرأ نافع وأبو عَمرو وحفص: «تأتهم» بالتاء على لفظ «بيِّنة»، وقرأ باقي السبعة وأبو بَحْرِيَّة وابنُ مُحيصن وطلحة وابنُ أبي ليلى وابنُ مناذر وخَلَف وأبو عُبيد وابنُ سعدان وابنُ عيسى وابنُ جُبير الأنطاكي: «يأتهم» بالياء لمجاز تأنيث الآية والفصل[1].

وقرأ الجمهور بإضافة «بيِّنة» إلى «ما»، وفرقةٌ ـ منهم أبو زيد عن أبي عَمرو ـ بالتنوين، و«ما» بَدَل[2]. قال صاحب «اللوامح»: ويجوز أن يكون «ما» نفياً، وأُرِيدَ بذلك ما في القرآن من الناسخ والفصل ممَّا لم يكن في غيره من الكتب.

وقرأت فرقة بنصب «بيِّنة» والتنوين، و«ما» فاعل بـ «تأتهم» و«بيِّنة» نصبٌ على الحال، فمن قرأ «يأتهم» بالياء فعلى لفظ «ما»، ومن قرأ بالتاء راعَى المعنى، لأنه أشياءُ مختلفة وعلومُ مَن مضى وما شاء الله.

وقرأ الجمهور: «في الصُّحُف» بضم الحاء، وفرقة ـ منهم ابنُ عباس ـ بإسكانها[3].

والضمير في «مِنْ قبلِه» يعودُ على البيِّنة لأنها في معنى البرهان والدليل. قاله

---

(١) ينظر السبعة ص٤٢٥، والتيسير ص١٥٣، والحجة ٥/ ٢٥٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٦٦، والنشر ٢/ ٣٢٢.

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦١، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٦٦.

(٣) القراءات الشاذة ص٩١، وهي في الكشاف ٢/ ٥٦٠ وتفسير القرطبي ١٤/ ١٦٦ دون نسبة.

الزمخشريّ[١]. والظاهرُ عودُه على الرسول ﷺ لقوله: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ ولذلك قدَّره بعضُهم: قبل إرسالِهِ محمداً إليهم[٢].

والذُّلُّ والخِزْيُ مقترنانِ بعذاب الآخرة، وقيل: «نَذِلَّ» في الدُّنيا «ونَخْزَى» في الآخرة، وقيل: الذُّلُّ: الهَوان، والخِزْيُ الافتضاح.

وقرأ الجمهور: «نَذِلَّ ونَخْزَى» مبنيًّا للفاعل، وابنُ عبَّاس ومحمد بنُ الحنفيَّة وزيد بنُ علي والحسن في رواية عبَّاد والعمري وداود والفَزَاري وأبو حاتم ويعقوب مبنيًّا للمفعول[٣].

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي: منتظرٌ منَّا ومنكم عاقبةَ أمرِه، وفي ذلك تهديدٌ لهم ووعيد، وأفرد الخبر وهو «متربِّصٌ» حملاً على لفظ «كلٌّ» كقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] والتربُّص: التأنِّي والانتظارُ للفَرَج.

و«مَنْ أصحابُ» مبتدأ وخبر عُلِّقَ عنه «فستعلمون»، وأجازَ الفراء[٤] أن تكون «مَنْ»[٥] موصولة بمعنى الذي، فتكون مفعولة بـ «فستعلمون»، و«أصحاب» خبر مبتدأ محذوف تقديرُه: الذين هم أصحابُ، وهذا جارٍ على مذهب الكوفيِّين إذْ يُجِيزُون حذفَ مثل هذا الضمير مطلقاً سواءٌ كان في الصِّلة طولٌ أم لم يكن، وسواءٌ كان الموصولُ «أيًّا» أم غيره.

وقرأ الجمهور: «السَّوِيِّ» على وزن فَعِيل، أي: المستوي، وقرأ أبو مِجْلَز وعِمْرَانُ بنُ حُدَيْر: «السَّوَاء»[٦] أي: الوَسَط، وقرأ الجَحْدَرِيّ وابنُ يَعْمَر: «السُّوءَى» على وزن فُعْلَى ـ أَنَّثَ لتأنيث الصِّراط، وهو مما يُذكَّر ويُؤنَّث ـ تأنيث الأسوأ، من السوء، أي: على ضدّ الاهتداء، قُوبِلَ به «ومن اهْتَدَى» على الضِّدِّ،

(١) الكشاف ٢/ ٥٦٠.
(٢) تفسير القرطبي ١٤/ ١٦٧.
(٣) القراءات الشاذَّة ص٩١ عن ابن عباس وابن الحنفيَّة. وقراءة يعقوب المشهورة (وهو من العشرة) كقراءة الجمهور.
(٤) ينظر معاني القرآن له ٢/ ١٩٧.
(٥) في النسخ الخطية والمطبوع: ما، بدل: من، وهو خطأ.
(٦) بفتح السين والمدّ كما في الدُّرّ المصون ٨/ ١٢٦، وهي في الكشاف ٢/ ٥٦٠ دون نسبة.

ومعناه: فستعلمون أيُّها الكفار مَنْ على الضلال ومَنْ على الهدى، ويؤيِّدُ ذلك قراءةُ ابن عباس: «الصِّراطِ السَّوْءِ»[(١)].

وقد رُوِيَ عنهما أنهما قرأا: «السُّوَّى»[(٢)] على وزن فُعْلَى، فاحتملَ أن يكون أصلُه: «السُّوءَى» ـ إذْ رُوِيَ ذلك عنهما ـ فخفَّفَ الهمزة بإبدالها واواً وأَدْغَم.

واحتملَ أن يكون فُعْلَى من السَّواء، أبدلت ياؤه واواً وأُدغِمَتْ الواو في الواو، وكان القياسُ أنه لمَّا بُنِيَ فُعْلَى من السَّوَاء أنْ يكونَ: السُّوْيَا، فيجتمع واوٌ وياء وسُبقت إحداهما بالسكون فتُقلب الواوُ ياءً وتُدغم في الياء، فكان يكون التركيب: السُّيَّا[(٣)].

وقُرِئَ: «السُّوَيّ» بضمّ السين وفتح الواو وشدّ الياء، تصغير السَّوء[(٤)]، قاله الزمخشريُّ[(٥)]، وليس بجيِّد، إذ لو كان تصغير «سَوْء» لثبتت همزتُه في التصغير، فكنت تقول: سُوَيْء، والأجودُ أن يكون تصغير «سَوَاء» كما قالوا في عطاء: عُطَيّ.

ومن قرأ «السُّوءَى» أو «السَّوْء»[(٦)] كان في ذلك مقابلةٌ لقوله: «ومَنِ اهْتَدَى»[(٧)]، وعلى قراءة الجمهور لم تُراعَ المقابلة في الاستفهام.

---

(١) الضبط من (ح)، وكذا قيَّدها الآلوسي في روح المعاني ١٦/ ٥١٣: بفتح السين وسكون الواو وهمزة آخرَهُ.
(٢) تفسير القرطبي ١٤/ ١٦٩.
(٣) نقل النحاس في إعرابه ٣/ ٦٢ والقرطبي في تفسيره ١٤/ ١٦٩ عن أبي حاتم قوله: إن كان من السوء وجبَ أن يقال: السُّوءَى، وإن كان من السَّواء وجب أن يقال: السِّيَّا، بكسر السين، والأصل: السُّوْيا.
(٤) بفتح السين كما في روح المعاني ١٦/ ٥١٣؛ قال الآلوسي: وقيل: تصغير «سُوء» بالضم.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٦١.
(٦) قوله: أو السوء، ليس في (ح) و(يه).
(٧) سلف هذا المعنى قريباً.

سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن
رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ
هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ
فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ
فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ
أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا
خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ
مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ
ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ

يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا
يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ
مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ
مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ
أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن
يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا
يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ
﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ
وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ
فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾
وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم
بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا
يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ
فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ
بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ
هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ
نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ
ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ
أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ
عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا
تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ
وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

المفردات القَصْمُ: كَسْرُ الشيء الصُّلْب حتى يَبِينَ تلاؤمُ أجزائِه.

الرَّكْضُ: ضَرْبُ الدَّابَّة بالرِّجْل.

خَمَدَتِ النارُ: طَفِئَتْ.

دَمَغَهُ: أصابَ دِماغَه، نحو: كَبَدَهُ ورَأَسَهُ: أصابَ كَبِدَهُ ورَأْسَهُ.

رَتَقَ الشيءَ: سَدَّهُ فارْتَتَقَ، ومنه الرَّتْقَاء للمنضمَّةِ الفَرْج.

فتَقَ: فَصَلَ ما بين المتَّصِلَيْن.

الفَجّ: الطريق المتَّسع.

السَّبْحُ: العَوْمُ.

كَلأَهُ: حَفِظَهُ، يَكْلَؤُهُ كِلَاءَةً، ويقال: اذْهَبْ في كِلَاءَةِ الله، واكْتَلأْتُ منه: احْتَرَسْتُ، وقال ابنُ هَرْمَة:

إنَّ سُلَيْمَى واللهُ يَكْلَؤُها ضَنَّتْ بشيءٍ ما كان يَرْزَؤُها[1]

النَّفْحَةُ: الحُظْوَة[2]، ونَفَحَ له من عطاياه: أجزأه نصيباً، قال الشاعر:

إذا رَيْدَةٌ من حيثُ ما نَفَحَتْ لَهُ أتاهُ بِرَيَّاها خليلٌ يُواصِلُهْ[3]

الخَرْدَلُ: حَبٌّ معروف.

* * *

التفسير ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا

(١) ديوانه ص٥٥، وينظر مجاز القرآن ٢/ ٣٩، واللسان ١/ ١٤٦ (كلأ). وابن هَرْمة ـ وهو إبراهيم ـ آخر الشعراء الذين يُحتَجُّ بشعرهم، وتوفي في خلافة الرشيد، بعد سنة (١٥٠هـ). ينظر خزانة الأدب ١/ ٤٢٥.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٨٤ والدر المصون ٨/ ١٦٣: الخطرة، وتحرفت في (ع) والمطبوع إلى الخطوة.

(٣) البيت لأبي حَيَّة النُّميري كما في خزانة الأدب ٦/ ٥٥٤ و٥٥٨-٥٥٩. والرَّيْدَة: الرِّيحُ اللَّيِّنة الهبوب، ونفحت: هبَّت، والرَّيَّا: الرائحة. قاله البغدادي.

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾.

هذه السورة مكيَّةٌ بلا خلاف، وعن عبد الله: «الكهفُ» و«مريمُ» و«طه» و«الأنبياء» من العِتاق الأُوَل، وهنَّ من تِلَادِي، أي: من قديم ما حَفِظْتُ وكَسَبْتُ من القرآن، كالمالِ التِّلاد[1].

ومناسبةُ هذه السورةِ لِما قبلَها أنَّه لمَّا ذكرَ: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ﴾ قال مشركو قريش: محمدٌ يُهَدِّدُنَا بالمَعَادِ والجَزَاء على الأعمال وليس بصحيح، وإنْ صَحَّ ففيه بُعْدٌ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.

و«ٱقْتَرَبَ» افتعلَ بمعنى الفعل المجرَّد، وهو قَرُبَ، كما تقول: ارْتَقَبَ ورَقَبَ، وقيل: هو أبلغُ من «قَرُبَ» للزيادة التي في البناء.

و«الناس» مشركو مكة، وقيل: عامٌّ في منكري البعث. واقترابُ الحساب اقترابُ وقتِه، والحسابُ في اللغة إخراجُ الكميَّة من مبلغ العِدَّة، وقد يُطلق على المحسوب.

وجُعل ذلك اقتراباً لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ ـ وإنْ طالَ وقتُ انتظارِهِ ـ قريب، وإنَّما البعيدُ هو الذي انقرضَ، أو هو مقتربٌ عند الله، كقوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] أو باعتبار ما بَقِيَ من الدُّنيا فإنَّه أقصرُ وأقلُّ ممَّا مَضَى. وفي الحديث: «بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتين»[2]. قال الشاعر:

فما زالَ ما يَهْواهُ أقربَ من غدٍ ... ومازَالَ ما يَخْشاهُ أبعدَ من أمْسِ[3]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٧٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٧٠.

(٢) أخرجه أحمد (١٢٢٤٥)، والبخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١)، من حديث أنس ﷺ، وله طرق أخرى.

(٣) تفسير الرازي ٢٢/ ١٣٩، وهو في مقدمة نفح الطيب ١/ ١٠٧ برواية:

ولا انفكَّ ما يرجوه أقربَ من غَدِ ... ولا زال ما يخشاه أبعدَ من أمسِ

و«للنَّاسِ» متعلِّقٌ بـ «اقتربَ»، وقال الزمخشريّ[١]: هذه اللامُ لا تخلُو من أن تكون صلةً لـ «اقتربَ»، أو تأكيداً لإضافةِ الحساب إليهم كما تقول: أَزِفَ لِلحَيِّ رَحِيلُهم، الأصلُ: أَزِفَ رَحِيلُ الحيِّ [ثم أَزِفَ للحيِّ الرحيل] ثم أَزِفَ للحيِّ رَحِيلُهم، ونحوُه ما أورَدَه سيبويه[٢] في باب ما يُثَنَّى فيه المستقرّ توكيداً: عليك زيدٌ حريصٌ عليك، وفيك زيدٌ راغبٌ فيك، ومنه قولهم: لا أبا لَكَ، لأنَّ اللامَ مؤكِّدة لمعنى الإضافة، وهذا الوَجْهُ أغربُ من الأوَّل. انتهى.

يعني بقوله: «صلة» أنها تتعلَّق بـ «اقتربَ»، وأمَّا جعلُه اللامَ تأكيداً لإضافةِ الحسابِ إليهم مع تقدُّم اللام ودخولِها على الاسم الظاهر؛ فلا نعلمُ أحداً يقولُ ذلك، وأيضاً فتحتاجُ إلى ما تتعَلَّق به، ولا يمكن تعلُّقها بـ «حسابُهُم» لأنه مصدرٌ موصول، ولا يتقدَّم معمولُه عليه، وأيضاً فالتوكيد يكون متأخراً عن المؤكَّد، وأيضاً فلو أُخِّر في هذا التركيب لم يصحَّ، وأمَّا تشبيهُهُ بما أوردَ سيبويه؛ فالفرقُ وَاضحٌ لأن «عليك» معمولٌ لـ «حريص»، و«عليك» الثانية متأخِّرة توكيداً، وكذلك: «فيك زيدٌ راغبٌ فيك» يتعلَّق «فيك» بـ «راغب»، و«فيك» الثانية توكيد، وإنَّما غَرَّه في ذلك صحةُ تركيب حساب الناس، وكذلك أزِفَ رحيلُ الحيِّ، فاعتقدَ إذا تقدَّم الظاهرُ مجروراً باللام وأُضِيفَ المصدرُ لضميرِهِ أنه من باب «فيك زيدٌ راغبٌ فيك»، وليس مثلَه.

وأمَّا «لا أبا لكَ» فهي مسألةٌ مشكلة، وفيها خلاف، ويمكن أن يقال فيها ذلك، لأنَّ اللامَ جاورتِ الإضافة، ولا يُقاسُ على مثلِها غيرُها لشذوذِها وخروجِها عن الأقيسة. وقد أمعنَّا الكلام عليها في «شرح التسهيل».

والواو في «وهُم» واو الحال، وأخبَرَ عنهم بخبرَيْنِ ظاهرُهما التنافي لأنَّ الغفلة عن الشيء والإعراضَ عنه متنافيان، لكن يُجمع بينهما باختلاف حالين، أخبرَ عنهم أولاً أنهم لا يتفكَّرون في عاقبة، بل هم غافلون عمَّا يؤولُ إليه أمرُهم، ثم أخبرَ عنهم ثانياً أنهم إذا نُبِّهُوا من سِنَةِ الغفلةِ وذُكِّرُوا بما يؤولُ إليه أمرُ المحسن والمسيء أعرضُوا عنه ولم يُبالُوا بذلك[٣].

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٦١، وما سيرد بين حاصرتين منه.
(٢) الكتاب ٢/ ١٢٥.
(٣) الكلام بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٦٢.

والذِّكْرُ هنا ما ينزلُ من القرآن شيئاً بعد شيء، وقيل: المرادُ بالذِّكْرِ أقوالُ النبيِّ ﷺ في أمرِ الشريعة ووعظِهِ وتذكيرِه[١].

ووصفُه بالحُدُوث ـ إذا كان القرآنَ ـ لنزوله وقتاً بعد وقت، وسُئل بعضُ الصحابة عن هذه الآية فقال: مُحْدَثُ النُّزول مُحْدَثُ المَقُول.

وقال الحسينُ بنُ الفَضْل: المرادُ بالذِّكْر هنا النبيُّ ﷺ بدليل ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، وقال: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا﴾[٢] [الطلاق: ١٠-١١].

وقد احتجَّت المعتزلةُ على حدوث القرآن بقوله: «مُحْدَث» وهي مسألة يبحث فيها في علم الكلام.

وقرأ الجمهور: «مُحْدَثٍ» بالجرِّ صفة لـ «ذِكْر» على اللفظ، وابنُ أبي عَبْلَة بالرفع صفة لـ «ذِكْر» على الموضع[٣]، وزيدُ بنُ عليّ بالنصب على الحال من «ذِكْر» إذ قد وُصف بقوله: «من ربِّهم».

ويجوزُ أن يتعلَّق «مِن رَبِّهم» بـ «يأتيهم»، و«استمعوه» جملة حاليَّة، وذو الحال المفعول في «ما يأتيهم».

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ جملة حاليَّة من ضمير «استمعوه»، و«لاهِيةً» حال من ضمير «يلعبون» أو من ضمير «استمعوه» فيكون حالاً بعد حال.

واللاهية من قول العرب: لَهَى عنه إذا ذَهَلَ وغَفَل يَلْهَى لُهِيًّا ولِهْيَاناً، أي: وإنْ فطنُوا لا يُجدي ذلك لاستيلاءِ الغفلةِ والذُّهول وعدم التبصُّر بقلوبهم.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة وعيسى: «لاهيةٌ» بالرفع[٤] على أنه خبرٌ بعد خبر لقوله: «وهم».

و«النَّجوى» من التَّناجي، ولا يكون إلا خُفْيَة، فمعنى «وأسرُّوا» بالغوا في إخفائها، أو جعلوها بحيث لا يفطن أحدٌ لتَناجِيهم ولا يعلم أنهم متناجُون.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٧٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٧٢.
(٢) ينظر زاد المسير ٥/ ٣٣٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٧٢.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٦٢.
(٤) القراءات الشاذة ص٩١ عن عيسى.

وقال أبو عبيدة: «أسرُّوا» هنا من الأضداد، يحتمل أن يكون أخفَوْا كلامَهم، ويحتمل أن يكون أظهرُوه(١)، ومنه قول الفرزدق:

فلمَّا رأى الحَجَّاجَ جَرَّدَ سَيْفَهُ أَسَرَّ الحَرُورِيُّ الذي كانَ أَضْمَرَا(٢)

وقال التبريزي: لا يُستعمل في الغالب إلا في الإخفاء.

وإنما أسرُّوا الحديثَ لأنه كان ذلك على طريق التشاوُر، وعادةُ المتشاوِرِينَ كتمانُ سِرِّهم عن أعدائهم، وأَسَرُّوها ليقولوا للرسول ﷺ وللمؤمنين: إنْ كان ما تَدَّعُونَهُ حقًّا فأخْبِرُونا بما أسْرَرْناه(٣).

وجَوَّزُوا في إعراب «الذين ظلموا» وجوهاً الرفعَ والنصبَ والجرَّ، فالرفعُ على البدل من ضمير «وأسرُّوا» إشعاراً أنهم المَوسُومُون بالظُّلم الفاحش فيما أسَرُّوا به. قاله المبرِّد(٤)، وعَزاه ابنُ عطيَّة إلى سيبويه(٥).

أو على أنه فاعل، والواو في «أسرُّوا» علامة للجمع على لغة «أكلوني البراغيث» قاله أبو عبيدة والأخفش وغيرُهما(٦)؛ قيل: وهي لغة شاذَّة، قيل: والصحيح أنَّها لغة حسنة، وهي من لغة أزْد شَنُوءة، وخُرِّجَ عليه قولُه: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١] وقال شاعرُهم:

يلومُونَني في اشتِراءِ النَّخِيـ ـلِ أَهْلِي وكُلُّهُمُ أَلْوَمُ(٧)

(١) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٣٤، والكلام في تفسير القرطبي ١٤/ ١٧٥.
(٢) نُسب البيت للفرزدق في تفسير الطبري ١٦/ ٤٠، والأضداد لابن الأنباري ص٤٦، وتهذيب اللغة ١٢/ ٢٨٥، وجاء في تاج العروس (سرر) أيضاً أن أبا عبيدة أنشده للفرزدق. ولم أقف عليه في ديوانه. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٧٤.
(٣) تفسير الرازي ٢٢/ ١٤١.
(٤) نقله في تفسيره عن المُبَرِّد كلٌّ من الواحدي ٣/ ٢٢٩، والبغوي ٣/ ٢٣٨، والقرطبي ١٤/ ١٧٤، ونقلوا عنه قوله: هذا كقولك في الكلام: إن الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله، فبنو بدل من الواو في انطلقوا.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٧٤، وينظر الكتاب ٢/ ٤١.
(٦) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٧٤. ونقل ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٧٤ عن سيبويه قوله: لغة أكلوني البراغيث ليست في القرآن.
(٧) البيت لأميَّة بن أبي الصَّلْت، وهو في ديوانه ص١٢٧.

أو على أنَّ «الذين» مبتدأ «وأسَرُّوا النَّجْوى» خبرُه ـ قاله الكسائي ـ فَقدِّم عليه[١]، والمعنى: وهؤلاء أسرُّوا النجوى، فوضع المُظهر موضع المُضمر تسجيلاً على فعلهم أنه ظُلم.

أو على أنه فاعل بفعل القول وحُذف، أي: يقولُ الذين ظلموا، والقولُ كثيراً يُضْمَرُ، واختارَه النحَّاس[٢]، قال: ويدلُّ على صحة هذا أنَّ بعدَه ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

وقيل: التقدير: أسرَّها الذين ظلموا، وقيل: «الذين» خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين[٣].

والنصب على الذم، قاله الزجاج أو على إضمار أعني، قاله بعضُهم[٤].

والجرُّ على أن يكون نعتاً للناس، أو بدلاً من قوله: «اقترب للناس» قاله الفرَّاء[٥]، وهو أبعدُ الأقوال.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ استفهام معناه التعجُّب، أي: كيف خُصَّ بالنبوَّةِ دونكم مع مماثلتِهِ لكم في البشريَّة؟! وإنكارُهم وتعجُّبُهم من حيثُ كانوا يرون أنَّ الله لا يُرْسِلُ إلا مَلَكاً.

و﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ استفهام معناه التوبيخ، والسِّحْرُ عَنَوْا به ما ظهرَ على يديه من المعجزات التي أعظمُها القرآن والذِّكْرُ المتلوُّ عليهم، أي: أفتحضُرُون السِّحرَ وأنتم تبصرون أنه سِحْر، وأنَّ مَنْ أتى به هو بشرٌ مثلُكم؟ فكيف تقبلون ما أتى به وهو سِحْر؟ وكانوا يعتقدون أنَّ الرسول من عند الله لا يكونُ إلا مَلَكاً، وأنَّ كلَّ من ادَّعى الرسالةَ من البشر وجاء بمعجزة فهو ساحر ومعجزتُه سِحْر.

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٧٥.
(٢) في إعراب القرآن ٣/ ٦٤، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٧٤.
(٣) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٢، وللزجاج ٣/ ٣٨٣-٣٨٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٧٤.
(٤) عبارة معاني الزجّاج ٣/ ٣٨٣-٣٨٤: ويجوزُ أن يكون رفعاً على الذَّمّ على معنى: هم الذين ظلموا، ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى أعني الذين ظلموا.
(٥) معاني القرآن له ٢/ ١٩٨، وينظر معاني القرآن للنحاس ٣/ ٦٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٧٤.

وهاتان الجملتان الاستفهاميَّتان الظاهرُ أنهما متعلِّقتان بقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ وأنهما محكيَّتان للنجوى[١] لأنه بمعنى القول الخفيّ، فهما في موضع نصب على المفعول بالنجوى.

وقال الزمخشريّ[٢]: في محل النصب بدلاً من «النَّجوى»، أي: وأسَرُّوا هذا الحديث، ويجوز أن يتعلَّق بـ «قالوا» مضمراً. انتهى.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وحفص والأعمش وطلحة وابنُ أبي ليلى وأيوب وخَلَف وابنُ سعدان وابنُ جبير الأنطاكي وابنُ جرير: «قال رَبِّي» على معنى الخبر عن نبيِّه عليه الصلاة والسلام، وقرأ باقي السبعة: «قُلْ» على الأمر لنبيِّه ﷺ[٣]. [أي:][٤] يعلمُ أقوالَكم هذه وهو يُجازيكم عليها.

والقولُ عامٌّ يشملُ السِّرَّ والجهرَ، فكانَ في الإخبار بعلمِه القولَ عِلْمُ السِّرِّ وزيادة، وكان آكدَ في الاطِّلاع على نجواهم من أن يقول: يعلمُ سِرَّهُم، ثم بيَّنَ ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ السميعُ لأقوالكم العليمُ بما انطوَت عليه ضمائرُكم[٥].

ولمَّا ذكرَ تعالى عنهم أنهم قالوا إنَّ ما أتى به سحر؛ ذكَرَ اضطرابَهم في مقالاتهم، فذكرَ أنهم أضربُوا عن نسبة السِّحرِ إليه وقالوا: ما يأتي به إنما هو أضْغَاثُ أحلام، وتقدَّمَ تفسيرُها في سورة يوسف عليه السلام.

ثم أضربُوا عن هذا فقالوا: بل افتراه، أي: اخْتَلَقَهُ وليس من عند الله، ثم أضربُوا عن هذا فقالوا: بل هو شاعر، وهكذا المُبْطِلُ لا يثبتُ على قول، بل يبقَى متحيِّراً.

وهذه الأقوالُ الظاهرُ أنها صدرت من قائلين متَّفقين، انتقلوا من قولٍ إلى قول، أو مختلفين قال كلٌّ منهم مقالة.

---

(١) في (ع) والمطبوع: بقوله للنَّجوى، وهو خطأ، ولم تُجوَّد العبارة في (أ).
(٢) الكشاف ٢/ ٥٦٢.
(٣) ينظر السبعة ص٤٢٨، والتيسير ص١٥٤، والنشر ٢/ ٣٢٣.
(٤) لفظة «أي» بين حاصرتين من عندي لضرورة السياق. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٧٤.
(٥) الكلام بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٦٢.

قال الزمخشري: ويجوزُ أن يكون تنزيلاً من الله لأقوالهم في دَرْجِ الفساد، وأنَّ قولَهم الثاني أفسدُ من الأوَّل، والثالث أفسدُ من الثاني، وكذلك الرابع من الثالث. انتهى.

وقال ابنُ عطيَّة: ثم حكى قولَ مَنْ قال: إنه شاعر، وهي مقالةُ فِرْقَةٍ عاميَّة، لأنَّ بُنَاة الشِّعر من العرب[1] لم يَخْفَ عليهم بالبديهة أنَّ مبانيَ القرآن ليست مبانيَ شعر.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: حكى الله عنهم هذه الأقوالَ الخمسةَ، وترتيبُ كلامهم أنَّ كونَه بشراً مانعٌ من كونه رسولاً لله؛ سلَّمنا أنه غيرُ مانع، ولكن لا نُسلِّم أنَّ هذا القرآن [مُعجز]، ثم إمَّا أنْ يُساعدَ على أنَّ فصاحةَ القرآن خارجةٌ عن مقدور[2] البشر؛ قلنا: لِمَ لا يجوزُ أن يكونَ ذلك سحراً؟ وإنْ لم يساعد عليه، فإنِ ادَّعَيْنا كونَه في نهاية الرَّكاكة قلنا: إنه أضغاثُ أحلام، وإنِ ادَّعينا أنه متوسطٌ بين الرَّكاكةِ والفَصاحة قلنا: إنه افتراه، وإنِ ادَّعينا أنَّه كلامٌ فصيح قلنا: إنه من جنس فصاحةِ سائر الشِّعر، وعلى جميع هذه التقديرات لا يثبتُ كونُه معجزاً. ولمَّا فَرَغُوا من تقدير هذه الاحتمالات قالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ اقترحُوا من الآيات ما لا إمهالَ بعدَها، كالآياتِ في قوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

قال الزمخشريّ: صحةُ التشبيه في قوله: ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ من حيث إنه في معنى: كما أَتَى الأوَّلون بالآيات، لأنَّ إرسالَ الرُّسُلِ متضمِّنٌ للإتيان بالآيات، ألا ترى أنه لا فرقَ بين أن تقول: أتى محمدٌ بالمعجزة، وأن تقول: أُرْسِلَ محمدٌ بالمعجزة؟ انتهى.

والكاف في «كما أُرْسِلَ» يجوزُ أن تكون في موضع النعت لـ «آية»، و«ما أُرْسِلَ» في تقديرِ المصدر، والمعنى: بآيةٍ مثلِ آيةِ إرْسالِ الأوَّلين. ويجوزُ أن تكونَ في [موضع][3] النعت لمصدر محذوف، أي: إتياناً مثلَ إرسالِ الأوَّلين، أي: مثلَ إتيانِهم بالآيات.

---

(١) في المحرر الوجيز ٤/ ٧٤: لأن نبلاء العرب... إلخ.
(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: مقدار، والمثبت من تفسير الرازي ٢٢/ ١٤٣ (والكلام منه) وما سلف بين حاصرتين منه.
(٣) لفظة «موضع» بين حاصرتين من عندي من أجل السياق.

وهذه الآية التي طلبُوها هي على سبيل اقتراحِهم، ولم يأتِ اللهُ بآيةٍ مقترحةٍ إلا أتى بالعذاب بعدَها، وأرادَ تعالى تأخيرَ هؤلاء[١].

وفي قولهم: ﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ دلالةٌ على معرفتهم بإتيان الرسل.

ثم أجابَ تعالى عن قولهم: ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ﴾ بقوله: ﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ والمرادُ بهم قومُ صالح وقومُ فرعون وغيرُهما، ومعنى «أهْلَكْنَاها»: حَكَمْنا بإهلاكها بما اقترحُوا من الآيات.

﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ استبعادٌ وإنكار، أي: هؤلاء أعْتَى من الذين اقترحُوا على أنبيائهم الآياتِ وعَهِدُوا أنهم يؤمنون عندَها، فلمَّا جاءتهم نَكَثُوا، فأهلكَهم الله، فلو أعطَيْنا هؤلاء ما اقترحُوا لكانوا أنْكَثَ من أولئك[٢]، وكان يقعُ استئصالُهم، ولكنْ حَكَمَ اللهُ تعالى بإبقائهم ليؤمنَ مَنْ آمنَ ويخرجَ منهم مؤمنين.

ولمَّا تقدَّمَ من قولهم: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ﴾ وأنَّ الرسولَ لا يكونُ من عندِ الله من جنس البشر؛ قال تعالى رادًّا عليهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا﴾ أي: بشراً، ولم يكونوا ملائكةً كما اعتقدُوا، ثم أحالَهم على أهل الذِّكْر، فإنَّهم وإنْ كانوا مشايعين للكفَّار ساعِين في إخمادِ نورِ الله لا يقدرُون على إنكارِ إرسالِ البشر.

وقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من حيث إنَّ قريشاً لم يكن لها كتاب سابقٌ ولا أثارةٌ مِن عِلْم. والظاهرُ أنَّ أهلَ الذِّكْر هم أحبارُ أهلِ الكتابَيْن، وشهادتُهم تقومُ بها الحُجَّة في إرسال الله تعالى البشرَ، هذا مع موافقة قريش في تركِ الإيمان بالرسول ﷺ، فشهادتُهم لا مطعنَ فيها.

وقال عبدُ الله بنُ سَلَام: أنا مِنْ أهلِ الذِّكْر، وقيل: هم أهلُ القرآن، وقال عليّ: أنا من أهلِ الذِّكْر.

---

(١) قال الحسن رحمه الله: إنَّهم لم يُجابُوا لأنَّ حُكم اللهِ تعالى أنَّ مَنْ كَذَّبَ بعد الإجابة إلى ما اقترحَه من الآيات فلا بدَّ من أن ينزلَ به عذابُ الاستئصال. ينظر تفسير الرازي ١٤٣/٢٢.

(٢) ينظر الكشاف ٥٦٣/٢، وتفسير الرازي ١٤٣/٢٢.

وقال ابنُ عطيَّة[١]: لا يصلُحُ أن يكون المسؤول أهلَ القرآن في ذلك الوقت لأنهم كانوا خصومَهم. انتهى.

وقيل: أهلُ الذِّكْرِ هُم أهلُ التوراة، وقيل: أهل العلم بالسِّيَرِ وقَصَص الأمم البائدةِ والقرونِ السالفة، فإنهم كانوا يفحصون عن هذه الأشياء، وإذا كان أهلُ الذِّكر أُرِيدَ بهم اليهودُ والنصارى فإنهم لمَّا بلغَ خبرُهم حدَّ التواتر جازَ أن يُسألُوا، ولا يَقْدَحُ في ذلك كونُهم كفاراً[٢].

وقرأ الجمهور: «يُوحَى» مبنيًّا للمفعول، وقرأ طلحة وحفص: «نُوحي» بالنون وكسر الحاء[٣].

والجسدُ يقعُ على ما لا يتغذَّى من الجماد، وقيل: يقعُ على المتغذِّي وغيرِه، فعلى القول الأول يكون النفي قد وقعَ على الجسَد، وعلى الثاني يكون مثبتاً، والنفيُ إنما وقَع على صفتِه[٤].

ووَحَّدَ الجسدَ لإرادة الجنس، كأنَّه قال: ذوي ضَرْبٍ من الأجساد، وهذا ردٌّ لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾[٥] [الفرقان: ٧].

وهذه الجملة من تمام الجواب للمشركين الذين قالوا: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لأنَّ البشريَّة تقتضي الجسميةَ الحيوانية، وهذه لا بدَّ لها من مادة تقومُ بها وقد خرجُوا بذلك في قولهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[٦] [المؤمنون: ٣٣].

ولمَّا أثبتَ أنهم كانوا أجساداً يأكلون الطعام بَيَّنَ أنهم مآلُهم إلى الفَنَاء والنَّفاد، ونَفَى عنهم الخلودَ وهو البقاءُ السَّرمديّ، أو البقاءَ المدَّةَ المتطاولة، أي: هؤلاء

---

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٧٥، وما قبله فيه، وقولُ عليّ ﷺ أيضاً في تفسير الطبري ١٦/ ٢٢٨-٢٢٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٧٨.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١٤٤.
(٣) ينظر السبعة ص٤٢٨، والتيسير ص١٣٠.
(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٧٥.
(٥) الكشاف ٢/ ٥٦٤.
(٦) في النسخ الخطية والمطبوع: «هل هذا». وأثبتُّ لفظ الآية على الصواب.

الرُّسلُ بشرٌ أجسادٌ يَطْعَمُون ويموتون كغيرهم من البشر، والذي صارُوا به رسلاً هو ظهورُ المعجزة على أيديهم وعِصْمتُهم من الصفات القادحة في التبليغ وغيره(١).

﴿ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ ذكرَ تعالى سيرتَه مع أنبيائه، فكذلك يَصْدُقُ نبيَّه محمداً ﷺ وأصحابَه ما وعدَهم به من النصر وظُهورِ الكلمة، فهذه عِدَةٌ للمؤمنين ووعيدٌ للكافرين.

و«صَدَقْنَاهُم الوَعْدَ» من باب «اخْتَارَ»، وهو ما يتعدَّى الفعلُ فيه إلى واحد وإلى الآخر بحرف جرّ، ويجوزُ حذفُ ذلك الحرف، أي: في الوعد، وهو بابٌ لا ينقاسُ عند الجمهور، وإنما يُحفظ من ذلك أفعالٌ قليلة ذُكرت في النَّحو(٢)، ونظيرُ «صَدَقْناهُم الوَعْدَ» قولُهم: صدقُوهم القتالَ، وصَدَقَني سِنَّ بَكْرِهِ، وصدَقْتُ زيداً الحديثَ.

﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ هم المؤمنون، والمسرفُون هم الكفَّارُ المُفْرِطُون في غَيِّهم وكُفْرِهِم، وكلُّ من تركَ الإيمان فهو مُفرط مسرف، وإنجاؤهُم من شرِّ أعدائهم ومن العذاب الذي نزلَ بأعدائهم.

ولما توعَّدَهم في هذه الآية أعقبَ ذلك بوَعْدِه بنعمتِه عليهم، فقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ والكتابُ هو القرآنُ، وعن ابن عباس: ذِكْرُ شَرَفِكُم(٣)، حذفَ المضافَ وأقامَ المضافَ إليه مُقامَه، وعن الحسن: ذِكْرُ دِينِكم، وعن مجاهد: فيه حديثُكُم، وعن سفيان: مكارمُ أخلاقِكم ومحاسنُ أعمالِكم، وقيل: تذكرةٌ لكم لتحذرُوا ما لا يَحِلُّ وترغبُوا فيما يجب(٤).

وقال صاحب «التحرير»(٥): الذي يقتضيه سياقُ الآيات أنَّ المعنى: فيه ذِكْرُ مَشَائِنكم ومَثَالِبِكم وما عاملتُم به أنبياءَ الله من التكذيب والعِناد، فعلى هذا تكونُ

(١) ينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١٤٤.
(٢) ذكر المصنف بعض هذه الأفعال عند تفسير قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].
(٣) في زاد المسير ٥/ ٣٤١ عنه ﷺ: فيه شرفكم.
(٤) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٢٣٢، والنكت والعيون ٣/ ٤٣٩، وزاد المسير ٥/ ٣٤١، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٨٠.
(٥) واسمُه التحرير والتحبير لجمال الدين ابن النقيب شيخ المصنف، ذكرَه في مقدمة الكتاب.

الآية ذمًّا لهم وليست من تَعداد النِّعم عليهم، ويكونُ الكلامُ على سياقه، ويكون معنى قوله هذا إلى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إنكاراً عليهم على إهمالهم التدبُّرَ والتفكُّرَ المؤدِّيَيْنِ إلى اقتضاء الغفلة.

وقال ابنُ عطيَّة[1]: يحتمل أن يريد: فيه شَرَفُكم وذِكْرُكُم آخِرَ الدَّهر كما تُذْكَرُ عظامُ الأمور، وفي هذا تحريضٌ، ثم أكَّد التحريضَ بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وحرَّكهم بذلك إلى النظر.

وقال الزمخشريُّ[2] نحوَه؛ قال: ذِكْرُكُم شَرَفُكُم وصِيتُكم كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أو موعظتُكم، أو فيه مكارمُ الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناءَ وحُسنَ الذِّكر؛ كحسنِ الجوارِ والوفاءِ بالعهد وصدقِ الحديث وأداءِ الأمانة والسخاءِ وما أشبهَ ذلك.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

لمَّا ردَّ الله تعالى عليهم ما قالوه بالغَ تعالى في زَجْرِهم بذِكْرِ ما أهلكَ من القرى فقال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ والمرادُ أهلُها إذْ لا تُوصَفُ القريةُ بالظلم، كقوله: ﴿مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥] قال ابنُ عباس: الإنشاءُ إيجادُ الشيء من غير سبب، أنشأه فنَشأ، وهو ناشئ، والجمع نَشأ، كخَدَم.

والقَصْمُ أفظعُ الكَسر، عبَّرَ به عن الإهلاك الشديد، و«كَمْ» تقتضي التكثير، فالمعنى: كثيراً من أهل القرى أهلكنا إهلاكاً شديداً مبالغاً فيه.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٧٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٦٤.

وما رُوِيَ عن ابن عبَّاس أنها حَضُور ـ قريةٌ باليمن ـ وعن ابن وَهْب عن بعض رجاله أنهما قريتان باليمن بَطِرَ أهلُهما، فيُحْمَلُ على سبيل التمثيل لا على التعيين في القرية، لأنَّ «كم» تقتضي التكثير.

ومن حديث أهل حَضُور أنَّ الله بعثَ إليهم نبيًّا فقتلُوه، فسَلَّطَ الله عليهم بُخْتَنَصَّر كما سلَّطَهُ على أهل بيتِ المقدس، بعثَ إليهم جيشاً فهزمُوه، ثم بعثَ آخرَ فهزموه، فخرجَ إليهم بنفسه فهزمَهم في الثالثة، فلمَّا أخذَ القتلُ فيهم ركضُوا هاربين[1].

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ أي: باشَرُوه بالإحساس، والضميرُ في «أحَسُّوا» عائد على «أهل» المحذوف من قوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ ولا يعودُ على قوله: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ لأنه لم يُذكر لهم ذنب يركضون من أجله.

والضمير في «منها» عائدٌ على القرية، ويحتمل أن يعود على «بأسَنا» لأنه في معنى الشِّدَّة، فأنَّث على المعنى، و«من» على هذا للسَّبب، والظاهر أنهم لمَّا أدركَتْهم مقدِّمةُ العذاب ركبُوا دوابَّهم يَرْكُضُونَها هاربين منهزمين.

قيل: ويجوزُ أن يُشَبَّهُوا[2] في سرعة عَدْوِهِم على أرجلهم بالرَّاكضين لدوابِّهم، فهم يركُضُونَ الأرضَ بأرجلهم، كما قال: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢].

وجوابُ «لمَّا»: «إذا» الفجائية وما بعدها، وهذا أحدُ الدلائل على أنَّ «لمَّا» في هذا التركيب حرفٌ لا ظرف، وقد تقدَّم لنا القولُ في ذلك.

وقوله: «لا تركُضُوا» قال ابنُ عطيَّة[3]: يحتمل أن يكون من قول رجالِ بُختنصَّر على الرواية المتقدِّمة، فالمعنى على هذا أنهم خدعُوهم واستهزؤوا بهم بأنْ قالوا للهاربين منهم: لا تَفِرُّوا وارْجِعُوا إلى منازِلكم لعلكم تُسألون صُلْحاً أو جِزْيةً أو أمراً يُتفق عليه، فلما انصرفوا أمَرَ بختنصَّرُ أن يُنادَى فيهم: يا لثاراتِ النبيِّ المقتول، فقُتلوا بالسيف عن آخِرهم. هذا كلُّه مرويٌّ.

---

(١) أولُ الكلام من الكشاف ٢/ ٥٦٤، وآخرُه بنحوه من المحرر الوجيز ٤/ ٧٦. وينظر التعريف والإعلام ص١١٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٨١.
(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: شُبهوا، والمثبت من الكشاف ٢/ ٥٦٤ والقول فيه.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٧٦.

ويحتمل أن يكونَ قولُه: «لا تركُضُوا» إلى آخر الآية من كلام ملائكة العذاب، وصفَ قصة كلِّ قرية، وأنه لم يُرد تعيين حَضُور ولا غيرها، فالمعنى على هذا أنَّ أهلَ هذه القُرى كانوا باغترارِهم يرون أنَّهم من الله بمكان، وأنه لو جاءهم عذابٌ أو أمرٌ لم ينزل بهم حتى يتخاصمُوا ويُسألُوا عن وجه تكذيبهم لنبيِّهم، فيحتجُّون هم عند ذلك بحُجج تنفعُهم في ظنِّهم، فلما نزلَ العذابُ دون هذا الذي أمَّلُوه وركضوا فارِّين نادَتْهُم الملائكةُ على وجهِ الهُزْءِ بهم: لا تركُضُوا وارْجعوا، لعلكم تُسألونَ كما كنتم تطمعون لِسَفَهِ آرائكم.

وقال الزمخشريّ[١]: يحتمل أن يكون ـ يعني القائل ـ بعضَ الملائكة، أو مَنْ ثَمَّ من المؤمنين، أو يُجعلوا خُلَقاءَ بأن يُقالَ لهم ذلك وإنْ لم يُقَل، أو يقولُه ربُّ العزَّة ويُسمعُه ملائكتَه لينفعَهم في دينهم، أو يُلهمهم ذلك فيحدِّثُوا به نفوسَهم.

﴿وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ﴾ من العيش الرَّافِهِ والحالِ الناعمة، والإتراف: إبطارُ النِّعمة، وهي التَّرَفُّه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ غداً عمَّا جرَى عليكم ونزلَ بأموالكم ومساكنِكم فتُجيبوا السائلَ عن علمٍ ومشاهدة، أو ارْجِعُوا واجلسُوا كما كنتم في مجالسكم وتَرتَّبوا في مراتبكم حتى يَسألَكُم عبيدُكم وحَشَمُكم ومن تملكونَ أمرَه ويَنفُذَ فيه أمرُكم ونهيُكم ويقولوا لكم: بِمَ تأمرون؟ وماذا ترسمون؟ وكيف نأتي ونَذَر كعادة المنعَّمين المخدَّمين؟ أو يسألُكم الناسُ في أنديتِكم المَعَاونَ في نوازلِ الخطوب، ويستشيرونكم في المهمَّات والعوارض، ويستشفون بتدابيركم، ويستضيئون بآرائكم، أو يسألكم الوافدون عليكم والطُّمَّاع، ويستمطرون سَحَائبَ أكُفِّكُم ويَمتَرُونَ أخلافَ[٢] معروفِكم وأياديكم؛ إمَّا لأنهم كانوا أسخياءَ يُنفقون أموالَهم رِئاءَ الناسِ وطَلَبَ الثَّناء، أو كانوا بُخلاءَ فقيلَ لهم ذلك تهكُّماً إلى تهكُّم. وتوبيخاً إلى توبيخ. انتهى.

ونداءُ الوَيْلِ هو على سبيل المجاز، كأنَّهم قالوا: يا ويْلُ، هذا زمانُك. وتقدَّم تفسير الوَيْل في البقرة [٧٩].

(١) الكشاف ٢/ ٥٦٤-٥٦٥.

(٢) الأخلاف جمع خِلْف، وهو ضَرْعُ الناقة، أو حَلَمَةُ الضَّرْع، وقوله: يمترون، أي: يحلُبون، وتحرَّفت اللفظة في النسخ الخطية والمطبوع إلى: يميرون.

والظُّلم هنا الإشراكُ وتكذيبُ الرسل، وإيقاعُ أنفسِهم في الهلاك.

واسم «زَالَتْ» هو اسمُ الإشارة، وهو «تلك»، وهو إشارةٌ إلى الجملة المَقُولة، أي: فما زالت تلك الدَّعوى دَعواهم.

قال المفسِّرون: فما زالوا يُكرِّرون تلك الكلمة فلم تنفعهم، كقوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

والدَّعْوَى مصدر دَعَا، يقال: دَعَا دَعْوَى ودَعْوةً، كقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [يونس: ١٠]. لأنَّ المُوَيْلَ كأنه يدعُو الوَيْلَ.

وقال الحَوْفيّ وتبعَه الزمخشريُّ وأبو البقاء: «تلك» اسم «زالَتْ» و«دَعْوَاهم» الخبر، ويجوزُ أن يكون «دعواهم» اسم «زالَتْ» و«تلك» في موضع الخبر. انتهى[1].

وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء قاله الزجَّاج قبلَهم[2]، وأما أصحابُنا المتأخِّرون فاسم «كانَ» وخبرُها مشبَّه بالفعل والمفعول، فكما لا يجوزُ في باب الفاعل والمفعول إذا ألبسَ أن يكون المتقدِّم الخبر والمتأخِّر الاسم[3] لا يجوز ذلك في باب «كانَ»، فإذا قلت: كان موسى صديقي لم يجز في موسى إلا أن يكونَ اسم «كان» وصديقي الخبر، كقولك: ضربَ موسى عيسى، فموسى الفاعل وعيسى المفعول، ولم يُنازِع في هذا من متأخِّرِي أصحابِنا إلا أبو العبَّاس أحمد بنُ الحاجّ، وهو من تلاميذ الأستاذ أبي عليّ الشَّلَوْبِين[4] ونُبهائهم، فأجازَ أن يكون المتقدِّم هو المفعول والمتأخِّر هو الفاعل وإن ألبس، فعلى ما قرَّرَه جُمهور الأصحاب يتعيَّن أن يكون «تلك» اسم «زالت» و«دَعْوَاهُم» الخبر.

وقولُه: «حَصِيداً» أي: بالعذاب، تُركوا كالحَصِيد خامدين، أي: مَوْتَى دون أرواح مشبَّهين بالنار إذا طَفِئَت، و«حَصِيداً» مفعول ثانٍ.

---

(١) ينظر الكشاف ٢/ ٥٦٥، والإملاء ٢/ ١٣١.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٣٨٦ وقال الزجاج: لا اختلافَ بين النحويِّين في الوجهين.

(٣) كذا وقع. وصواب العبارة: أن يكون المتقدّم المفعول والمتأخّر الفاعل.

(٤) هو عمر بن محمد بن عمر الإشبيلي، إمامُ عصره في العربية، توفي سنة (٦٤٥). بغية الوعاة ٢/ ٢٢٥. وشَلَوْبين بلدة بالمغرب.

قال الحَوْفيّ: و«خامدين» نعت لـ «حصيداً» على أن يكون «حَصِيداً» بمعنى: محصودين، يعني وضعَ المفرد ويُراد به الجمع، قال: ويجوزُ أن يُجعل «خامدين» حالاً من الهاء والميم.

وقال الزمخشريّ: جعلناهم مثلَ الحَصِيد، شبَّههم [به][١] في استئصالِهم واصْطِلامِهم كما تقول: جعلناهم رماداً، أي: مثلَ الرَّماد، والضميرُ المنصوبُ هو الذي كان مبتدأ، والمنصوبان بعدَه، كانا خبرَيْنِ له، فلما دخل عليهما جعل نصبَهما جميعاً على المفعولية.

فإن قلتَ: كيف ينصبُ «جَعَلَ» ثلاثةَ مفاعيل؟

قلت: حُكم الاثنين الآخَرَيْن حُكم الواحد، لأنَّ معنى قولك: جعلتُه حُلْواً حامِضاً جعلتُه جامعاً للطَّعْمَين، وكذلك معنى ذلك: جعلناهم جامعين لمماثلةِ الحَصِيد والخُمود، والخُمودُ عطف على المُماثلة لا على الحصيد. انتهى[٢].

ولمَّا ذكرَ تعالى قَصْمَ تلك القرى الظالمةِ أتبعَ ذلك بما يدلُّ على أنه فعلَ ذلك عَدْلاً منه ومجازاةً على ما فعلُوا، وأنه إنما أنشأ هذا العالَمَ العُلْويَّ المحتويَ على عجائبَ من صُنعِه وغرائبَ من فِعلِه، وهذا العالَمَ السُّفليَّ وما أودعَ فيه من عجائب الحيوان والنبات والمعادن، وما بينهما من الهواء والسحاب والرِّياح لم يكن ذلك على سبيل اللَّعِب، بل لِفَوَائدَ دينيَّةٍ تقضي بسعادة الأبَد أو بشقاوتِه، ودُنياويَّةٍ لا تُعَدُّ ولا تُحصى، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ [ص: ٢٧] وقوله: ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٩].

قال الكِرْمانيُّ: اللعبُ فعلٌ يدعُو إليه الجهل يَرُوقُ أوَّلُه ولا ثباتَ له، وإنما خلقناهما لنُجازِيَ المحسنَ والمسيءَ، ولِيُستَدَلَّ بهما على الوحدانيَّة والقدرة. انتهى.

﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ أصلُ اللَّهو ما تُسرعُ إليه الشهوةُ ويدعُو إليه الهَوَى، وقد

(١) ما بين حاصرتين من الكشاف ٢/ ٥٦٥، والكلام منه.
(٢) قوله: والخمود عطف على... إلخ، ليس في مطبوع الكشاف.

يُكْنَى به عن الجِماع[(١)]، وأمَّا هنا فعن ابنِ عبَّاس والسُّدِّيّ: هو الولد[(٢)]، وقال الزَّجَّاج[(٣)]: هو الولدُ بلغة حضرموت.

وعن ابن عباس أنَّ هذا رَدٌّ على مَنْ قالَ: اتَّخذَ اللهُ ولداً، وعنه أنَّ اللَّهو هنا اللعب، وقيل: اللَّهو هنا المرأة، وقال قتادة: هذا في لغة أهل اليمن، وتكون رَدًّا على من ادَّعَى أنَّ للهِ زوجةً[(٤)].

ومعنى «مِنْ لَدُنَّا»: من عندنا بحيث لا يطَّلعُ عليه أحد لأنه نقص، فسَتْرُه أَوْلَى. وقال السُّدِّيُّ: من السَّماء لا من الأرض[(٥)]، وقيل: من الحُور العِين، وقيل: من جهة قُدرتنا، وقيل: من الملائكة لا من الإنس ردًّا لولادة المسيح وعُزَير[(٦)].

وقال الزمخشري: بيَّنَ أنَّ السَّببَ في ترك اتخاذ اللَّهو واللَّعب وانتفائه عن أفعالي أنَّ الحكمةَ صارفةٌ عنه، وإلا فأنا قادرٌ على اتِّخاذِه إنْ كنتُ فاعلاً لأنِّي على كل شيء قدير. انتهى.

ولا يجيءُ هذا إلا على قول من قال: اللَّهْوُ هو اللعبُ، وأما من فسَّره بالولد والمرأة فذلك مستحيل لا تتعلَّقُ به القدرة.

والظاهر أنَّ «إنْ» هنا شرطيَّة، وجوابُ الشرط محذوف يدلُّ عليه جواب «لو»، أي: إنْ كُنَّا فاعلين اتَّخذناه إنْ كنَّا ممَّن يفعلُ ذلك، ولسنا ممَّن يفعلُه.

وقال الحسن وقتادة وابنُ جُرَيْج: «إنْ» نافية، أي: ما كنا فاعلين[(٧)].

---

(١) الصحاح (لها)، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٨٤.

(٢) زاد المسير ٥/ ٣٤٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٨٤، وهو في النكت والعيون ٣/ ٤٤٠ عن الحسن.

(٣) معاني القرآن ٣/ ٣٨٦.

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٢٣٩، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٣٥، وزاد المسير ٥/ ٣٤٣-٣٤٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٨٤.

(٥) هو عن ابن جُريج في تفسير الطبري ١٦/ ٢٣٩، والنكت والعيون ٣/ ٤٤٠، وزاد المسير ٥/ ٣٤٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ١٨٥.

(٦) الكشاف ٢/ ٥٦٥، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٤٧.

(٧) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٢٣٩، وتفسير البغوي ٣/ ٢٤١، وزاد المسير ٥/ ٣٤٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٨٥. وقول المصنف عنهم: «إنْ» نافية، هو تقديم لمعنى قولهم، لا من قولهم.

﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ أي: نرمي بسرعة «بالحق» وهو القرآن «على الباطل» وهو الشيطان. قاله مجاهد، وقال: كلُّ ما في القرآن من الباطل فهو الشيطان[1].

وقيل: «بالحق» بالحجَّة على الباطل وهو شُبَهُهُمْ ووَصْفُهم الله بغير صفاتِه من الولد وغيرِه.

وقيل: «الحقُّ» عامّ في القرآن والرِّسالةِ والشَّرْع، والباطلُ أيضاً عامٌّ كذلك.

و«بَلْ» إضرابٌ عن اتِّخاذ اللَّعِب واللهو.

والمعنى أنه يدحضُ الباطلَ بالحقِّ، واستعارَ لذلك القذفَ والدَّمْغَ تصويراً لإبطالِهِ وإهدارِهِ ومَحْقِهِ، فجعلَه كأنه جِرْمٌ صُلْب ـ كالصخرةِ مثلاً ـ قُذِفَ به على جِرْم رِخْوٍ أجْوفَ فدمَغَه[2]، أي: أصابَ دماغَه، وذلك مَهْلَكٌ في البشر، فكذلك الحقُّ يُهلك الباطل.

وقرأ عيسى بنُ عمر: «فيدمَغَه» بنصب الغين[3]؛ قال الزمخشري: وهو في ضَعْفِ قوله:

سأترُكُ منزلي لبني تميمٍ وألحقُ بالحجازِ فأَسْتَرِيحَا[4]

وقُرِئ: «فَيَدْمُغُهُ» بضم الميم[5]. انتهى.

﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾ خطابٌ للكفار، أي: الخِزْيُ والهمُّ ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي: تصفونه ممَّا لا يليقُ به تعالى من اتخاذ الصاحبةِ والولد ونسبةِ المستحيلاتِ إليه.

وقيل: «ولكم» خطابٌ لمن تمسَّكَ بتكذيب الرُّسل، ونسبَ القرآنَ إلى أنه سِحْرٌ

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ١٨٦.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٦٥-٥٦٦، والكلام بعده من المحرر الوجيز ٤/ ٧٧.
(٣) القراءات الشاذة ص٩١، وهي في الكشاف ٢/ ٥٦٦ دون نسبة.
(٤) هو في الكتاب ٣/ ٣٩، والمحتسب ١/ ١٩٧، والكشاف ١/ ٥٦٦ (والكلام منه).
قال البغدادي في خزانة الأدب ٨/ ٥٢٢: جاء «أستريحا» منصوباً بعد الفاء في ضرورة الشعر فيما ليس فيه معنى النفي أصلاً. وقال أيضاً: نسبَهُ العَيْني وتبعَه السيوطي في أبيات المغني إلى المغيرة بن حَبْناء، وقد رجعتُ إلى ديوانه ـ وهو صغير ـ فلم أجده فيه.
(٥) جاءت في القراءات الشاذة ص٩١ بالتاء (لا بالياء) وضم الميم.

وأضغاثُ أحلام، وهو المعنيُّ بقوله: «ممَّا تصفون»، وأبعدَ مَنْ ذهبَ إلى أنه التفاتٌ من ضمير الغَيبة في ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ إلى ضمير الخطاب.

ثم أخبرَ تعالى أنَّ مَنْ في السماواتِ والأرضِ مِلْكٌ له، فاندرجَ فيه مَنْ سَمَّوْه بالصاحبة والولد، «ومَنْ عِندَهُ» هم الملائكة، واحتملَ أن يكونَ معطوفاً على «مَنْ»، فيكونون قد اندرجُوا في الملائكة بطريق العموم لدخولهم في «مَنْ» وبطريق الخصوص بالنصِّ على أنهم مَنْ عندَه[1]، ويكون «لا يستكبرون» جملةً حاليَّة منهم، أو استئنافَ إخبار.

واحتملَ أن يكونَ «ومَنْ عندَه» مبتدأ، وخبرُه: «لا يستكبرون».

و«عِند» هنا لا يُرادُ بها ظرفُ المكان لأنه تعالى منزَّهٌ عن المكان، بل المعنى شرفُ المكانة وعُلُوُّ المنزلة.

والظاهر أنَّ قوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ استئنافُ إخبارٍ بأنَّ جميعَ العالم مِلْكُه، وقيل: يحتملُ أن يكون مُعادِلاً لقوله: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ كأنه يُقسِّم[2] الأمرَ في نفسه، أي: للمختلِقين هذه المقالةَ الويلُ، ولله تعالى مَنْ في السماوات والأرض. انتهى.

والمرادُ أنَّ الملائكة مكرَّمُون منزَّلُون ـ لكرامتهم على الله ـ منزلةَ المقرَّبين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفِهم وفضلِهم[3].

ويقال: حَسَرَ البعيرُ واسْتَحْسَرَ: كَلَّ وتَعِبَ، وحَسَرْتُه أنا، فهو متعدٍّ ولازمٌ، وأحْسَرْتُهُ أيضاً، وقال الشاعر:

بها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظامُها فبِيضٌ وأمَّا جِلْدُها فصَلِيبُ[4]

قال الزمخشريّ: فإن قلتَ: الاستحسارُ مبالغةٌ في الحُسُور، وكان الأبلغُ في وصفهم أن ينفيَ عنهم أدنى الحُسُور.

---

(١) قال الرازي في تفسيره ٢٢/١٤٨: قوله: «ومَنْ عندَه» المرادُ بهم الملائكة بإجماع الأمَّة.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/٧٧ (والكلام منه): تقسيم.

(٣) الكشاف ٢/٥٦٦.

(٤) البيت لعلقمة بن عَبْدة الفحل، وهو في ديوانه ص٤٠، وسلف في تفسير الآية (٦٤) من سورة آل عمران.

قلت: في الاستحسار بيانُ أنَّ ما هم فيه يُوجِبُ غايةَ الحُسُورِ وأقصاه، وأنهم أحِقَّاء لتلك العبادات الباهظة بأن يُستحسروا فيما يفعلون. انتهى.

«يُسَبِّحُونَ» هم الملائكةُ بإجماع الأمَّة، وصفُهم تسبيحُهم دائم.

وعن كعب: جعلَ الله لهم التسبيحَ كالنَّفَسِ وطَرْفِ العين للبشر يقعُ منهم دائماً دون أن يلحقَهم فيه سآمة[(١)].

وفي الحديث: «إني لأَسمعُ أَطِيطَ السَّماء، وحَقٌّ لها أن تَئِطَّ، ليس فيها موضعُ راحة إلا وفيه ملك ساجدٌ أو قائم»[(٢)].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِىۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى الدلائلَ على وحدانيَّته وأنَّ مَنْ في السماواتِ والأرضِ كلَّهم مِلْكٌ له، وأنَّ الملائكةَ المُكَرَّمِينَ هم في خدمته لا يَفْتُرُون عن تسبيحِهِ وعبادتِه؛ عادَ إلى ما كان عليه من توبيخ المشركين وذمِّهم وتسفيهِ أحلامِهم.

و«أَمْ» هنا منقطعة تتقدَّر بـ «بَلْ» والهمزة، ففيها إضرابٌ وانتقالٌ من خبرٍ إلى خبرٍ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٧٧. وأخرجه بنحوه أطولَ منه الطبري ١٦/ ٢٤٤.

(٢) الخبر في المحرر الوجيز ٤/ ٧٨ بأطول منه عن قتادة، وأخرجه الطبري عنه مرسلاً في التفسير ١٦/ ٢٤٥. ووصلَه ابنُ أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥٩٧) والطبراني في المعجم الكبير (٣١٢٢) من طريق قتادة عن صفوان بن محرز، عن حكيم بن حِزَام، وعندهما: «موضع شِبْر» بدل: «موضع راحة». ووقع في (ح) و(يه): «أطَّت السماء» بدل: «إني لأسمعُ أطيطَ السماء» وجاء لفظ «أطَّت السماء» في حديث أبي ذرّ ﷺ، أخرجه عنه أحمد (٢١٥١٦)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠).

واستفهامٍ معناه التعجُّب والإنكار، أي: أَتَّخَذُوا آلهةً من الأرض يتَّصفُون بالإحياء ويَقدِرُون عليها وعلى الإماتة؟ أي: لم يتَّخذُوا آلهةً بهذا الوصف، بلِ اتَّخَذُوا آلهةً جَماداً لا تَتَّصِفُ بالقدرة على شيء، فهي غيرُ آلهة، لأنَّ من صفة الإلهِ القدرةَ على الإحياء والإماتة.

وقال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: كيف أنكَرَ عليهم اتِّخاذَ آلهةٍ تُنْشِرُ، وما كانوا يَدَّعُون ذلك لآلهتِهم، وهم أبعدُ شيء عن هذه الدَّعْوَى لأنهم [كانوا][١] مع إقرارِهم بأنَّ اللهَ خالقُ السماواتِ والأرض وبأنه قادرٌ على المقدورات كلِّها وعلى النَّشأة الأولى منكرين للبعث، وكان عندَهم من قبيل المُحالِ الخارج عن قدرة القادر، فكيف يدَّعونَهُ للجَماد الذي لا يُوصَفُ بالقدرة؟

قلتُ: الأمرُ كما ذكرتَ، ولكنهم بادِّعائهم [لها] الإلهية يلزمُهم أن يدَّعُوا لها الإنشار[٢]؛ لأنه لا يستحقُّ هذا الاسمَ إلا القادرُ على كلِّ مقدور، والإنشارُ من جملة المقدورات، وفيه بابٌ من التهكُّم بهم والتوبيخِ والتجهيلِ، وإشعارٌ بأن ما استبعدُوه من الله لا يصحُّ استبعادُه، لأنَّ الإلهيَّة لمَّا صحَّتْ صحَّ معها الاقتدارُ على الإبداء والإعادة، ونحوُ قوله: «من الأرض» قولُكَ: فلانٌ من مكَّة أو من المدينة، تريد مكيّ أو مدنيّ، ومعنى نسبتها إلى الأرض الإيذانُ بأنها الأصنامُ التي تُعبدُ في الأرض، لأنَّ الآلهةَ أرضيَّةٌ وسماويَّة[٣]، ومن ذلك حديثُ الأَمَة التي قال لها رسول الله ﷺ: «أيْنَ رَبُّك؟» فأشارَتْ إلى السماء، فقال: «إنَّها مؤمنة»[٤] لأنه فَهِمَ منها أنَّ مُرَادَها نفيُ الآلهةِ الأرضيَّة التي هي الأصنام لا إثباتُ السماء مكاناً للهِ تعالى.

---

(١) ما بين حاصرتين من الكشاف ٢/ ٥٦٧ (والكلام منه) ولا بدَّ منها لضرورة السياق.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: الإنشاء (وكذا في الموضعين التاليين) والمثبت من المصدر السالف، والكلام منه. وهو المناسب للفظ الآية: يُنشِرون.

(٣) عبارة الكشاف ٢/ ٥٦٧ (والكلام منه): لأن الآلهة على ضربين؛ أرضية وسماويَّة. ووقع في (ح) والمطبوع: لا أن الآلهة أرضية وسماوية. وهو خطأ.

(٤) اللفظ من المصدر السالف، وهو قطعة من حديث معاوية بن الحَكَم السُّلَمي في قصة جارية له ضربَها، فأراد أن يُعتقها، أخرجه أحمد (٢٣٧٦٢) ومسلم (٥٣٧) وفيه: «أعْتِقْها فإنها مؤمنة»، وله روايات أُخر، ينظر مسند أحمد (٧٩٠٦) والتعليق عليه.

ويجوزُ أن يُرادَ آلهةٌ من جنسِ الأرض لأنها إمَّا أنْ تُنْحَتَ من بعض الحجارة، أو تُعمَلَ من بعضِ جواهرِ الأرض.

فإنْ قلتَ: لا بدَّ من نُكتة في قوله: «هم»؟

قلتُ: النُّكتةُ فيه إفادةُ معنى الخصوصيَّة، كأنه قيل: أمِ اتَّخذوا آلهةً لا يقدر على الإنشار إلا هم وحدَهم. انتهى.

و«اتَّخَذُوا» هنا يحتمل أن يكون المعنى فيها: صنعُوا وصوَّرُوا، و«من الأرض» متعلِّق بـ «اتَّخذُوا»، ويحتملِ أن يكونَ المعنى: جعلُوا الآلهةَ أصناماً من الأرض، كقوله: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤]، وقوله: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]. وفيه معنى الاصطفاء والاختيار.

وقرأ الجمهور: «يُنْشِرُون» مضارع أَنْشَرَ، ومعناه: يُحْيُون، وقال قطرب[١]: معناه يخلُقون، كقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

وقرأ الحسن ومجاهد: «يَنْشُرُون» مضارع «نَشَرَ»[٢]، وهما لغتان: نَشَرَ وأَنْشَرَ، متعدِّيان، و«نَشَرَ» يأتي لازماً؛ تقول: أَنْشَرَ اللهُ الموتَى فنَشَرُوا، أي: فَحَيَوْا.

والضمير في «فيهما» عائدٌ على السماء والأرض، وهما كنايةٌ عن العالَم، و«إلا» هنا صفة لـ «آلهة» أي: آلهةٌ غيرُ الله، وكون «إلا» يُوصَفُ بها معهودٌ في لسان العرب، ومن ذلك ما أنشدَ سيبويه رحمه الله:

وكلُّ أخٍ مفارِقُهُ أخُوهُ لَعَمْرُ أبيكَ إلا الفَرْقَدَانِ[٣]

قال الزمخشريّ: فإن قلتَ: ما منعَك من الرَّفع على البدل؟

قلتُ: لأنَّ «لَوْ» بمنزلة «إنْ» في أنَّ الكلامَ معه مُوجَبٌ، والبَدَلُ لا يَسُوغُ إلا في الكلام غيرِ المُوجَب، كقوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امرأتُك﴾[٤] [هود: ٨١]،

(١) النكت والعيون ٣/ ٤٤١.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٦٧ وتفسير القرطبي ١٤/ ١٨٨ عن الحسن، وجاء في القراءات الشاذة ص٩١ أن ابن مجاهد قالها روايةً عن الحسن.

(٣) الكتاب ٢/ ٣٣٤. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٨٩.

(٤) برفع التاء من قوله: «امرأتك»، وهي قراءة ابن كثير المكيّ وأبي عَمرو البصريّ.

وذلك لأنَّ أعمَّ العامِّ يصحُّ نفيُه ولا يصحُّ إيجابُه، والمعنى: لو كان يتولّاهما ويُدبِّرُ أمرَهما آلهةٌ شتَّى غيرُ الواحدِ الذي هو فاطِرُهما لَفَسَدَتَا، وفيه دلالةٌ على أمرين:

أحدُهما: وجوبُ أن لا يكونَ مُدَبِّرُهما إلا واحداً.

والثاني: أن لا يكونَ ذلك الواحدُ إلا إيَّاه وحدَه، لقوله: «إلا الله».

فإنْ قلتَ: لِمَ وَجَبَ الأمرانِ؟

قلت: لِعلمنا أنَّ الرَّعِيَّة تَفْسُدُ بتدبيرِ المَلِكَيْنِ لِما يحدُثُ بينهما من التغالُب والتناكُرِ والاختلاف.

وعن عبد الملك بن مروان حين قتلَ عَمْرَو بنَ سعيد الأشْدَقَ: كانَ ـ واللهِ ـ أعَزَّ عليَّ من دمِ نَاظِرِي، ولكن لا يجتمعُ فَحْلانِ في شَوْلٍ[1]. وهذا ظاهر.

وأمَّا طريقةُ التمانع فللمتكلِّمين فيها تجاولٌ[2] وطِراد، ولأنَّ هذه الأفعالَ محتاجةٌ إلى تلك الذات المتميِّزة بتلك الصفات حتى تثبتَ وتستقرَّ.

وقال ابنُ عطية[3]: وذلك بأنه كان يَبْغي بعضُهم على بعض، ويذهبُ بما خلقَ، واقتضابُ القولِ في هذا أنَّ الإلهين لو فَرَضْنا بينهما الاختلافَ في تحريك جسم وتسكينِه، فمحالٌ أنْ تتمَّ الإرادتان، ومحالٌ أن لا تتمَّ جميعاً، وإذا تمَّتِ الواحدةُ كان صاحبُ الأُخرى عاجزاً، وهذا ليس بإله، وجوازُ الاختلافِ عليهما بمنزلةِ وقوعِهِ منهما، ونظرٌ آخرُ وذلك أنَّ كلَّ جزء يخرجُ من العدم إلى الوجود فمُحالٌ أن تتعلَّق به قدرتان، فإذا كانت قدرةُ أحدِهما تُوجدُه بقيَ الآخرُ فضلاً لا معنى له في ذلك الجزء، ثم يتمادَى النظر هكذا جزءاً جزءاً.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: لو فَرَضْنا موجُودَيْنِ واجِبَي الوجودِ لذاتهما فلا بدَّ أن

(١) ينظر تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧١، وتاريخ خليفة ص٢٦٦ (سنة ٧٠)، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٣٨ (ترجمة عمرو بن سعيد الأشدق). وشَوْل جمع شائلة، وهي من الإبل التي أتى عليها من حملها أو وضعها سبعةُ أشهر. ينظر لسان العرب (شول).

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: تجادل. والمثبت من الكشاف ٢/ ٥٦٨ والكلام منه.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٧٨.

يشتركا في الوجود، ولا بدَّ أن يمتازَ كلُّ واحدٍ منهما عن الآخر بمعيَّتِه[١]، وما به المشاركةُ غيرُ ما به المُمايزَة، فيكونُ كلُّ واحدٍ مشاركاً للآخر، وكلُّ مركَّب فهو مفتقرٌ إلى آخرَ ممكنٍ لذاته، فإذن واجبُ الوجود ليس إلا واحداً، فكلُّ ما عدا هذا فهو مُحْدَث، ويمكن جعل هذا تفسيراً لهذه الآية، لأنَّا لمَّا دللنا على أنه يلزم من فرض موجودَيْن واجبَيْن أن لا يكون شيءٌ منهما واجباً، وإذا لم يُوجد الواجب لم يوجد شيءٌ من هذه الممكنات، فحينئذٍ يلزمُ الفساد في كل العالَم[٢].

وقال أبو البقاء: لا يجوزُ أن يكون بدلاً لأنَّ المعنى يصيرُ إلى قولك: لو كان فيهما اللهُ لفسدَتا، ألا ترى أنك لو قلتَ: ما جاءني قومُك إلا زيدٌ، على البدَل لكان المعنى جاءني زيدٌ وحدَه، وقيل: يمتنعُ البدَل لأنَّ ما قبلَه إيجابٌ، ولا يجوزُ النصبُ على الاستثناء لوجهين:

أحدُهما أنه فاسدٌ في المعنى، وذلك أنك إذا قلتَ: لو جاءني القومُ إلا زيداً لقتلتُهم؛ كان معناه أنَّ القتلَ امتنعَ لكون زيدٍ مع القوم، فلو نُصب[٣] في الآية لكان المعنى: فسادُ السماواتِ والأرض امتنعَ لوجودِ الله مع الآلهة، وفي ذلك إثباتُ الإله مع الله، وإذا رفعت على الوصف لا يلزمُ مثلُ ذلك، لأن المعنى: لو كان فيهما غيرُ الله لفسدتا.

والوجه الثاني: أنَّ «آلهة» هنا نكرة، والجمعُ إذا كان نكرةً لم يُستثنَ منه عند جماعة من المحقِّقين، لأنه لا عُمومَ له بحيث يدخلُ فيه المستثنى لولا الاستثناء. انتهى.

وأجازَ أبو العبَّاس المبرِّد في «إلا الله» أن يكون بدلاً[٤]، لأنَّ ما بعد «لَوْ» غير مُوجَب في المعنى، والبدَل في غير الواجب أحسنُ من الوصف. وقد أمعنَّا الكلامَ على هذه المسألة في «شرح التسهيل»[٥].

(١) كذا في النسخ والمطبوع، وفي تفسير الرازي ٢٢/ ١٥٢: بنفسه.
(٢) الكلام في تفسير الرازي ٢٢/ ١٥٢ أتمُّ منه هنا وأوضح، فينظر ثمة..
(٣) في الإملاء ٢/ ١٣١-١٣٢ (والكلام منه): نصبت.
(٤) ينظر شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٢/ ١٦٣.
(٥) واسمُه بتمامه: التذييل والتكميل في شرح التسهيل، وقد طُبع بعضُه، وينظر ارتشاف الضَّرَب للمؤلف ٣/ ١٥٢٦-١٥٢٩.

وقال الأستاذ أبو علي الشَّلَوْبِين في مسألة سيبويه[١]: لو كان معنا رجلٌ إلا زيدٌ لَغُلِبْنا: إن المعنى: لو كان معنا رجلٌ مكان زيد لَغُلِبْنا، فـ «إلا» بمعنى «غير» التي بمعنى «مكان».

وقال شيخنا الأستاذ أبو الحسن بنُ الضائع[٢]: لا يصحُّ المعنى عندي إلا أن تكونَ «إلا» في معنى «غير» التي يُراد بها البدَل، أي: لو كان فيهما آلهةٌ عِوَضَ واحدٍ، أي: بدَلَ الواحد الذي هو الله لَفَسَدَتا، وهذا المعنى أرادَ سيبويه في المسألة التي جاء بها توطئةً. انتهى.

ولمَّا أقامَ البرهانَ على وحدانيَّتِه وانفرادِهِ بالألوهيَّة نَزَّهَ نفسَه عمَّا وصفَه به أهلُ الجهل بقوله: «فسبحان الله»، ثم وصفَ نفسَه بأنه مالكُ هذا المخلوقِ العظيم الذي جميعُ العالم هو متضمِّنُهم.

ثم وصفَ نفسَه بكمال القدرةِ ونهايةِ الحُكم، فقال: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ إذْ له أن يفعل في مُلكه ما يشاء، وفعلُه على أقصى درجات الحكمة، فلا اعتراضَ ولا تعقُّب عليه.

ولمَّا كانت عادة الملوك أنهم لا يُسألون عمَّا يصدرُ من أفعالهم مع إمكان الخطأ فيها كان مَلِكُ الملوك أحقَّ أن لا يُسألَ، هذا مع علمنا أنَّه لا يصدرُ عنه إلا ما اقتَضَتْهُ الحِكمةُ العاريةُ عن الخَلَل والتعقُّب.

وجاء «عمَّا يفعل» إذِ الفعلُ جامع لصفات الأفعال مندرجٌ تحتَه كلُّ ما يصدرُ عنه من خلقٍ ورِزْقٍ ونفعٍ وضُرّ وغيرِ ذلك.

والظاهرُ في قوله: «لا يُسألُ» العمومُ في الأزمان، وقال الزجَّاج[٣]: أي في القيامة لا يُسألُ عن حُكمِه في عباده، وهم يُسألُون عن أعمالهم.

---

(١) الكتاب ٢/ ٣٣١.
(٢) بالضاد المعجمة والعين المهملة، وسلف ذكره، وتحرف في المطبوع إلى الصائغ، وينظر بغية الوعاة ٢/ ٢٠٤.
(٣) معاني القرآن ٣/ ٣٨٨.

وقال ابنُ بحر: لا يُحاسَبُ وهم يُحاسَبُون. وقيل: لا يُؤاخَذُ وهم يُؤاخَذُون[١]. انتهى.

«وهم يُسألون» لأنهم مملوكون مستَعْبَدُون واقعٌ منهم الخطأ كثيراً، فهم جديرُون أن يقال لهم: لِمَ فعلتُم كذا؟

وقرأ الحسن: «لا يُسَلُ» و«يُسَلُون» بفتح السين، نقلَ حركةَ الهمزة إلى السين وحذفَ الهمزة.

ثم كرَّرَ تعالى عليهم الإنكارَ والتوبيخَ فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ استفظاعاً لشأنهم واستعظاماً لِكُفرِهم، وزادَ في هذا التوبيخ قولَه: «من دونه»، فكأنَّه وَبَّخَهُم على قصد الكُفر بالله عزَّ وجلَّ، ثم دعاهم إلى الإتيان بالحُجَّة على ما اتَّخذوا، ولا حُجَّةَ تقومُ على أنَّ للهِ تعالى شريكاً، لا من جهة العقل ولا من جهة النَّقل، بل كُتُبُ الله السابقةُ شاهدةٌ بتنزيههِ تعالى عن الشُّركاء والأنداد كما في الوحي الذي جئتُكم به.

﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: عِظَةٌ للذين معي، وهم أمَّتُه، وذِكْرٌ للذين مِن قبلي، وهم أممُ الأنبياء[٢]، فالذِّكْرُ هنا مُرَادٌ به الكتبُ الإلهية، ويجوز أن يكونَ «هذا» إشارةً إلى القرآن، والمعنى: فيه ذِكْرُ الأوَّلين والآخِرين، فذِكْرُ الآخِرين بالدَّعوة وبيانِ الشرع لهم، وذِكْرُ الأوَّلين بقصِّ أخبارهم وذِكْرِ الغيوبِ في أمورهم، والمعنى على هذا عَرْضُ القرآن في معرض البرهان، أي: هاتُوا برهانكم، فهذا برهاني في ذلك ظاهر[٣].

وقرأ الجمهور بإضافة «ذِكْر» إلى «مَنْ» فيهما على إضافة المصدر إلى المفعول، كقوله: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ [ص: ٢٤].

وقُرئ بتنوين «ذِكْر» فيهما، و«مَنْ» مفعول منصوب بالذِّكْر، كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا﴾[٤] [البلد: ١٤-١٥].

(١) النكت والعيون ٣/ ٤٤٢.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٦٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٧٨.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٦٩.

وقرأ يحيى بن يَعْمَر وطلحة بتنوين «ذِكْر» فيهما وكسر ميم «مِنْ» فيهما[١].
ومعنى «معي» هنا: عندي، والمعنى: هذا ذِكْرٌ مِنْ عندي ومِنْ قبلي، أي: أُذَكِّرُكُم بهذا القرآنِ الذي عندي كما ذَكَّرَ الأنبياءُ من قبلي أممَهم.

ودخولُ «مِنْ» على «مع» نادر، ولكنه اسمٌ يدلُّ على الصُّحبة والاجتماع أُجْرِيَ مجرى الظرف فدخلَتْ عليه «مِنْ» كما دخلت على «قبل» و«بعد» و«عند»[٢]، وضعَّفَ أبو حاتم هذه القراءةَ لدخول «مِنْ» على «مع» ولم يَرَ لها وجهاً[٣].

وعن طلحة: «ذِكْرٌ» منوَّناً «معي» دون «مِنْ»، و«ذِكْرٌ» منوَّناً «قبلي» دون «مِنْ»[٤].

وقرأت فرقة: «ذِكْرُ مَنْ» بالإضافة «وذِكرٌ» منوَّناً «مِنْ قبلي» بكسر ميم «مِنْ»[٥].

وقرأ الجمهور: «الحقَّ» بالنصب، والظاهرُ نصبُه على المفعول به بـ «لا يعلمون»[٦] أي: أصلُ شرِّهم وفسادِهم هو الجهلُ وعدمُ التمييز بين الحقِّ والباطل، ومن ثَمَّ جاء الإعراضُ عنه.

وقال الزمخشريّ[٧]: ويجوزُ أن يكون المنصوب أيضاً على معنى التوكيد لمضمون الجملة السابقة، كما تقول: هذا عبدُ الله الحقَّ لا الباطلَ، فأكَّدَ نسبةَ انتفاء العلم عنهم، والظاهرُ أنَّ الإعراضَ متسبِّبٌ عن انتفاء العلم؛ لمَّا فقدُوا التمييزَ بين الحقِّ والباطل أعرضُوا عن الحق.

وقال ابنُ عطية: ثم حكم عليهم تعالى بأنَّ أكثَرهم لا يعلمون الحقَّ لإعراضهم

---

(١) المحتسب ٢/ ٦١، والقراءات الشاذة ص٩١، والمحرر الوجيز ٤/ ٧٨، وتفسير القرطبي ٤/ ١٩١.
(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٥٦٩.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٧٨، وتفسير القرطبي ٤/ ١٩١.
(٤) القراءات الشاذة ص٩١، وهي في الكشاف ٢/ ٥٦٩ دون نسبة.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٧٨.
(٦) تحرفت اللفظة في النسخ الخطية والمطبوع إلى: فلا.
(٧) الكشاف ٢/ ٥٦٩، والكلام السالف قبله فيه.

عنه، وليس المعنى فهم معرضون لأنهم لا يعلمون، بل المعنى: فهم معرضون، ولذلك لا يعلمون الحقَّ.

وقرأ الحسنُ وحُميد وابنُ مُحيصن: «الحقُّ» بالرَّفع، قال صاحب «اللوامح»: ابتداءٌ والخبرُ مضمر، أو خبر والمبتدأ قبلَه مُضمَر.

وقال ابن عطية[1]: هذا القولُ هو الحقُّ، والوقْفُ على هذه القراءة على «لا يعلمون».

وقال الزمخشريّ: وقُرئَ: «الحَقُّ» بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبَّب، والمعنى أنّ إعراضَهم بسبب الجهل هو الحقُّ لا الباطلُ. انتهى.

ولمَّا ذكرَ انتفاءَ علمِهم الحقَّ وإعراضَهم، أخبرَ أنه ما أَرسلَ من رسول إلا جاء مقرِّراً لتوحيدِ الله وإفرادِه بالإلهيَّة والأمرِ بالعبادة.

ولمَّا كان «من رسول» عامًّا؛ فكان لفظٌ ومعنًى[2]، أفردَ على اللفظ في قوله: «إلا يُوحَى[3] إليه» ثم جمعَ على المعنى في قوله: «فاعبدون»، ولم يأت التركيب: فاعبُدْني، ويحتمل أن يكون الأمرُ له ولأمَّتِه، وهذه العقيدةُ من توحيدِ الله لم تختلف فيها النبوَّات، وإنَّما وقعَ الاختلافُ في أشياءَ من الأحكام.

وقرأ الأخَوان والأعمشُ وطلحةُ وابنُ أبي ليلى والقُطَعيُّ[4] وابنُ غزوان عن أيوب وخَلَف وابنُ سَعْدان وابنُ عيسى وابنُ جرير: «نُوحي» بالنون، وباقي السبعة بالياء وفتح الحاء، واختُلف عن عاصم[5].

ثم نزَّه تعالى نفسَه عمَّا نسبوا إليه من الولد، قيل: ونزلت في خُزَاعة حيث

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٧٨، والقراءات السالفة فيه وفي المحتسب ٢/٦١، وتفسير القرطبي ١٤/١٩١ عن الحسن وابن محيصن، وفي القراءات الشاذة ص٩١ عن ابن محيصن.

(٢) في المطبوع: عامًّا لفظاً ومعنًى.

(٣) بالياء مبنيًّا للمفعول، وهي من السبعة كما سيرد.

(٤) هو محمد بن يحيى بن مِهْران، أبو عبد الله البصري، من زَبِيد من اليمن، أكبرُ أصحاب أيوب بن المتوكِّل. ينظر غاية النهاية ٢/٢٧٨.

(٥) قرأ حفص عنه بالنون، وشعبة بالياء. ينظر السبعة ص٤٢٨، والتيسير ص١٥٤، والنشر ٢/٣٢٣.

قالوا: الملائكةُ بناتُ الله[١]، وقالت النصارى نحوَ هذا في عيسى، واليهودُ في عُزَير[٢].

ثم أضربَ تعالى عن نسبة الولد إليه فقال: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ ويشملُ هذا اللفظُ الملائكةَ وعُزَيْراً والمسيحَ، ويظهرُ من كلام الزمخشريّ[٣] أنه مخصوصٌ بالملائكة؛ قال: نزلَتْ في خُزاعة حيث قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، نَزَّهَ ذاتَه عن ذلك، ثم أخبرَ عنهم بأنهم عبادٌ، والعُبوديَّةُ تُنافي الولادة إلا أنهم مُكْرَمُون مقرَّبُون عندي مفضَّلُون على سائر العِباد لِما هم عليه من أحوالٍ وصفاتٍ ليست لغيرهم، فذلك هو الذي غَرَّ منهم من زَعَمَ أنهم أولادي، تعاليتُ عن ذلك عُلُوًّا كبيراً. انتهى.

وقرأ عكرمة: «مكرَّمُون» بالتشديد[٤]، والجمهورُ بالتخفيف، وقرأ: «لا يَسْبِقُونَهُ» بكسر الباء، وقُرئَ بضمِّها[٥]، من: سابَقَني فسبقتُه أَسْبُقُهُ[٦]، والمعنى أنهم يتبعون قولَه ولا يقولون شيئاً حتى يقوله، فلا يسبق قولُهم قولَه.

و«أل» في «بالقول» نابَتْ مَنابَ الضمير على مذهب الكوفيِّين، أي: بقولهم[٧]، وكذا قال الزمخشري: والمراد: بقولهم، فأُنيبت اللامُ مَنابَ الإضافة[٨]. أو الضميرُ محذوفٌ، أي: بالقول منهم، وذلك على مذهب البصريِّين.

﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ فكما أنَّ قولَهم تابعٌ لقولِه؛ كذلك فِعلُهم مبنيٌّ على

(١) ينظر تفسير كل من الثعلبي ٤/ ٢٣٦، والبغوي ٣/ ٢٤٢، والقرطبي ١٤/ ١٩٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٧٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٦٩.
(٤) القراءات الشاذة ص٩١، وهي في الكشاف ٢/ ٥٦٩ دون نسبة.
(٥) المصدران السالفان.
(٦) على أنه من باب المغالبة ـ كما في روح المعاني ١٧/ ٦٨ ـ ويلزمُ فيه ضمُّ عين المضارع ما لم تكن عينُه أو لامُه ياءً. وقال الآلوسي أيضاً: وفيه مزيدُ استهجان للسَّبْق وإشعارٌ بأنَّ من سبقَ قولُه قولَه تعالى فقد تصدَّى لمغالبتِهِ تعالى في السبق... وينظر تتمة كلامه.
(٧) في (ح) و(يه): بقوله.
(٨) الكشاف ٢/ ٥٦٩.

أمرِهِ، لا يعملون عملاً ما لم يُؤمرُوا به[١]، وهذه عبارةٌ عن توغُّلِهم في طاعته والامتثالِ لأمره.

ثم أخبرَ تعالى أنه يعلمُ ما بين أيديهم، أي: ما تقدَّم من أفعالهم وأقوالهم والحوادثِ التي لها إليهم تسبُّب وما تأخَّر[٢]، وعِلْمُه بذلك يجري مَجرى السبب لطاعتهم؛ لمَّا علمُوه عالماً بجميع المعلومات وظواهرهِم وبواطِنهم؛ كان ذلك داعياً لهم إلى نهاية الخضوع والدُّؤوب على العبادة[٣].

قال ابنُ عبَّاس: يعلمُ ما قدَّمُوا وما أَخَّرُوا من أعمالهم[٤]. وقال نحوه عمَّار بن ياسر قال: ما عملوا وما لم يعملوا بعد[٥].

وقيل: ما بين أيديهم: الآخرة، وما خلفَهم: الدنيا، وقيل عكسُ ذلك، وقيل: يعلمُ ما كان قبل أن خلقَهم وما كان بعد خلقِهم.

ولمَّا كانوا مقهورين تحت أمرِه وملكوتِه وهو محيطٌ بهم لم يَجْسُرُوا على أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهَّلَه للشفاعة في زيادة الثواب والتعظيم، ثم هُمْ مع ذلك من خشيته مشفقون متوقِّعون حَذِرُون لا يأمنون مكر الله[٦].

وقال ابنُ عباس: «لمن ارتضى» هو من قال: لا إله إلا الله[٧]، وشفاعتُهم الاستغفار[٨].

وقال مجاهد: لمن ارتضاه الله أن يشفع[٩].

---

(١) المصدر السالف.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٧٩.

(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٢٢/ ١٥٩.

(٤) النكت والعيون ٣/ ٤٤٣، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٦٠، وبنحوه في تفسير القرطبي ١٤/ ١٩٣.

(٥) هو في النكت والعيون ٣/ ٤٤٣ عن عطيَّة، وبنحوه دون نسبة في تفسير القرطبي ١٤/ ١٩٣.

(٦) ينظر الكشاف ٢/ ٥٧٠.

(٧) تفسير الطبري ١٦/ ٢٥٢، وتفسير البغوي ٣/ ٢٤٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩٣.

(٨) النكت والعيون ٣/ ٤٤٣، وزاد المسير ٥/ ٣٤٧.

(٩) تفسير الطبري ١٦/ ٢٥٣، والبغوي ٣/ ٢٤٢، ولفظه فيهما: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾: لمن رَضِيَ عنه.

وقيل: شفاعتُهم في القيامة، وفي الصحيح أنّهم يشفعون في الدنيا والآخرة[١].

وبعد أن وصفَ كرامتَهم عليه وأثنى عليهم وأضافَ إليهم تلك الأفعالَ السَّنِيَّة؛ فاجأ بالوعيدِ الشديد وأنذرَ بعذابِ جهنَّم مَنِ ادَّعى منهم أنه إله، وذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع علمه بأنه لا يكون كقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]. قصدَ بذلك تفظيعَ أمْرِ الشِّرْك وتعظيمَ شأنِ التوحيد[٢].

وقرأ الجمهور «نَجْزِيه» بفتح النون، وقرأ أبو عبد الرحمن المقرئ بضمِّها[٣]، أرادَ نُجزئه، بالهمز، من: أجزأني كذا: كفاني، ثم خفّفَ الهمزة فانقلبت ياءً.

«كذلك» أي: مِثْلَ هذا الجزاء «نجزي الظالمين»، وهم الكافرون الواضعون الشيءَ في غيرِ موضِعِه. وأداةُ الشَّرط تدخلُ على الممكن والممتنع، نحو قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ [الزمر: ٦٥].

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

هذا استفهامُ توبيخٍ لمنِ ادَّعى مع الله آلهةً، ودلالةٌ على تنزيههِ عن الشريك، وتوكيدٌ لِما تقدَّم من أدلّةِ التوحيد، وردٌّ على عَبَدَةِ الأوثان من حيث إنَّ الإلهَ القادر

---

(١) في صحيح مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً أن الله يأمرُ الملائكة أنْ يُخرِجُوا من النار من كان لا يُشركُ بالله شيئاً ممَّن أرادَ الله تعالى أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله. وجاء في الآية (٧) من غافر أن الملائكة تستغفر للمؤمنين، وفي الآية (٥) الشورى أنها تستغفرُ لمن في الأرض. أشار إلى هذا المعنى القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٩٣.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٧٠ باختلاف يسير.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٧٩: بضم النون والهاء.

على هذه المخلوقات المتصرِّفَ فيها التصرُّفَ العجيبَ كيف يجوزُ في العقل أن يُعدَلَ عن عبادتِه إلى عبادةِ حَجَرٍ لا يضرُّ ولا ينفع[١]؟

والرؤية هنا من رؤية القلب، وقيل: من رؤية البصر، وذلك على الاختلاف في الرَّتْق والفَتْق.

وقرأ ابنُ كثير وحُميد وابنُ مُحيصن: «ألم يَرَ» بغير واو العطف، والجمهور: «أَوَلَم» بالواو[٢].

«كانَتَا» قال الزجَّاج: السماوات جمعٌ أُريدَ به الواحد، ولهذا قال: «كانتا رَتْقاً» لأنه أرادَ السماءَ والأرض[٣]، ومنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١] جعلَ السماواتِ نوعاً والأَرَضينَ نوعاً، فأخبرَ عن النوعين كما أخبرَ عن اثنين، كما تقول: أصلحتُ بين القوم، ومرَّ بنا غنمان أسودانِ؛ لقطيعَي غنم.

وقال الحَوْفيّ: قال: «كانتا رَتْقاً» والسماواتُ جمعٌ لأنه أرادَ الصِّنْفَيْن، ومنه قولُ الأسودِ بنِ يَعْفُر:

إنَّ المَنِيَّةَ والحُتُوفَ كلاهما يُوفِي المَخارِمَ يَرْقُبانِ سَوَادِي[٤]

لأنه أرادَ النوعين.

وقال أبو البقاء: الضمير يعود على الجنسين[٥].

وقال الزمخشريّ: وإنما قيل: «كانتَا» دون: كُنَّ، لأنَّ المرادَ جماعةُ السماوات

---

(١) ينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١٦١.

(٢) ينظر السبعة ص٤٢٨، والتيسير ص١٥٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩٤.

(٣) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٩٠، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٩٥.

(٤) البيت في المفضَّليات ص٢١٦ (ضمن قصيدة)، ومجاز القرآن ٢/ ٣٦، وتفسير الطبري ١٦/ ٢٥٩، والصاحبي في فقه اللغة ص٢١٨، وفقه اللغة للثعالبي ص٣٠٩، وسمط اللآلي ١/ ١٧٤. قوله: الحُتُوف، جمع حَتْف، وهو الموت، والمخارم جمع مَخْرِم، وهو الطريق في الجبل، ومَخْرِمُ الجبلِ أنفُه، وقوله: يُوفي؛ قال الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٤٢٥: يقال: أوفيتُ على الشيء: إذا أشرفتَ عليه، ثم يُحذف حرفُ الجرِّ فيُوصَلُ الفعلُ إلى المفعول فيقال: أوفيتُ الشيءَ.. وذكر البيت.

(٥) الإملاء ٢/ ١٣٣.

وجماعةُ الأرض، ونحوُه قولُهم: لِقاحانِ[١] سَوْدَاوَان، أراد: جماعتانِ، فُعلَ في المضمر ما فُعلَ في المُظْهَر.

وقال ابن عطية[٢]: وقال: «كانَتَا» من حيث هما نوعان، ونحوُه قولُ عمرِو بنِ شُيَيْم[٣]:

ألـم يُـحْـزِنْـك أنَّ حِـبـالَ قَـيْـسٍ وتَـغْلِـبَ قـد تَـبَايـنَـتَـا[٤] انـقـطـاعـا[٥]

قال ابن عبَّاس والحسنُ وعطاء والضحَّاك وقتادة: كانَتا شيئاً واحداً، ففَصَلَ اللهُ بينهما بالهواء[٦].

وقال كعب: خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ بعضَها على بعض، ثم خلقَ رِيحاً بوسطها، ففتَحها بها، وجعلَ السماواتِ سبعاً والأرضينَ سبعاً[٧].

وقال مجاهد والسُّدِّيُّ وأبو صالح: كانت السماواتُ[٨] مؤتلفةً[٩] طبقةً واحدة، ففتَقَها فجعلَها سبعَ سماوات، وكذلك الأرَضون؛ كانت مُرْتَتِقَةً طبقةً واحدةً ففتَقَها وجعلَها سبعاً[١٠].

---

(١) اللِّقاح جماعة الإبل كما في القاموس، والكلام في الكشاف ٢/ ٥٧٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٨٠.
(٣) كذا سمَّاه محمد بن سلَّام في طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٣٤، وهو القَطَامي، وقال المَرْزُباني في معجم الشعراء ص٤٧: وغيرُه يقول: عُمير بن شُيَيْم، وهو أثبت.
(٤) في (أ) و(ح) و(ع): تباينت، وهي كذلك في ديوان القطامي ص٣٢، وعندئذ لا شاهد فيه، والمثبت من (يه)، وهي كذلك رواية المصادر التالية.
(٥) مجاز القرآن ٢/ ٣٧، وطبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٣٨، وتفسير الطبري ١٦/ ٢٦٠، والصاحبي لابن فارس ص٢١٨، وفقه اللغة للثعالبي ص٣١٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٥٧. قال الطبري: جعلَ حِبال قيس وهي جمع وحِبالَ تغلبَ وهي جمع اثنين.
(٦) ينظر تفسير كل من الطبري ١٦/ ٢٥٥-٢٥٦، والثعلبي ٤/ ٢٣٧، والبغوي ٣/ ٢٤٢-٢٤٣، والقرطبي ١٤/ ١٩٥.
(٧) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٣٧-٢٣٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩٥.
(٨) في النسخ الخطية والمطبوع: كانت السماوات والأرض، وهو خطأ.
(٩) في تفسير الثعلبي ٤/ ٢٣٨: مُرْتَقة.
(١٠) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٢٥٦-٢٥٧، والثعلبي ٤/ ٢٣٨، والبغوي ٣/ ٢٤٣، والقرطبي ١٤/ ١٩٥.

وقالت فرقة: السماواتُ والأرضُ رَتْقٌ بالظُّلمة، وفتقَهما اللهُ بالضوء.

وقالت فرقة: السماءُ قبلَ المطرِ رَتْقٌ، والأرضُ قبلَ النباتِ رَتْقٌ، ففتَقهما بالمطر والنبات كما قال: ﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[1] [الطارق: ١١-١٢].

قال ابنُ عطيَّة[2]: وهذا قولٌ حسن يجمعُ العبرة وتعديدَ النعمة والحُجَّة بمحسوسٍ[3] بيِّن، ويُناسبُ قولَه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: من الماء الذي أوجدَه الفتق. انتهى.

وعلى هذين القولَيْن تكونُ الرؤيةُ من البصر، وعلى ما قبلَهما من رؤية القلب.

وجاء تقريرُهم بذلك لأنه واردٌ في القرآن[4] الذي هو معجزةٌ في نفسه، فقامَ مقامَ المَرْئيّ المشاهَد، ولأنَّ تَلاصُقَ الأرضِ والسماء وتَبايُنَهما كلاهما جائزٌ في العقل، فلا بدَّ للتباين دُون التلاصق من مخصِّص، وهو اللهُ سبحانه.

وقرأ: الجمهور «رَتْقاً» بسكون التاء، وهو مصدر يُوصفُ به، كـ «زَوْر» و«عَدْل»، فوقعَ خبراً للمثنَّى.

وقرأ الحسن وزيد بنُ علي وأبو حَيْوَة وعيسى «رَتَقاً» بفتح التاء[5]، وهو اسم المَرْتُوق، كالقَبَض والنَّفَض[6]، فكان قياسُه أن يُثَنَّى ليطابقَ الخبرُ الاسمَ؛ فقال الزمخشريّ: هو على تقدير موصوف، أي: كانتا شيئاً رَتَقاً.

---

(١) أخرجه الطبري بنحوه في التفسير ١٦/ ٢٥٧-٢٥٨ عن عكرمة وعطية وابن زيد، وقال: وهو أولى بالصواب.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٨٠، والقولان السالفان فيه.

(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: للمحسوس، والمثبت من المصدر السالف، والكلام منه.

(٤) الكلام في الكشاف ٢/ ٥٧٠ جوابٌ على سؤال قدَّرَه الزمخشري؛ فقال: فإنْ قلتَ: متى رأَوْهُما رَتْقاً حتى جاء تقريرُهم بذلك؟ قلت: لأنه واردٌ في القرآن... الخ. وفيه بعض تصرُّف.

(٥) ينظر القراءات الشاذة ص٩١، والمحتسب ٢/ ٦٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٨٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩٥.

(٦) بالفاء، بمعنى المنفوض، وهو ما سقط من الورق والثمر. ووقع في (يه): النَّقَض (بالقاف) وهو صواب أيضاً، وهو بمعنى المنقوض، والقَبَض (الكلمة قبلها) بمعنى المقبوض. وذكر صاحب التاج (نفض) أيضاً: الهَدَم بمعنى المهدوم.

وقال أبو الفضل الرازيّ: الأكثر في هذا الباب أن يكون المتحرِّكُ منه اسماً بمعنى المفعول، والساكنُ مصدراً، وقد يكونانِ مصدرَيْن، لكن المتحرِّكَ أولى بأن يكون في معنى المفعول، لكن هنا الأَولى أن يكونا مصدَريْن، فأقيم كلُّ واحدٍ منهما مقام المفعولين، ألا تَرى أنه قال: «كانتا رَتْقاً» فلو جعلتَ أحدَهما اسماً لوجبَ أن تُثَنِّيَهُ، فلما قال: «رَتْقاً»، كان في الوجهين، كرجل عَدْل ورجلَيْن عَدْل وقوم عَدْل. انتهى.

«وجعلنا» إنْ تعدَّتْ لواحد كانت بمعنى: وخلقنا من الماء كلَّ حيوان، أي: مادَّته النُّطفة. قاله قُطرب وجماعة[١].

أوْ لمَّا كان قِوامُهُ الماء المشروب وكان محتاجاً إليه لا يصبرُ عنه جُعِلَ مخلوقاً منه، كقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] قاله الكلبيّ وغيرُه[٢]، وتكون الحياة على هذا حقيقة، ويكون «كلَّ شيء» عامًّا مخصوصاً، إذْ خرجَ منه الملائكة والجنّ، فليسوا مخلوقِين من نطفة ولا محتاجِين للماء.

وقال قتادة: أي: خلقنا كلَّ نامٍ من الماء[٣]، فيدخل فيه النباتُ والمعدن[٤]، وتكون الحياة فيهما مجازاً، أو عبَّر بالحياة عن القدر المشترك بينهما وبين الحيوان وهو النموّ، ويكون أيضاً على هذا عامًّا مخصوصاً.

وإن تعدَّتْ «جَعَلْنا» لاثنين فالمعنى: صَيَّرْنَا كلَّ شيء حَيٍّ بسببٍ من الماء لا بدَّ له منه.

وقرأ الجمهور: «حَيٍّ» بالخفض صفة لـ «شيء». وقرأ حُميد: «حَيًّا» بالنصب[٥] مفعولاً ثانياً لـ «جَعَلْنا»، والجارُّ والمجرور لغو، أي: ليس مفعولاً ثانياً لـ «جَعَلْنا».

---

(١) ينظر النكت والعيون ٣/ ٤٤٤، وزاد المسير ٥/ ٣٤٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩٧.
(٢) القول بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٧٠ دون نسبة.
(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٢٦٠، ولفظه فيه: كل شيء حيّ خُلق من الماء، وبنحوه في النكت والعيون ٣/ ٤٤٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩٧.
(٤) من المعلوم أنه ليست ثمة علاقة بين المعدن وبين النموّ بالماء، سواءٌ أكان المعدنُ مركَّباً في فلزَّاته أم كان حُرًّا كالذهب.
(٥) زاد ابنُ الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٤٨ نسبتها لمعاذ القارئ وابن أبي عَبْلَة.

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ استفهام إنكار، وفيه معنى التعجُّب من ضعف عقولهم، والمعنى: أفلا يتدبَّرون هذه الأدلةَ فيعملوا[1] بمقتضاها ويتركوا طريقةَ الشِّرك. وأطلق الإيمان على سببه، وقد انتظمت هذه الآيةُ دليلين من دلائل التوحيد، وهي من الأدلَّة السماويَّة والأرضيَّة، ثم ذكر دليلاً آخرَ من الدلائل الأرضيَّة فقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ وتقدَّم شرحُ نظير هذه الجملة في سورة النحل [١٥].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا﴾ وهذا دليلٌ رابعٌ من الدلائل الأرضيَّة، والظاهر أنَّ الضمير في «فيها» عائدٌ على الأرض، وقيل: يعودُ على الرَّواسي.

وجاء هنا تقديم «فجاجاً» على قوله: «سُبُلاً» وفي سورة نوح ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ فقال الزمخشري: وهي ـ يعني «فجاجاً» ـ صفة، ولكن جُعلت حالاً كقوله:

لِمَيَّةَ مُوحِشاً طَلَلُ[2]

يعني أنها حالٌ من «سُبُل» وهي نكرة، فلو تأخَّر «فجاجاً» لكان صفة كما في تلك الآية، ولكن تقدَّم، فانتصبَ على الحال.

قال: فإنْ قلتَ: ما الفرقُ بينهما من جهة المعنى؟

قلتُ: وجهان: أحدُهما: إعلامٌ بأنه جعلَ فيها طُرُقاً واسعةً، والثاني بأنه حين خلقَها خلقَها على تلك الصفة، فهو بيانٌ لِما أبهَم ثمَّة. انتهى.

يعني بالإبهام أنَّ الوصفَ لا يلزمُ أن يكون الموصوفُ متَّصفاً به حالةَ الإخبار عنه وإن كان الأكثرَ قيامُه به حالةَ الإخبار عنه، ألا ترى أنه يقال: مررتُ بوَحْشِيٍّ القاتلِ حمزةَ، فحالةَ المرورِ لم يكن قائماً به قتلُ حمزة، وأمَّا الحالُ فهي هيئةُ ما تُخبر عنه حالةَ الإخبار.

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: ويعملوا، وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة، والكلام بنحوه في تفسير الرازي ٢٢/ ١٦٤.

(٢) في الكشاف ٢/ ٥٧١ (والكلام منه): لِعَزَّةَ، بدل: لِمَيَّةَ.
قال البغدادي في الخزانة ٣/ ٢١١: من رواه لعزَّة قال: هو لكُثَيِّر عزَّة، ومن رواه: لميَّةَ قال: إنه لذي الرُّمَّة. وسلف في تفسير الآية (٢٠٠) من سورة البقرة.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ في مسالكِهم وتصرُّفِهم.

وما رُفِعَ وسُمِكَ على شيء فهو سَقْفٌ؛ قال قتادة: حُفظ من البِلَى والتغيُّر على طول الدهر[١]، وقيل: حُفظ من السُّقوط لإمساكه من غير عِلَاقةٍ ولا عِماد، وقيل: حُفظ من الشِّرْك والمعاصي[٢].

وقال الفرَّاء: حُفظ من الشياطين بالرُّجوم[٣].

وعن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ نظرَ إلى السماء فقال: «إنَّ السماء سقفٌ مرفوع، وموجٌ مكفوف تجري كما يجري السهم محفوظاً من الشياطين» وإذا صحَّ هذا الحديثُ كان نصًّا في معنى الآية[٤].

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أي: عن ما وضعَ اللهُ فيها من الأدلَّة والعِبَرِ بالشَّمس والقمرِ وسائرِ النيِّرات ومَسَايرِها وطلوعِها وغروبها على الحساب القويم والترتيبِ العجيب الدالِّ على الحكمة البالغة والقدرةِ الباهرة[٥].

وقرأ الجمهور: «عن آياتها» بالجمع، وقرأ مجاهد وحُميد: «عن آيتها» بالإفراد[٦]، فيجوزُ أنه جعلَ الجَعْلَ أو السقفَ أو الخلقَ، أي: خلقَ السماءَ آيةً واحدةً تحوي الآياتِ كلَّها، ويجوزُ أنه أرادَ بها الجمعَ، فجعلَها اسمَ الجنس، ودلَّ على ذلك كثرةُ ما في السماء من الآيات. والمعنى: وهم عن الاعتبار بآياتها معرضون.

---

(١) قال الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٨١: لا ينافيه أنها تُطوى يومَ القيامة طيَّ السجلِّ للكتب.

(٢) ينظر النكت والعيون ٣/ ٤٤٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩٩.

(٣) في معاني الفراء ٢/ ٢٠١ ـ ونقله عنه القرطبي ١٤/ ١٩٩ ـ: حُفظت من الشياطين بالنجوم، وهو في زاد المسير ٥/ ٣٤٩ من رواية أبي صالح عن ابن عباس ﵄.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٤٧) مطولاً عن ابن عباس، وفي إسناده أبو عصمة نوح بن أبي مريم قال ابن حجر في تقريب التهذيب: «كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع».

(٥) الكشاف ٢/ ٥٧١.

(٦) القراءات الشاذة ص٩١، وهي في الكشاف ٢/ ٥٧١ والمحرر الوجيز ٤/ ٨٠ دون نسبة.

وقال الزمخشري: هم يتفطَّنون لِما يَرِدُ عليهم من السماء من المنافع الدنياوية كالاستضاءة بقَمَرَيْها والاهتداء بكواكبها، وحياةِ الأرضِ والحيوانِ بأمطارها، وهم عن كونها آيةً بيِّنةً على الخالق معرضون.

والتنوين في «كلٌّ» عوضٌ من المضاف إليه، والفَلَكُ الجسم الدائرُ دورةَ اليوم والليلة[١].

وعن ابن عباس والسُّدِّيّ: الفَلَك السماء، وقال أكثرُ المفسِّرين: الفَلَكُ مَوْجٌ مكفوفٌ تحت السَّماء تجري فيه الشمس والقمر[٢]، وقال قتادة: الفَلَكُ استدارةٌ بين السماء والأرض يدور بالنجوم مع ثبوت السماء، وقيل: الفَلَكُ القُطبُ الذي تدورُ عليه النجوم، وهو قُطب الشَّمال، وقيل: لكلٍّ واحد من السَّيَّارات فَلَك، وفَلَكُ الأفلاك يُحرِّكُها حركةً واحدةً من المشرق إلى المغرب.

وقال الضحَّاك: الفَلَكُ ليس بجسم، وإنما هو مدارُ هذه النجوم[٣].

والظاهرُ أنه جسمٌ وفيه الاختلاف المذكور، والظاهرُ أنَّ كلًّا يَسْبَحُ في فَلَك واحد، قيل: ولكلٍّ واحد فَلَكٌ يخصُّه، فهو كقولهم: كساهُم الأميرُ حُلَّةً، أي: كَسَا كلَّ واحد[٤].

وجاء «يَسْبَحُون» بواو الجمع العاقل فأمَّا الجمعُ فقيل: ثَمَّ معطوفٌ محذوف، وهو: «والنجوم» ولذلك عادَ الضمير مجموعاً، ولو لم يكن ثَمَّ معطوفٌ محذوف لكان: «يَسْبَحان» مثنًى.

وقال الزمخشريّ: الضميرُ للشمس والقمر، والمرادُ بهما جنس الطَّوالع كلَّ يوم وليلة، جعلوها متكاثرةً لتكاثر مطالعها، وهو السبب في جمعها بالشُّموس

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٨٠.
(٢) نسب الرازي القول في تفسيره ٢٢/ ١٦٧ لبعضهم.
(٣) ينظر ما سلف من أقوال في الفلك في تفسير الطبري ١٦/ ٢٦٤-٢٦٦، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٣٨، والنكت والعيون ٣/ ٤٤٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٠١. وقد ثبت علميًّا أن لكل كوكب أو نجم مداراً خاصًّا به، فسبحان مَنْ خلقَ.
(٤) ينظر الكشاف ٢/ ٥٧١.

والأقمار، وإلا فالشمسُ واحدةٌ، والقمرُ واحدٌ. انتهى. وحسَّن ذلك كونُه جاء فاصلةً رأسَ آية[١].

وأمَّا كونُه ضميرَ مَنْ يعقل ولم يكن التركيب: يَسْبَحْنَ؛ فقال الفرَّاء[٢]: لمَّا كانت السِّباحةُ من أفعال الآدميِّين جاء ما أُسند إليهما مجموعاً جمعَ مَنْ يعقل، كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

قال أبو عبد الله الرازيّ[٣]: وعلى قول أبي عليّ بن سينا سببُ ذلك أنها عنده تعقل. انتهى.

وهذه الجملة يحتمل أن تكون استئنافَ إخبارٍ فلا محلَّ لها، أو محلُّها النصبُ على الحال من الشمس والقمر، لأنَّ الليلَ والنهار لا يتَّصفان بأنهما يجريانِ في فَلَك، فهو كقولك: رأيتُ زيداً وهنداً متبرِّجةً.

والسِّباحة: العَوْمُ، والذي يدلُّ عليه الظاهر أنَّ الشمسَ والقمرَ هما اللذان يجريانِ في الفَلَك، وأنَّ الفَلَك لا يجري.

﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ الآية؛ قيل: إنَّ بعض المسلمين قال: إنَّ محمداً لن يموت، وإنما هو مخلَّد، فأنكرَ ذلك الرسولُ ﷺ فنزلت.

وقيل: طعنَ كفارُ مكةَ عليه بأنه بشرٌ يأكلُ الطعامَ ويموتُ، فكيف يصحُّ إرسالُه[٤]؟

وقال الزمخشريّ: كانوا يُقدِّرُون أنه سيموت، فيَشْمَتُون بموته، فنَفَى الله عنه الشماتةَ بهذا، أي: قضى الله أن لا يُخَلَّد في الدنيا بشراً، فلا أنتَ ولا هم إلا عُرْضَةٌ للموت، فإنْ مِتَّ أيَبْقَى هؤلاء[٥]؟!

---

(١) نقل النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٧٠ عن الكسائي قولَه: قال: يَسْبَحُون لأنه رأس آية، كما قال: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ ولم يقل: منتصرون.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٠١.

(٣) ينظر تفسيره ٢٢/ ١٦٨.

(٤) القولان في المحرر الوجيز ٤/ ٨١.

(٥) الكشاف ٢/ ٥٧٢.

وفي معناه قول الإمام الشافعيّ ﷺ:

تمنَّى رجالٌ أنْ أموتَ وإنْ أمُتْ فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوْحَدِ
فقُلْ للذي يَبْغي خلافَ الذي مَضَى تَزَوَّدْ لأخرى مِثْلِها فكأنْ قَدِ[١]

وقولُ الآخر:

فقُلْ للشامِتينَ بنا أفِيقُوا سَيَلْقَى الشامِتُونَ كما لَقِينَا[٢]

والفاءُ في «أفإنْ مِتَّ» للعطف قُدِّمت عليها همزةُ الاستفهام لأنَّ الاستفهام له صدرُ الكلام، دخلت على «إنْ» الشرطية، والجملةُ بعدَها جوابٌ للشرط ـ وليست مَصَبَّ الاستفهام فتكونَ الهمزةُ داخلةً عليها واعترضَ الشرطُ بينهما فحُذف جوابُه ـ هذا مذهبُ سيبويه[٣].

وزعم يونس أن تلك الجملة هي مَصَبُّ الاستفهام، والشرطُ معترضٌ بينهما وجوابُه محذوف؛ قال ابنُ عطية: وألفُ الاستفهام داخلة في المعنى على جواب الشرط[٤]. انتهى.

وفي هذه الآية دليل لمذهب سيبويه، إذ لو كان على ما زعم يونس لكان التركيب: أفإنْ متَّ هم الخالدون، بغير فاء، وللمذهبين تقرير في علم النحو.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ تقدَّم تفسيرُ هذه الجملة.

«ونَبْلُوكُم»: نختبرُكم، وقُدِّم الشرُّ لأنَّ الابتلاءَ به أكثر، ولأنَّ العربَ تقدِّمُ

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٣٩، والوافي بالوفيات ٩/ ٢٧٨-٢٧٩ و١٧/ ٥٤٣ (وفيهما: غيرِها، بدل: مثلِها). والبيتُ الأول في مجاز القرآن ٢/ ٣٠١ ونُسب فيه لطَرَفَة (وليس في ديوانه)، ونُسب في الاختيارين ص١٦١ لمالك بن القَيْن (وفيه: يبقى، بدل: يبغي) وجاء البيتان بنحوهما في ديوان عَبِيد بن الأبرص ص٦٨.

(٢) نُسب البيت في الشعر والشعراء ١/ ٤٧٨ والأغاني ٢١/ ٣٩٦ للعلاء بن قرظة خال الفرزدق، ونُسب في عيون الأخبار ٣/ ١١٤ والحماسة (بشرح المرزوقي) ٣/ ١٢٠٨ للفرزدق، ونُسب في أمالي المرتضى ١/ ٢٥١ لذي الإصبع العدواني.

(٣) الكتاب ٣/ ٨٣-٨٤، ويعني أنَّ مذهب سيبويه: إذا اجتمع شرطٌ واستفهام أُجيب الشرط. وينظر الدر المصون ٨/ ١٥٤.

(٤) وتقديرُه كما ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٨١: أَفَهُمُ الخالدون إنْ متَّ؟

الأقلَّ والأردأ، ومنه: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

وعن ابن عباس: الخيرُ والشرُّ هنا عامٌّ في الغِنَى والفقرِ، والصحةِ والمرضِ، والطاعةِ والمعصية، والهدى والضلال[١].

قال ابنُ عطيَّة: هذانِ الأخيرانِ ليسا داخِلَيْن في هذا، لأنَّ مَنْ هُدِيَ فليس هداه اختباراً ولا من أطاع، بل قد تبيَّن خيرُه، والظاهرُ أنَّ المرادَ من الخير والشرِّ هنا كلُّ ما صحَّ أن يكون فتنةً وابتلاءً. انتهى[٢].

وعن ابن عباس أيضاً: بالشدَّة والرَّخاء، أتصبرون على الشِّدَّة، وتشكرون على الرَّخاء أم لا؟ وقال الضحَّاك: الفقرُ والمرض، والغنى والصحة. وقال ابن زيد: المحبوب والمكروه[٣].

وانتصب «فتنةً» على أنه مفعول له، أو مصدر في موضع الحال، أو مصدر من معنى «نبلُوكم».

«وإلينا تُرْجَعُون» فنجازيكم على ما صدرَ منكم في حالة الابتلاء من الصبر والشكر وفي غير الابتلاء.

وقرأ الجمهور: «تُرْجَعُون» بتاء الخطاب مبنيًّا للمفعول، وقرأت فرقة بالتاء مفتوحة مبنيًّا للفاعل[٤]، وقرأت فرقة بضم الياء للغيبة مبنيًّا للمفعول على سبيل الالتفات[٥].

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٨١، وأخرجه بنحوه الطبري ١٦/ ٢٦٩.
(٢) الكلام في المحرر الوجيز ٤/ ٨١ بنحوه وبتقديم وتأخير.
(٣) ينظر ما سلف من أقوال في تفسير الطبري ١٦/ ٢٦٩، والنكت والعيون ٣/ ٤٤٦-٤٤٧.
(٤) قرأ بها يعقوب من العشرة كما في النشر ٢/ ٢٠٨، وجاءت في زاد المسير ٥/ ٣٥٠ رواية عن ابن عامر.
(٥) ذكرت في السبعة ص٤٢٩ وزاد المسير ٥/ ٣٥٠ من رواية عبَّاس عن أبي عمرو.

يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

قال السُّدِّيُّ ومقاتل: مَرَّ الرَّسولُ عليه الصلاة والسلام بأبي جهل وأبي سفيان، فقال أبو جهل: هذا نبيُّ بني عبد مناف، فقال أبو سفيان: وما تُنكرون أن يكونَ نبيًّا في بني عبد مناف؟ فسمعَهما الرسولُ ﷺ، فقال لأبي جهل: «ما تنتهي حتى ينزلَ بك ما نَزَلَ بعمِّك الوليد بنِ المغيرة، وأما أنتَ يا أبا سفيان فإنما قلتَ ما قلتَهُ حميَّةً». فنزلت[1].

ولمَّا كان الكفار يغمُّهم ذِكْرُ آلهتِهم بسوء شَرَعُوا في الاستهزاء وتنقيصِ مَنْ يذكرُهم على سبيل المقابلة. و«إنْ» نافية بمعنى «ما».

والظاهرُ أنَّ جواب «إذا» هو «إنْ يتخذونك»، وجوابُ «إذا» بـ «إنْ» النافية لم يَرِدْ منه في القرآن إلا هذا، وقولُه في القرآن: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الفرقان: ٤١] ولم يحتج إلى الفاء في الجواب كما لم تحتج إليه «ما» إذا وقعت جواباً كقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ [الجاثية: ٢٥] بخلاف أدوات الشرط، فإنها إذا كانَ الجوابُ مُصَدَّراً بـ «ما» النافية فلا بدَّ من الفاء، نحو: إنْ تَزُرْنا فما نُسيءُ إليك.

وفي الجواب لـ «إذا» بـ «إنْ» و«ما» النافيتَيْن دليلٌ واضحٌ على أنَّ «إذا» ليست معمولةً للجواب، بل العاملُ فيها الفعلُ الذي يليها، وليست مضافةً للجملة خلافاً لأكثرِ النُّحاة، وقد استَدْلَلْنا على ذلك بغير هذا من الأدلَّة في «شرح التسهيل»[2].

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/ ١٧٠، وأخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٥٢-٢٤٥٣. قال الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ١٠٠: أرى أن القلب لا يثلج لكون هذا سبباً للنزول.

(٢) واسمه التذييل والتكميل في شرح التسهيل، وقد طُبع قسم منه، وينظر ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب للمصنف ٣/ ١٤١١ و٤/ ١٨٦٥-١٨٦٦.

وقيل: جوابُ «إذا» محذوف، وهو «يقولون» المحكيُّ به قولُهم ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾، وقولُه: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ كلامٌ معترضٌ بين «إذا» وجوابه.

و«يتخذونك» يتعدَّى إلى اثنين، والثاني «هُزُواً» أي: مهزوءاً به، وهذا استفهامٌ فيه إنكار وتعجيب، والذِّكْرُ يكونُ بالخير وبالشرِّ، فإذا لم يُذكر متعلَّقُهُ فالقرينةُ تدلُّ عليه، فإنْ كان من صديق فالذِّكْرُ ثَناء، أو من غيره فذَمٌّ، ومنه: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، أي: بسوء، وكذلك هنا: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾[1].

ثم نَعَى عليهم إنكارَهم عليه ذِكْرَ آلهتِهم بهذه الجملة الحاليَّة، وهي: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: ينكرون، وهذه حالُهم يكفرُون بذِكْرِ الرحمن، وهو ما أُنزِلَ من القرآن، فمَنْ هذه حالُه لا ينبغي أن يُنكِرَ على من يَعِيبُ آلهتَهم.

والظاهر أنَّ هذه الجملة حال من الضمير في «يقولون» المحذوف، وقال الزمخشريّ: والجملة في موضع الحال، أي: يتخذونك هُزُواً وهم على حالٍ هي أصلُ الهُزءِ والسُّخْرية، وهي الكفرُ بالله. انتهى. فجعلَ الجملة الحاليَّة العاملُ فيها «يتخذونك هزواً» المحذوفة.

وكَرَّر «هم» على سبيل التوكيد، ورُوِيَ أنها نزلت حين أنكروا لفظة «الرحمن» وقالوا: ما نعرفُ الرحمنَ إلا في اليمامة[2]، والمرادُ بالرحمن هنا الله، كأنه قيل: وهم بذِكْرِ الله.

ولمَّا كانوا يستعجلون عذابَ الله وآياتِه الملجئةَ إلى الإقرار والعلم؛ نَهاهم تعالى عن الاستعجال، وقدَّم أولاً ذَمَّ الإنسان على إفراط العَجَلة وأنه مطبوعٌ عليها[3].

---

(١) ينظر الكشاف ٢/ ٥٧٢، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٧٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٨٢.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٧٢.

والظاهرُ أنه يُرادُ بالإنسان هنا اسمُ الجنس، وكونُه خُلِقَ من عَجَل هو على سبيل المبالغة لمَّا كان يصدرُ منه كثيراً، كما تقول لِمُكثِرِ اللعب: أنتَ من لعبٍ، وفي الحديث: «لستُ من دَدٍ ولا دَدُ منِّي»[١]، وقال الشاعر:

وإنَّا لَمِمَّا نضربُ الكَبْشَ ضَرْبةً على رأسِه تُلْقِي اللِّسانَ من الفَمِ[٢]

لمَّا كانوا أهلَ ضَرْبِ الهَامِ وملازمةِ الحرب قال: إنهم من الضَّرب، وبهذا التأويلِ يتمُّ معنى الآية[٣]، ويترتَّبُ عليه قولُه: ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَتِي﴾ أي: آياتُ الوعيد ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ في رؤيتكم العذابَ الذي تستعجلون به.

ومَنْ يدَّعي القلبَ فيه ـ وهو أبو عَمرو ـ وأنَّ التقدير: خُلِقَ العَجَلُ من الإنسان، وكذا قراءةُ عبدِ الله على معنى أنه جُعل طبيعةً من طبائعه وجزءاً من أخلاقه؛ فليس قولُه بجيِّد، لأنَّ القلبَ الصحيحُ فيه أن لا يكون في كلام فصيح وأن بابَهُ الشِّعر، قيل: فممَّا جاء في الكلام من ذلك قول العرب: إذا طلعتِ الشِّعْرَى استوَى العُود على الحِرْباء، وقالوا: عَرَضْتُ الناقةَ على الحَوْض[٤]، وفي الشِّعر قوله:

حَسَرْتُ كفِّي عن السِّرْبالِ آخُذُهُ[٥]

وقال مجاهد وسعيد بنُ جُبير وعكرمة والسُّدِّيُّ والضَّحَّاك ومقاتل والكلبي:

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤١٥) والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢١٧ من حديث أنس بن مالك ﷺ، وأخرجه الطبراني أيضاً في المعجم الكبير ١٩/ (٧٩٤) من حديث معاوية بن أبي سفيان، وهو أشبه كما في علل ابن أبي حاتم ٣/ ٣٤٥، ومعنى الحديث (كما جاء فيه): لستُ من الباطل ولا الباطلُ منيِّ.

(٢) البيت لأبي حيَّة النُّميري، وهو من شواهد سيبويه ٣/ ١٥٦، وسلف في سورة النساء (٥٨) وسورة هود (١١١). والمراد بالكبش هنا سيِّد القوم. ينظر خزانة الأدب ١٠/ ٢١٧.

(٣) الكلام السالف في هذه الفقرة من المحرر الوجيز ٤/ ٨٢، وما بعده منه أيضاً بنحوه.

(٤) يريدون: استوى الحِرْباءُ على العود، وعرضتُ الحوض على الناقة. ينظر أمالي ابن الشجري ٢/ ١٣٧.

(٥) هو صدرُ بيت لتميم بن أبيّ بن مُقبل، وعجزه: فرداً يُجَرُّ على أيدي المفدِّينا. وهو في تفسير الطبري ١٦/ ٢٧٤، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٣٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٨٢. قال الطبري: يريد: حَسَرْتُ السِّرْبالَ عن كَفِّي. اهـ. والبيت في ديوان تميم ص٣٢٥: حَسَرْتُ عن كَفِّيَ السِّرْبالَ آخُذُه. وعندئذٍ لا شاهد فيه.

الإنسان هنا آدم[١]، قال مجاهد: لمَّا دخلَ الروحُ رأسَه وعينَيْه رأى الشمسَ قارَبَتِ الغروب، فقال: يا رب عَجِّلْ تمامَ خلقي قبل أن تغيبَ الشمس[٢]، وقال سعيد: لمَّا بلغتِ الرُّوحُ ركبتَيْه كادَ يقومُ فقال الله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾. وقال ابن زيد: خلقَهُ اللهُ يومَ الجمعة على عجلةٍ في خلقه[٣].

وقال الأخفش: «من عَجَل» لأنَّ الله قال له: «كُنْ» فكان[٤].

وقال الحسن: «من عَجلٍ» أي: ضعيف[٥]، يعني النطفة.

وقيل: خُلق بسرعةٍ وتعجيل على غير ترتيبِ الآدميِّين من النُّطفة والعَلَقة والمُضْغة. وهذا يرجع لقول الأخفش.

وقيل: «من عَجَلٍ»: من طين، والعَجَلُ بلغة حِمْيَر: الطِّين، وأنشدَ أبو عُبيدة لبعض الحِمْيَريِّين:

النَّبْعُ في الصخرةِ الصَّمَّاءِ مَنْبِتُهُ والنَّخْلُ مَنْبِتُهُ في الماءِ والعَجَلِ[٦]

وقيل: الإنسانُ هنا النَّضْرُ بنُ الحارث[٧].

والذي ينبغي أن تُحمَلَ الآيةُ عليه هو القولُ الأول، وهو الذي يُناسب آخرها.

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/ ١٧١، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٤.

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٢٧٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٤، وضعَّفه ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٨٢ وقال: معناه لا يناسب معنى الآية.

(٣) بنحوه في تفسير الطبري ١٦/ ٢٧٢.

(٤) تفسير الرازي ٢٢/ ١٧٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٥، وضعَّفه أيضاً ابن عطية.

(٥) تفسير الرازي ٢٢/ ١٧٢.

(٦) النكت والعيون ٣/ ٤٤٨. وجاء عجز البيت في تهذيب اللغة ١/ ٣٦٩، والكشاف ٢/ ٥٧٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٨٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٤، وروايتُه في هذه المصادر: والنخلُ ينبتُ بين الماء والعَجَل.
وقال الزمخشري بعد إنشاده البيت: اللهُ أعلم بصحته، وضعَّف ابنُ عطية القول وقال: معناه مباينٌ لمعنى الآية.

(٧) الكشاف ٢/ ٥٧٣، وزاد المسير ٥/ ٣٥١، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٧١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٤.

والآياتُ هنا قيل: الهلاكُ المعجَّل في الدنيا والعذابُ في الآخرة، أي: يأتيكم في وقته. وقيل: أدلة التوحيد وصدقُ الرسول. وقيل: آثارُ القرونِ الماضيةِ بالشام واليمن[١].

والقولُ الأولُ أليقُ، أي: سيأتي ما يسوؤكم إذا دُمتُم على كفركم، كأنَّه يريدُ يومَ بدر وغيرَهُ في الدنيا وفي الآخرة.

وقال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: لِمَ نَهاهُم عن الاستعجال مع قوله ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] أليس هذا من تكليف ما لا يطاق؟

قلتُ: هذا كما ركَّبَ فيه من الشهوة وأمرَه أن يَغلبَها لأنه أعطاه القُدرة التي يستطيعُ بها قَمْعَ الشهوةِ وتركَ العجلة. انتهى. وهو على طريق الاعتزال.

وقرأ مجاهد وحُميد وابنُ مِقسم: «خَلَقَ» مبنيًّا للفاعل «الإنسانَ» بالنصب[٢]، أي: خلقَ اللهُ الإنسانَ.

وقوله: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ استفهامٌ على جهة الهزء، وكان المسلمون يتوعَّدُونَهم على لسان الشرع.

و«متى» في موضع الخبر لـ «هذا» فموضعُه رفع، ونُقل عن بعض الكوفيِّين أنَّ موضع «متى» نصبٌ على الظرف، والعاملُ فيه فعلٌ مقدَّر تقديرُه: يكون، أو يجيء.

وجواب «لو» محذوفٌ لدلالة الكلام عليه، وحذفُه أبلغُ وأهيبُ من النَّصِّ عليه، فقدَّرَهُ ابنُ عطيَّة: لَمَا استعجلُوا، ونحوه، وقدَّرَه الزمخشريّ: لَمَا كانوا بتلك الصفة من الكُفر والاستهزاء والاستعجال. وقيل: لعلموا صحَّةَ البعث. وقيل: لعلموا صحَّةَ الموعود.

وقال الحَوْفيُّ: لَسَارَعُوا إلى الإيمان.

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/ ١٧٢، وينظر زاد المسير ٥/ ٣٥٢.

(٢) القراءات الشاذة ص٩١ عن مجاهد وحُميد، وزاد المسير ٥/ ٣٥١ عن مجاهد وأبي رَزِين والضحَّاك.

وقال الكسائيُّ: هو تنبيهٌ على تحقيق وقوع الساعة[١].

و«حين» يُرادُ به وقتُ الساعة، يدلُّ على ذلك ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً﴾ انتهى.

و«حين» قال الزمخشريّ: مفعول به لـ «يعلم» أي: لو يعلمون الوقتَ الذي يستعلمون[٢] عنه بقولهم: «متى هذا الوعد» وهو وقتٌ صعبٌ شديدٌ تُحيط بهم النارُ من وراءُ وقُدّام، ولكنَّ جَهْلَهم به هو الذي هَوَّنَهُ عندَهم. قال: ويجوز أن يكون «يعلمُ» متروكاً بلا تعدية، بمعنى: لو كانَ معهم علمٌ ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين، و«حين» منصوب بمضمر، أي: حين لا يكفُّون عن وجوههم النارَ يعلمون أنَّهم كانوا على الباطل[٣]، وينتفي عنهم هذا الجهلُ العظيم، أي: لا يكفُّونها. انتهى.

والذي يظهر أنَّ مفعول «يعلمُ» محذوف لدلالة ما قبلَه، أي: لو يعلم الذين كفروا مجيءَ الموعود الذي سألوا عنه واستبطؤوه، و«حين» منصوب بالمفعول الذي هو مجيء، ويجوزُ أن يكونَ من باب الإعمال على حذف مضاف، وأُعمل الثاني، والمعنى: لو يعلمون مباشرةَ النارِ حين لا يكفُّونَها عن وجوههم.

وذكرَ الوجوه لأنها أشرفُ ما في الإنسان ومحلُّ حواسِّه، والإنسانُ أحرصُ على الدفاع عنه من غيره من أعضائه، ثم عطفَ عليها الظهورَ، والمرادُ عمومُ النارِ لجميع أبدانِهم، ولا أحدَ يمنعُهم من العذاب.

﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً﴾ أي: تفجؤهم، قال ابنُ عطيّة[٤]: «بَلْ تأتيهم» استدراك مقدَّر قبلَه نفي، تقديرُه: إنَّ الآياتِ لا تأتي بحسب اقتراحهم. انتهى.

والظاهر أنَّ الضمير في «تأتيهم» عائدٌ على النار، وقيل: على الساعة التي تُصيِّرُهم إلى العذاب، وقيل: على العقوبة.

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٦.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: يستعجلون، والمثبت من الكشاف ٢/ ٥٧٣ والكلام منه.

(٣) وعلى هذا فـ «حين» منصوب على الظرف لأنه جعلَ مفعول العلم «أنهم كانوا». قاله السمين في الدر ٨/ ١٥٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٨٣.

وقال الزمخشري في عَوْدِ الضمير: إلى النار، أو إلى الوعد، لأنه في معنى النار، وهي التي وُعِدُوها، أو على تأويل العِدَة والمَوْعِدة، أو إلى الحين لأنه في معنى الساعة، أو إلى البغتة. انتهى.

وقرأ الأعمش: «بل يأتيهم» بالياء «بَغَتَةً» بفتح الغين «فيَبْهَتُهُم» بالياءِ. والضمير عائد إلى الوعد أو الحين. قاله الزمخشريّ(١).

وقال أبو الفضل الرازي: لعله جعلَ النارَ بمعنى العذاب فذكَّر، ثم رَدَّهَا إلى ظاهر اللفظ.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يُؤخَّرون عمَّا حَلَّ بهم.

ولما تقدَّمَ قولُه: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ سلَّاه تعالى بأنَّ مَنْ تقدَّمه من الرُّسل وقعَ من أممهم الاستهزاءُ بهم، وأنَّ ثمرةَ استهزائهم جَنَوْهَا هلاكاً وعقاباً في الدنيا والآخرة، فكذلك حالُ هؤلاء المستهزئين. وتقدَّم تفسيرُ مثل هذه الآية في الأنعام [١٠].

ثم أمرَه تعالى أن يسألَهم: مَنِ الذي يحفظُكم في أوقاتِكم من بأس الله؟ أي: لا أحدَ يحفظُكم منه، وهو استفهام تقريع وتوبيخ، وفي آخر الكلام تقدير محذوف، كأنه [قال:] ليس لهم مانعٌ ولا كالئٌ، وعلى هذا النفي تركيب «بل» في قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ قاله ابن عطية(٢).

وقال الزمخشريّ(٣): بل هم معرضون عن ذِكْرِه لا يَخْطُرُونَهُ ببالهم فضلاً [عن] أن يخافوا بأسَهُ، حتى إذا رُزقوا الكَلاءَةَ منه عرفوا مَن الكالئُ وصَلَحُوا للسؤال عنه، والمرادُ أنه أمرَ رسولَه بسؤالهم عن الكالئ، ثم بَيَّنَ أنهم لا يصلُحون لذلك لإعراضهم عن ذِكْرِ مَنْ يكلؤهم. انتهى.

وقرأ أبو جعفر والزُّهْريُّ وشيبة: «يَكْلَوُكُم» بضمة خفيفة من غير همز.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٧٣، وقراءة الأعمش فيه وفي القراءات الشاذة ص٩١.
(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٨٤، ولفظة «قال» السالفة بين حاصرتين منه.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٧٣، ولفظة «عن» الآتية بين حاصرتين منه.

وحكى الكسائيُّ والفرَّاء: «يَكْلَوْكم» بفتح اللام وإسكان الواو[١].

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ «أمْ» بمعنى «بَلْ» والهمزة، كأنه قيل: بَلْ أَلَهُمْ آلهةٌ؟ فأضْرَبَ ثم استفهمَ، «تمنعُهم» من العذاب.

وقال الحَوْفيّ: «من دوننا» متعلِّق بـ«تمنعُهم». انتهى. قيل: والمعنى: ألهم آلهةٌ تجعلُهم في مَنَعَةٍ وعزٍّ من أن ينالهم مكروهٌ من جهتنا؟!

وقال ابن عبَّاس: في الكلام تقديمٌ وتأخير، تقديرُه: أمْ لهم آلهةٌ من دونِنا تمنعُهم؟[٢] تقول: منعتُ دونَه: كففتُ أذاه، فـ«مِن دونِنا» هو من صلة «آلهة» أي: أم لهم آلهةٌ دوننا، أو من صلة «تمنعُهم» أي: أم لهم مانعٌ من سِوانا؟

ثم استأنفَ الإخبارَ عن آلهتهم فبيَّن أنَّ ما ليس بقادر على نصرِ نفسِهِ ومَنْعِها ولا بمصحوبٍ من الله بالنَّصرِ والتأييد؛ كيف يمنعُ غيرَه وينصرُه؟!

وقال ابنُ عباس: «يُصْحَبُون» يُمنَعُون، وقال مجاهد: يُنْصَرُون، وقال قتادة: لا يُصحَبُون من الله بخير. وقال الشاعر:

ينادي بأعلى صوتِه متعوِّذاً ... لِيُصْحَبَ منَّا والرِّماحُ دوانِ[٣]

وقال مجاهد: يُحفظون، وقال السُّدِّيّ: لا يصحبهم من الملائكة من يدفع عنهم[٤].

والظاهرُ عَوْدُ الضمير في «ولا هُم» على الأصنام، وهو قولُ قتادة، وقيل: على الكفار، وهو قولُ ابنِ عباس.

وفي «التحرير»[٥]: مدارُ هذه الكلمة ـ يعني «يُصْحَبُون» ـ على معنيين:

---

(١) يعني في اللغة لا في القراءة. ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٤، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٨.

(٢) القول في زاد المسير ٥/ ٣٥٣ دون نسبة.

(٣) النكت والعيون ٣/ ٤٤٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٩ وفيهما: منها، بدل: منَّا.

(٤) ينظر ما سلف من أقوال في تفسير الطبري ١٦/ ٢٧٩-٢٨٠، وتفسير أبي الليث ٢/ ٣٦٨، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٤٠، والنكت والعيون ٣/ ٤٤٨-٤٤٩، وتفسير البغوي ٣/ ٢٤٥، وزاد المسير ٥/ ٣٥٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٠٨-٢٠٩.

(٥) وهو التحرير والتحبير لابن النقيب شيخ المصنف، وسلف ذكره مراراً.

أحدُهما أنه من: صَحِبَ يَصْحَبُ.

والثاني: من الأصحاب، أصْحَبَ الرجلَ: منعَهُ من الآفات[١].

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

«هؤلاء» إشارةٌ إلى المخاطَبين قبل، وهم كفارُ قريش ومن اتَّخذَ آلهةً مِن دون الله، أخبرَ تعالى أنه متَّع هؤلاء الكفارَ وآباءَهم من قبلهم بما رزقَهم من حُطام الدنيا حتى طالَتْ أعمارُهم في رخاء ونعمة وتدعسوا[٢] في الضلالة بإمهاله تعالى إياهم وتأخيرهم إلى الوقت الذي يأخذُهم فيه.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ﴾ تقدَّم تفسير هذه الجملة في آخر الرعد [٤١].

واقتصر الزمخشري من تلك الأقوال على معنى أنَّا نَنْقُصُ أرضَ الكفر ودارَ الحرب ونحذفُ أطرافَها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردِّها دارَ إسلام؛ قال[٣]: فإن قلتَ: أيُّ فائدةٍ في قوله: ﴿نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾؟

قلت: الفائدةُ فيه تصويرُ ما كانَ الله يُجرِيهِ على أيدي المسلمين، وأنَّ عساكرَهم وسَرَاياهم كانت تغزُو أرضَ المشركين، وتأتيها غالبةً عليها ناقصةً من أطرافها. انتهى.

وفي ذلك تبشيرٌ للمؤمنين بما يفتحُ الله عليهم، وأكثرُ المفسِّرين على أنها نزلت في كفار مكة.

---

(١) نقل نحوه الرازي في تفسيره ٢٢/ ١٧٤ عن المازني.
(٢) كذا وقع رسمُها في النسخ الخطية والمطبوع، ولعلها: تدغشوا، بمعنى دخلوا.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٧٤.

وفي قوله: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ دليلٌ على ذلك، إذِ المعنى أنهم هم الغالبون، فهو استفهامٌ فيه تقريعٌ وتوبيخٌ حيث لم يعتبروا بما يجري عليهم.

ثم أمرَه تعالى أن يقول: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أي: أُعْلِمُكم بما تخافون منه بوحي من الله لا من تلقاء نفسي، وما كان من جهة الله فهو الصِّدق الواقعُ لا محالة كما رأيتُم بالعِيان من نُقصان الأرض من أطرافها.

ثم أخبَر أنهم مع إنذارِهم معرضون عمَّا أُنذِرُوا به، فالإنذارُ لا يُجدي فيهم، إذْ هم صمٌّ عن سماعِه، ولمَّا كان الوَحْيُ من المسموعات كانَ ذِكْرُ الصَّمَم مناسباً، و«الصُّمّ» هم المنذَرُون فـ «أل» فيه للعهد، ونابَ الظاهرُ مَنابَ المضمر، لأنَّ فيه التصريحَ بتصامِّهم وسَدِّ أسماعِهم إذا أُنذِرُوا، ولم يكن الضمير ليفيد هذا المعنى، ونفيُ السماع هنا نفيُ جَدْواه.

وقرأ الجمهور: «يَسْمَعُ» بفتح الياء والميم «الصمُّ» رفعٌ به، و«الدعاءَ» نَصْبٌ، وقرأ ابنُ عامر وابنُ جُبير عن أبي عَمرو وابنُ الصَّلت عن حفص بالتاء من فوق مضمومة وكسر الميم «الصُّمَّ الدُّعاءَ» بنصبِهما، والفاعل ضمير المخاطب، وهو الرسولُ ﷺ[١].

وقرأ [الحسن][٢] كذلك إلا أنه بالياء من تحت، أي: ولا يُسمِعُ الرسولُ، وعنه أيضاً: «ولا يُسْمَعُ» مبنيًّا للمفعول «الصُّمُّ» رفعٌ به، ذكرَه ابنُ خالويه[٣].

وقرأ أحمد بن جُبير الأنطاكيُّ عن اليزيديّ عن أبي عَمْرو: «يُسمِع» بضمِّ الياء وكسرِ الميم «الصُّمَّ» نصباً «الدعاءُ» رفعاً بـ «يُسْمِعُ» أسندَ الفعلَ إلى الدُّعاء اتِّساعاً، والمفعولُ الثاني محذوف، كأنَّه قيل: ولا يُسْمِعُ النِّداءُ الصُّمَّ شيئاً.

ثم أخبرَ تعالى أنَّ هؤلاء الذين صَمُّوا عن سماع ما أُنذِرُوا به إذا نالَهم شيءٌ

---

(١) السبعة ص٤٢٩ والتيسير ص١٥٥ عن ابن عامر.

(٢) كلمة «الحسن» بين حاصرتين من الدر المصون ٨/ ١٦٢.

(٣) القراءات الشاذة ص٩١، وهي في تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٣، والثعلبي ٤/ ٢٤٠، والقرطبي ١٤/ ٢١٠ عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي.

ممَّا أُنذِرُوا به ولو كان يسيراً نادَوْا بالهلاك، وأقَرُّوا بأنهم كانوا ظالمين، نُبِّهُوا على العلَّة التي أوجَبَتْ لهم العذابَ، وهو ظُلم الكفر، وذلُّوا وأذْعَنُوا.

قال ابنُ عباس: «نَفْحَةٌ»: طَرَفٌ[١]، وعنه: هو الجوعُ الذي نزلَ بمكة[٢].

وقال ابنُ جُريج: نَصِيبٌ، من قولهم: نفحَ له من العطاء نَفْحَة إذا أعطاه نصيباً[٣].

وفي قوله: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ ثلاثُ مبالغات: لفظُ المَسّ، وما في مدلول النَّفْحِ من القِلَّة؛ إذْ هو الرِّيحُ اليسير أو ما يُرْضَخُ من العطيَّة، وبناءُ المرَّةِ منه[٤]، ولم يأت نَفْحٌ، فالمعنى أنه بأدنى إصابة من أقلِّ العذاب أذعنُوا وخضعُوا وأقَرُّوا بأنَّ سببَ ذلك ظلمُهم السابق.

ولمَّا ذكرَ حالَهم في الدُّنيا إذا أصيبُوا بشيء استطردَ لِما يكونُ في الآخرة التي هي مقرُّ الثواب والعقاب، فأخبرَ تعالى عن عَدْلِه وأسندَ ذلك إلى نفسه بنون العظمة فقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ وتقدَّم الكلام في الموازين في أوَّل الأعراف [٨] واختلافُ الناس في ذلك؛ هل ثَمَّ ميزانٌ حقيقةً وهو قولُ الجمهور، أو ذلك على سبيل التمثيل عن المبالغة في العدل التامّ وهو قول الضحَّاك وقتادة؛ قالا: ليس ثَمَّ ميزانٌ، ولكنه العدل[٥].

و«القِسْطَ» مصدر وُصفت به الموازينُ مبالغةً كأنها جُعلت في أنفسها القِسْطَ، أو على حذف مضاف، أي: ذواتَ القِسْط، ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله، أي: لأجلِ القِسْط[٦].

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٤١، وزاد المسير ٥/ ٣٥٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٠.
(٢) الهداية ٧/ ٤٧٦٢.
(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٤١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٠.
(٤) بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٧٤.
(٥) ينظر تفسير كل من الطبري ١٦/ ٢٨٥-٢٨٦، والرازي ٢٢/ ١٧٦، والقرطبي ١٤/ ٢١٢.
(٦) نظر السمين فيه وقال: إن المفعول له إذا كان معرَّفاً بألْ يقلُّ تجرُّدُه من حرف العلَّة، تقول: جئت للإكرامِ، ويقلُّ: جئت الإكرامَ. الدر المصون ٨/ ١٦٤.

وقُرئَ «القِصْطَ» بالصاد[١].

واللام في «ليوم القيامة» قال الزمخشريّ: مثلُها في قولك: جئتُ لِخمسٍ ليالٍ خَلَوْنَ من الشهر، ومنه بيتُ النابغة:

تَرسَّمْتُ[٢] آياتٍ لَها فعَرَفْتُها ... لِستَّةِ أعوامٍ وذَا العامُ سابعُ

انتهى.

وذهبَ الكوفيون إلى أن اللام تكون بمعنى «في» ووافقَهم ابنُ قُتيبة من المتقدِّمين وابنُ مالك من أصحابِنا المتأخِّرين[٣]، وجعلَ من ذلك قولَه: ﴿ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي: في يوم، وكذلك: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي: في وقتها، وأنشدَ شاهداً على ذلك لمسكين الدَّارميّ:

أولئك قومي قد مَضَوْا لسبيلِهم ... كما قد مَضَى من قبلُ عادٌ وتُبَّعُ[٤]

وقولَ الآخر:

وكلُّ أبٍ وابْنٍ وإنْ عُمِّرا معاً ... مُقِيمَيْنِ مفقودٌ لوقتٍ وفاقدُ[٥]

وقيل: اللام هنا للتعليل على حذف مضاف، أي: لحسابِ يومِ القيامة.

و«شيئاً» مفعولٌ ثانٍ، أو مصدر[٦].

وقرأ الجمهور: «مثقالَ» بالنصب خبر «كان»، أي: وإن كان الشيءُ، أو: وإن كان العملُ، وكذا في «لقمان».

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٨٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٢.
(٢) كذا هي رواية الكشاف ٢/ ٥٧٤ (والكلام منه)، ورواية البيت في المصادر وديوان النابغة (وهو الذُّبياني) ص٧٩: تَوهَّمْتُ، وسلف بهذه الرواية في تفسير سورة البقرة (١٩٦).
(٣) في شرح التسهيل ٣/ ١٨.
(٤) رواية عَجُز البيت في المصدر السالف: كما قد مضى لقمانُ عادٍ وتُبَّعُ، والبيت ضمن قصيدة لمسكين الدارمي في خزانة الأدب ٤/ ١٠١ وروايتُه فيه:
أولئك قومٌ قد مَضَوْا لسبيلهم ... كما ماتَ لقمانُ بنُ عادٍ وتُبَّعُ
(٥) البيت للحكَم بن صخر كما في شرح التسهيل ٣/ ١٨.
(٦) أي: شيئاً من الظلم. الدر المصون ٨/ ١٦٥.

وقرأ زيد بن علي وأبو جعفر وشيبة ونافع «مثقالُ» بالرفع على الفاعلية و«كان» تامَّة[(١)].

وقرأ الجمهور: «أَتَيْنا» من الإتْيان، أي: جئنا بها، وكذا قرأ أُبيّ، أعني: جِئنا، وكأنه تفسير لـ «أتينا».

وقرأ ابنُ عبَّاس ومجاهد وابنُ جُبير وابنُ أبي إسحاق والعلاء بنُ سَيَابة وجعفر بنُ محمد وابن سُرَيْج الأصبهانيّ: «آتَيْنا» بمَدَّة على وزن: فاعَلْنا، من المُواتاة[(٢)]، وهي المُجازاة والمكافأة، فمعناه: جَازَيْنا بها، ولذلك تعدَّى بحرف جرّ، ولو كان على «أفعلنا» من الإيتاء على ما توهَّمَه بعضُهم لتعدَّى مطلقاً دون جارّ. قاله أبو الفضل الرّازيّ[(٣)].

وقال الزمخشريّ[(٤)]: مفاعلة من الإتْيان بمعنى المجازاة والمكافأة، لأنهم أتَوْهُ بالأعمال، وأتاهم بالجزاء. انتهى.

وقال ابنُ عطية[(٥)]: على معنى «واتَيْنا» من المُواتاة، ولو كان «آتينا»: «أعطَيْنا» لما تعدَّتْ بحرف جرّ، ويُوهِنُ هذه القراءةَ أن بدل الواو المفتوحة همزة ليس بمعروف، وإنما يُعرف ذلك في المضمومة والمكسورة. انتهى.

وقرأ حُميد: «أثَبْنا بها»[(٦)] من الثواب.

وأنَّث الضمير في «بها» وهو عائدٌ على مذكَّر ـ وهو مثقال ـ لإضافته إلى مؤنَّث.

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ فيه توعُّدٌ، وهو إشارةٌ إلى ضبط أعمالهم من الحساب، وهو العَدُّ والإحصاء، والمعنى أنه لا يَغِيبُ عنَّا شيءٌ من أعمالهم.

---

(١) ينظر السبعة ص٤٢٩، والتيسير ص١٥٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٣، والنشر ٢/ ٣٢٤.
(٢) المحتسب ٢/ ٦٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٨٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٣.
(٣) وقاله قبله ابن جني في المحتسب ٢/ ٦٣.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٧٥.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٨٥.
(٦) القراءات الشاذة ص٩٢، والكشاف ٢/ ٥٧٤.

وقيل: هو كنايةٌ عن المجازاة.

والظاهرُ أنَّ «حاسبين» تمييز لقبوله «مِنْ»، ويجوز أن يكون حالاً.

ولمَّا ذكرَ ما أتى به رسولُه ﷺ من الذِّكْرِ وحالَ مشركي العربِ معه وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾ أتبعَهُ بأنه عادةُ الله في أنبيائه، فذكَرَ ما آتى موسى وهارونَ إشارةً إلى قصتهما مع قومِهما مع ما أوتوا من الفرقان والضِّياء والذِّكْر.

ثم نبَّه على ما آتى رسولَه من الذِّكْر المبارك، ثم استفهمَ على سبيل الإنكارِ على إنكارهم ما آتى رسولَه ﷺ[1].

و«الفُرْقان» التوراة، وهو الضِّياءُ والذِّكْر، أي: كتاباً هو فرقانٌ وضياءٌ وذِكْرٌ، ويدلُّ على هذا المعنى قراءةُ ابنِ عبَّاس وعكرمة والضحَّاك: «ضياءً وذِكْراً» بغير واو في «ضِياء»[2].

وقالت فرقة: «الفُرقانُ» ما رزقَه الله من نصرِه وظهورِ حُجَّتِه وغيرِ ذلك مما فَرَقَ بين أمرِه وأمرِ فرعون. و«الضِّياء» التوراة، و«الذكر»: التذكرةُ والموعظة[3]، أو ذِكْرُ ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم، أو الشرف[4].

والعطف بالواو يُؤْذِنُ بالتغاير.

وعنِ ابن عبَّاس: «الفُرْقان» الفتح، لقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] وعن الضحاك: فلقُ البحر، وعن محمد بن كعب: المُخرج من الشُّبهات[5].

و«الذين» صفة تابعة، أو مقطوعة برفع أو نصب، أو بدل[6].

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: على سبيل الذكر على إنكارهم ثم نبَّه على ما آتى رسوله ﷺ. والتصويب من النهر الماد ٦/ ٣١٥ (بهامش البحر).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٢، والقراءات الشاذة ص٩٢، والمحتسب ٢/ ٦٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٨٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٨٥، وينظر زاد المسير ٥/ ٣٥٥.

(٤) تفسير الرازي ٢٢/ ١٧٨.

(٥) الكشاف ٢/ ٥٧٥. وينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١٧٨-١٧٩.

(٦) يعني الجرّ على الوصفية أو البدل، وأما على القطع؛ فالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديرُه: هم، والنصب على المدح.

ولما ذكرَ التقوى ذَكَرَ ما أنتجَتْهُ وهو خشيةُ الله، والإشفاقُ من عذاب يوم القيامة.

و«الساعةُ»: القيامة. و«بالغيب» قال الجمهور: يخافونَه ولم يَرَوْه، وقال مقاتل: يخافون عذابَه ولم يَرَوْه.

وقال الزجَّاج: يخافونه من حيث لا يراهم أحد، ورجَّحَهُ ابنُ عطية.

وقال أبو سليمان الدمشقي: يخافونه إذا غابوا عن أعين الناس[١].

والإشفاقُ شدَّةُ الخوف، واحتمل أن يكون قولُه: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ استئنافَ إخبارٍ عنهم، وأن يكون معطوفاً على صلة «الذين» وتكون الصلة الأولى مُشعرةً بالتجدُّد دائماً كأنها حالتُهم فيما يتعلَّق بالدنيا، والصلة الثانية من مبتدأ وخُبِّرَ عنه بالاسم المُشعر بثبوت الوصف، كأنها حالتهُم فيما يتعلَّق بالآخرة.

ولمَّا ذكرَ ما آتى موسى وهارونَ عليهما السلام أشارَ إلى ما آتى محمداً ﷺ، فقال: «وهذا» أي: القرآن «ذِكْرٌ مُبارَكٌ» أي: كثيرٌ منافعُه، غزيرٌ خَيْرُه. وجاء هنا الوصف بالاسم ثم بالجملة جَرْياً على الأشهر. وتقدَّم الكلام على هذا[٢] في الأنعام [٩٢] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ وبَيَّنَّا هناك حِكمةَ تقديم الجملة على الاسم.

﴿أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ استفهام إنكارٍ وتوبيخ، وهو خطابٌ للمشركين، والضميرُ في «له» عائدٌ على «ذِكْر» وهو القرآن، وفيه تسليةٌ للرسول ﷺ إذْ أنكرَ ذلك المشركون كما أنكرَ أسلافُ اليهود ما أنزلَ الله على موسى عليه السلام.

* * *

﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ

(١) الأقوال السالفة في زاد المسير ٥/ ٣٥٦، ولم أقف على قول الزجاج في معانيه، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٨٥، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٧٩.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: قوله، بدل: هذا. والمثبت من (ح) و(يه).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم
بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن
فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾
قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ
﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ
فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا
تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ
﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾
وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ
وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ
مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي
رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ
مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ
فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ
وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ
ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ
بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ
وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ
﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا
وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ
فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ
فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا
لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي
فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ

إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾
وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾
إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ
كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ
وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا
فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا
هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ
﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ
فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا
يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ
ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى
ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا
فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ
﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ
ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ
ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ
ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

المفردات

التِّمثالُ: الصورةُ المصنوعةُ مشبَّهةٌ بمخلوقٍ من مخلوقات الله تعالى، مثَّلْتَ الشيءَ بالشيء: إذا شبَّهتَهُ به. قال الشاعر:

وَيا رُبَّ يومٍ قد لَهَوْتُ ولَيلةٍ ... بآنسةٍ كأنَّها خَطُّ تِمثالِ(١)

الجَذُّ: القَطْعُ، قال الشاعر:

بَنُو المُهَلَّبِ جَذَّ اللهُ دَابِرَهُم ... أَمْسَوْا رَمَاداً فلا أصلٌ ولا طَرَفُ(٢)

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٢٩.

(٢) البيت لجرير، وهو في ديوانه ص١٧٦، وفيه: آل المهلب، بدل: بنو المهلَّب.

النَّكْسُ قَلْبُ الشيء بحيث يصيرُ أعلاهُ أسفل، ونكَّس رأسَه بالتشديد والتخفيف: طَأْطَأَ حتى صار أعلاه أسفل.

البَرْدُ مصدر بَرَدَ، يقال: بَرَدَ الماءُ حرارةَ الجَوْفِ يَبْرُدُها، قال الشاعر:

وَعطِّلْ قَلُوصِي في الرِّكابِ فإنَّها ... سَتُبْرِدُ أكباداً وتُبْكِي بَوَاكِيا[1]

النَّفْشُ: رَعْيُ الماشية بالليل بغير راع، والهَمَلُ بالنهار بلا راع[2].

الغَوْصُ: الدخولُ تحتَ الماء لاستخراج ما فيه، قال الشاعر:

أو دُرَّةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوَّاصُها ... بَهِجٌ متى يَرَهَا يُهِلَّ ويَسْجُدِ[3]

النُّون الحوت، ويُجمع على نِينَان، ورُوي: النينان قتلةُ الخمر[4].

الفَرْجُ يُطلق على الحِرِ، والذَّكَرُ مقابلُ الحِرِ، وعلى الدُّبُر. قال الشاعر:

وأنتَ إذا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ ... بِضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليسَ بأعْزَلِ[5]

(١) البيت لمالك بن الرَّيْب ضمن قصيدة في ذيل أمالي القالي ص١٣٨ وخزانة الأدب ٢/٢٠٦ وفيهما: ستفلق، بدل: ستبرد، وفي الأمالي أيضاً: وعَرِّ، بدل: وعطِّل، وهو في اللسان (برد) برواية المصنف، وجاء البيت أيضاً في الأغاني ١٣/٤٨ لجعفر بن عُلبة برواية: وقَوِّد قلوصي. قال ابن منظور: حضرت المنيةُ مالكَ بنَ الرَّيْب، فوصَّى من يمضي لأهله ويخبرهم بموته، وأن تُعطَّلَ قَلُوصُه في الرِّكاب، فلا يركبها أحد ليُعلم بذلك موتُ صاحبها، وذلك يَسُرُّ أعداءه ويُحزن أولياءه.

(٢) يعني: الهَمَل الرَّعْيُ بالنهار بلا راعٍ.

(٣) البيت للنابغة الذُّبياني، وهو في ديوانه ص٤٠، وسلف في «البقرة» (١٧٣). وقوله: أو دُرَّةٍ، معطوف على قوله: كالشمس، في البيت قبله في القصيدة، وهي في وصف امرأة.

(٤) لم أقف على هذا اللفظ، وعَلَّق البخاريُّ في صحيحه بصيغة الجزم عن أبي الدرداء ﵁ قال في المُرِّي: ذَبَحَ الخمرَ النِّينانُ والشمسُ. اهـ. والمُرِّي ـ كما نقل ابنُ حجر عن الحربي ـ يُعمل بالشام؛ يؤخذُ الخمرُ فيُجعل فيه المِلْحُ والسَّمك ويُوضع في الشمس، فيتغيَّر عن طعم الخمر. وذكَر ابنُ حجر أيضاً عن الطحاوي أن أبا الدرداء ﵁ كان يأكلُ المُرِّي الذي يُجعل فيه الخمر ويقول: ذَبَحَتْهُ الشمسُ والمِلْحُ. وينظر تفصيل الكلام في فتح الباري ٩/٦١٧، فليست النِّينان وحدَها هي التي تخلِّل الخمر كما تشير إليه عبارة المصنف.

(٥) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٢٣. قوله: ضافٍ، أي: ذَنَبٌ طويل. وينظر اللسان (ضفا).

الحَدَبُ: المُسَنَّمُ من الأرض، كالجبلِ والكُدْيَةِ والقبرِ ونحوِه.

النَّسَلانُ: مقاربة الخَطْوِ مع الإسراع.

قال الشاعر:

عَسَلانَ الذئبِ أمْسَى قارِباً ... بَرَدَ الليلُ عليهِ فَنَسَلْ[1]

الحَصَبُ: الحَطَبُ بلغة الحبشة إذا رُميَ به في النار، قيل: وقَبْلَ أن يُرْمَى به لا يُسَمَّى حَصَباً، وقيل: الحَصَبُ: ما تُوقَدُ به النارُ.

السِّجِلُّ: الصحيفة.

* * *

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

لمَّا تقدَّم الكلامُ في دلائل التوحيد والنبوَّةِ والمَعاد؛ أتبعَ ذلك بثلاثةَ عشرَ نبيًّا غيرَ مُرَاعًى في ذِكْرهم الترتيب الزَّمانيّ، وذكرَ بعضَ ما نالَ كثيراً منهم من الابتلاء، كلُّ ذلك تسليةٌ للرسول ﷺ، وليتأسَّى بهم فيما جرى عليه من قومه.

وقرأ الجمهور: «رُشْدَهُ» بضمِّ الراء وسكون الشين، وقرأ عيسى الثقفي: «رَشَدَه» بفتح الراء والشين[2].

(١) البيت للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص٩٠، ومجاز القرآن ٢/ ٤٢، ونُسب في الكامل ١/ ٤٧٤ للبيد. قال أبو عبيدة: يَنْسِلُون: يعجلون في مشيهم كما يَنْسِلُ الذئب ويَعْسِل. . . . وأنشدَ البيت. وقال القالي في الأمالي ١/ ١٥٥: العَسَلان: عَدْوٌ فيه اضطراب، والعَسَلان قريب منه.

(٢) القراءات الشاذة ص٩٢، وهي في الكشاف ٢/ ٥٧٥ دون نسبة، قال الزمخشري: الرُّشْد والرَّشَد كالعُدْم والعَدَم، وقال الآلوسي ١٧/ ١٢١: كالحُزْن والحَزَن.

وأضاف الرُّشْد إلى إبراهيم بمعنى أنه رَشَدَ مثلُه، وهو رَشَدُ الأنبياء وله شأن أيُّ شأن[١].

والرُّشْد: النبوَّة، أو الاهتداء إلى وجوه الصَّلاح في الدِّين والدُّنيا، أو هما داخلان تحت الرُّشد، أو الصُّحُف والحِكمة، أو التوفيق للخير صغيراً. أقوالٌ خمسة[٢].

والمضاف إليه «من قبلُ» محذوف، وهو معرفة، ولذلك بُنيَ «قبلُ» أي: من موسى وهارون. قاله الضحَّاك[٣]، كقوله في الأنعام [٨٤] ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وأبعدَ مَنْ ذهبَ إلى أنَّ التقدير: من قبل بلوغِهِ، أو من قبل نبوَّتِه، يعني حين كان في صُلْب آدم وأخذ ميثاق الأنبياء[٤]، أو من قبلِ محمد ﷺ، لأنها محذوفاتٌ لا يدلُّ على حذفها دليل، بخلاف: مِن قبلِ موسى وهارون، لتقدُّمِ ذكرِهما وقُربِه.

والضمير في «به» الظاهر أنه عائدٌ على إبراهيم، وقيل: على الرُّشْد، وعلمُه تعالى أنه عَلِمَ منه أحوالاً عجيبةً وأسراراً بديعة، فأهَّلَهُ لِخُلَّتِهِ، كقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] وهذا من أعظم المدحِ وأبلغِه، إذ أخبرَ تعالى أنه آتاهُ الرُّشْدَ، وأنه عالِمٌ بما آتاه رَبُّه.

ثم استطردَ من ذلك إلى تفسير الرُّشْد، وهو الدُّعاء إلى توحيدِ الله ورَفْضِ ما عُبِدَ من دونه.

و«إذْ» معمولة لـ «آتَيْنا» أو «رُشْدَهُ» أو «عالِمين»، أو بمحذوف، أي: اذْكُرْ من أوقات رُشدِهِ هذا الوقت.

وبدأ أولاً بذكر أبيه لأنه الأهمُّ عنده في النصيحة وإنقاذِه من الضلال، ثم عطف عليه «قومه»، كقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

---

(١) ينظر الكشاف ٢/ ٥٧٥.
(٢) ينظر النكت والعيون ٣/ ٤٥٠، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٨٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٥.
(٣) زاد المسير ٥/ ٣٥٧، وهو في النكت والعيون ٣/ ٤٥٠، والكشاف ٢/ ٥٧٥ دون نسبة.
(٤) ذكره الرازي ٢٢/ ١٨٠ من رواية الضحاك عن ابن عباس ﷺ.

وفي قوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ تحقيرٌ لها وتصغيرٌ لشأنها وتجاهلٌ بها مع علمِه بها وبتعظيمهم لها، وفي خطابه لهم بقوله: «أنتم» استهانةٌ بهم وتوقيفٌ على سوءِ صَنِيعهم. و«عَكَفَ» يتعدَّى بـ «على» كقوله: ﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. فقيل: «لها» هنا بمعنى «عليها» كما قيل في قوله ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ﴾ [الإسراء: ٧].

والظاهر أنَّ اللام في «لها» لام التعليل، أي: لتعظيمها، وصلة «عاكفون» محذوفة، أي: على عبادتها، وقيل: ضمَّن «عاكفون» معنى «عابدين» فعَدَّاه باللام.

وقال الزمخشريّ: لم يَنْوِ للعاكفين محذوفاً[1]، وأجراه مُجرى ما لا يتعدَّى، كقولك: فاعلون العُكُوفَ لها، أو واقفون لها. انتهى.

ولما سألهم أجابوه بالتقليد البحت، وأنه فعلُ آبائهم اقتدَوْا به من غيرِ ذِكْرِ برهان، وما أقبحَ هذا التقليدَ الذي أدَّى بهم إلى عبادة خشبٍ وحَجَرٍ ومعدنٍ ولجاجِهم في ذلك ونُصرةِ تقليدِهم!

وكان سؤالُه إيَّاهم عن عبادة التماثيل وغايتُه أن يذكرُوا شبهةً في ذلك فيُبْطِلَها، فلما أجابوه بما لا شُبهةَ لهم فيه وبَدَا ضلالُهم قال: ﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي في حَيْرَةٍ واضحةٍ لا التباسَ فيها، وحَكَمَ بالضلال على المقلِّدينَ والمقلَّدين، وجعلَ الضلالَ مستقرًّا لهم.

و«أنتم» توكيدٌ للضمير الذي هو اسم «كان»، قال الزمخشريّ: و«أنتم» من التأكيد الذي لا يصحُّ الكلام مع الإخلالِ به لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع، ونحوُهُ: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] انتهى.

وليس هذا حُكماً مُجْمَعاً عليه، فلا يصحُّ الكلامُ مع الإخلال به، لأنَّ الكوفيين يُجيزُون العطفَ على الضمير المتصل المرفوع من غيرِ تأكيدٍ بالضمير المنفصل المرفوع ولا فصلٍ، وتنظيرُه ذلك بـ ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ مخالفٌ لمذهبه في ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ﴾ لأنه يزعم أنَّ «وزَوْجُك» ليس معطوفاً على الضمير المستكنِّ

---

(١) في الكشاف ٢/ ٥٧٥: مفعولاً.

في «اسْكُنْ»، بل قوله: «وزَوْجُك» مرتفعٌ على إضمار «ولْتَسْكُنْ»، فهو عنده من عطف الجمل، وقولُه هذا مخالفٌ لمذهب سيبويه.

ولمَّا جرى هذا السؤال وهذا الجواب تعجَّبوا من تضليله إياهم إذْ كان قد نشأ بينهم، وجوَّزُوا أنَّ ما قالَه هو على سبيل المُزاح لا الجِدِّ، فاستفهموه أهذا جِدٌّ منه أم لعب[١]؟

والضمير في «قالوا» عائدٌ على أبيه وقومِه، و«بالحقِّ» متعلِّق بقولهم: «أجئتنا» ولم يريدوا حقيقةَ المجيء لأنه لم يكن عنهم غائباً فجاءهم، وهو نظير ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠] والحقُّ هنا ضدُّ الباطل، وهو الجِدُّ، ولذلك قابلُوه باللعب، وجاءت الجملة اسميةً لكونها أثبت، كأنهم حكمُوا عليه بأنه لاعِبٌ هازلٌ في مقالته لهم، ولكونها فاصلة.

ثم أضربَ عن قولهم وأخبرَ بالجدِّ، وأنَّ المالك لهم والمستحقّ العبادة هو ربُّهم وربُّ هذا العالَمِ العُلْويِّ والعالَمِ السُّفليِّ المندرجِ فيه أنتم ومعبوداتُكم؛ نبَّه على الموجِب للعبادة وهو منشئُ هذا العالَم ومخترعُه من العدمِ الصِّرْف.

والظاهر أنَّ الضمير في «فطرَهنَّ» عائد على «السماوات والأرض»، ولمَّا لم تكن السماواتُ تبلغُ في العددِ الكثيرَ منه جاء الضمير ضمير القلَّة.

وقيل: [الضميرُ] في «فَطَرَهنَّ» عائدٌ على التماثيل؛ قال الزمخشريّ[٢]: وكونُه للتماثيل أدخلُ في تضليلهم وأثبتُ للاحتجاج عليهم. انتهى.

وقال ابن عطيَّة[٣]: «فَطَرَهنَّ» عبارة عنها كأنها تعقل، وهذه من حيث لها طاعةٌ وانقياد، وقد وُصفت في مواضعَ بما يُوصَفُ به من يعقل.

وقال غيره: «فَطَرَهنَّ» أعادَ ضمير من يعقلُ لمَّا صدرَ منهنَّ من الأحوال التي تدلُّ على أنها من قبيل مَنْ يعقل، فإنَّ الله أخبرَ بقوله: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]

---

(١) ينظر الكشاف ٢/ ٥٧٥-٥٧٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٧٦، ولفظة «الضمير» السالفة بين حاصرتين من عندي للسياق.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٨٦.

وقوله ﷺ: «أطَّتِ السماءُ وحَقَّ لها أنْ تَئِطّ»[١] انتهى. وكأنَّ ابنَ عطية وهذا القائلَ تخيَّلا أنَّ «هُنَّ» من الضمائر التي تخصُّ من يعقلُ من المؤنَّثات، وليس كذلك، بل هو لفظٌ مشترك بين مَنْ يعقلُ وما لا يعقل من المؤنَّث المجموع، ومن ذلك قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] والضميرُ عائدٌ على الأربعة الحُرُم[٢].

والإشارة بقوله: «ذلكم» إلى رُبُوبيَّتِه تعالى ووصفِه بالاختراع لهذا العالَم، و«من» للتبعيض، أي: الذين يشهدون بالرُّبُوبيَّة كثيرون، وأنا بعضٌ منهم، أي: ما قُلتُه أمرٌ مفروغٌ منه عليه شهودٌ كثيرون، فهو مقالٌ مصحَّحٌ بالشهود.

و«على ذلكم» متعلِّق بمحذوف تقديرُه: وأنا شاهدٌ على ذلكم من الشاهدين، أو على جهة البيان، أي: أعني على ذلكم، أو باسم الفاعل وإن كان في صلة «أل» لاتِّساعهم في الظرف والمجرور، أقوالٌ تقدَّمت في ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

وبادَرَهم أولاً بالقول المنبِّه على دلالة العقل فلم ينتفعوا بالقول، فانتقلَ إلى القول الدالِّ على الفعل الذي مآلُه إلى الدلالة التامَّة على عدم الفائدة في عبادة ما يُتسلَّطُ عليه بالكسر والتقطيع وهو لا يدفعُ ولا يضرُّ ولا ينفع ولا يشعرُ بما وردَ عليه من فكِّ أجزائه، فقال: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

وقرأ الجمهور: «وتالله» بالتاء، وقرأ معاذ بنُ جبل وأحمد بنُ حنبل: «وباللهِ» بالباء بواحدة من أسفل[٣].

قال الزمخشريّ: فإن قلتَ: ما الفرقُ بين التاء والباء؟

قلتُ: إنَّ الباء هي الأصل، والتاء بدلٌ من الواو المُبْدَلة منها، وإنَّ التاء فيها زيادةُ معنًى وهو التعجُّب، كأنَّه تعجَّبَ من تسهُّل الكَيْدِ على يدِه وتأتِّيه، لأنَّ ذلك كان أمراً مقنُوطاً منه لصعوبتِه وتعذُّرِه، ولَعَمْرِي إنَّ مثلَه صعبٌ متعذِّر في كلِّ زمان خصوصاً في زمن نُمروذ مع عُتُوِّه واستكبارِهِ وقوَّةِ سلطانِه وتهالُكِه على نصر دينه، ولكن:

---

(١) سلف في تفسير الآية (٢٠) من هذه السورة.
(٢) في قوله: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ في الآية المذكورة.
(٣) الكشاف ٢/٥٧٦. ولم أقف على من نسبَ القراءة للإمام أحمد قبل أبي حيان.

إذا اللهُ سَنَّى عَقْدَ شيء تَيسَّرَا[١]

انتهى.

أمَّا قولُه: الباء هي الأصل؛ إنما كانت أصلاً لأنها أوسعُ حروفِ القَسَم، إذْ تدخلُ على الظاهر والمُضمر، وتُصرِّحُ بفعل القَسَم معها وتَحذف، وأمَّا أنَّ التاء بدلٌ من واو القَسَم الذي أُبدلَ من باء القَسَم؛ فشيء قالَه كثيرٌ من النُّحاة، ولا يقومُ على ذلك دليل، وقد رَدَّ هذا القولَ السُّهيليّ، والذي يقتضيه النظر أنه ليس شيء منها أصلاً لآخر.

وأمَّا قولُه: إن التاء فيها زيادة معنًى، وهو التعجُّب، فنصوصُ النُّحاة أنَّ التاء يجوز أن يكون معها تعجُّب ويجوز أن لا يكون، واللام هي التي يلزمُها التعجُّب في القسم[٢].

والكَيْدُ: الاحتيالُ في وصول الضَّرر إلى المَكِيد، والظاهرُ أن هذه الجملة خاطبَ بها أباه وقومَه، وأنها مندرجةٌ تحت القول من قوله: «قال بل ربكم».

وقيل: قال ذلك سِرًّا من قومه وسمعه رجلٌ واحد. وقيل: سمعَه قومٌ من ضَعَفَتهم ممَّن كان يسير في آخر الناس يومَ خرجُوا إلى العيد، وكانت الأصنام سبعين، وقيل: اثنين وسبعين[٣].

وقرأ الجمهور: «تُوَلُّوا» مضارع «وَلَّى»، وقرأ عيسى بن عُمر: «تَوَلَّوْا» بحذف

---

(١) هو عجز بيت، وصدرُه كما في أمالي القالي ١/ ٢٣٥ وسمط اللآلي ١/ ٥٣٧ واللسان (سنا): فلا تَيْأَسَا واستَغْوِرَا اللهَ إنَّهُ. ورواية الأمالي: عَقْدَ أمْرٍ، ورواية سمط اللآلي: حَلَّ عَقْدٍ. وقوله: استَغْوِرَا، أي: سَلَاهُ الغَيْرَةَ، وقولُه: سَنَّى، أي: فَتَحَ وسَهَّلَ، وعَجُزُ البيت في الكشاف ٢/ ٥٧٦ والكلام منه.

(٢) وأنشد سيبويه ٣/ ٤٩٧ على هذه اللام لأميَّة بن أبي عائذ:

لِلَّهِ يبقى على الأيام ذو حِيَدٍ بمُشْمَخِرٍّ به الظَّيَّانُ والآسُ

وسمَّاها الزجَّاجي في اللامات ص٧٣ لام القَسَم الخافضة، وقال: لا تكونُ هذه اللامُ خافضةً للمُقْسَم به إلا متضمِّنةً معنى التعجُّب في الله وحدَه، وذكرَ البيت. وينظر شرح التسهيل ٣/ ٧٣.

(٣) ينظر زاد المسير ٥/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٧-٢١٨.

إحدى التاءَين[١]، وهي الثانية على مذهب البصريِّين، والأولى على مذهب هشام، وهو مضارع «تَوَلَّى» وهو موافق لقوله: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات: ٩٠] ومتعلَّق «تُوَلُّوا» محذوف، أي: إلى عيدِكم.

ورُوي أن آزَرَ خرجَ به في يوم عيدٍ لهم، فبدؤوا ببيت الأصنام، فدخلُوه وسجدُوا لها، ووضعوا بينها طعاماً خرجُوا به معهم وقالوا: إلى أن نَرْجِعَ تَرْجِعُ بركةُ الآلهة على طعامنا[٢]. فذهبوا، فلمَّا كان في الطريق ثَنَى عَزْمَه عن المسيرِ معهم، فقعدَ وقال: إنِّي سقيم.

وقال الكلبي: كان إبراهيمُ من أهل بيتٍ ينظرون في النجوم، وكانوا إذا خرجُوا إلى عيدهم لم يتركوا إلا مريضاً، فأتاهم إبراهيم بالذي هم فيه فنظرَ[٣] قبل يوم العيد إلى السماء وقال لأصحابه: إني[٤] أشتكي غداً، وأصبحَ معصوبَ الرأس، فخرجوا ولم يتخلَّف أحدٌ غيرُه، وقال: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾ إلى آخره، وسمعَهُ رجلٌ فحفظه، ثم أخبرَ به فانتشر. انتهى.

وفي الكلام حذفٌ، تقديره: فتَوَلَّوْا إلى عيدهم، فأتى إبراهيمُ الأصنامَ فجعلَهم جُذَاذاً؛ قال ابنُ عباس: حُطاماً، وقال الضحَّاك: أخذَ من كلِّ عضوَيْن عضواً[٥].

قيل: وكانت الأصنام مصطفَّةً، وصنمٌ منها عظيمُ الجُثَّة مستقبلَ الباب من ذهبٍ، وفي عينَيه دُرَّتانِ مضيئتان، فكسرَها بفاسٍ إلا ذلك الصنمَ، وعَلَّقَ الفأسَ في عنقه، وقيل: عَلَّقَهُ في يدِه.

---

(١) القراءات الشاذة ص٩٢، وهي في الكشاف ٢/ ٥٧٦ دون نسبة.

(٢) المثبت من (ح) و(يه). ووقع في (أ) و(ع) والمطبوع: وقالوا لن ترجع بركة الآلهة... إلخ، وهو خطأ. وعبارة الكشاف ٢/ ٥٧٦ (ولفظ الخبر فيه): وقالوا: إلى أن نرجعَ برَّكت الآلهة...، والخبر من رواية السُّدِّيّ أخرجه عنه الطبري ١٦/ ٢٩٥، وأورده عنه الثعلبي ٤/ ٢٤٣، وعندهما: وقالوا: إذا كان حينُ نرجع، رجعنا وقد باركت الآلهة في طعامنا.

(٣) في تفسير الرازي ٢٢/ ١٨٢ (والخبر فيه): فلما همَّ إبراهيم بالذي همَّ به من كسر الأصنام نظر... إلخ. وهو الأشبه.

(٤) في المصدر السالف: أُراني، بدل: إني، وهو أشبه.

(٥) النكت والعيون ٣/ ٤٥١. وأخرج الطبري ١٦/ ٢٩٤ قولَ ابنِ عباس.

وقرأ الجمهور: «جُذَاذاً» بضمِّ الجيم، والكسائيُّ وابنُ مُحيصن وابنُ مِقْسَم وأبو حَيْوة وحُميد والأعمش في رواية بكسرها، وابنُ عبَّاس وأبو نَهِيك وأبو السَّمَّال بفتحها، وهي لغات، أجودُها الضمُّ، كالحُطام والرُّفات. قاله أبو حاتم(١).

وقال اليزيدي: «جُذاذاً» بالضمّ جمع جُذَاذة، كزُجاج وزُجاجة، وقيل: بالكسر جمع جَذِيذ، ككَرِيم وكِرَام.

وقيل: الفتح مصدر كالحَصَاد بمعنى المحصُود، فالمعنى: مجذُوذين.

وقال قطرب: في لغاته الثلاث هو مصدر لا يُثَنَّى ولا يُجمع(٢).

وقرأ يحيى بن وثَّاب: «جُذُذاً» بضمتين جمع جَذِيذ كجَدِيد وجُدُد، وقُرِئ: «جُذَذاً» بضم الجيم وفتح الذال مخفَّفاً من «فُعُل»(٣) كسُرَر جمع سَرِير، وهي لغة لكلب، أو جمع جُذَّة، كقُبَّة وقُبَب.

وأتى بضمير من يعقل في قوله: «فجعلَهم» إذْ كانت تُعْبَد.

وقوله: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ استثناء من الضمير في «فجعلَهم» أي: فلم يَكْسِرْه، والضمير في «لهم» يحتمل أن يعود على الأصنام، وأن يعود على عُبَّادِها.

والكِبَرُ هنا عِظَمُ الجُثَّة، أو كبيراً في المنزلة عندَهم لكونهم صاغُوه من ذهب، وجعلُوا في عينيه جوهَرتَيْن تُضيئان بالليل.

والضمير في «إليه» عائدٌ على إبراهيم، أي: فعلَ ذلك ترجِّياً منه أن يعقُب ذلك رجعةٌ إليه وإلى شرعِهِ.

قال الزمخشريّ(٤): وإنَّما استبقَى الكبيرَ لأنه غَلَبَ على ظنِّه أنهم لا يرجعون

---

(١) قراءة الكسائي في السبعة ص٤٢٩، والتيسير ص١٥٥، وينظر القراءات الشاذة ص٩٢، والمحتسب ٢/ ٦٤، وتفسير الثعلبي ٢/ ٢٤٣، وزاد المسير ٥/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٨.

(٢) ينظر المحتسب ٢/ ٦٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٨.

(٣) بضمتين، وخُفِّفت بإبدال الضمة فتحة، وينظر القراءات الشاذة ص٩٢، وزاد المسير ٥/ ٣٥٨، والدر المصون ٨/ ١٧٣-١٧٤.

(٤) الكشاف ٢/ ٥٧٦.

إلا إليه لِما تسامعُوه من إنكارِهِ لدينهم وسَبِّهِ لآلهتهم فيَبْكِتَهم بما أجابَ به من قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾.

وقال ابن عطيَّة[1]: يحتملُ أن يعودَ على الكبير المتروك، ولكن يُضعِفُ ذلك دخولُ الترجِّي في الكلام. انتهى، وهو قول الكلبيّ[2].

قال الزمخشريّ: ومعنى هذا: لعلَّهم يرجعون إليه كما يُرجَعُ إلى العالِم في حلِّ المشكلات، فيقولون له: ما لهؤلاء مكسورةً، ومالك صحيحاً والفأسُ على عاتقك؟! قال هذا بناءً على ظنِّه بهم لِما جرَّبَ وذاقَ من مكابرتهم لعقولهم واعتقادِهم في آلهتهم وتعظيمِهم لها، أو قالَه مع علمه أنهمْ لا يرجعون إليه استهزاءً بهم واستجهالاً، وأن قياسَ حالِ من يُسجد له ويؤهَّل للعبادة أن يُرجع إليه في حلِّ المشكل.

فإن قلتَ: فإذا رجَعوا إلى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخِ الإشراك في أعراقهم، فأيُّ فائدةٍ دينيَّةٍ في رجوعهم إليه حتى يجعلَه إبراهيمُ صلواتُ الله عليه غرضاً؟

قلتُ: إذا رجَعوا إليه تبيَّن أنه عاجزٌ لا ينفعُ ولا يضرُّ وظهرَ أنَّهم في عبادته على أمر عظيم[3].

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ۝٦٣ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٦٤ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝٦٥ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾.

في الكلام محذوف تقديرُه: فلمَّا رجَعُوا من عيدِهم إلى آلهتهم ورأَوْا ما فُعلَ

(١) المحرر الوجيز ٤/٨٦.

(٢) ينظر الكشاف ٢/٥٧٦، وتفسير الرازي ٢٢/١٨٣.

(٣) في الكشاف ٢/٥٧٦ (والكلام منه): على جهل عظيم.

بها استفهمُوا على سبيل البحث والإنكار فقالوا: مَنْ فعلَ هذا؟ أي: التكسيرَ والتحطيم، إنه لظالمٌ في اجترائه على الآلهة المستحقَّة للتعظيم والتوقير.

﴿قَالُواْ﴾: قالَ الذين سمعُوا قولَه: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

﴿يَذْكُرُهُمْ﴾أي: بسوء؛ قال الفرَّاء: يقولُ الرَّجلُ للرجل: لئن ذكرتَني لتندمَنَّ، أي: بسوء[1].

قال الزمخشريّ[2]: فإن قلتَ: ما حُكم الفعلَين بعدَ «سَمِعْنا فَتَى» وأيُّ فرق بينَهما؟

قلتُ: هما صفتان لـ «فتَى» إلا أنَّ الأوَّل ـ وهو «يَذْكُرُهُم» ـ لا بدَّ منه لـ «سَمِعَ» لأنك لا تقول: سمعتُ زيداً، وتسكت حتى تذكرَ شيئاً ممَّا يُسمع. وأمَّا الثاني فليس كذلك. انتهى.

أما قولُه: هما صفتان، فلا يتعيَّن ذلك لِما أذكرُه: أمَّا «سَمِعَ» فإمَّا أن يدخلَ على مسموع أو غيرِه، إن دخلَتْ على مسموع فلا خلافَ أنَّها تتعدَّى إلى واحد، نحو: سمعتُ كلامَ زيدٍ ومقالةَ خالد، وإنْ دخلَتْ على غيرِ مسموع فاختُلف فيها؛ فقيل: إنها تتعدَّى إلى اثنين، وهو مذهب الفارسيّ، ويكون الثاني ممَّا يدلُّ على صوت، فلا يقال: سمعتُ زيداً يركبُ، ومذهبُ غيرِه أنَّ «سَمِعَ» يتعدَّى إلى واحد، والفعلُ بعدَه إن كان معرفةً في موضع الحال منها، أو نكرةً في موضع الصفة، وكلا المذهبَيْن يُستدلُّ لهما في علم النحو. فعلى هذا المذهب الآخر يتمشَّى قول الزمخشريّ أنه صفة لـ «فتَى» وأمَّا على مذهب أبي عليّ فلا يكون إلا في موضع المفعول الثاني لـ «سَمِعَ».

وأمَّا «يُقال له إبراهيم» فيحتمل أن يكون جواباً لسؤال مقدَّر، لمَّا قالوا: «سَمِعْنا فتَى يذكرُهُم» وأتَوْا به منكَّراً قيل: مَنْ يُقال له؟ فقيل: «يُقالُ له إبراهيم»، وارتفع

---

(١) في زاد المسير ٥/ ٣٥٩ عن الفراء: أي: يَعِيبُهم، تقول للرجل: لئن ذكرتني لتندمنَّ... إلخ. وعبارة معاني الفراء ٢/ ٢٠٦: يذكرُهم بالعيب والشتم وبما قال من الكَيْد، وليس فيه قوله: تقول للرجل.... إلخ فلعلَّه من كلام ابن الجوزي.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٧٦.

«إبراهيم» على أنه مقدَّر بجملة تُحكى بـ «يُقال» إمَّا على النِّداء، أي: يقال له حين يُدْعَى: يا إبراهيم، وإمَّا على خبر مبتدأ محذوف، أي: هو إبراهيم، أو على أنه مفرد مفعول لم يُسَمَّ فاعلُه[1]، ويكون من الإسناد للَّفْظ لا لمدلولِهِ[2]، أي: يُطلق عليه هذا اللفظ، وهذا الآخر هو اختيار الزمخشريّ وابنِ عطيَّة[3]، وهو مختلَف في إجازتِه، فذهبَ الزَّجَّاجيُّ والزمخشريُّ وابنُ خَرُوف وابنُ مالك إلى تجويز نصبِ القول للمفرد ممَّا لا يكونُ مقتَطعاً من جملة، نحو قوله:

إذا ذُقْـتَ فـاهـا قـلـتَ طَـعْـمُ مُـدَامَـةٍ[4]

ولا مفرداً معناه معنى الجملة نحو: قلتُ خطبةً، ولا مصدراً نحو: قلت قولاً، ولا صفةً له نحو: قلتُ حقًّا، بل لمجرَّد اللفظ نحو: قلت زيداً.

ومن النحويِّين من منعَ ذلك، وهو الصحيح، إذْ لا يُحفظ من لسانهم: قال فلان زيداً، ولا قال ضربَ، ولا قال ليت، وإنما وقعَ القولُ في كلام العرب لحكايةِ الجُمل.

وذهب الأعلم إلى أن «إبراهيم» ارتفعَ بالإهمال لأنه لم يتقدَّمه عاملٌ يؤثر في لفظه، إذ القولُ لا يؤثِّر إلا في المفرد المتضمِّن لمعنى الجملة، فبقيَ مُهملاً، والمهملُ إذا ضُمَّ إلى غيره ارتفعَ، نحو قولهم: واحد واثنان، إذا عدُّوا ولم يُدخِلُوا عاملاً لا في اللفظ ولا في التقدير، وعطفُوا بعضَ أسماء العدد على بعض، والكلامُ على مذهب الأعلم وإبطالِه مذكورٌ في النحو[5].

(١) في المطبوع: مفعول لما لم يُسَمَّ فاعله، وفي النهر الماد ٦/ ٣٢٤ (بهامش البحر): مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله.
(٢) يعني أن المراد الاسم لا المسمَّى. ينظر الإملاء ٢/ ١٣٤.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٧٦-٥٧٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٨٧.
(٤) هو صدرُ بيت لامرئ القيس في ديوانه ص١١٠، وعَجُزُه: مُعَتَّقةٍ مما يَجِيءُ بها التُّجُرُ، وجاء أيضاً في شعر عَبِيد بن الأبرص، وعجزُه كما في ديوانه ص٤٦: مُشَعْشَعَةٍ تُرخي الإزارَ قديحُ، وجاء أيضاً في شعر الراعي النُّميري، وعَجُزُه كما في ديوانه ص٤٦: دَنَا الزِّقُّ حتى مَجَّها وهو جانحُ، وجاء بنحوه في شعر الحطيئة، ينظر ديوانه ص٩٨.
(٥) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٨٧ قول الأعلم، وقد ردَّه الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ١٣٣.

﴿قَالُوا فَأْتُوا﴾ أي: أحْضِرُوه ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾أي: معايناً بمرأى منهم، فـ «على أعين الناس» في موضع الحال، و«على» معناها الاستعلاء المجازيّ، كأنه لتَحدِيقِهم إليه وارتفاع أبصارهم لرؤيته مستعلٍ على أبصارهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾عليه بما سمع منه أو بما صدرَ منه من تكسير أصنامِهم، أو يشهدون ما يَحُلُّ به من عذابنا أو غلبنا له المؤدِّي إلى عذابه.

وقيل: «الناسُ» هنا خواصُّ المَلِك وأولياؤه.

وفي الكلام حذفٌ تقديره: فأَتَوْا به على تلك الحالة من نظر الناس إليه قالوا: أأنتَ فعلتَ هذا؟ أي: الكسرَ والتهشيمَ بآلهتِنا.

وارتفاع «أنتَ» المختارُ أنه بفعل محذوف يُفسِّرُه «فعلتَ» ولمَّا حُذف انفصلَ الضمير، ويجوزُ أن يكون مبتدأ، وإذا تقدَّم الاسمُ في نحو هذا التركيب على الفعل كان الفعلُ صادراً واستُفهم عن فاعله، وهو المشكوك فيه، وإذا تقدَّم الفعلُ كان الفعلُ مشكوكاً فيه فاستُفهم عنه أوقَع أم لم يقع.

والظاهرُ أنَّ «بَلْ» للإضراب عن جملة محذوفة، أي: قال: لم أفعله، إنما الفاعلُ حقيقةً هو الله ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ وأسندَ الفعل إلى كبيرِهم على جهة المجاز، لمَّا كان سبباً في كسرِ هذه الأصنام هو تعظيمُهم وعبادتُهم له[1] ولِما دونَه من الأصنام كان ذلك حاملاً على تحطيمِها وكسرِها، فأسندَ الفعلَ إلى الكبير، إذْ كان تعظيمُهم له أكثرَ من تعظيمهم ما دونَه. وقال قريباً من هذا الزمخشريُّ[2].

ويحتمل أن يكونَ فعلُ الكبير متقيِّداً بالشرط، فيكون قد علَّق على ممتنع، أي: فلم يكن وقعَ، أي: إن كان هؤلاءِ الأصنامُ ينطقون ويُخبِرُون من الذي صَنع بهم ذلك فالكبيرُ هو الذي صنعَ ذلك. وأشارَ إلى نحوٍ من هذا ابنُ قُتيبة[3].

---

(١) في (ح) و(يه): لها.

(٢) الكشاف ٢/ ٥٧٧. وقال الزمخشري: والفعلُ كما يُسْنَدُ إلى مباشِرِهِ يُسنَدُ إلى الحامل عليه.

(٣) في تأويل مشكل القرآن ص٢٠٧-٢٠٨، وجعلَه من معاريض الكلام، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٦٠، وقد أخرجَ البخاري في الأدب المفرد (٨٥٧) عن عمران بن =

وقال الزمخشري: هذا من معاريض الكلام، ولطائفُ هذا النوع لا يتغلغل فيها إلا أذهانُ الرَّاضَةِ[1] من علماء المعاني، والقولُ فيه أن قصدَ إبراهيم صلواتُ الله عليه لم يكن إلى أن ينسبَ الفعلَ الصادرَ عنه إلى الصنم، وإنما قصدَ تقريرَه لنفسه وإثباتَه لها على أسلوب تعريضيّ يبلغُ فيه غَرَضَهُ من إلزامهم الحجَّةَ وتبكيتهم، وهذا كما لو قال لك صاحبُك وقد كتبتَ إليه كتاباً بخطٍّ رشيق وأنت شهيرٌ بحُسنِ الخطّ: أأنت كتبتَ هذا؟ وصاحبُك أمّيٌّ لا يُحْسِنُ الخطَّ أو لا يقدرُ إلا على خَرْمَشَةٍ فاسدةٍ، فقلتَ له: بل كتبتَه أنتَ! كان قصدُك بهذا الجواب تقريرَه لك مع الاستهزاء به، لا نَفْيَهُ عنك وإثباتَهُ للأمّيّ أو المُخرمش، لأنَّ إثباتَه ـ والأمرُ دائرٌ بينَكما ـ للعاجزِ منكما استهزاءٌ وإثباتٌ للقادر.

ويجوزُ أن يكون حكايةً لِما يعودُ[2] إلى تجويزِه مذهبَهم؛ كأنه قال لهم: ما تُنكرون أن يفعلَه كبيرُهم؟ فإنَّ من حقِّ مَنْ يُعْبَدُ ويُدْعَى إلهاً أن يقدرَ على هذا وأشدَّ منه.

ويُحكى أنه قال: فعلَه كبيرُهم هذا؛ غَضِبَ أن تُعْبَدَ معه هذه الصِّغارُ وهو أكبرُ منها. انتهى.

ومَنْ جعلَ الفاعلَ بـ «فَعَلَهُ» ضميراً يعود على قوله: «فتًى»، أو على «إبراهيم»، أو قال: أخبرَ[3] بغير المطابق لمصلحةٍ دينيَّة، واستدلَّ بما رُويَ في الحديث[4]، أو

= حُصين ﷺ قوله: إنَّ في المَعَاريض لَمَنْدُوحةً عن الكذب. اهـ. والمَعَاريض جمع مِعْرَاض، من التعريض، وهو خلافُ التصريح من القول. ومَنْدُوحة، أي: سَعَة وفُسْحَة. ينظر النهاية (عرض ـ ندح).

(١) جمع رائض.

(٢) في الكشاف ٢/ ٥٧٧ (والكلام منه): يقود.

(٣) كلمة «أخبر» من (ع)، ولم ترد في (ح) و(يه) وتحرفت في (أ) والمطبوع إلى: آخر.

(٤) روى البخاري (٣٣٥٧) ومسلم (٢٣٧١) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً (واللفظ لمسلم): «لم يكذب إبراهيم النبيُّ عليه السلام قطُّ إلا ثلاثَ كَذَبَات، ثنتَيْن في ذات الله: قولُه: «إني سقيم» وقوله: «بل فعلَه كبيرهم هذا» وواحدةً في شأن سارَة...» وذكرَ الحديث. قال القرطبي ١٤/ ٢٢٤: الأظهر أن قولَ إبراهيم فيما أخبرَ عنه عليه الصلاةُ والسلام كان من المَعَاريض.

وقفَ على «بَلْ فعلَهُ» أي: فعلَهُ مَنْ فعلَهُ، وجعلَ «كبيرُهم هذا» مبتدأً وخبراً، وهو الكسائيّ[(١)]، أو أصلُه: «فَعَلَّهُ» بمعنى «لعلَّه» وخفف اللام ـ وهو الفرَّاء ـ مستدلًّا بقراءة ابن السَّمَيْفع: «فعلَّه» مشدَّد اللام[(٢)]؛ فهُم بُعَدَاءُ عن طريق الفَصاحة.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾أي: إلى عقولهم حين ظَهَرَ لهم ما قال إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام من أنَّ الأصنام التي أهَّلُوها للعبادة ينبغي أن تُسأل وتُستفسر قبلُ، ويحتمل أن يكون «فرجعوا» أي: رجعَ بعضُهم إلى بعض ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾في سؤالكم إبراهيمَ حين سألتمُوه ولم تسألوها. ذكره ابنُ جَرِير[(٣)]، أو حين عبدتُم ما لا ينطق، قاله ابنُ عباس. أو حين لم تحفظوا آلهتَكم، قاله وَهْب، أو في عبادة الأصاغر مع هذا الكبير، قاله وَهْبٌ أيضاً، أو حين أبهتَهم إبراهيمُ والفأسُ في عنق الكبير، قاله مقاتل وابنُ اسحاق، أو الظالمون حقيقةً حيث نسبتُم إبراهيم إلى الظلم في قولكم: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذْ هذه الأصنامُ مستحقَّة لِما فُعل بها[(٤)].

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾أي: ارتبكُوا في ضلالهم وعلمُوا أنَّ الأصنام لا تنطقُ، فساءَهم ذلك حين نبَّه على قيام الحجَّة عليهم، وهي استعارةٌ للذي يرتطم في غَيِّهِ كأنَّه منكوسٌ على رأسه، وهي أقبحُ هيئة للإنسان فكأنَّ عقلَه منكوسٌ، أي: مقلوب لانقلاب شكله وجَعْلِ أعلاهُ أسفلَه، فرُجُوعُهم إلى أنفسهم كنايةٌ عن استقامة فِكْرِهم، ونَكْسُهم كنايةٌ عن مجادلتهم ومكابرتهم.

ويحتمل أن يكون ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ كناية عن تَطَأْطُؤ رؤوسِهم وتنكيسِها إلى الأرض على سبيل الخَجَل والانكسار ممَّا بَهَتَهُمْ به إبراهيمُ من قول الحقِّ ودَمْغِهم به، فلم يُطيقُوا جواباً[(٥)].

و«لقد علمتَ» جوابُ قَسَم محذوف معمولٍ لقولٍ محذوف في موضع الحال،

(١) ذكره عنه الثعلبي ٤/ ٢٤٤، والرازي ٢٢/ ١٨٥، والقرطبي ١٤/ ٢٢٢.
(٢) القراءات الشاذة ص٩٢، والكشاف ٢/ ٥٧٧، والمصدران السالفان.
(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٣٠١، ونقله المصنف عنه بواسطة زاد المسير ٥/ ٣٦٤.
(٤) ينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١٨٦، وزاد المسير ٥/ ٣٦٤.
(٥) بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٧٧، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٨٦.

أي: قائلين: لقد علمتَ ما هؤلاء ينطقون، فكيف تقول لنا فاسألُوهم؟ إنما قصدتَ بذلك توبيخَنا. ويحتمل أن يكون النَّكْسُ للفكرة فيما يُجيبون به.

وقال مجاهد: ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي رَدَّت السَّفِلَةُ على الرؤساء[(١)].

و«عَلِمْتَ» هنا معلَّقة، والجملة المنفيَّة في موضع مفعولي «علمتَ» إن تعدَّت إلى اثنين، أو في موضع مفعول واحد إنْ تعدَّت لواحد.

وقرا أبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلَة وابنُ مِقْسَم وابنُ الجارود والبكراوي كلاهما عن هشام بتشديد كاف «نُكِّسُوا»[(٢)]، وقرأ رضوان بن عبد المعبود: «نَكَسُوا» بتخفيف الكاف مبنياً للفاعل[(٣)]، أي: نَكَسُوا أنفسَهم.

ولما ظهرت الحجَّةُ عليهم أخذَ يقرعُهم ويوبِّخُهم بعبادة تماثيلَ لا تنفع ولا تضرّ، ثم أبدى لهم الضجر منهم ومن معبوداتِهم.

وتقدَّم الخلافُ في قراءة «أُفٍّ» واللغاتُ فيها[(٤)].

واللام في «لكم» لبيان المتأفَّفِ به، أي: لكم ولآلهتِكم هذا التأفُّف[(٥)].

ثم نبَّههم على ما به تُدْرَكُ حقائقُ الأشياء، وهو العقل، فقال: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أي: قُبْحَ ما أنتم عليه، وهو استفهامُ توبيخٍ وإنكار.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

(١) لم أقف عليه، ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ١٣٨.

(٢) ينظر القراءات الشاذة ص٩٢، وزاد المسير ٥/ ٣٦٤. ابن مِقْسم: هو أبو بكر محمد بن الحسن البغدادي، وابنُ الجارود: هو أحمد الدِّينَوَريّ، والبكراويّ: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر. ينظر غاية النهاية ١/ ٤٢ و١٠٨ و٢/ ١٢٣.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٧٧، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٨٦، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٦٤-٣٦٥ عن ابن جُبير وابن يَعْمَر وعاصم الجحدري.

(٤) في الإسراء (٢٣).

(٥) الكشاف ٢/ ٥٧٨.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

ولما نبَّههم على قَبيح مُرتَكَبِهم وغَلَبَهُم بإقامة الحجَّة عليهم لاذُوا بالإيذاء له والغضبِ لآلهتهم، واختارُوا أشدَّ العذاب وهو الإحْراقُ بالنار التي هي سببٌ للإعدام المحض والإتلافِ بالكلِّيَّة، وكذا كلُّ من أُقيمت عليه الحجَّةُ وكانت له قدرةٌ يعدلُ إلى المُناصَبة والإذاية كما كانت قريشٌ تفعلُ مع رسول الله ﷺ؛ حين دمغَهم بالحجَّة وعَجَزُوا عن معارضةِ ما أتاهُم به عَدَلُوا إلى الانتقام وإيثارِ الاغتيال، فعَصَمَه الله.

والظاهرُ أنَّ قولَه: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ أي: قال بعضُهم لبعض، وقيل: أشارَ بإحراقه نُمروذ. وعن ابن عُمر رضي الله عنهما: رجل من أعراب العجم، قال الزمخشريّ[1]: يريد الأكراد.

وقال ابن عطية: رُوِيَ أنه رجلٌ من الأكراد من أعراب فارس، أي باديتِها، فخسفَ اللهُ به الأرضَ، فهو يَتَجلْجَلُ فيها إلى يوم القيامة[2].

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٧٨، والقولان السالفان فيه. وأخرج الطبري ١٦/ ٣٠٥ قول ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظُه: من أعراب فارس.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٨٨، والشطر الأول من الكلام هو بنحو قول ابن عمر كما سلفَ قبله، وأخرجه الطبري أيضاً ١٦/ ٣٠٤-٣٠٥ عن مجاهد، وقوله: فخسف الله به الأرض... الخ أخرجه الطبري ١٦/ ٣٠٥ عن شعيب الجبائي.

وذكروا لهذا القائلِ اسماً مختَلَفاً فيه لا يوقفُ منه على حقيقة لكونه ليس مضبوطاً بالشكل والنَّقْط وهكذا تقع أسماءٌ كثيرةٌ أعجمية في التفاسير لا يمكنُ الوقوفُ منها على حقيقةِ لفظٍ لعدمِ الشكل والنقط، فينبغي اطِّراحُ نقلِها.

ورُوِيَ أنهم حين همُّوا بإحراقِهِ حبَسُوه، ثم بَنَوْا بيتاً كالحظيرة بكُوثَى[(١)].

واختلفُوا في عدَّة حَبْسِهِ وفي عَرْضِ الحظيرةِ وطُولها ومدَّة جمع الحَطَب ومدَّة الإيقاد ومدَّةِ سِنِّهِ إذ ذاك ومدَّة إقامته في النار وكيفيةِ ما صارَتْ أماكنُ النار اختلافاً متعارضاً تركنا ذِكْرَهُ.

واتَّخذُوا منجنيقاً؛ قيل بتعليم إبليس إذْ كانَ لم يُصنع قبلُ فشُدَّ إبراهيمُ رِباطاً ووُضِعَ في كَفَّة المنجنيق ورُميَ به فوَقَعَ في النار. ورُوِيَ أنَّ جبريلَ عليه السلام جاءه وهو في الهواء، فقال: ألك حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا.

وذكر المفسرون أشياءَ صدرت من الوَزَغ والبَغْل والخُطَّاف والضفدع والعَضْرَفُوط[(٢)]؛ اللهُ أعلم بذلك[(٣)].

وعن ابن عباس: إنَّما نَجا بقوله: حسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيل[(٤)].

قيل: وأطلَّ نُمروذ من الصَّرْح فإذا إبراهيمُ في رَوْضَةٍ ومعه جليسٌ له من

---

(١) الكشاف ٢/٥٧٨. وكُوثَى: من أرض بابل في سَوَاد العراق كما في معجم البلدان ٤/٤٨٧، وسيرد ذِكرها.

(٢) هو ذَكَرَ العِظَاء، والعِظَاء جمع عَظايَة، وهي دُوَيْبَّة مثل سامّ أبرص، وجاء في المعجم الوسيط أنها التي تُعرف بالسُّحْلِيَّة. وينظر القاموس (مادتي: عضرفوط - عظي). والخُطَّاف طائر أسود كما في القاموس، وفي المعجم الوسيط: هو السُّنُونُو.

(٣) ينظر عرائس المجالس ص٨٠-٨١. وأخرج البخاري (٣٣٥٩) عن أمّ شريك ﵂ أن رسول الله ﷺ أمَرَ بقتل الوَزَغ، وقال: «كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام». والوَزَغ جمع وَزَغة: سامُّ أبرص.

(٤) الكشاف ٢/٥٧٨. وأخرج البخاري (٤٥٦٣) عن ابن عباس ﵄ قال: حسبنا الله ونعم الوكيلُ قالها إبراهيمُ حين أُلقِيَ في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ وأخرجَ عنه أيضاً (٤٥٦٤) أنه قال: كان آخِرَ قول إبراهيم حين أُلقِيَ في النار: حسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ.

الملائكة، فقال: إني مقرِّبٌ إلى إلهك، فذبحَ أربعةَ آلافِ بقرة، وكفَّ عن إبراهيم، وكان إبراهيمُ إذ ذاك ابنَ ستَّ عشرةَ سنةً[1].

وقد أكثر الناسُ في حكاية ما جَرَى لإبراهيمَ، والذي صحَّ هو ما ذكرَه تعالى من أنه أُلقيَ في النار، فجعلَها اللهُ عليه برداً وسلاماً وخرجَ منها سالماً فكانت أعظمَ آية[2].

والظاهر أنَّ القائل ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ﴾ هو الله تعالى، وقيل: جبريل عليه السلام بأمرِ اللهِ تعالى[3].

وعن ابن عبَّاس: لو لم يَقُلْ: «وسلاماً» لهلكَ إبراهيم من البَرْد[4]، ولو لم يَقُلْ: «على إبراهيم» لمَا أحرقت نارٌ بعدَها ولا اتَّقدت[5]. انتهى.

ومعنى «وسلاماً»: سلامة، وأبعدَ من ذهبَ إلى أنها هنا تحيةٌ من الله[6]، ولو كانت تحيةً لكان الرفعُ أولى بها من النصب، والمعنى: ذات بردٍ وسلام، فبُولغ في ذلك، كأنَّ ذاتَها بردٌ وسلام.

ولمَّا كانت النارُ تنفعل لِما أرادَه اللهُ منها كما ينفعلُ من يعقل عبَّر عن ذلك بالقول لها والنِّداء والأمر.

قال الزمخشريّ: فإن قلتَ: كيف بردت النارُ وهي نار؟

قلتُ: نزعَ اللهُ عنها طبعَها الذي طبعَها عليه من الحَرِّ والإحراق، وأبقاها على الإضاءة والإشراق والاشتعال كما كانت، واللهُ على كلِّ شيء قدير، ويجوزُ أن يدفعَ بقدرته عن جسم إبراهيم أذى[7] حرِّها ويُذيقَه فيها عكسَ ذلك كما يَفعل بخزنة جهنَّم، ويدلُّ عليه قولُه: «على إبراهيم» انتهى.

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٤/٢٢٨-٢٢٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٨٩.
(٣) تفسير الرازي ٢٢/١٨٨.
(٤) تفسير الطبري ١٦/٣٠٦-٣٠٧، والكشاف ٢/٥٧٨، وزاد المسير ٥/٣٦٧، وتفسير القرطبي ١٤/٢٢٨.
(٥) هذا القول في النكت والعيون ٣/ ٤٥٤ وتفسير القرطبي ١٤/٢٢٧ بنحوه من كلام أبي العالية.
(٦) رُوي هذا القول عن الحسن، كما في تفسير الرازي ٢٢/١٨٩.
(٧) في النسخ الخطية والمطبوع: أدنى، والمثبت من الكشاف ٢/٥٧٨، والكلام منه.

ورُويَ أنهم قالوا: هي نارٌ مسحورةٌ لا تُحرق، فرَمَوْا فيها شيخاً منهم فاحترق(١).

﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ قيل: هو إلقاؤه في النار ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ أي: المبالِغين في الخسران، وهو إبطالُ ما رامُوه، جادلُوا إبراهيمَ فجدَلَهم وبَكَّتَهم وأظهرَ لهم أَفْنَ عقولِهم، وتَقَوَّوْا عليه بالأَخْذِ والإلقاء، فخلَّصه الله تعالى.

وقيل: سلَّطَ اللهُ عليهم ما هو من أحقرِ خلقِه وأضعفِه، وهو البعوض، يأكلُ من لحومهم ويشربُ من دمائهم، وسلَّط الله على نمروذ بعوضةً ـ واختُلف في كيفية إذايتِها له وفي مدَّة إقامتها ـ تؤذيه إلى أن ماتَ منها.

والضمير في «ونَجَّيْنَاه» عائدٌ على إبراهيم، وضمنَ معنَى أخْرَجْناه بنجاتِنا إلى الأرض، ولذلك تعدَّى «نجَّيناه» بـ«إلى» ويحتمل أن يكون «إلى» متعلِّقاً بمحذوف، أي: منتهياً إلى الأرضِ، فيكون في موضع الحال، ولا تضمين في «ونجَّيناه» على هذا.

والأرْضُ التي خَرَجَا منها هي كُوْثَى من أرضِ العراق، والأرضُ التي صارَ إليها هي أرضُ الشام، وبركتُها ما فيها من الخِصْبِ والأشجار والأنهار، وبَعْثِ أكثر الأنبياءِ منها. وقيل: مكة، قاله ابنُ عباس، كما قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ الآية [آل عمران: ٩٦] وقيل: أرضُ مصر، وبَرَكتُها نِيلُها وزكاةُ زُروعِها وعِمارةُ مواضِعها(٢).

ورُوِيَ أنَّ إبراهيمَ خرجَ مهاجراً إلى ربِّه ومعه لوط، وكان ابنَ أخيه، فآمَنَتْ به سَارَة، وهي ابنةُ عمِّه، فأخرجَها معه فارّاً بدينِه، وفي هذه الخَرْجَة لَقِيَ الجبَّارَ الذي رامَ أَخْذَها منه، فنزلَ حَرَّانَ ومكثَ زماناً بها(٣).

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٨٩.

(٢) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ١٦/ ٣١٠-٣١٥، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٤٨، والنكت والعيون ٣/ ٤٥٤، والكشاف ٢/ ٥٧٨، وزاد المسير ٥/ ٣٦٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٣٠. قال الطبري: لا خلافَ بين جميع أهل العلم أنَّ هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مُقامُه أيام حياتِهِ، وإن كان قد كان قدم مكة وبَنَى بها البيتَ وأسكنَها إسماعيلَ ابنَهُ مع أمِّه هاجر؛ غير أنه لم يُقم بها ولم يتَّخذها وطناً لنفسه.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٣١٣-٣١٤، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٤٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٨٩.
=

وقيل: سارة ابنةُ ملك حَرَّان، تزوَّجها إبراهيم، وشَرَطَ عليه أبوها أن لا يغيِّرها[١]، والصحيح أنها ابنةُ عمِّه هاران الأكبر[٢].

ثم قدمَ مصرَ، ثم خرجَ منها إلى الشام فنزل السَّبْعَ من أرضِ فلسطين، ونزل لوط بالمؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من السَّبْع أو أقرب، فبعثَه الله نبيًّا[٣].

والنافلة العطيَّة، قاله مجاهد وعطاء، أو الزيادة كالمُتطوّع به، إذْ كان إسحاقُ ثمرةَ دعائه ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] وكان يعقوب زيادةً من غير دعاء، وقيل: النافلة ولد الولد[٤].

فعلى الأول يكون مصدراً كالعاقبة والعافية، وهو من غير لفظ «وَهَبْنا» بل من معناه، وعلى الآخَرَيْن يُراد به يعقوبُ، فينتصب على الحال.

و«كلًّا» يشملُ مَنْ ذُكر: إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب[٥].

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يرشُدون الناسَ إلى الدين، و«أئمَّةً» قُدوةً لغيرهم. ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ﴾ أي: خَصَصْناهم بشرفِ النُّبوَّة لأنَّ الإيحاء هو التنبئة.

قال الزمخشريّ: «فِعْلَ الخيراتِ» أصلُه: أنْ تُفْعَلَ الخَيْراتُ، ثم فِعْلاً الخيراتُ، ثم فِعْلَ الخيراتِ[٦]، وكذلك «إقام الصلاة وإيتاء الزكاة» انتهى.

= وحَرَّان: مدينة على طريق الموصل والشام والروم، قال ياقوت في معجم البلدان ٢/ ٢٣٥: قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم عليه السلام لأنه أول من بناها، فعرِّبت فقيل: حَرَّان.

(١) هو قول السُّدِّيّ كما في تفسير الطبري ١٦/ ٣١٣، وزاد المسير ٥/ ٣٦٨. واستغربه ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٣٤٧ وقال: المشهور أنها ابنة عمّه هاران.

(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٤٧، وقوله: هاران الأكبر ـ وهو عمُّ إبراهيم ـ تمييز عن هاران الأصغر أخي إبراهيم عليه السلام. ينظر الروض الأُنُف ١/ ١٦.

(٣) هو تتمة الخبر المشار إليه قبل تعليقين عند الطبري والثعلبي. والسَّبْع ناحية بين بيت المقدس والكرك فيه سبع آبار، سُمِّي الموضع بذلك، وكان مِلْكاً لعمرو بن العاص أقام به لما اعتزل الناس. معجم البلدان ٣/ ١٨٥.

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٣١٥-٣١٧، والنكت والعيون ٣/ ٤٥٥. وزاد المسير ٥/ ٣٦٨، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٩٠-١٩١.

(٥) في التفاسير السالفة (وغيرها من التي قبل أبي حيَّان): وكلًّا جعلنا صالحين؛ أي: كلًّا من إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

(٦) قوله: أن تُفعل الخيرات... إلخ، قال الشهاب في حاشيته ٦/ ٢٦٤: إنما كان كذلك لأن =

وكأنَّ الزمخشريَّ لمَّا رأى أنَّ فِعْلَ الخيرات وإقامَ الصلاةِ وإيتاءَ الزكاةِ ليس من الأحكام المختصَّة بالمُوحَى إليهم، بل هم وغيرُهم في ذلك مشتركون، بَنَى الفعلَ للمفعول حتى لا يكونَ المصدرُ مضافاً من حيث المعنى إلى ضمير المُوحَى إليهم، فلا يكون التقدير: فِعْلَهم الخيراتِ وإقامَهُم الصلاةَ وإيتاءَهُم الزكاةَ. ولا يلزمُ ذلك، إذِ الفاعلُ مع المصدر محذوف، ويجوزُ أن يكون مضافاً من حيث المعنى إلى ظاهرٍ محذوف يشمل المُوحَى إليهم وغيرَهم، أي: فِعْلَ المكلَّفين الخيراتِ، ويجوزُ أن يكونَ ذلك مضافاً إلى المُوحَى إليهم، أي أن يفعلوا الخيراتِ ويُقيمُوا الصلاةَ ويُؤتوا الزكاةَ، وإذا كانوا هم قد أُوحِيَ إليهم ذلك فأتباعُهم جارُون مجراهم في ذلك، ولا يلزمُ اختصاصُهم به، ثم اعتقادُ بناءِ المصدر للمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعلُه مختلفٌ فيه، أجازَ ذلك الأخفشُ والصحيحُ منعُه، فليس ما اختارَهُ الزمخشريُّ مختاراً.

وقال ابنُ عطيَّة[1]: والإقامُ مصدر، وفي هذا نظر[2]. انتهى.

وأيُّ نظرٍ في هذا وقد نصَّ سيبويهِ[3] على أنه مصدرٌ بمعنى الإقامة وإن كان الأكثرُ الإقامة بالتاء، وهو المقيس في مصدر «أفعل» إذا اعتلَّت عينُه، وحَسَّنَ ذلك هنا أنه قابلَ «وإيتاء» وهو بغير تاء، فتقع الموازنة بين قوله: «وإقامَ الصلاة وإيتاءَ الزكاة».

وقال الزجَّاج: حُذِفَت الهاء من «إقامة» لأنَّ الإضافةَ عِوَضٌ عنها. انتهى.

= كلُّ مصدر ذُكر له معمول فهو بتأويل «أنْ» والفعل، وإذا أُوِّلَ به عَمِلَ عملَه فيُنوَّن ويُذكر معمولُه، ثم يُخَفَّف بحذف التنوين ويُضافُ لمعموله، و«أن تُفْعَلَ» بالبناء للمجهول ورفع «الخيرات»، فالمصدر مصدر المجهول، و«الخيرات» في قوله: «فِعْلاً الخيرات» مرفوعة أيضاً على القيام مقام فاعله. وينظر روح المعاني ١٧/ ١٤٧. وقوله: «ثم فعل الخيرات» من (به) وسقط من النسخ الأخرى، ووقع فيها أيضاً وفي المطبوع بعض تحريف. والكلام في الكشاف ٢/ ٥٧٩.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٩٠.

(٢) قال السمين في الدر المصون ٨/ ١٨٢: يعني ابن عطية بالنظر أن مصدر «أفعل» من الإفعال، فإن كان صحيح العين جاء تاماً كالإكرام، وإن كان معتلَّها حُذف منه إحدى الألفين وعُوِّضَ منه تاء التأنيث، فيقال: إقامة، فلما لم يُقل كذلك جاء فيه النظر المذكور.

(٣) ينظر الكتاب ٤/ ٨٣.

وهذا قولُ الفرَّاء[١]، زعمَ أنَّ تاء التأنيث قد تُحذف للإضافة، وهو مذهبٌ مرجُوح.

ولمّا ذكرَ تعالى ما أنعمَ به على إبراهيمَ ذكرَ ما أنعمَ به على من هاجَرَ معه فارًّا بدينِه، وهو لوطٌ ابنُ أخيه.

وانتصب «ولوطاً» على الاشتغال. والحُكْم الذي أوتِيَهُ النبوَّةُ، وقيل: حُسنُ الفَصْلِ بين الخصوم في القضاء، وقيل: حِفظُ صحفِ إبراهيم[٢].

ولمَّا ذَكَرَ الحُكمَ ذَكَرَ ما يكون به، وهو العلمُ.

و«القرية» سَدُوم، وكانت قُراهُم سبعاً، عُبِّر عنها بالواحدة لاتّفاق أهلِها على الفاحشة، وكانت من كُورة فلسطين إلى حَدِّ الشَّرَاة[٣] إلى حَدِّ نَجْد بالحجاز، قلبَ منها تعالى سِتًّا، وأبقَى منها زُغَرَ، لأنها كانت محلَّ لوطٍ وأهلِه ومَنْ آمنَ به، أي: ونجَّيناه من أهل القرية، أي: خَلَّصْناه منهم أو من العذاب الذي حلَّ بهم، ونُسِبَ عملُ الخبائثِ إلى القرية مجازاً، وهو لأهلها.

وانتصبَ «الخبائث» على معنى: تعملُ الأعمالَ أو الفَعَلاتِ الخبيثة، وهي ما ذكرَه تعالى في غير هذه السورة مضافاً إلى كفرهم بالله وتكذيبهم نبيَّه، وقوله: «إنهم» يدلُّ على أن التقدير: من أهل القرية.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي: في أهل رحمتنا، أو في الجنَّة، سمَّاها رحمة إذْ كانت أثرَ الرحمة.

ولمَّا ذكرَ تعالى قصةَ إبراهيم ـ وهو أبو العرب ـ وتنجيتَه من أعدائه ذكرَ قصةَ أبي العالم الإنسيِّ كلِّهم، وهو الأبُ الثاني لآدم[٤] لأنه ليس أحدٌ إلا من نَسْلِه، من سام وحام ويافث[٥].

---

(١) معاني القرآن له ٢/ ٢٥٤، وقول الزجَّاج السالف في معانيه ٣/ ٣٩٨.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٣١٨، والنكت والعيون ٣/ ٤٥٥، وزاد المسير ٥/ ٣٦٩، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٩٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٣١. ولم أقف على القول الأخير.

(٣) هو صُقْعٌ بالشام بين دمشق ومدينة رسول الله ﷺ. ينظر معجم البلدان ٣/ ٣٣٢.

(٤) كذا في النسخ والمطبوع، وهو تحريف، ولعل الصواب: كآدم، وسلف في تفسير آل عمران (٣٣) والأعراف (٥٩) وهود (٤٨) أن نوحاً سمي آدم الأصغر على قول بعض المفسرين.

(٥) ينظر كلام المصنف في الموضع المشار إليه في التعليق السالف.

وانتصبَ «نوحاً» على إضمار «اذْكُرْ» أي: واذْكُرْ نوحاً، أي: قصَّته إذْ نادَى. ومعنى «نادَى»: دَعَا مُجملاً بقوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠] مُفصَّلاً بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[١] [نوح: ٢٦].

و«الكَرْب» أقصى الغمّ والأخذُ بالنَّفْس، وهو هنا الغَرَق، عُبِّر عنه بأوَّل أحوالِ ما يأخذُ الغريقَ، وغرقتُ في بحر النِّيل ووصلتُ إلى قَرَار الأرض، ولحقَني من الغمِّ والكَرْبِ ما أدركتُ أنَّ نَفْسي صارَتْ أصغرَ من البعوضة، وهو أولُ أحوالِ مجيء الموت.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ عدَّاه بـ «مِنْ» لتضمُّنه معنى: نجَّيْناه بنَصْرِنا من القوم، أو: عَصَمْناه ومَنَعْنَاه، أي: من مكروهِ القوم[٢]، كقوله[٣]: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩].

وقال الزمخشريّ[٤]: هو «نَصَرَ» الذي مطاوعُه «انتصرَ»، وسمعتُ هُذليًّا يدعُو على سارق: اللهمَّ انْصُرْهُم منه، أي: اجْعَلْهُم منتصرين منه. وهذا معنًى في «نَصَرَ» غير المتبادِر إلى الذِّهْن.

وقال أبو عبيدة: «مِنْ» بمعنى «على»[٥] أي: ونَصَرْناه على القوم.

﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ أي: أهلكناهم بالغَرَق، و«أجمعين» توكيد للضمير المنصوب، قد كثُر التوكيد بـ «أجمعين» غير تابع لـ «كلّهم» في القرآن، فكان ذلك حُجَّةً على ابن مالك في زعمِه أنَّ التأكيد بـ «أجمعين» قليل، وأنَّ الكثير استعماله تابعاً لـ «كلّهم»[٦].

---

(١) بنحوه في تفسير الرازي ٢٢/١٩٣.
(٢) هو قول المبرِّد، نقله عنه الرازي في تفسيره ٢٢/ ١٩٤.
(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: لقوله. وهو تحريف. وينظر المصدر السالف.
(٤) الكشاف ٦/ ٥٧٩.
(٥) نقله الرازي في تفسيره ٢/ ١٩٤ عن أبي عبيدة، ولم أقف عليه في مجازه، وذكرَ ابنُ قُتيبة هذا المعنى في تأويل مشكل القرآن ص٤٣٢.
(٦) لم أقف على ما نَسبَهُ المصنِّف لابن مالك، وذكرَ في الارتشاف ٤/ ١٩٥٢ كما ذكرَ هنا أنه كثُر ورودُ «أجمعين» في القرآن دون «كل»، ثم قال: فهو يؤكد كما يؤكد بـ «كلّ»، وليس من باب الاستغناء به عن «كل» كما زعم ابنُ مالك. وينظر شرح التسهيل ٣/ ١٧٥.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾ عطفٌ على «ونوحاً»؛ قال الزمخشريّ: و«إذْ» بدل منهما. انتهى.

والأجودُ أن يكونَ التقدير: واذْكُرْ داودَ وسليمانَ، أي: قصَّتَهما وحالَهما إذْ يَحْكُمانِ، وجعلَ ابنُ عطية[1] «وداودَ وسليمانَ» معطوفَين على قوله: «ونوحاً»، «ونوحاً» معطوفاً على «ولوطاً»، فيكون ذلك مشتركاً في العامل الذي هو «آتينا» المقدَّرة الناصبة لـ «لوط» المفسَّرة بـ «آتَيْنا»، فالتقدير: وآتينا نوحاً وداودَ وسليمانَ، أي: آتيناهم حُكْماً وعِلْماً، ولا يبعدُ ذلك، وتقدير «اذْكُرْ» قاله جماعة.

وكان داود مَلِكاً نبيًّا يحكمُ بين الناس، فوقعت هذه النازلة، وكان ابنُه إذ ذاك قد كَبِرَ، وكان يجلسُ على الباب الذي يخرجُ منه الخصوم، وكانوا يدخلون إلى داود من باب آخر، فتخاصمَ إليه رجل له زرعٌ - وقيل: كَرْم، والحَرْثُ يقال فيهما، وهو في الزرع أكثرُ وأبعدُ عن الاستعارة - دخلَتْ حَرْثَهُ غنمُ رجلٍ فأفسدت عليه[2]، فرأى داودُ دَفْعَها إلى صاحب الحَرْث، فعَلَى أنه كرمٌ رأى أنَّ الغنمَ تُقاوم ما أفسدَتْ من الغَلَّة، وعلى أنه زرعٌ رأى أنها تُقاوم الحَرْثَ والغَلَّة[3]، فخرجا على سليمان، فشكا صاحبُ الغنم، فجاء سليمانُ فقال: يا نبيَّ الله، إني أرى ما هو أرفقُ بالجميع: أن يأخذَ صاحبُ الغنم الحَرْثَ يقومُ عليه ويُصلحُه حتى يعودَ كما كان، ويأخذَ صاحبُ الحَرْث الغنمَ في تلك المدَّة ينتفعُ بمرافقها من لبنٍ وصوف ونَسْلٍ، فإذا عادَ الحَرْثُ إلى حاله صَرَفَ كلٌّ مالَ صاحِبه إليه، فرجعتِ الغنمُ إلى ربِّها والحَرْثُ إلى ربِّه. فقال داود: وُفِّقْتَ يا بنيّ. وقَضَى بينهما بذلك.

والظاهر أنَّ كلًّا من داودَ وسليمانَ حكمَ بما ظهرَ له وهو متوجِّهٌ عنده، فحُكْمُهما باجتهادٍ، وهو قولُ الجمهور، واستُدلَّ بهذه الآية على جواز الاجتهاد.

وقيل: حَكَمَ كلٌّ واحدٍ منهما بوَحْيٍ من الله، ونُسخ حُكْمُ داودَ بحكم سليمان،

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٩٠. وكلامُ الزمخشريّ السالف في الكشاف ٢/ ٥٧٩.
(٢) كذا في النسخ الخطية والمحرر الوجيز، ولعلَّ اللفظة: غلَّتَهُ، بقرينة الكلام الآتي بعده.
(٣) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٩١، وليس الكلام فيه بخصوص كرمٍ يُقاوم غَلَّة أو زرع يقاوم حَرْثاً وغَلَّة كما ذكر المصنف، فينظر الكلام فيه، والله أعلم. وينظر أيضاً تفسير الطبري ١٦/ ٣٢٢-٣٢٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٣٤، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٩٥.

وأنَّ معنى «ففهَّمناها سليمانَ» أي: فهَّمناه القَضاءَ الفاصلَ الناسخَ الذي أرادَ اللهُ أن يستقرَّ في النازلة[١].

وقرأ عكرمة: «فأفْهَمْناها»[٢] عُدِّيَ بالهمزة كما عُدِّيَ في قراءة الجمهور بالتضعيف.

والضمير في «ففَهَّمْناها» للحكومة، أو الفتوى، والضمير في «لحُكمهم» عائدٌ على الحاكمين والمحكوم لهما وعليهما.

وليس المصدر هنا مضافاً لا إلى فاعل ولا مفعول، ولا هو عاملٌ في التقدير، فلا ينحلُّ لحرفٍ مصدريّ والفعل، بل هو مِثْلُ: له ذَكاءٌ ذكاءَ الحكماء، وذِهْنٌ ذِهْنَ الأذكياء، وكأنَّ المعنى: وكنَّا للحُكم الذي صدرَ في هذه القضية شاهِدِين، فالمصدرُ هنا لا يُراد به العلاج، بل يُرادُ به وجودُ الحقيقة.

وقرأ: «لحُكْمِهما» ابنُ عبَّاس[٣]، فالضميرُ لداود وسليمان.

ومعنى «شاهدين»: لا يخفَى علينا منه شيء ولا يغيب.

قال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: ما وَجْهُ كلٍّ واحدة من الحكومتين؟

قلتُ: أمَّا وَجْهُ حكومةِ داودَ فلأنَّ الضَّرَرَ لمَّا وقعَ بالغنم سُلِّمَتْ بجنايتها إلى المجنيِّ عليه، كما قال أبو حنيفة في العبد إذا جَنَى على النَّفس: يدفعُه المَوْلَى بذلك أو يَفْدِيه، وعند الشافعيّ: يبيعُه في ذلك أو يفديه، ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النُّقصان في الحَرْث[٤]، ووَجْهُ حكومةِ سليمان أنه جعلَ الانتفاعَ بالغنم بإزاء ما فاتَ من الانتفاع بالحرث من غيرِ أن يزولَ مِلْكُ المالك عن الغنم، وأوجبَ على صاحب الغنم أن يعملَ في الحرث حتى يزولَ الضرر والنقصان.

فإن قلتَ: فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا، ما حكمُها؟

---

(١) هو قول ابن فُورك نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٩١.

(٢) القراءات الشاذة ص٩٢، وهي في الكشاف ٢/ ٥٧٩ دون نسبة.

(٣) زاد ابنُ الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٧١ نسبتَها لابنِ مسعود وابن أبي عَبْلَة، وهي في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٨، والكشاف ٢/ ٥٧٩ دون نسبة.

(٤) قاله الكلبي والنحاس كما في تفسير القرطبي ١٤/ ٢٣٥.

قلتُ: أبو حنيفة وأصحابُه لا يرون فيه ضماناً بالليل والنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائقٌ أو قائدٌ، والشافعيُ يُوجب الضمان [بالليل][١]. انتهى.

والظاهر أنَّ كلًّا من الحُكْمَيْنِ صوابٌ لقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٢].

والظاهر أن «يُسَبِّحْنَ» جملة حاليَّة من الجبال، أي: مُسَبِّحاتٍ، وقيل: استئناف، كأنَّ قائلاً قال: كيف سخَّرهنَّ؟ فقال: يُسَبِّحْنَ.

قيل: كان يمرُّ بالجبال مُسَبِّحاً وهي تُجاوِبُه[٣].

وقيل: كانت تسيرُ معه حيث سار[٤].

والظاهرُ وقوعُ التسبيح منها بالنُّطق؛ خلقَ الله فيها الكلام كما سبَّح الحَصَى في كفِّ رسول الله ﷺ وسَمِعَ الناسُ ذلك، وكان داودُ وحدَه يسمعُه. قاله يحيى بنُ سلام[٥]، وقيل: كلُّ أحد؛ وقال قتادة: «يُسَبِّحْنَ» يصلِّين[٦]، وقيل: يَسِرْنَ من السِّباحة[٧].

وقال الزمخشريّ[٨]: كما خلقَه ـ يعني الكلام ـ في الشجرة حين كلَّم موسى. انتهى. وهو قول المعتزلة، ينفُون صفة الكلام حقيقةً عن الله تعالى[٩].

---

(١) ما بين حاصرتين من الكشاف ٢/ ٥٧٩ والكلام منه، وينظر تفسير الرازي ٢٢/ ١٩٩.
(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٥٨٠، وتفسير الرازي ٢٢/ ١٩٨-١٩٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٨٠، والكلام السالف فيه. ونُسب القول في تفسير الثعلبي ٤/ ٢٥٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٢ لوهب، وهو بنحوه في زاد المسير ٥/ ٣٧٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٨٠، وهو بنحوه في النكت والعيون ٣/ ٤٦٠ عن ابن عيسى ـ وهو أبو الحسن علي الرُّماني النحوي المعتزلي ـ وذكره الرازي ٢٢/ ١٩٩-٢٠٠ أيضاً عن المعتزلة، وردَّه الآلوسي كما سأذكر.
(٥) النكت والعيون ٣/ ٤٦٠.
(٦) تفسير الطبري ١٦/ ٣٢٨، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٥٠، والنكت والعيون ٣/ ٤٦٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٢.
(٧) هو تكرار لقول ابن عيسى المشار إليه قبل تعليقين، وذكر الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ١٥٨ أن هذا القول تُعقِّبَ بمخالفته للظاهر، وقال: هذا المعنى لم يذكره أهل اللغة، ولا جاء في آية أخرى أو خبرٍ سيرُ الجبال معه عليه السلام.
(٨) الكشاف ٢/ ٥٨٠.
(٩) في (ح) و(يه): ينفون حقيقة الكلام عن الله تعالى.

وقيل: إسنادُ التسبيح إليهنَّ مجازٌ، لمَّا كانت تسير بتسيير الله حمَلَتْ من رآها على التسبيح فأُسند إليها[١]. والأكثرون على أنَّ تسبيحَهُنَّ هو قولُ: سبحان الله.

وانتصب «والطَّيْرَ» عطفاً على «الجبال» ولا يلزم من العطف دخولُه في قيد التسبيح، وقيل: هو مفعول معه، أي: يُسَبِّحْنَ مع الطير.

وقرئ: «والطَّيْرُ» مرفوعاً على الابتداء، والخبرُ محذوف، أي: مسخَّرٌ، لدلالة «سَخَّرْنا» عليه، أو [عطفاً] على الضمير المرفوع في «يُسَبِّحْنَ» على مذهب الكوفيين[٢]، وهو توجيه قراءة شاذة.

وقال الزمخشريّ: فإن قلتَ: لِمَ قُدِّمت الجبالُ على الطير؟

قلت: لأنَّ تسخيرَها وتسبيحَها أعجبُ وأَدَلُّ على القدرة، وأَدْخَلُ في الإعجاز لأنها جماد، والطيرُ حيوانٌ ناطقٌ. انتهى[٣].

وقوله: «ناطق» إنْ عَنَى به أنه ذو نَفْسٍ ناطقة كما يقولون في حدِّ الإنسان أنه حيوانٌ ناطق، فيلزمُ أن يكون الطيرُ إنساناً، وإنْ عَنَى أنه متكلِّم كما يتكلَّم الإنسان فليس بصحيح، وإنما عَنَى به مُصَوِّت، أي: له صوتٌ. ووصفُ الطير بالنطق مجازٌ لأنها في الحقيقة لا نُطقَ لها.

وقوله: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي: فاعلين هذه الأعاجيبَ من تسخيرِ الجبال وتسبيحهنَّ والطيرِ لمن نختصُّهُ بكرامتنا.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ اللَّبُوسُ: الملبُوس، فَعُول بمعنى مفعول، كالرَّكُوب بمعنى المَرْكوب، وهو الدِّرْعُ هنا، واللَّبُوس ما يُلْبَسُ. قال الشاعر:

عليها أُسُودٌ ضارِياتٌ لَبُوسُهُمْ سَوَابِغُ بِيضٌ لا يُخَرِّقُها النَّبْلُ[٤]

---

(١) بنحوه في المصدر السالف، وقد غمزَ الآلوسي بهذا القول في روح المعاني وقال: وهو كما ترى!

(٢) الإملاء ٢/ ١٣٥، ولفظة «عطفاً» بين حاصرتين زيادة من أجل السياق.

(٣) في مطبوع الكشاف ٢/ ٥٨٠: والطير حيوانٌ إلا أنه غير ناطق. وهو تغيير لكلام مؤلِّفِه الزمخشريّ.

(٤) البيت لزهير بن أبي سُلمى، وهو في ديوانه ص١٠٣.

قال قتادة: كانت صفائحَ، فأوَّلُ من سَرَدَها وحَلَّقَها داود، فجمعت الخِفَّةَ والتَّحصين[١].

وقيل: اللَّبُوسُ كلُّ آلةِ السِّلاح من سيفٍ ورُمْح ودِرْع وبَيْضَة وما يجري مَجرى ذلك، وداود أوَّلُ من صنعَ الدُّروعَ التي تُسمَّى الزَّرْد.

قيل: نزل ملكانِ من السماء، فمرَّا بداودَ، فقال أحدهما للآخر: نِعْمَ الرجلُ إلا أنه يأكلُ من بيت المال. فسألَ اللهَ أن يرزقَه من كَسْبِهِ، فألانَ له الحديدَ، فصنعَ منه الدُّروعَ[٢].

امتنَّ تعالى عليه بإيتائه حُكْماً وعِلْماً وتسخيرِ الجبال والطيرِ معه وتعليمِ صَنْعةِ اللَّبُوس، وفي ذلك فَضْلُ هذه الصَّنْعة إذ أسْنَدَ تعليمَها إيَّاه إليه تعالى.

ثم امتنَّ علينا بها بقوله: ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي: ليكون وقايةً لكم في حربكم، وسببَ نجاةٍ من عدوِّكم.

وقُرئ: «لُبُوس» بضم اللام[٣]، والجمهور بفتحها.

وقرأ الجمهور: «لِيُحْصِنَكُم» بياء الغيبة، أي: الله، فيكون التفاتاً، إذْ جاء بعد ضمير متكلِّم في «وعَلَّمْناه»، ويدلُّ عليه قراءةُ أبي بكر عن عاصم بالنون، وهي قراءة أبي حنيفة ومسعود بن صالح ورُوَيْس والجُعفيّ وهارون ويونس والمِنْقَرِيّ، كلُّهم عن أبي عَمرو «ليحصنكم»[٤] داود، أو اللَّبوس، قيل: أو التعليم[٥].

(١) ينظر تفسير كل من الطبري ١٦/ ٣٢٩، والثعلبي ٤/ ٢٥٠، والكشاف ٢/ ٥٨٠، وزاد المسير ٥/ ٣٧٣، والقرطبي ١٤/ ٣٥٣.

(٢) بنحوه في تفسير أبي الليث السمرقندي ٢/ ٣٧٤.

(٣) زاد المسير ٥/ ٣٧٣ عن أبي المتوكّل وابن السميفع.

(٤) لم يتبيَّن لي الكلام، والظاهر أنَّ في الكلام سقطاً. وقد قرأ نافع وابنُ كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: «لِيُحصنكم» بالياء، وقرأ أبو بكر عن عاصم ورُويس عن يعقوب: «لنُحصنكم» بالنون، والباقون بالتاء كما سيرد. وينظر السبعة ص٤٣٠، والتيسير ص١٥٥، وزاد المسير ٥/ ٣٧٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٥) ينظر الكشاف ٢/ ٥٨٠، وزاد المسير ٥/ ٣٧٤، والإملاء ٢/ ١٣٥.

وقرأ ابنُ عامر وحفص والحسن وسلَّام وأبو جعفر وشيبة وزيد بنُ علي بالتاء، أي: لتُحْصِنَكم الصَّنعَةُ، أو اللَّبوس على معنى الدِّرْع، ودِرْعُ الحديد مؤنَّثة، وكلُّ هذه القراءات الثلاث بإسكان الحاء والتخفيف.

وقرأ الفُقَيْميّ عن أبي عَمرو وابنُ أبي حمَّاد عن أبي بكر بالياء من تحت وفتح الحاء وتشديد الصاد، وابنُ وثَّاب والأعمش بالتاء من فوق والتشديد[(١)].

واللام في «لكم» يجوزُ أن تكون للتعليل فتتعلَّق بـ «علَّمناه» أي: لأجْلِكم، وتكون «لتُحْصِنكُم» في موضع بدل أُعِيدَ معه لامُ الجَرّ[(٢)]، إذِ الفعلُ منصوب بإضمار «أنْ» فتتقدَّر بمصدر، أي: لكم لإحْصانِكُم من بأسكم.

ويجوز أن تكون «لكم» صفة لـ «لَبُوس» فتتعلَّق بمحذوف، أي: كائنٍ لكم، واحتمل أن يكون «لتحصنكم» تعليلاً للتعليم فيتعلَّق بـ «عَلَّمْناه» وأن يكون تعليلاً للكون المحذوف المتعلِّق به «لكم».

﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ استفهام يتضمَّن الأمرَ، أي: اشكُروا اللهَ على ما أنعمَ به عليكم، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي: انتهُوا عمَّا حَرَّمَ الله.

ولمَّا ذكرَ تعالى ما خَصَّ به نبيَّه داودَ عليه السلام ذكرَ ما خَصَّ به ابنَه سليمانَ عليه السلام، فقال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ وجاء التركيب هنا حين ذكرَ تسخيرَ الرِّيح لسليمان باللام، وحين ذكرَ تسخيرَ الجبال جاء بلفظ «مَعْ»، فقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ﴾ وكذا جاء ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]. وقال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ [ص: ٣٦]، وذلك أنه لمَّا اشتركا في التسبيح ناسبَ ذِكرُ «مَعْ» الدَّالةِ على الاصطحاب، ولمَّا كانت الرِّيحُ مستخدَمةً لسليمان أُضيفت إليه بلام التمليك لأنها في طاعته وتحتَ أمره[(٣)].

وقرأ الجمهور: «الرِّيحَ» مفرداً بالنصب، وقرأ ابنُ هُرْمُز وأبو بكر في رواية

(١) ينظر زاد المسير ٥/ ٣٧٣.

(٢) كقوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف: ٣٣] وهو بدل اشتمال. قاله السمين في الدر المصون ٨/ ١٨٦.

(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٢٢/ ٢٠١.

بالرفع مفرداً[١]، وقرأ الحسن وأبو رجاء: «الرِّياحَ» بالجمع والنصب[٢]، وقرأ بالجمع والرفع أبو حَيْوَة، فالنصبُ على إضمار: سَخَّرْنا، والرفعُ على الابتداء.

و«عاصفةً» حال؛ العاملُ فيها «سَخَّرْنَا» في قراءة من نصبَ «الرِّيح»، وما يتعلَّقُ به الجارُّ في قراءةِ مَن رفع[٣].

ويقال: عصفتِ الرِّيحُ فهي عاصف وعاصفة، ولغة أسد: أعْصَفَت، فهي مُعْصِف ومُعْصِفة.

ووُصفت هذه الرِّيحُ بالعَصْف وبالرُّخاء[٤]، والعَصْفُ الشدَّةُ في السَّير، والرُّخاءُ اللِّين، فقيل كان ذلك بالنسبة إلى الوقت الذي يريد فيه سليمان أحدَ الوصفين، فلم يتَّحد الزمان.

وقيل: الجمعُ بين الوصفين كونُها رُخاءً في نفسها طيبةً كالنَّسيم، عاصفةً في عملها تبعد في مدة يسيرة كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[٥] [سبأ: ١٢].

وقيل: الرُّخاء في البُداءة، والعَصْفُ بعد ذلك في القُفول[٦] على عادة البشر في الإسراع إلى الوطن، وهذا القولُ راجعٌ إلى اختلاف الزمان، وجَرْيُها بأمرِه طاعتُها له على حسب ما يريدُ ويأمر.

والأرضُ أرضُ الشام، وكانت مسكنَهُ ومقرَّ مُلْكِه[٧]، وقيل: أرضُ فلسطين، وقيل: بيتُ المقدس.

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٣٣٢، والقراءات الشاذة ص٩٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٥. ابنُ هُرْمُز: هو عبد الرحمن الأعرج. وقراءة أبي بكر (وهو شعبة) المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

(٢) ينظر زاد المسير ٥/ ٣٧٤، وقرأ بالجمع والنصب أيضاً أبو جعفر من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٢٢٣ و٣٢٤.

(٣) والتقدير: استقرَّ لسليمانَ الريحُ عاصفةً. ينظر الدُّرُّ المصون ٨/ ١٨٨.

(٤) قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

(٥) بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٨٠.

(٦) تحرفت اللفظة في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: التقول. والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٩٣.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٩٣، وبنحوه في تفسير الطبري ١٦/ ٣٣١، وزاد المسير ٥/ ٣٧٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٥.

قال الكلبيّ: كان يركبُ عليها من إصْطَخْر إلى الشام[١].

وقيل: ويحتمل أن تكون الأرض التي يسيرُ إليها سليمان كائنةً ما كانت، ووُصِفَت بالبركة لأنه إذا حَلَّ أرضاً أصلَحَها بقتلِ كفَّارِها وإثباتِ الإيمانِ فيها وبثِّ العدل، ولا بركةَ أعظمُ من هذا[٢].

والظاهرُ أنَّ «التي بارَكْنَا» صفة للأرض، وقال القاضي منذر بن سعيد: الكلام تامٌّ عند قوله: «إلى الأرض»، و«التي بارَكْنَا فيها» صفة للرِّيح، ففي الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، يعني أنَّ أصلَ التركيب: ولسليمانَ الرِّيحَ التي بارَكْنا فيها عاصفةً تجري بأمره إلى الأرض[٣].

وعن وَهْب: كانَ سليمانُ إذا خرجَ إلى مجلسه عكفَتْ عليه الطيرُ وقام له الجنُّ والإنسُ حتى يجلسَ على سريرِه، وكان لا يقعدُ عن الغَزْو، فيأمرَ بخُشُب فيُمَدُّ و[يحملُ][٤] الناس عليه والدوابّ وآلة الحرب، ثم يأمرُ العاصفَ فتُقِلُّه، ثم يأمرُ الرُّخاءَ فتَمرُّ به شهراً في رَوَاحِهِ وشهراً في غُدُوِّه.

وعن مقاتل: نسجَتْ له الشياطينُ بساطاً ذهباً في إبْرَيْسَم[٥] فَرْسَخاً في فَرْسَخ، ووَضعَتْ له في وسطه منبراً من ذهب يقعدُ عليه وحولَه كراسيُّ من ذهب يقعدُ عليها الأنبياء، وكراسيُّ من فضَّة يقعدُ عليها العلماء، وحولَهم الناسُ، وحولَ الناس الجنُّ والشياطينُ، والطيرُ تُظِلُّهُ من الشمس، وترفعُ ريحُ الصَّبا البساطَ مسيرةَ شهر من الصَّباح إلى الرَّواح، ومن الرَّواح إلى الصَّباح[٦].

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/ ٢٠١.
(٢) بعده في المحرر الوجيز ٤/ ٩٤ (والكلام منه): فكأنه قال: إلى أيِّ أرضٍ بارَكْنَا فيها بَعَثْنَا سليمانَ إليها.
(٣) قول منذر بن سعيد في المحرر الوجيز ٤/ ٩٣، قال السمين في الدّرّ ٨/ ١٨٨: وهو تعسُّف. واستبعدَه الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ١٦٢ وقال: لا يخفى أنه لا ينبغي أن يُحملَ كلامُ الله تعالى العزيز على مثل ذلك، وكلامُ أدنى البلغاء يجلُّ عنه.
(٤) ما بين حاصرتين زيادة مستفادة من تفسير الطبري ١٦/ ٣٣١، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٥١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٥، وقول وهب فيها.
(٥) هو أحسن الحرير، معرَّب.
(٦) تفسير البغوي ٣/ ٢٥٥. وذكره الثعلبي ٤/ ٤٨٠ في تفسير سورة النمل (١٧).

وقد أكثر الأخباريُّون في مُلك سليمان، ولا ينبغي أن يُعتمد إلا على ما قصَّه الله في كتابِه وفي حديثِ رسولِ الله ﷺ.

ولما كانت هذه الاختصاصاتُ في غاية الغَرابة من المعهود أخبرَ تعالى أنَّ عِلمه محيطٌ بالأشياء يُجْرِيها على ما سبق به علمُه.

ولمَّا ذكرَ تعالى تسخيرَ الرِّيح له وهي جسم شفافٌ لا يعقل وهي لا تُدرَكُ بالبصر ذكر تسخيرَ الشياطين له وهم أجسامٌ لطيفةٌ تعقلُ، والجامعُ بينَهما أيضاً سرعةُ الانتقال، ألا ترى إلى قوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩].

و«من» في موضع نصب، أي: وسَخَّرْنا من الشياطينِ مَنْ يغوصُون، أو في موضع رفع على الابتداء، والخبرُ في الجارّ والمجرور قبلَه.

والظاهر أنَّ «مَنْ» موصولة، وقال أبو البقاء: هي نكرة موصوفة[1]، وجُمع الضمير في «يَغُوصُون» حملاً على معنى «مَنْ»، وحَسَّنَ ذلك تقدُّم جمعٍ قبلَه كما قال الشاعر:

وإنَّ من النِّسْوَانِ مَنْ هي رَوْضَةٌ تَهِيجُ الرِّياضُ قبلَها وتَصَوَّحُ[2]

لمَّا تقدَّم لفظُ النِّسوان حمل على معنى «مَنْ» فأنَّث، ولم يقل: من هو روضة.

والمعنى: يغوصون له في البحر لاستخراجِ اللآلئ، ودلَّ الغَوْصُ على المُغاص فيه، وعلى ما يُغاصُ لاستخراجه، وهو الجوهر، فلذلك لم يُذْكَرا.

وقال: «له» أي: لسليمان، لأن الغائصَ قد يغوصُ لنفسه ولغيرِه، فذكر أنَّ الغَوْص ليس لأنفسهم إنَّما هو لأجلِ سليمانَ وامتثالِهم أمرَه.

---

(١) الإملاء ٢/ ١٣٦.

(٢) البيت لجِران العَوْد، وهو بهذه الرواية في السفر الثاني من المخصَّص ص١٣١، وشرح التسهيل ٢/ ٢٣٣ (وسقط من مطبوعه كلمة الرياض) واللسان وتاج العروس (صرقح).
ورواية ديوان جِران ص٤٤:
ولَسْنَ بأسواءٍ فمنهنَّ روضةٌ تهيجُ الرياضُ غيرها لا تَصَوَّحُ
قوله: تَصَوَّحُ، أي: تتصوَّحُ (بحذف التاء الثانية) أي: تيبس حتى تتشقَّق.

والإشارةُ بـ «ذلك» إلى الغَوْص، أي: دون الغَوْص من بناءِ المدائنِ والقصور كما قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ الآية [سبأ: ١٣].

وقيل: الحمَّامُ والنُّورَةُ والطاحونُ والقوارير والصابون من استخراجهم[(١)].

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ أي: من أن يَزِيغُوا عن أمرِه أو يُبَدِّلُوا أو يُغيِّرُوا، أو يُوجدَ منهم فسادٌ فيما هم مسخَّرُون فيه.

وقيل: حافظين أن يَهِيجُوا أحداً في زمان سليمان. وقيل: حافظين حتى لا يَهْرُبُوا[(٢)].

قيل: سُخِّرَ الكفارُ دون المؤمنين، ويدلُّ عليه إطلاقُ لفظ «الشياطين» وقولُه: «حافظين»، والمؤمنُ إذا سُخِّر في أمرٍ لا يحتاجُ إلى حفظ، لأنه لا يُفْسِدُ ما عملَ.

وتسخيرُ أكثفِ الأجسام لداودَ، وهو الحَجَرُ إذْ أنطقَه الله بالتسبيح، والحديدُ إذ جعلَ في أصابعه قوَّةَ النارِ حتى لانَ له الحديدُ وعَمِلَ منه الزَّرْدَ، وتسخيرُ ألطفِ الأجسامِ لسليمانَ وهو الريحُ والشياطينُ وهم من نار، وكانوا يغوصون في الماء، والماءُ يُطفئُ النارَ فلا يضرُّهم = دليلٌ واضحٌ على باهرِ قدرتِهِ وإظهارِ الضدِّ من الضدِّ، وإمكانِ إحياءِ العظم الرَّميم، وجعلِ الترابِ اليابسِ حيواناً، فإذا أخبرَ به الصادقُ وجَبَ قبولُه واعتقادُ وُجودِهِ[(٣)].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ

(١) تفسير القرطبي ١٤/٢٥٦، وبنحوه في تفسير الرازي ٢٢/٢٠٢. وهذا القول من الخُرافات، فمن المعلوم أن هذه الأشياء صنعَها الإنسان قديماً. والنُّورة ـ كما في المعجم الوسيط ـ أخلاطٌ من أملاح الكالسيوم والباريوم تُستعمل لإزالة الشعر.

(٢) المصدران السالفان.

(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٢٢/٢٠٣.

وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾﴾.

طوَّلَ الأخباريُّون في قصة أيوب، وكان أيوبُ روميًّا من ولدِ إسحاقَ بنِ يعقوب، استنبأه الله، وبسطَ عليه الدُّنيا، وكَثَّرَ أهلَه ومالَه، وكان له سبعةُ بنينَ وسبعُ بنات، وله أصنافُ البهائم، وخمسُ مئة فدَّان يتبعُها خمسُ مئة عبد، لكلِّ عبدٍ امرأةٌ وولدٌ ونخيل، فابتلاه الله بذهابِ ولدِه، انهدمَ عليهم البيت فهَلَكُوا، وبذهابِ مالِه، وبالمرضِ في بدنِه ثمان عشرة سنة. وقيل دون ذلك.

فقالت له امرأته يوماً: لو دعَوْتَ الله! فقال لها: كم كانت مدَّةُ الرَّخاء؟ فقالت: ثمانين سنة. فقال: أنا أستحي من الله أن أدعوَهُ وما بلغَتْ مدَّةُ بلائي مدَّة رخائي. فلمَّا كشفَ اللهُ عنه أحيا ولدَه ورزَقَه مِثْلَهم ونوافلَ منهم(١).

ورُوِيَ أنَّ امرأتَه ولدَتْ بعدُ ستة وعشرين ابناً، وذكرُوا كيفيةً في ذهاب مالِه وأهلِه وتسليطِ إبليس عليه في ذلك، اللهُ أعلمُ بصحَّتها(٢).

وقرأ الجمهور: «أنِّي» بفتح الهمزة، وعيسى بنُ عمر بكسرها(٣) إمَّا على إضمار القول، أي: قائلاً إني، وإمَّا على إجراء «نادَى» مُجْرَى «قال»، وكسرِ «إني» بعدَها. وهذا الثاني مذهبُ الكوفيِّين، والأولُ مذهب البصريِّين.

و«الضَّرُّ» بالفتح الضَّرَرُ في كلِّ شيء، وبالضمّ الضَّرَرُ في النفس من مرضٍ وهُزَال، فُرِّقَ بين البناءَيْن لافتراق المعنيين(٤).

---

(١) الكلام من الكشاف ٢/ ٥٨١.
(٢) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٣٣٣-٣٦٥، والنكت والعيون ٣/ ٤٦١-٤٦٢، والكشاف ٢/ ٥٨١، وزاد المسير ٥/ ٣٧٥-٣٧٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٦-٢٦١.
(٣) نسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٧٥ لأبي عمران الجَوْني، وهي في الكشاف ٢/ ٥٨١ دون نسبة.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٨١.

وقد ألطفَ أيوب في السؤال حيث ذكرَ نفسَه بما يُوجبُ الرحمة، وذكرَ ربَّه بغاية الرحمة، ولم يُصَرِّح بالمطلوب، ولم يعيِّن الضُّرَّ الذي مسَّه.

واختلف المفسرون في ذلك على سبعةَ عشرَ قولاً، أمثلُها أنه نهضَ ليصلِّي فلم يقدر على النهوض، فقال: «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» إخباراً عن حالِهِ لا شكوى لبلائِه، رواه أنس مرفوعاً(١).

والألف واللام في «الضُّرّ» للجنس تعمُّ الضُّرَّ في البَدَنِ والأهلِ والمال. وإيتاءُ أهلِه ظاهرُه أنَّ ما كان له من أهلٍ ردَّه عليه وأحياهم له بأعيانهم، وآتاه مثلَ أهلِه مع أهلِه من الأولاد والأتباع، وذُكِرَ أنه جُعل له مِثلُهم عِدَّةً في الآخرة(٢).

وانتصب «رحمةً» على أنه مفعول من أجله، أي: لرحمتنا إيَّاه «وذِكْرَى» منَّا بالإحسان لمن عندَنا، أو رحمةً منا لأيوب وذكرى، أي: موعظة لغيرِه من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يُثابوا كما أُثيب.

وقال أبو موسى الأشعري ومجاهد: كان ذو الكفل عبداً صالحاً ولم يكن نبيًّا(٣).

وقال الأكثرون: هو نبيّ، فقيل: هو إلياس، وقيل: زكريا، وقيل: يُوشع.

والكِفْلُ: النَّصيبُ والحظُّ، أي: ذو الحظِّ من الله المجدود على الحقيقة. وقيل: كان له ضِعفُ عملِ الأنبياء في زمانه وضِعفُ ثوابِهم(٤).

وقيل في تسميته ذا الكفل أقوال مضطربة لا تصحّ.

وانتصب «مُغاضِباً» على الحال، فقيل: معناه غضبان، وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكاً، نحو: عاقبتُ اللصَّ، وسافرتُ، وقيل: مُغاضباً لقومه،

(١) النكت والعيون ٣/ ٤٦٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٥٧. وأخرج الطبراني ٢٠/ ١٠٩-١١٠ وابن حبان (٢٨٩٨) عن أنس بن مالك حديثاً في مدَّة بلائه وقصته عليه السلام.

(٢) تنظر الأقوال في النكت والعيون ٣/ ٤٦٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٩٥، وزاد المسير ٥/ ٣٧٨-٣٧٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٦١-٢٦٢.

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٣٧٢، والنكت والعيون ٣/ ٤٦٤، وزاد المسير ٥/ ٣٧٩.

(٤) من قوله: هو إلياس... إلى هذا الموضع، من الكشاف ٢/ ٥٨١. وينظر زاد المسير ٥/ ٣٧٩-٣٨٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٤-٢٦٥.

أغضَبَهم بمفارقته وتخوُّفهم حُلولَ العذاب، وأغضبُوه حين دعاهم إلى الله مدَّةً فلم يُجيبوه، فأوعدَهم بالعذاب، ثم خرجَ من بينهم على عادة الأنبياء عند نزول العذاب قبلَ أن يأذنَ الله له في الخروج[١].

وقيل: مغاضباً للمَلِكِ حزقيا حين عَيَّنَهُ لغَزْوِ مَلِكٍ كان قد عاثَ في بني إسرائيل فقال له يونس: آللهُ أمرَكَ بإخراجي؟ قال: لا. قال: فهل سمَّاني لك؟ قال: لا. قال: ههنا غيري من الأنبياء. فألَحَّ عليه، فخرجَ مغاضباً للمَلِك[٢].

وقولُ مَنْ قال: مغاضباً لربِّه، وحَكَى في المغاضبة لربِّه كيفياتٍ يجبُ اطِّراحُه، إذْ لا يناسبُ شيءٌ منها منصبَ النُّبوَّة، وينبغي أن يُتَأَوَّلَ لمن قال ذلك من العلماء كالحسن والشعبيّ وابنِ جبير وغيرِهم من التابعين وابنِ مسعود من الصحابة بأن يكونَ معنى قولهم: مغاضباً لربِّه، أي: لأجلِ ربِّه ودينِه[٣]، واللامُ لامُ العلَّة لا اللامُ المُوصلةُ للمفعول به.

وقرأ أبو شرف[٤]: «مُغْضَباً» اسم مفعول.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نُضَيِّقَ عليه، من القَدْرِ، لا من القُدْرَة[٥].

وقيل: من القُدرة بمعنى أن لن نُقَدِّرَ عليه الابتلاء.

وقرأ الجمهور: «نَقْدِرَ» بنون العظمة مخفَّفاً، وقرأ ابنُ أبي ليلى وأبو شَرف والكلبيّ وحُميد بن قيس ويعقوب بضمّ الياء وفتح الدال مخفَّفاً، وعيسى والحسن بالياء مفتوحة وكسر الدال، وعليٌّ بن أبي طالب واليمانيّ بضم الياء وفتح القاف

---

(١) رُوي هذا القول عن ابن عباس والضَّحاك، ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٣٧٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٧.

(٢) الخبر في تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٨ بأطول منه.

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٧٧. وأخرجَ الطبري ١٦/ ٣٧٦-٣٧٨ قولَ الحسن والشعبي وسعيد بن جبير، واختارَه. وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٦.

(٤) القراءات الشاذة ص٩٢، والكشاف ٢/ ٥٨١، وتفسير الرازي ٢٢/ ٢١٤، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٨١ لأبي المتوكل وأبي الجوزاء وعاصم الجحدري وابن السميفع.

(٥) ذكره القرطبي ١٤/ ٢٧١ عن ثعلب.

والدال مشدَّدة، والزُّهْريُّ بالنون مضمومة وفتح القاف وكسر الدال مشدَّدة[١].

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ في الكلام جُملٌ محذوفة قد أُوضحت في سورة «والصَّافَّات»، وهناك نذكرُ قصتَه إن شاء الله تعالى.

وجُمع الظلمات لشدَّة تَكاثفِها، فكأنَّها ظُلمةٌ مع ظُلمة، وقيل: ظُلماتُ بطنِ الحُوتِ والبحرِ واللَّيل[٢]، وقيل: ابتلعَ حوتَهُ حوتٌ آخرُ فصار في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر[٣].

ورُوِيَ أنَّ يونس سجدَ في جوف الحوت حين سمعَ تسبيحَ الحيتانِ في قعر البحر[٤].

و«أنْ» في «أنْ لا إله إلا أنت» تفسيريَّة لأنه سبقَ «فنَادَى»، وهو في معنى القول، ويجوز أن يكون التقدير: بأنَّه، فتكون مخفَّفة من الثقيلة، حصرَ الألوهيَّة فيه تعالى، ثم نَزَّهَهُ عن سِمات النقص، ثم أقرَّ بما بعد ذلك.

وعن النبيِّ ﷺ: «ما مِنْ مَكْرُوبٍ يدعُو بهذا الدعاء إلا استُجِيبَ له»[٥].

والغمُّ: ما كان نالَه حين التقَمَهُ الحوت ومدةِ بقائه في بطنه.

وقرأ الجمهور «نُنْجِي» مضارع «أَنْجَى»، والجَحْدَريّ مشدَّداً مضارع «نَجَّى»[٦].

وقرأ ابنُ عامر وأبو بكر: «نُجِّيْ» بنون مضمومة وجيم مشدَّدة وياء ساكنة[٧]،

(١) ينظر القراءات الشاذة ص٩٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٩٧، وزاد المسير ٥/ ٣٨٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧١-٢٧٢. وقراءة يعقوب من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٣٢٤.

(٢) هو قول ابن عباس وقتادة أخرجه عنهما الطبري ١٦/ ٣٨٢-٣٨٣.

(٣) الكشاف ٢/ ٥٨٢، وبنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٩٧. قال ابنُ عطية: ويصحُّ أن يُعَبَّر بالظلمات عن جوف الحوت الأول فقط كما قال: «في غيابات الجُبِّ» [يوسف: ١٥] وفي كل جهاته ظُلمة، فجمعها سائغ. اهـ. و«غَيَابَات» قراءة نافع من السبعة، وقرأ الباقون: غَيَابَة.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٩٧.

(٥) أخرجه بنحوه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤١٧) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ، ونقل المصنف لفظه عن الزمخشري في الكشاف ٢/ ٥٨٢.

(٦) القراءات الشاذة ص٩٢.

(٧) التيسير ص١٥٥، وهي في السبعة ص٤٣٠ عن أبي بكر (وهو ابنُ عيَّاش).

وكذلك هي في المصحف الإمام ومصاحفِ الأمصار بنون واحدة، واختارَها أبو عبيد لموافقةِ المصاحف، وقال الزجّاج والفارسيّ: هي لحن[١].

وقيل: هي مضارع أُدغمت النونُ في الجيم، ورُدَّ بأنه لا يجوزُ إدغامُ النون في الجيم التي هي فاء الفعل لاجتماع المِثْلَيْن[٢] كما حُذفت في قراءة من قرأ: «ونُزِّلُ الملائكةَ» يريد: ونُنَزِّلُ الملائكةَ، وعلى هذا خرَّجَها أبو الفتح[٣].

وقيل: هو فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ لِما لم يُسَمَّ فاعلُه، وسُكِّنت الياء كما سكَّنَها من قرأ: «وذَرُوا ما بَقِيْ من الرِّبا»[٤] والمُقَامُ مُقامَ الفاعل ضميرُ المصدر، أي: نُجِّي هو، أي: النَّجاءُ المؤمنين، كقراءة أبي جعفر: «لِيُجْزَى قوماً»[٥] أي: وليُجْزَى هو، أي: الجزاءُ.

وقد أجازَ إقامةَ غيرِ المفعول به من مصدر أو ظرف مكانٍ أو ظرف زمانٍ أو مجرورٍ الأخفشُ والكوفيُّون وأبو عُبيد، وذلك مع وجود المفعول به، وجاء السماعُ في إقامة المجرور مع وجود المفعول به، نحو قوله:

أُتِيحَ لي من العِدَا نَذِيرَا ... بِهِ وُقِيتُ الشَّرَّ مُسْتَطِيرَا[٦]

وقال الأخفش في «المسائل»: ضُرِبَ الضربُ الشديدُ زيداً، وضُرب اليَوْمَانِ

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٣، وينظر الحجة للفارسي ٥/ ٢٥٩، وقال السمين في الدر المصون ٨/ ١٩٣: هذه القراءة متواترة، ولا التفات إلى من طعن على قارئيها، وذكر أنَّ قول الزجَّاج وأبي عليّ جرأة منهما.

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) المحتسب ٢/ ١٢٠-١٢١، ونسب ابن جني فيه القراءة لابن كثير، وقال: «وكذا رَوَى خارجة عن أبي عمرو». قلت: والمتواتر عن ابن كثير ما جاء في السبعة ص٤٦٤، والتيسير ص١٦٤: «ونُنْزِلُ» بنونين، الثانية ساكنة وتخفيف الزاي وضمّ اللام، «الملائكةَ» بالنصب، وقراءة أبي عمرو المتواترة عنه كقراءة الجماعة: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢٥].

(٤) نسبها المصنف للحسن في موضعها من البقرة (٢٧٨).

(٥) النشر ٢/ ٣٧٢، وهي من العشرة.

(٦) شرح التسهيل ٢/ ٦٤، ونسبه الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في تعليقه على شرح شذور الذهب ص١٦٤ ليزيد بن القعقاع.

زيداً، وضُرب مكانُك زيداً، وأُعْطِيَ عَطَاءٌ حسَنٌ أخاك درهماً مضروباً عندَهُ[١] زيداً.

وقيل: ضمير المصدر أُقيمَ مقامَ الفاعل، و«المؤمنين» منصوب بإضمار فعل، أي: وكذلك نُجّي هو، أي: النَّجَاءُ، نُنجي المؤمنين.

والمشهورُ عن البصريِّين أنه متى وُجد المفعول به لم يقم غيرُه، إلا أنَّ صاحب «اللباب»[٢] حكى الخلاف في ذلك عن البصريِّين، وأنَّ بعضَهم أجازَ ذلك.

﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: وحيداً بلا وارثٍ، سأل ربَّه أن يرزقَه ولداً يرثُه، ثم رَدَّ أمرَه إلى الله، فقال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ أي: إنْ لم تَرْزُقْني مَنْ يَرِثُني فأنتَ خيرُ وارثٍ.

وإصلاحُ زوجِه بحُسنِ خُلُقِها، وكانت سيِّئةَ الخُلُق. قاله عطاء ومحمد بنُ كعب وعون بنُ عبد الله[٣].

وقيل: إصلاحُها للولادة بعد أن كانت عاقراً. قاله قتادة، وقيل: إصلاحُها رَدُّ شبابِها إليها[٤].

والضمير في «إنَّهم» عائدٌ على الأنبياء السابق ذِكرُهم، أي: إنَّ استجابتَنا لهم في طلباتهم كان لمبادرتهم الخيرَ ولدعائهم لنا ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: وقتَ الرَّغبة ووقتَ الرَّهْبة كما قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

وقيل: الضميرُ يعود على زكريا وزوجِه وابنِهما يحيى.

وقرأت فرقةٌ: «يَدْعُونَا» حُذفت نون الرَّفع[٥]، وطلحةُ بنون مشدَّدة؛ أدغمَ نونَ الرفع في «نا» ضمير النصب.

(١) تحرفت في النسخ الخطية والمطبوع إلى: عبده. وينظر الارتشاف ٣/١٣٣٩.
(٢) هو أبو البقاء العكبري، وكتابه: اللباب في علل البناء والإعراب. كشف الظنون ٢/١٥٤٣.
(٣) ينظر النكت والعيون ٣/٤٨٦ وزاد المسير ٥/٣٨٤، وتفسير القرطبي ١٤/٢٧٩، وضعَّفه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٩٨، وقال: عموم اللفظ يتناول جميع وجوه الإصلاح.
(٤) الظاهر أنهما قولٌ واحد كما تفيد عبارة الآلوسي في روح المعاني ١٧/١٨٢، قال: أصلحناها له بردِّ شبابها إليها وجعلها ولوداً، وكانت لا تلد. وينظر تفسير الطبري ١٦/٣٨٨ والمصادر السالفة.
(٥) نسبها ابنُ الجوزي في زاد المسير ٥/٣٨٥ لابن مسعود وابن محيصن، ونسبها القرطبي ١٤/٢٨١ لطلحة بن مصرِّف.

وقرأ ابنُ وثَّاب والأعمشُ ووُهيب بنُ عَمرو والنَّحْويُّ وهارون وأبو معمر والأصمعيُّ واللؤلؤي ويونس وأبو زيد، سبعتُهم عن أبي عَمْرو: «رَغْباً ورَهْباً» بالفتح وإسكان الهاء[(١)]، والأشهر عن الأعمش بضمتين فيهما[(٢)].

وقرأت فرقة بضم الرَّاءين وسكون الغين والهاء[(٣)].

وانتصبَ «رَغَباً ورَهَباً» على أنهما مصدران في موضع الحال، أو مفعولٌ من أجله.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾هي مريم بنتُ عمران أمُّ عيسى عليه السلام. والظاهر أنَّ الفرج هنا حَياءُ المرأة، أحْصَنَتْه، أي: مَنعَتْهُ من الحلال والحرام كما قالت: ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٠].

وقيل: الفَرْجُ هنا جَيْبُ قميصِها، مَنعَتْهُ من جبريل لما قَرُبَ منها لينفخ حيث لم يعرف[(٤)].

والظاهر أنَّ قوله: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾كناية عن إيجاد عيسى حيًّا في بطنها، ولا نَفْخَ هناك حقيقةً، وأضافَ الروحَ إليه تعالى على جهة التشريف.

وقيل: هناك نَفْخٌ حقيقةً، وهو أنَّ جبريلَ عليه السلام نفخَ في جَيْبِ دِرْعِها، وأسندَ النفخَ إليه تعالى لمَّا كان ذلك من جبريل بأمرِه تعالى تشريفاً.

وقيل: الرُّوحُ هنا جبريل كما قال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، والمعنى: فنفَخْنا فيها من جهة جبريل، وكان جبريلُ قد نفخَ في جيبِ دِرْعِها، فوصلَ النفخُ إلى جوفها.

---

(١) ينظر القراءات الشاذة ص٩٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨١، والقراءة المتواترة عن أبي عمرو كقراءة الجماعة.

(٢) لم أقف عليها في المصادر التي قبل أبي حيَّان، والمذكور عن الأعمش القراءة الآتية.

(٣) نُسبت القراءة إلى الأعمش في تفسير كل من الطبري ١٦/ ٢٩٠، والثعلبي ٤/ ٢٧١، وزاد المسير ٥/ ٣٨٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨١، قالوا: هما لغتان مثل السُّقْم والسَّقَم.

(٤) عبارة روح المعاني ١٧/ ١٨٤: حيث لم تعرفه. وهي أحسن.

قال الزمخشريّ(١): فإن قلتَ: نَفْخُ الروحِ في الجسد عبارة عن إحيائه، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] أي: أحييتُه، وإذا ثبتَ ذلك كان قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ ظاهرَ الإشكال لأنه يدلُّ على إحياء مريم.

قلت: معناه: نفَخْنا الرُّوحَ في عيسى فيها، أي: أحيَيْناه في جوفها، ونحوُ ذلك أن يقول الزَّمَّار: نفخت في بيت فلان، أي: نفختُ في المزمار في بيته. انتهى.

ولا إشكال في ذلك لأنه على حذف مضاف، أي: فنفَخْنا في ابنها من روحنا.

وقوله: قلت معناه نفَخْنا الرُّوحَ في عيسى فيها، استعملَ «نَفَخَ» متعدِّياً، والمحفوظُ أنه لا يتعدَّى، فيحتاجُ في تعدِّيهِ إلى سماع، وغيرَ متعدٍّ استعملَه هو في قوله: أي نفختُ في المزمار في بيته.

وأفردَ «آية» لأنَّ حالهما بمجموعهما آيةٌ واحدة، وهي ولادتُها إيَّاه من غير فحل، وإن كان في مريم آياتٌ وفي عيسى آياتٌ، لكنَّه هنا لحظَ أمرَ الولادة من غير ذَكَر، وذلك هو آية واحدة.

وقوله: «للعالمين» أي: لمن اعتبرَ بها من عالَمِي زمانها فمن بعدَهم. ودلَّ ذِكْرُ مريمَ مع الأنبياء في هذه السورة على أنها كانت نبيَّةً إذْ قُرِنَتْ معهم في الذِّكْر، ومن منعَ تَنَبُّؤَ النساء قال: ذُكِرَت لأجلِ عيسى، وناسبَ ذِكْرَهُما هنا قصةُ زكريَّا وزوجِه ويحيى للقرابة التي بينهم.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٨٢.

والظاهرُ أنَّ قوله: «أمتكم» خطابٌ لمعاصري الرسول ﷺ.

و«هذه» إشارةٌ إلى ملَّة الإسلام، أي: إنَّ ملَّة الإسلام هي مِلَّتُكم التي يجبُ أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، مِلَّةٌ واحدة غيرُ مختلفة.

ويحتمل أن تكونَ «هذه» إشارةً إلى الطريقة التي كان عليها الأنبياء المذكورون من توحيد الله تعالى، هي طريقتُكم ومِلَّتُكم طريقة واحدة لا اختلافَ فيها في أصول العقائد، بل ما جاء به الأنبياء من ذلك هو ما جاء به محمدٌ ﷺ.

وقيل: معنى «أمَّةً واحدة» مخلوقة له تعالى مملوكة له، فالمرادُ بالأمَّة الناسُ كلُّهم.

وقيل: الكلام يحتمل أن يكون متصلاً بقصة مريم وابنها، أي: وجعلناها وابنَها آيةً للعالمين[1] بأن بُعث لهم بملَّة وكتاب، وقيل لهم إن هذه أمتكم، أي دعا الجميعَ إلى الإيمان بالله وعبادتِه.

ثم أخبرَ تعالى أنهم بعد ذلك اختلفوا وتقطَّعوا أمرَهم.

وقرأ الجمهور: «أمَّتُكم» بالرفع خبر «إنَّ». «أمةً واحدةً» بالنصب على الحال، وقيل: بدل من «هذه».

وقرأ الحسن «أمَّتَكم» بالنصب بدل من «هذه»[2]، وقرأ أيضاً هو وابن [أبي] إسحاق والأشهب العُقيليّ وأبو حَيْوة وابنُ أبي عَبْلة والجُعفيُّ وهارون عن أبي عَمْرو والزَّعفرانيُّ: «أمَّتُكم أمةٌ واحدةٌ» برفع الثلاثة[3] على أنَّ «أمَّتُكم» و«أُمَّةٌ واحدة» خبرانِ، أو «أُمَّةٌ واحدة» بدل من «أمَّتُكم» بدل نكرة من معرفة، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي أمةٌ واحدة.

والضمير في «وتَقَطَّعُوا» عائد على ضمير الخطاب على سبيل الالتفات، أي: وتقطَّعتُم، ولمَّا كان هذا الفعل من أقبح المرتكبات عدلَ عن الخطاب إلى لفظ

(١) استبعده الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ١٨٦ وقال: لا ينبغي أن يُلتفت إليه أصلاً.
(٢) القراءات الشاذة ص٩٣، والمحتسب ٢/ ٦٥، والكشاف ٢/ ٥٨٣.
(٣) المصادر السالفة، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٣، ولفظة «أبي» بين حاصرتين منها.

الغَيْبَة، كأنَّ هذا الفعلَ ما صدرَ من المخاطب؛ لأنَّ في الإخبار عنهم بذلك نَعْياً عليهم ما أفسدُوه، وكأنَّه يُخبِرُ غيرَهم ما صدرَ من قبيح فِعلِهم ويقول: ألا ترى إلى ما ارتكبَ هؤلاء في دين الله؟! جعلُوا أمرَ دينِهم قِطَعاً كما يتوزَّع الجماعة الشيءَ؛ لهذا نصيبٌ ولهذا نصيبٌ؛ تمثيلاً لاختلافهم. ثم تَوَعَّدَهم برجوع هذه الفرقة المختلفة إلى جزائه[1].

وقيل: كلٌّ من الثابتِ على دينه الحقِّ والزائغِ عنه إلى غيره.

وقرأ الأعمش: «زُبَراً» بفتح الباء[2] جمع زُبْرَة.

ثم ذكر حالَ المحسن، وأنه لا يُكْفَرُ سَعْيُه، والكُفْرَانُ مَثَلٌ في حِرْمانِ الثواب كما أنَّ الشُّكْرَ مَثَلٌ في إعطائه إذا قيل لله: شَكُور[3]، و«لا» لنفي الجنس، فهو أبلغُ من قوله: فلا يُكْفَرُ[4] سعيُه.

والكتابةُ عبارةٌ عن إثباتِ عملِه الصالح في صحيفة الأعمال ليُثاب عليه ولا يضيع، والكُفْرَان مصدر كالكُفْر، قال الشاعر:

رأيتُ أُناساً لا تنامُ جُدُودُهُمْ وجَدِّي - ولا كُفْرَانَ للهِ - نائمُ[5]

وفي حرف عبد الله: «لا كُفْرَ»[6].

و«لسَعْيِه» متعلّق بمحذوف، أي: يُكْفَرُ لسعيِه، ولا يكون متعلّقاً بـ «كُفْرَان» إذْ لو كان متعلّقاً به لكان اسم «لا» مطوّلاً[7] فيلزمُ تنوينُهُ.

وقرأ الجمهور: «وحَرَامٌ»، وقرأ حمزة والكسائيُّ وأبو بكر وطلحة والأعمش

---

(١) بنحوه في الكشاف ٢/ ٥٨٣.
(٢) وهمَ المصنف وأورد هذه اللفظة، وهي من آية «المؤمنون» (٥٣) وتابعَه على إيرادها أيضاً السمين في الدُّرّ المصون ٨/ ١٩٧.
(٣) في الكشاف ٢/ ٥٨٣ (والكلام فيه): قيل: اللهُ شكور، وفي (يه): كما إذا قيل له: شكور.
(٤) في (يه): نكفر. وهي كذلك في الكشاف ٢/ ٥٨٣.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٩٩، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٤٢ برواية: من الناس ناس لا تنام...
(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٥.
(٧) أي: شبيهاً بالمضاف، ويسمَّى أيضاً مَمْطُولاً، مثل: لا راغباً في الشَّرِّ محمودٌ. قاله المصنف في الارتشاف ٣/ ١٢٩٥.

وأبو حنيفة وأبو عَمرو في رواية: «وحِرْمٌ» بكسر الحاء وسكون الراء.

وقرأ قتادة ومطر الورَّاق ومحبوبٌ عن أبي عَمْرو بفتح الحاء وسكون الراء.

وقرأ عكرمة: «وحَرِمٌ» بكسر الراء والتنوين.

وقرأ ابنُ عبَّاس وعكرمة أيضاً وابنُ المسيّب وقتادة أيضاً بكسر الراء وفتح الحاء والميم على المُضِيّ.

وقرأ ابنُ عباس وعكرمةُ بخلاف عنهما وأبو العالية وزيد بنُ علي بضمّ الراء وفتح الحاء والميم على المضيّ.

وقرأ ابنُ عباس أيضاً بفتح الحاء والراء والميم على المضيّ.

وقرأ اليمانيّ: «وحُرِّم» بضم الحاء وكسر الراء مشدَّدة وفتح الميم.

وقرأ الجمهور: «أهلكناها» بنون العظمة، وقرأ السُّلَميُّ وقتادة بتاء المتكلم[١].

واستُعير الحَرامُ للممتنع وُجُودُه، ومنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]. ومعنى «أهلكناها» قَدَّرْنا إهلاكَها على ما هي عليه من الكفر، فالإهلاكُ هنا إهلاكٌ عن كفر. و«لا» في «لا يرجعون» صلة، وهو قول أبي عُبيد، كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] أي: يرجعون إلى الإيمان، والمعنى: وممتنعٌ على أهل قريةٍ قَدَّرْنا عليهم إهلاكهم لكُفرِهم رُجُوعُهم في الدنيا إلى الإيمان إلى أن تقومَ القيامة، فحينئذ يرجعون ويقولون ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾[٢]. وغَيَّى بما قَرُب من مجيء الساعة، وهو فتحُ يأجُوج ومأجُوج.

وقرئ: «إنهم» بالكسر، فيكون الكلامُ قد تمَّ عند قوله: «أهْلَكْنَاها»، ويُقَدَّر محذوف يصيرُ به ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ جملة، أي: ذاك[٣]، وتكون إشارةً

(١) تنظر القراءات في المصدرين السالفين، والقراءات الشاذة ص٩٣، والمحتسب ٢/ ٦٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٩٩، وزاد القرطبي عن ابن عباس: وحَرَّمَ.

(٢) الكلام بنحوه أطول منه في تفسير الرازي ٢٢/ ٢٢١.

(٣) أي كأنه قيل: وحرامٌ على قرية أهلكناها ذاك. ينظر الكشاف ٢/ ٥٨٣، وتفسير الرازي ٢٢/ ٥٨٣، والقراءة فيهما.

إلى العمل الصالح المذكور في قسيم هؤلاء المُهْلَكِين، والمعنى: وحرامٌ على أهل قريةٍ قدَّرْنا إهلاكَهم لكفرِهم عملٌ صالحٌ ينجُون به من الإهلاك، ثم أكَّدَ ذلك وعَلَّلَهُ بـ «إنهم لا يرجعون» عن الكفر، فكيف لا يمتنع ذلك؟ فالمحذوف مبتدأ، والخبرُ: «وحرامٌ»، وقدَّرَه بعضُهم متقدِّماً، كأنَّه قال: والإقالةُ والتوبةُ حرامٌ[١]، وقراءةُ الجمهور بالفتح تصحُّ على هذا المعنى، وتكون «لا» نافية على بابها، والتقدير: لأنهم لا يرجعون[٢].

وقيل: «أهلكناها» أي: وقعَ إهلاكُنا إيَّاهم ويكون رجوعهم إلى الدنيا[٣] فيتوبون، بل هم صائرون إلى العذاب.

وقيل: الإهلاك هو بالطَّبع على القلوب، والرجوعُ هو إلى التوبة والإيمان.

وقال الزجَّاج: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ حكمنا بإهلاكها أن نتقبلَ أعمالَهم لأنهم لا يرجعون، أي: لا يتوبون[٤]، ودلَّ على هذا المعنى قولُه قبلُ ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ أي: نتقبَّلُ عملَه، ثم ذكرَ هذا عَقِيبَهُ، وبَيَّنَ أنَّ الكافر لا يُتَقبَّلُ عملُه.

وقال أبو مسلم بنُ بحر[٥]: «حرامٌ»: ممتنعٌ، و«أنهم لا يرجعون» انتفاءُ الرجوع إلى الآخرة، وإذا امتنع الانتفاءُ وَجَبَ الرُّجوع، فالمعنى أنه يجبُ رُجُوعُهم إلى الحياة في الدار الآخرة، ويكونُ الغرضُ إبطالَ قول مَنْ يُنكرُ البعث، وتحقيقُ ما تقدَّم من أنه لا كُفْرَانَ لسعيِ أحدٍ، وأنه يُجْزَى على ذلك يومَ القيامة.

وقيل: الحرامُ يجيءُ بمعنى الواجب، يدلُّ عليه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ [الأنعام: ١٥١] وتركُ الشركِ واجبٌ.

وقالت الخنساء:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٩٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٨٣.
(٣) والمعنى: فلا يرجعون إلى الدنيا... إلخ.. والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ٩٩.
(٤) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٠٥، واللفظ أعلاه للقرطبي ١٤/ ٢٨٦-٢٨٧ عن الزجاج.
(٥) كلامه في تفسير الرازي ٢٢/ ٢٢٠-٢٢١.

حَرَامٌ عَلَيَّ لا أرى[١] الدَّهْرَ باكياً على شَجْوِهِ إلا بَكَيْتُ على صَخْرِ[٢]

وأيضاً، فمن الاستعمال إطلاقُ الضميرِ على ضدِّه[٣].

وعلى هذا فقال مجاهد والحسن: لا يرجعون عن الشِّرْك، وقال قتادة ومقاتل: إلى الدنيا.

قال ابنُ عطية[٤]: ويتَّجه في الآية معنًى ضمنه وعيدٌ بيِّن، وذلك أنه ذكرَ مَنْ عملَ صالحاً وهو مؤمن، ثم عادَ إلى ذكر الكَفَرَة الذين مِن كُفْرِهم ومعتقدِهم أنهم لا يُحشرون إلى ربٍّ ولا يَرجعون إلى مَعَاد، فهم يظنُّون بذلك أنَّه لا عقابَ ينالُهم، فجاءت الآية مكذِّبةً لِظنِّ هؤلاء، أي: وممتنعٌ على الكَفَرةِ المُهْلَكين أنهم لا يرجعون، بل هم راجعون إلى عقابِ الله وأليمِ عذابِه، فتكون «لا» على بابها، والحرامُ على بابه وكذلك الحِرْمُ، فتأمَّلْه. انتهى.

و«حتَّى» قال أبو البقاء[٥]: متعلّقة في المعنى بـ «حَرَام» أي: يستمرُّ الامتناعُ إلى هذا الوقت، ولا عملَ لها في «إذا».

وقال الحوفيُّ: «حتى» غاية، والعاملُ فيها ما دلَّ عليه المعنى من تأسُّفِهم على ما فرَّطُوا فيه من الطاعة حين فاتَهم الاستدراك.

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: حرام عليّ أن لا أرى، وهو خطأ والتصويب من الدر المصون ٨/١٩٩ ولم أقف على رواية هذا اللفظ في موضع آخر، وروايتُه في المصادر التالية: وإنَّ حراماً لا أرى الدهر.... إلخ.

(٢) نُسب البيت للخنساء في تفسير كل من الثعلبي ٤/٢٧٣، والرازي ٢٢/٢٢١، والقرطبي ١٤/٢٨٦، وهو فيها برواية: وإن حَرَاماً لا أرى....، وعند الثعلبي والرازي: إلا بَكَيْتُ على عمرو، وهو بهذه الرواية في زاد المسير ٥/٣٨٧ ودون نسبة، ونُسب في اللسان (حرم) لعبد الرحمن بن جُمانة المحاربي.

(٣) كذا وقع في النسخ الخطية، وصوابُ العبارة: إطلاقُ أحد الضِّدَّيْنِ على الآخر، كما هو في الدُّرِّ المصون ٨/١٩٩، وعبارة تفسير الرازي ٢٢/٢٢١: وأما الاستعمال فلأنَّ تسمية أحدِ الضِّدَّينِ باسم الآخر مجاز مشهور كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

(٤) المحرر الوجيز ٤/٩٩.

(٥) الإملاء ٢/١٣٧.

وقال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: بمَ تعلَّقت «حتى» واقعةً غايةً له، وأيَّةُ الثلاث هي؟

قلت: هي متعلِّقة بـ «حرام»، وهي غاية له، لأنَّ امتناعَ رجوعِهم لا يزولُ حتى تقومَ القيامة، وهي «حتَّى» التي تحكي الكلام[1]، والكلامُ المحكيُّ الجملةُ من الشرط والجزاء، أعني «إذا» وما في حَيِّزها. انتهى.

وقال ابن عطيَّة: هي متعلِّقة بقوله: «وتَقطَّعوا» ويحتمل على بعض التأويلات المتقدِّمة أن تُعلَّق بـ «يرجعون»، ويحتمل أن تكون حرفَ ابتداء، وهو الأظهرُ بسبب «إذا» لأنها تقتضي جواباً هو المقصودُ ذِكرُه. انتهى.

وكونُ «حتى» متعلِّقة [بـ «تَقطَّعُوا»][2] فيه بُعْدٌ من حيثُ كثرةُ الفصلِ، لكنه من جهة المعنى جَيِّد، وهو أنَّهم لا يزالون مختلفين غيرَ مجتمعين على دين الحقّ إلى قُرب مجيء الساعة، فإذا جاءت الساعة انقطعَ ذلك الاختلافُ، وعَلِمَ الجميعُ أنَّ مولاهم الحقُّ، وأنَّ الدِّين المُنجي هو كان دينَ التوحيد.

وجوابُ «إذا» محذوف تقديرُه: «قالوا يا وَيْلَنا» قاله الزجَّاج[3] وجماعة، أو تقديرُه: فحينئذٍ يُبعثون فإذا هي شاخصةٌ، أو مذكور وهو «واقتربَ» على زيادة الواو؛ قاله بعضُهم، وهو مذهب الكوفيِّين؛ يُجِيزُون زيادة الواو والفاء في «فإذا هي» قاله الحَوْفيّ.

وقال الزمخشري: و«إذا» هي المفاجَأة، وهي تقعُ في المجازاة[4] سادَّةً مسَدَّ الفاء، كقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[5] فإذا جاءت الفاءُ معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكَّد، ولو قيل: إذا هي شاخصة؛ كان سَدِيداً.

(١) عبارة الكشاف ٢/ ٥٨٣ (والكلام منه): وهي «حتى» التي يُحْكى الكلامُ بعدها.
(٢) ما بين حاصرتين من الدر المصون ٨/ ٢٠٢ للإيضاح.
(٣) معاني القرآن له ٣/ ٤٠٥.
(٤) في النسخ الخطية: المفاجأة، وفي المطبوع: المفاجاءات، والتصويب من الكشاف ٢/ ٥٨٤ (والكلام منه).
(٥) ولفظُها: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

وقال ابن عطيَّة[١]: والذي أقولُ: إنَّ الجواب في قوله: ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ وهذا هو المعنى الذي قُصِدَ ذِكْرُهُ لأنه رجوعُهم الذي كانوا يكذِّبون به وحَرُم عليهم امتناعُه.

وتقدَّم الخلافُ في «فُتِحَتْ» في «الأنعام» [٤٤] ووافق ابنَ عامر أبو جعفر وشيبة، وكذا التي في «الأنعام» و«القمر» [١١] في تشديد التاء، والجمهورُ على التخفيف فيهنّ[٢].

و«فُتحت يأجُوجُ» على حذف مضاف، أي سَدُّ يأجوجَ ومأجوج، وتقدَّم الخلافُ في قراءة «يأجوج ومأجوج»[٣].

والظاهرُ أنَّ ضمير «وهم» عائدٌ على «يأجوج ومأجوج» أي: يَطْلُعون من كلِّ ثنيَّة ومرتفع، ويعمُّون الأرض.

وقيل: الضمير للعالَم، ويدلُّ عليه قراءةُ عبدِ الله وابنِ عبَّاس: «مِنْ كلِّ جَدَثٍ» بالثاء المثلثة، وهو القبر[٤]، وقرئَ بالفاء، الثاءُ للحجاز والفاءُ لتميم، وهي بدل من الثاء، كما أبدلُوا الثاء منها قالوا: المُغْثُور، وأصلُه: مُغْفُور[٥].

وقرأ الجمهور: «يَنْسِلُون» بكسر السين، وابنُ أبي إسحاق وأبو السَّمَّال بضمِّها[٦]. ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: الوعدُ بالبعث الحقِّ الذي لا شكَّ فيه، و«اقتربَ» قيل: أبلغُ في القُرب من «قَرُبَ».

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٠٠.

(٢) ينظر السبعة ص٢٥٧ و٤٣١ و٦١٨، والتيسير ص١٠٢، والنشر ٢/ ٢٥٨.

(٣) في «الكهف» (٩٤).

(٤) القراءات الشاذة ص٩٣، والمحتسب ٢/ ٦٦، والكشاف ٢/ ٥٨٤، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٨٨.

(٥) المُغْفُور والمُغْثُور واحد المَغَافِير والمَغَاثِير، وهو صَمْغٌ حُلْوٌ يُؤكل، غير أنَّ رائحتَه ليست بطيِّبة. ينظر اللسان والتاج (غثر ـ غفر). وثمة أحرف أخرى على وزن مُفْعُول، مثل: مُغْرُود (ضَرْبٌ من الكَمْأة) ومُغْلوق (وهو المِغْلاق، أي: ما يُغْلَقُ به الباب) ومُعْلُوق (ما يُعَلَّقُ عليه الشيء)، ومُزْمُور (بفتح الميم وضمها، وهو المزمار) ومُغْبور (لغة في مُغْثور) لا نظيرَ لها في كلام العرب، كما ذكر صاحب التاج (علق) وينظر فيه أيضاً (غبر ـ غثر ـ غفر) وينظر أيضاً إصلاح المنطق ص٢٤٨-٢٤٩، وشرح الشافية ١/ ١٨٧.

(٦) القراءات الشاذة ص٩٣ عن ابن أبي إسحاق، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٨٩ لأبي رجاء العُطاردي وعاصم الجحدري.

وضمير «هي» للقصة، كأنه قيل: فإذا القصةُ والحادثةُ أبصارُ الذين كفروا شاخصةٌ، ويلزمُ أن تكون «شاخصةٌ» الخبر، و«أبصارُ» مبتدأ[١]، ولا يجوزُ ارتفاع أبصار بـ «شاخصة» لأنه يلزمُ أن يكونَ بعد ضمير الشأن أو القصَّة جملةٌ تفسِّرُ الضمير مصرَّحٌ بجزأيها، ويجوزُ ذلك على مذهب الكوفيِّين.

وقال الزمخشري[٢]: «هي» ضمير مبهم توضِّحه الأبصار وتُفسِّرُه كما فسَّر «الذين ظلموا»: «وأسَرُّوا». انتهى. ولم يذكر غيرَ هذا الوجه، وهو قولٌ للفرَّاء؛ قال الفرَّاء[٣]: «هي» ضمير الأبصار تقدَّمت لدلالة الكلام ومجيءِ ما يفسِّرُها، وأنشدَ على ذلك قولَ الشاعر:

فلا وأبيها لا تَقُولُ حَلِيلَتي ... ألَا فَرَّ عنِّي مالكُ بنُ أبي كَعْبِ[٤]

وذكرَ أيضاً الفرَّاء أن «هي» عِمادٌ يصلحُ في موضعها «هو» وأنشد:

بثوبٍ ودِينارٍ وشاةٍ ودِرْهمٍ ... فهَلْ هو مرفوعٌ بما ههنا رَاسُ[٥]

وهذا لا يتمشَّى إلا على أحد قولي الكسائي في إجازته تقديم الفصل مع الخبر على المبتدأ، أجاز: هو القائمُ زيدٌ، على أنَّ «زيد» هو المبتدأ، و«القائم» خبرُه، وهو عِمادٌ، وأصلُ المسألة: زيدٌ هو القائم، ويكون أصلُ[٦] هذه: فإذا أبصارُ الذين كفروا هي شاخصةٌ، فـ «شاخصةٌ» خبرٌ عن «أبصار» وتقدَّم مع العِماد، ويجيءُ على مذهب مَنْ يُجيزُ العِمادَ قبل خبرِه نكرةً.

---

(١) والجملة من المبتدأ والخبر خبرُ «هي». ينظر الدر المصون ٨/ ٢٠٤.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٨٤.
(٣) ينظر معاني القرآن له ٢/ ٢١٢.
(٤) البيت لمالك بن أبي كعب وهو شاعر جاهلي والدُ الصحابي كعب بن مالك ﷺ، وهو في الأغاني ١٦/ ٢٣٨ برواية: لَعَمْرُ أبيها...، وفي معاني الفراء ٢/ ٢١٢، وتفسير الطبري ١٦/ ٤١٠ والقرطبي ١٤/ ٢٨٩ برواية: لَعَمْرُ أبيها لا تقول ظعينتي...، وفي البُرصان والعُرجان برواية: معاذَ الإلهِ أن تقولَ حليلتي...، وصدرُه في الفاضل ص٥٤: ألا لا تقُل عِرْسي على حين ساعةٍ. وهو برواية المصنف في المحرر الوجيز ٤/ ١٠٠.
(٥) هو في معاني الفراء ٢/ ٢١٢ (كما ذكر المصنف)، وأنشده الفراء أيضاً مع بيتين آخرين في معانيه ١/ ٥٢.
(٦) في (أ) و(ع) والمطبوع: أصلُه، وفي (أ) و(ح) و(ع): ويقول، وفي (يه): وتقول، وأثبتُّ بدَلَها لفظة «ويكون» مستفيداً من الدر المصون ٨/ ٢٠٦.

وذكر الثعلبي[١] وجهاً آخرَ وهو أن الكلام تمَّ عند قوله: «فإذا هي» أي: بارزةٌ واقعة، يعني الساعة، ثم ابتدأ فقال: «شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا». وهذا وجهٌ متكلَّفٌ متنافرُ التركيب.

وروى حُذيفة: لو أنَّ رجلاً اقْتَنَى فَلُوًّا بعدَ خروجِ يأجوجَ ومأجوجَ لم يركبه حتى تقومَ الساعة[٢]. يعني في مجيء الساعة إثْرَ خروجِهم.

«يا وَيْلَنا» معمولٌ لقول محذوف؛ قال الزمخشريّ[٣]: تقديرُه: يقولون، وهو في موضع الحال من «الذين كفروا».

وتقدَّم قولُ الزجَّاج أنَّ هذا القولَ جوابُ «إذا».

والشُّخُوص: إحدادُ النَّظر دون أن يَطْرِف. ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾[٤] أي: عمَّا[٥] وَجَدْنا الآن وتَبَيَّنَّا من الحقائق. ثم أضربُوا عن قولهم: ﴿قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ﴾ وأخبَرُوا بما قد كانوا تعمَّدُوه من الكفر والإعراض عن الإيمان فقالوا: ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

والخطابُ بقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ للكفار المعاصرين رسولَ الله ﷺ ولاسيَّما أهلُ مكة، ومعبوداتُهم هي الأصنام.

وقرأ الجمهور: «حَصَبُ» بالحاء والصاد المهملتين، وهو ما يُحْصَب به، أي يُرْمَى به في نار جهنَّم، وقبلَ أنْ يُرْمَى به لا يُطلق عليه حَصَبٌ إلا مجازاً.

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع وابنُ أبي عَبْلَة ومحبوب وأبو حاتم عن ابن كثير بإسكان

(١) في تفسيره ٤/ ٢٧٥، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٩٠.
(٢) تفسير كل من الطبري ١٦/ ٤٠٩، والثعلبي ٤/ ٢٧٥، والبغوي ٣/ ٢٦٩، أوردوه دليلاً على أن قوله: «واقترب الوعد الحق» جواب «حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج» على أن الواو في «واقترب» زائدة، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] معناه: ناديناه، بغير واو. وقوله: فَلُوًّا، أي: المُهْر. (ولدُ الفَرَس).
(٣) الكشاف ٢/ ٥٨٤.
(٤) بعدها في النسخ الخطية والمطبوع: انتهى (؟).
(٥) في النسخ الخطية والمطبوع: ممَّا، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ١٠٠ والكلام فيه بنحوه، وجاء في زاد المسير ٥/ ٣٩٠: في غفلة من هذا، أي: عن هذا.

الصاد، ورُويت عن ابن عباس[١]، وهو مصدرٌ يُراد به المفعول[٢]، أي: المَحْصُوب.

وقرأ ابنُ عبَّاس بالضاد المعجمة المفتوحة، وعنه إسكانُها، وبذلك قرأ كُثَيِّر عَزَّة[٣].

والحَضَبُ: ما يُرْمَى به في النار، والمِحْضَبُ: العُودُ أو الحديدةُ أو غيرُهما ممَّا تُحَرَّكُ به النار. قال الشاعر:

فلا تَكُ في حَرْبِنا مِحْضَباً فتَجْعَلَ قومَك شَتَّى شُعُوبَا[٤]

وقرأ أُبيٌّ وعليٌّ وعائشةُ وابنُ الزُّبير وزيد بنُ عليّ: «حَطَبُ» بالطاء[٥].

وجمعَ الكفارَ مع معبوداتِهم في النار لزيادةِ غمِّهم وحسرتِهم برؤيتهم معهم فيها إذْ عُذِّبُوا بسببهم، وكانوا يرجون الخيرَ بعبادتِهم، فحصلَ لهم الشَّرُّ من قِبَلِهِمْ ولأنهم صاروا لهم أعداءً، ورؤيةُ العدوِّ مما يزيد في العذاب[٦] كما قال الشاعر:

واحتمالُ الأذى ورؤيةُ جانِيـ ـهِ غِذَاءٌ تَضْنَى به الأجْسَامُ[٧]

«أنتم لها» أي: للنار «وارِدُون» الورودُ هنا ورودُ دخول.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: الأصنامُ التي تعبدونها ﴿ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ أي: ما دخلُوها، ودلَّ على أنه ورودُ دخولٍ قولُه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

---

(١) المحتسب ٢/ ٦٦ والمحرر الوجيز ٤/ ١٠١ عن ابن السَّمَيْفَع، ونسبَها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٩٠-٣٩١ لأبي مِجْلز وأبي رجاء وابنِ محيصن، ولم أقف عليها عن ابن عبَّاس.

(٢) أو أنه على المبالغة، أو على حذف مضاف. ينظر الدُّرّ المصون ٨/ ٢٠٧.

(٣) القراءات الشاذة ص٩٣، والمحتسب ٢/ ٦٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠١.

(٤) نُسب البيت في المحرر الوجيز ٤/ ١٠١ واللسان (حضب) للأعشى، وفيهما: لتجعل، بدل: فتجعل، ولم أقف عليه في ديوانه.

(٥) القراءات الشاذة ص٩٣، والمحتسب ٢/ ٦٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٩١.

(٦) ينظر الكشاف ٢/ ٥٨٤، وتفسير الرازي ٢٢/ ٢٢٤.

(٧) البيت لأبي الطيِّب المتنبي، وهو في ديوانه ٤/ ٢١٦، وفيه: تَضْوَى، بدل: تضنَى.

وقرأ الجمهور: «آلهةً» بالنصب على خبر «كان»، وقرأ طلحة بالرفع على أنَّ في «كان» ضميرَ الشأن.

«وكلٌّ فيها» أي: كلٌّ من العابدين ومعبوداتِهم.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ وهو صوتُ نَفَس المغموم يخرجُ من القلب. والظاهرُ أن الزَّفير إنما يكونُ ممَّن تقومُ به الحياة، وهم العابدون والمعبودون ممَّن كان يدَّعي الإلهيَّة، كفرعونَ وغُلاةِ الإسماعيلية الذين كانوا ملوكَ مصرَ من بني عُبيد أولِ ملوكهم، ويجوزُ أن يجعلَ اللهُ تعالى للأصنام التي عُبدت حياةً فيكونُ لها زفير.

وقال الزمخشريّ: إذا كانوا هم وأصنامُهم في قَرَنٍ واحد جازَ أن يقالَ: لهم فيها زفير وإنْ لم يكن الزافرين إلا هم.

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ رُوِيَ عن ابنِ مسعود أنهم يُجعلون في توابيتَ من نار فلا يسمعون[١]، وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وفي سماع الأشياء رَوْحٌ، فمنعَ اللهُ الكفارَ ذلك في النار[٢].

وقيل: لا يسمعون ما يَسُرُّهُم من كلام الزَّبانية[٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٤١٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٣، وأول الخبر: إذا أُلقيَ في النار من يُخلَّد فيها جعلوا في توابيت من نار... إلخ.
(٢) تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٣، وبنحوه مختصر في زاد المسير ٥/ ٣٩٢ عن عون بن عمارة.
(٣) في تفسير القرطبي: لا يسمعون ما يسرُّهم، بل يسمعون صوت من يتولَّى تعذيبهم من الزبانية.

وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

سببُ نزول ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ قولُ ابنِ الزِّبَعْرَى حين سمعَ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ لرسولِ الله ﷺ: قد خصمتُك وربِّ الكعبة، أليسَ اليهودُ عبدُوا عُزَيْراً، والنصارى عبدُوا المسيح، وبنو مُلَيْحٍ عبدُوا الملائكة؟ فقال النبي ﷺ: «هم عبدُوا الشياطين التي أمرَتْهم بذلك»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية(١).

وقيل: لمَّا اعترضَ ابنُ الزِّبَعْرَى قيل لهم(٢): ألستُم قوماً عَرَباً؟ أوَما علمتم أنَّ «مَنْ» لمن يعقل، و«ما» لما لا يعقل(٣)؟

فعلى القولِ الأول يكونُ ابنُ الزِّبَعرى قد فهمَ من قوله: «وما تعبدون» العموم، فلذلك نزلَ قولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم﴾ الآية تخصيصاً لذلك العموم، وعلى هذا القول الثاني يكون ابنُ الزِّبَعْرَى رام مغالطةً فأُجيب بأنَّ «مَنْ» لمن يعقل، و«ما» لما لا يعقل، فبطل اعتراضُه.

و«الحُسْنَى» الخَصْلَةُ المفضَّلة في الحُسن، تأنيث الأحسن إمَّا السعادة، وإمَّا البشرى بالثواب، وإمَّا التوفيق للطاعة(٤).

والظاهر من قوله: «مُبْعَدُون» فما بعدَه أنَّ من سبقت له الحسنى لا يدخلُ النار.

ورُوِيَ أنَّ عليًّا كرَّم الله وجهَه قرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعُمرُ وعثمانُ وطلحةُ والزُّبير وسعدٌ وعبدُ الرحمن بن عوف. ثم أُقيمت الصلاة، فقامَ يجرُّ رداءَه وهو يقول: «لا يسمعون حَسِيسَهَا»(٥).

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٧٦، والكشاف ٢/ ٥٨٤ (واللفظ منه).
(٢) في (ح) و(يه): رام مغالطة فأُجيب، بدل: قيل لهم.
(٣) رُوي مرفوعاً كما ذكر ابن حجر في الكافي الشاف ص١١١-١١٢، وقال: لا أصل له، والوضع عليه ظاهر.
(٤) الكشاف ٢/ ٥٨٤.
(٥) المصدر السالف ٢/ ٥٨٤-٥٨٥، وهو في تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٦٩.

والحَسِيسُ: الصوتُ الذي يُحَسُّ من حركة الأجرام.

وهذا الإبعادُ وانتفاءُ سماعِ صوتِها قيل: هو قبل دخولِ الجنة، وقيل: بعدَ دُخولِهم واستقرارِهم فيها.

والشهوةُ طلبُ النفسِ اللذَّةَ[١].

وقال ابنُ عطيَّة: وهذه[٢] صفةٌ لهم بعدَ دُخولِهم الجنةَ لأنَّ الحديث يقتضي أنه في الموقف تَزفِرُ جهنمُ زَفْرَةً لا يبقَى نبيٌّ ولا ملك إلا جَثَا على ركبتيه[٣]. والفَزَعُ الأكبرُ عامٌّ في كل هَوْلٍ يكونُ في يوم القيامة، فكأنَّ يومَ القيامة بجملته هو الفزعُ الأكبر، وإن خُصّص بشيء فيجبُ أن يُقصد لأعظمِ هَوْلَةٍ. انتهى.

وقيل: الفَزَعُ الأكبرُ وقوعُ طبقِ جهنمَ عليها. قاله الضحاك، وقيل: النفخة الأخيرة، وقيل: الأمر بأهل النار إلى النار، رُويَ عن ابنِ جُبير وابنِ جُرَيْج والحسَن، وقيل: ذَبْحُ الموت[٤]، وقيل: إذا نوديَ ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وقيل: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ ذكره مكّيّ[٥].

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ بالسلام عليهم، وعن ابن عبَّاس: تتلقَّاهم الملائكةُ بالرحمة عند خروجهم من القبور قائلين لهم: ﴿هَـٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ بالكرامة والثواب والنعيم[٦].

---

(١) تفسير الرازي ٢٢/ ٢٢٧.

(٢) الإشارة إلى قوله: «لا يسمعون حسيسها». والكلام في المحرر الوجيز ٤/ ١٠١-١٠٢.

(٣) هو قطعة من كلام كعب، أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسير سورة النحل ١/ ٢/ ٣٦٣، وأحمد في الزهد ص١٥١، وأورده القرطبي في تفسيره ١٢/ ٤٥١ في «النحل» (١١١). والكلام أعلاه من المحرر الوجيز كما سلف.

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٤٢١-٤٢٢، والكشاف ٢/ ٥٨٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠٢، وزاد المسير ٥/ ٣٩٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٥.

(٥) لم أقف على هذا القول في الهداية لمكي، وفيه قوله الذي يفيد تعلق «يوم» بـ «لا يحزنهم» كما سيرد، فقال: لا يحزنُهم الفزع الأكبرُ يومَ نطوي السماء.

(٦) ينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٦.

وقرأ أبو جعفر: «لا يُحْزِنُهُم» مضارع «أحزنَ»[١] وهي لغة تميم، و«حَزَنَ» لغة قريش.

والعاملُ في «يومَ»: «لا يَحْزُنُهم» أو «تَتَلقَّاهم»، وأجازَ أبو البقاء أن يكون بدلاً من العائد المحذوف في «تُوعدون»[٢] فالعاملُ فيه «تُوعدون» أي: تُوعدونَه، أو مفعولاً بـ «اذْكُرْ» أو منصوباً بـ «أَغني».

وأجازَ الزمخشريّ[٣] أن يكون العاملُ فيه الفَزَع، وليس بجائزٍ لأنَّ الفَزَع مصدر، وقد وُصف قبل أخذِ معمولِه، فلا يجوزُ ما ذكَرَ.

وقرأ الجمهور: «نَطْوِي» بنون العظمة، وفرقةٌ منهم شيبة بن نِصَاح: «يَطْوِي»[٤] بياء، أي: الله، وأبو جعفر وفرقة بالتاء مضمومة وفتح الواو، و«السماءُ» رفعاً[٥].

والجمهورُ: «السِّجِلِّ» على وزن الطِّمِرِّ[٦]، وأبو هريرة وصاحبُه أبو زُرْعة بن عمرو بن جَرِير بضمتين وشدّ اللام، والأعمشُ وطلحةُ وأبو السَّمَّال: «السَّجْل» بفتح السين، والحسنُ وعيسى بكسرها، والجيمُ في هاتين القراءتين ساكنة واللام مخفَّفة، وقال أبو عَمرو: قراءةُ أهل مكة مثلُ قراءةِ الحسن[٧].

وقال مجاهد: السِّجِلّ: الصحيفة[٨]، وقيل: هو مخصوصٌ من الصحف بصحيفة العهد، والمعنى: طَيًّا مثلَ طَيِّ السِّجِلِّ.

و«طَيّ» مصدر مضاف إلى المفعول، أي: ليكتبَ فيه، أو لِما يكتبُ فيه من المعاني الكثيرة، والأصل: كطَيِّ الطاوي السِّجِلَّ، فحُذف الفاعل، وحذفُه يجوزُ

---

(١) النشر ٢/ ٢٤٤.
(٢) الإملاء ٢/ ١٣٧، قال السمين في الدر المصون ٨/ ٢٠٨: فيه نظر، وينظر كلامه ثمة.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٨٥.
(٤) نسبها القرطبي في تفسيره ١٤/ ٢٩٦ لمجاهد.
(٥) النشر ٢/ ٣٢٤، وزاد نسبتها القرطبي في تفسيره ١٤/ ٢٩٦ لشيبة بن نِصَاح، والأعرج والزُّهري، وزاد نسبتها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٣٩٤ لأبي العالية وابن أبي عبلة.
(٦) وزن فِلِزّ، وهو الفرس الجواد. ينظر القاموس (طمر).
(٧) ينظر القراءات الشاذة ص٩٣، والمحتسب ٢/ ٦٧.
(٨) تفسير الطبري ١٦/ ٤٢٤-٤٢٥، وزاد المسير ٥/ ٣٩٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٩٧.

مع المصدر المنحلّ لحرفٍ مصدريّ والفعل، وقدَّره الزمخشريّ[١] مبنيًّا للمفعول، أي: كما يُطْوَى السِّجِلّ.

وقال ابنُ عبَّاس وجماعة: السِّجِلّ مَلَكٌ يَطوِي كتبَ بني آدم إذا رُفعت إليه[٢]. وقالت فرقة: هو كاتبٌ كان لرسولِ الله ﷺ، وعلى هذين القولين يكون المصدرُ مضافاً للفاعل.

وقال أبو الفضل الرازيّ: الأصحُّ أنه فارسيٌّ معرَّب. انتهى.

وقيل: أصلُه من المُسَاجَلَة، وهي من السَّجْل، وهو الدَّلوُ مَلْأَى ماءً.

وقال الزجاج: هو الرجل[٣] بلسان الحبش.

وقرأ الجمهور: «للكتاب» مفرداً، وحمزة والكسائيّ وحفص: «للكتب» جمعاً[٤]، وسكَّن التاءَ الأعمش.

وقال الزمخشريّ: «أوَّلَ خَلْقٍ» مفعول «نُعيد» الذي يُفسِّرُه «نُعيدُه» والكافُ مكفوفة بـ «ما»، والمعنى: نُعيدُ أوَّلَ الخلق كما بَدَأْناه تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السَّواء.

فإن قلت: وما أولُ الخلق حتى يعيدَه كما بدأه؟

قلت: أوَّلُه إيجادُه من العَدَم، فكما أوجدَه أولاً عن عَدَم يُعيدُه ثانياً عن عَدَم.

فإن قلتَ: ما بالُ «خَلْقٍ» منكَّراً؟

قلت: هو كقولك: هو أوَّلُ رجلٍ جاءني، تريدُ أوَّلَ الرِّجال، ولكنَّك وَحَّدْتَهُ ونكَّرْتَهُ إرادةَ تفصيلِهم رجلاً رجلاً، فكذلك معنى «أوَّلَ خَلْقٍ» أوَّلُ الخلائق، لأن الخلق مصدرٌ لا يُجمع.

---

(١) الكشاف ٢/ ٥٨٥.

(٢) تفسير الرازي ٢٢/٢٢٨، وتفسير القرطبي ١٤/٢٩٧، والمصدر السالف دون نسبة.

(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: رجل. والمثبت من معاني الزجاج ٣/٤٠٦، وتفسير الرازي ٢٢/٢٢٨.

(٤) السبعة ص٤٣١، والتيسير ص١٥٥.

ووجهٌ آخرُ وهو أنْ تنتصب الكاف بفعل مضمر يُفسِّرُه «تُعيدُه» و«ما» موصولة، أي: نُعيدُ مثلَ الذي بدأناه نُعيدُه.

و«أوَّلَ خَلْقٍ» ظرفٌ لـ «بَدَأْنا»[١] أي: أوَّلَ ما خلقَ، أو حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في المعنى. انتهى.

والظاهر أنَّ الكاف ليست مكفوفة كما ذكر، بل هي جارَّة و«ما» بعدَها مصدريَّة ينسبِكُ منها مع الفعل مصدر هو في موضع جرٍّ بالكاف، و«أوَّلَ خَلْق» مفعول «بَدَأْنا»، والمعنى: نُعِيدُ أوَّلَ خَلْقٍ إعادةً مثلَ بَدْأتِنا له، أي: كما أبْرَزْناه من العدم إلى الوجود نُعيدُه من العدم إلى الوجود، وفيما قَدَّرَهُ الزمخشريُّ تهيئةُ «بَدَأْنا» لأن ينصب «أوَّلَ خَلْقٍ» على المفعولية، وقطعُه عنه من غير ضرورة تدعو إلى ذلك، وارتكابُ إضمار «نُعيد» مفسَّراً بـ «نُعيدُه»، وهذه عُجْمةٌ لا تجوزُ[٢] في كتاب الله.

وأمَّا قولُه: ووَجْهٌ آخَرُ وهو أن تنتصبَ الكاف بفعل مضمر يفسِّرُه «نُعيدُه» فهو ضعيفٌ جدّاً لأنه مبنيٌّ على[٣] أنَّ الكاف اسمٌ لا حرفٌ، وليس مذهبَ الجمهور، وإنما ذهبَ إلى ذلك الأخفش، وكونُها اسماً عند البصريِّين مخصوصٌ بالشعر[٤].

وقال ابنُ عطيَّة: يحتمل معنيين:

أحدُهما أن يكون خبراً عن البعث، أي: كما اخترَعْنَا الخلقَ أوَّلاً على غير مثال كذلك نُنْشِئُهم تارةً أُخرى فنبعثُهم من القبور.

---

(١) في النسخ الخطية والكشاف ٢/ ٥٨٥ (والكلام منه): بدأناه، وأثبتُّ اللفظ كما هو في الآية، وينظر تفسير البيضاوي وحاشية الشهاب عليه ٦/ ٤٧٨.

(٢) قوله: لا تجوز، من (ح) و(يه).

(٣) من قوله: أن تنتصب الكاف... إلى هذا الموضع من المطبوع، وهو أيضاً في الدر المصون ٨/ ٢١٢ عن البحر، وفي الدر اللقيط بهامش المطبوع ٦/ ٣٤٣.

(٤) في النسخ الخطية والمطبوع والدر اللقيط: غير مخصوص بالشعر، والتصويب من الدر المصون ٨/ ٢١٢، قال ابن هشام في مغني اللبيب ١/ ٢٣٨: الكاف الاسمية الجارة مرادفة لمثل، ولا تقع كذلك عند سيبويه والمحققين إلا في الضرورة. وينظر الارتشاف ٤/ ١٧١٣، وهمع الهوامع ٢/ ٤٤٩.

والثاني أن يكون خبراً عن أنَّ كلَّ شخصٍ يُبعَثُ يومَ القيامةِ على هيئته التي خرجَ بها إلى الدنيا، ويُؤيِّدُه: «يُحْشَرُ الناس يومَ القيامةِ حُفاةً عُرَاةً غُرْلاً، كما بَدَأنا أوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه»[١].

وقولُه: «كما بَدَأْنا» الكاف متعلِّقة بقوله: «نُعِيدُه» انتهى.

وانتصبَ «وَعْداً» على أنه مصدرٌ مؤكِّدٌ لمضمون الجملةِ الخبريَّةِ قبلَه.

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ تأكيد لتحتُّم الخبر، أي: نحن قادرون على أن نفعل.

والزَّبُور؛ الظاهرُ أنه زَبُورُ داودَ، وقاله الشعبيّ، ومعنى هذه الآية: موجودٌ في زَبُورِ داودَ وقَرَأْناه فيه. والذِّكْرُ: التوراة، قاله ابنُ عباس، وقيل: الزَّبُور: ما بعدَ التوراة من الكتب، والذِّكْرُ: التوراة، وقيل: الزَّبُور يَعُمُّ الكتبَ المنزلة، والذِّكْرُ اللوحُ المحفوظ[٢].

والأرض؛ قال ابنُ عباس: أرضُ الجنة، وقيل: الأرضُ المقدَّسةُ، يَرِثُها أمَّةُ محمدٍ ﷺ[٣].

والإشارةُ في قوله: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ إلى المذكور في هذه السورة من الأخبار والوَعْدِ والوعيدِ والمواعظِ البالغة ﴿لَبَلَٰغًا﴾: كفايةً يبلغُ بها إلى الخير.

وقيل: الإشارةُ إلى القرآن جملةً.

وكونُه ﷺ رحمةً لكونِه جاءهم بما يُسْعِدُهم، و«للعالمين» قيل: خاصٌّ بمن آمنَ به، وقيل: عامٌّ، وكونُه رحمةً للكافر حيث أخَّرَ عقوبتَه، ولم يستأصلِ الكفارَ بالعذاب، قال معناه ابنُ عباس، قال: عُوفُوا ممَّا أصابَ غيرَهم من الأمم من مسخٍ وخسفٍ وغرقٍ وقذفٍ، وأخَّرَ أمرَهم إلى الآخرة[٤].

---

(١) قطعة من حديث ابن عباس ﷺ أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠)، ولفظُه من المحرر الوجيز ٤/ ١٠٢ (والكلام منه).

(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٥٨٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠٣، وزاد المسير ٥/ ٣٩٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٠-٣٠١.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٤٣٥-٤٣٦، والنكت والعيون ٣/ ٤٧٥، والكشاف ٢/ ٥٨٦، وزاد المسير ٥/ ٣٩٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٠١.

(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٧٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٢.

قال ابنُ عطية[١]: ويحتمل أن يكون معناه: وما أرسلناك للعالمين إلا رحمةً، أي: هو رحمةٌ في نفسِه وهُدًى بيِّن، أخَذَ بهِ مَنْ أخَذَ، وأعرضَ عنه مَنْ أعرضَ. انتهى.

ولا يجوزُ على المشهور أن يتعلَّق الجارُّ بعدَ «إلّا» بالفعل قبلَها إلا إن كان العاملُ مفرَّغاً له، نحو: ما مررتُ إلا بزيدٍ[٢].

وقال الزمخشريّ[٣]: «إنَّما» لِقَصْرِ الحُكْم على شيء، أو لِقَصْرِ الشيء على حُكْم، كقولك: إنَّما زيدٌ قائمٌ، وإنَّما يقومُ زيدٌ، وقد اجتمعَ المِثْلان في هذه الآية، لأنَّ «إنَّما يُوحَى إليَّ» مع فاعلِه بمنزلة: إنَّما يقومُ زيدٌ، و«أنَّما إلهُكُم إلهٌ واحدٌ» بمنزلة: إنَّما زيدٌ قائمٌ، وفائدةُ اجتماعِهما الدلالةُ على أنَّ الوَحْيَ إلى الرسولِ ﷺ مقصورٌ على استئثار اللهِ بالوحدانيّة. انتهى.

أمَّا ما ذكرَه في «إنَّما» أنها لِقَصْرِ ما ذكرَ فهو مبنيٌّ على أنَّ «إنَّما» للحَصْر، وقد قرَّرْنا أنها لا تكونُ للحَصْر، وأن «ما» مع «إنَّ» كهي مع «كأنَّ» ومع «لَعلَّ»، فكما أنها لا تفيد الحَصْرَ في التشبيه ولا الحَصْرَ في الترجِّي؛ فكذلك لا تفيده مع «إنَّ».

وأمَّا جعلُه «أنَّما» المفتوحة الهمزة مثل مكسورتِها يدلُّ على القَصْر فلا نعلمُ الخلافَ إلا في «إنما» بالكسر، وأمَّا بالفتح فحرفٌ مصدريٌّ يَنْسَبِكُ منه مع ما بعدَها مصدر، فالجملةُ بعدَها ليست جملةً مستقلّة، ولو كانت «إنَّما» دالةً على الحَصْر لزمَ أنْ يُقال: إنه لم يُوحَ إليه شيءٌ إلا التوحيد، وذلك لا يصحُّ الحَصْرُ فيه، إذْ قد أُوحِيَ له أشياءُ غيرُ التوحيد[٤]، وفي الآية دليلٌ على تظافر المنقول للمعقول، وأنَّ النقلَ أحدُ طريقي التوحيد.

ويجوزُ في «ما» من «إنَّما يُوحَى» أنْ تكون موصولة.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٠٣.
(٢) تعقَّب السمين في الدُّرّ ٨/ ٢١٤ هذا الكلام وقال: فيه نظر من حيث إنَّ هذا أيضاً مفرَّغ، لأنَّ المفرَّغ عبارة عمَّا افتقرَ ما بعدَ «إلا» لِما قبلَها على جهة المعمولية له.
(٣) الكشاف ٢/ ٥٨٦.
(٤) ينظر مناقشة الآلوسي لهذا الكلام في روح المعاني ١٧/ ٢٢٢-٢٢٣.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استفهامٌ يتضمَّن الأمرَ بإخلاص التوحيد والانقيادِ إلى الله تعالى. ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾ أعلَمتُكم، وتتضمَّن معنى التحذير والنِّذَارَة. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: لم أخُصَّ أحداً دون أحد، وهذا الإيذانُ هو إعلامٌ يَحُلُّ بمَنْ تَولَّى من العقاب وغَلَبةِ الإسلام، ولكني لا أدري متى يكون ذلك.

و«إنْ» نافية، و«أدْرِي» معلَّقة، والجملةُ الاستفهامية في موضع نصب بـ «أدْرِي»، وتأخَّر المستفهَمُ عنه لكونه فاصلة، إذْ لو كانَ التركيب: أقريبٌ ما توعدون أم بعيد، لم تكن فاصلة، وكثيراً ما يرجَّح الحكم في الشيء لكونه فاصلةً آخرَ آية.

وعن ابنِ عامر في رواية: «وإنْ أدْرِيَ» بفتح الياء في الآيتين تشبيهاً بياء الإضافة لفظاً وإن كانت لامَ الفعل ولا تفتح إلا بعامل، وأنكر ابنُ مجاهد فتحَ هذه الياء[١].

والمعنى أنه تعالى لم يُعْلِمْني عِلْمَه ولم يُطلعني عليه، واللهُ هو العالِمُ الذي لا يَخْفَى عليه شيء.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ أي: لعلَّ تأخيرَ هذا الموعد امتحانٌ لكم لينظرَ كيف تعملون، أو تَمْتِيعٌ لكم إلى حينٍ ليكونَ ذلك حجةً وليقعَ الموعدُ في وقت هو حكمة[٢].

و«أدري» هنا معلَّقة أيضاً، وجملة الترجِّي هي مصبُّ الفعل، والكوفيُّون يُجرون «لعلَّ» مُجْرَى «هل»، فكما يقعُ التعليقُ عن «هل» فكذلك عن «لعلَّ» ولا أعلم أحداً ذهبَ إلى أنَّ «لعلَّ» من أدوات التعليق وإن كان ذلك ظاهراً فيها كقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣].

وقيل: «إلى حين»: إلى يوم القيامة، وقيل: إلى يوم بدر.

وقرأ الجمهور: «قُلْ رَبِّ» أمراً وبكسر الباء. وقرأ حفص: «قال»، وأبو جعفر: «رَبُّ» بالضم[٣]؛ قال صاحب «اللوامح»: على أنه منادى مفرد، وحَذْفُ حرف

---

(١) ينظر المحتسب ٢/ ٦٨، والإملاء ٢/ ١٣٨، وجاء في الدر المصون ٨/ ٢١٦: ابن عباس، بدل: ابن عامر، وهو خطأ.
(٢) الكشاف ٢/ ٥٨٦-٥٨٧.
(٣) ينظر السبعة ص٤٣١-٤٣٢، والتيسير ص١٥٦، والنشر ٢/ ٣٢٥.

النِّداء فيما جاز أن يكون وصفاً لـ «أيّ» بعيدٌ بابُه الشِّعر. انتهى[(١)].

وليس هذا من نداء النكرة المقبَلِ عليها، بل هذا من اللغات الجائزة في: يا غلامي، وهي أن تبنيَه على الضمّ وأنتَ تَنْوِي الإضافة لما قطعتَه عن الإضافة وأنت تريدُها بنيَّتِهِ، فمعنى «رَبُّ» يا ربِّي.

وقرأ الجمهور: «احْكُمْ» على الأمر من «حَكَمَ» وقرأ ابنُ عباس وعكرمة وابنُ يعمر والضحاك والجَحْدَريّ وابنُ مُحَيْصِن: «رَبِّي» بإسكان الياء «أَحْكَمُ»[(٢)] جعلَه أفعل التفضيل، فـ «رَبِّي أَحْكَمُ» مبتدأ وخبر. وقرأت فرقة: «أَحْكَمَ» فعلاً ماضياً[(٣)].

وقرأ الجمهور: «تصفون» بتاء الخطاب، ورُوِيَ أن النبيَّ ﷺ قرأ على أُبيّ: «على ما يصفون» بياء الغيبة، ورُويت عن ابن عامر وعاصم[(٤)].

---

(١) ينظر شرح المفصل ٢/ ١٥، وشرح الرضي على الكافية ١/ ٣٨٧.

(٢) المحتسب ٢/ ٧١، وذكرت في القراءات الشاذة ص٩٣ عن الجحدري، وفي تفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٤ عن الضحاكِ وطلحة ويعقوب. وينظر القراءات الشاذة ص٩٣.

(٣) نسبها القرطبي في تفسيره ١٤/ ٣٠٥ للجحدري.

(٤) ينظر السبعة ص٤٣٢، وزاد المسير ٥/ ٤٠٠، والنشر ٢/ ٣٢٥. والقراءة المتواترة عن عاصم وابن عامر كقراءة الجمهور.

سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا
تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ
وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ
السَّعِيرِ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ
يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا
عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي
الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي
الْقُبُورِ (٧) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨) ثَانِيَ
عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٠) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ
خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ
(١٢) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَنْ كَانَ
يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ

كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥۤ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ
عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ
ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ
﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن
يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ
وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً
ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا
لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ
عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ
بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ
نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ
رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ
وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ
فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ
﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ
إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ
أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ
فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ
كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ
مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

المفردات ذَهَلَ عن الشيء ذُهُولاً: اشتغلَ عنه. قاله قُطْرُب[١]. وقال غيره: غَفَلَ لطَرَيانِ شاغلٍ من همٍّ أو وَجَع أو غيره[٢]، وقيل: مع دهشة.

المُضْغَة: اللحمة الصغيرة قدر ما يُمْضَغُ، المُخَلَّقة: المُسَوَّاة الملساء لا نقصَ ولا عيبَ فيها، يقال: خَلَقَ السِّواكَ والعُودَ: سوَّاه ومَلَّسَه، من قولهم: صَخْرةٌ خَلْقَاء، أي: مَلْسَاء.

الطِّفلُ يقالُ من وقت انفصالِ الولدِ إلى البلوغ، ويقال لولد الوحشيَّة: طفل، ويُوصف به المفرد والمثنَّى والمجموع والمذكَّر والمؤنَّث بلفظ واحد، ويقال أيضاً: طِفْلٌ وطِفْلَان وأطفال، وأَطْفَلَتِ المرأةُ: صارَتْ ذاتَ طِفْل، والطَّفْلُ بفتح الطاء: النَّاعمُ، وجارية طَفْلَة: ناعمة، وبَنَانٌ طَفْلٌ، وقد طَفَّلَ الليلُ: أقبلَ ظَلامُه، والطَّفَلُ بالتحريك بعد العصر إذا طَفَلَتِ الشمسُ للغروب، والطَّفَل أيضاً مطرٌ[٣].

وقال المبرِّد: هو اسمٌ يُستعملُ مصدراً كالرِّضا والعَدْل يقع على الواحد والجمع[٤].

هَمَدَتِ الأرضُ: يَبِسَتْ ودَرَسَتْ، والثوبُ: بَلِيَ. انتهى. وقال الأعشى:

قالَت قُتيلةُ ما لِجِسْمِكَ شاحِبًا وأرَى ثيابَكَ بالِياتٍ هُمَّدَا[٥]

البهيجُ: الحَسَن السَّارُّ للناظر، يقال: فلانٌ ذو بَهْجَة، أي: حُسْن، وقد بَهُجَ - بالضم - بَهَاجةً وبَهْجَةً، فهو بَهِيجٌ، وأَبْهَجَني أعْجَبَني بحُسْنِهِ.

العِطْفُ: الجانبُ، وعِطْفَا الرَّجلِ: يمينُه وشِمالُه، وأصله من العطف وهو اللَّيُّ[٦]، ويسمَّى الرِّداءُ: العِطافَ.

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١٠.
(٢) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٠٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١٢.
(٣) ينظر تهذيب اللغة ١٣/ ٣٤٨، والصحاح (طفل)، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٢.
(٤) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢١-٣٢٢.
(٥) النكت والعيون ٤/ ٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٣، وهو في ديوان الأعشى ص٢٧٧ برواية: سايئاً، بدل: شاحباً.
(٦) في (أ) و(ع) والمطبوع: اللين، وهو تحريف.

المَجُوس: قومٌ يعبدون النارَ والشمسَ والقمر، وقيل: يعبدون النار، وقيل: قومٌ اعتزلُوا النصارى ولبسُوا المُسُوح[١]، وقيل: قومٌ أخذُوا من دين النصارى شيئاً ومن دينِ اليهود شيئاً، وهم القائلون: العالم أصلان: نورٌ وظُلمة. وقيل: الميم في المجوس بدلٌ من النون لاستعمالهم النجاسات. صَهَرْتُ الشحمَ بالنار: أذبتُه، والصُّهارة الألْيَةُ المُذَابة، وقيل: يُنْضَجُ[٢]. قال الشاعر:

تَصْهَرُهُ الشمسُ ولا يَنْصَهِرُ

المِقْمَعَةُ بكسر الميم: المِقْرَعَةُ يُقْمَعُ بها المضروبُ.

اللؤلؤ: الجوهر، وقيل: صغارُه وكباره[٣].

الضامرُ: المَهْزُول.

العميق: البعيد، وأصلُه البُعد سُفْلاً. يقال: بئر عميق أي: بعيدةُ القَعْرِ والغَوْر، والفعل عَمِقَ وعَمُقَ، قال الشاعر:

إذا الخيلُ جاءتْ من فِجاجٍ عميقةٍ يَمُدُّ بها في السَّيْرِ أشْعَثُ شاحبُ[٤]

ويقال: غميق، بالغَيْن، وقال الليث: يقال: عَمِيق ومَعِيق [والعميقُ في الطريق أكثر، وقال الفراء: عميق لغة الحجاز، ومعيق][٥] لتميم، وأعْمَقْتُ البئرَ وأمْعَقْتُها، وقد عَمُقَتْ ومَعُقَتْ عَماقةً ومَعَاقةً، وهي بعيدة العمق والمعق، والأمعاقُ والأعماقُ: أطراف المفازة، قال رُؤبة:

وقاتم الأعماقِ خاوي المُخْتَرَقْ[٦]

(١) جمع مِسْح، وهو كساء من شعر يلبسُه الزاهد.
(٢) أي أنَّ معنى «يُصْهَرُ» في الآية (٢٠): يُنْضَجُ.
(٣) يعني أنه قيل: صغارُه، وقيل: كبارُه. ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١١٥.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١١٨، ولم أقف عليه في مصدر آخر.
(٥) ما بين حاصرتين من الدر المصون ٨/ ٢٦٧، وكلام الليث والفراء في تهذيب اللغة ١/ ٢٩٠.
(٦) ديوان رؤبة ص١٠٤، وهو في تهذيب اللغة ١/ ٢٩٠، والكلام السالف فيه، وينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٥.

التَّفَثُ أصلُه الوَسَخُ والقَذَر، يقال لمن يُستقذر: ما أَتْفَثَك[1]! وعن قُطْرُب: تَفِثَ الرجلُ: كثُر وسخُه في سفره[2].

وقال أبو محمد البصريّ: التَّفَثُ من التَّفّ، وهو وَسَخُ الأظفار، وقُلبت الفاء ثاءً كـ «مُغْثُور»[3].

السَّحِيق: البعيد.

وَجَبَ الشيء: سَقَطَ، ووجَبَتِ الشمسُ جِبَةً[4]، قال أوس بنُ حِجْر:

ألم تُكْسَفِ الشمسُ شمسُ النَّهارِ والبدرُ للجَبَلِ الواجِبِ[5]

القانعُ: السائلُ، قَنَعَ قُنُوعاً: سألَ، وقَنِعَ قَناعةً: تَعفَّفَ واستغنى ببُلْغَتِهِ، قال الشمَّاخ:

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فيُغْني مَفَاقِرَهُ أعَفُّ من القُنُوعِ[6]

الوَثَنُ قال شَمِر: كلُّ تمثالٍ من خشبٍ أو حجارةٍ أو ذهبٍ أو فضةٍ أو نحاسٍ ونحوها، وكانت العرب تَنْصِبُها وتعبُدُها[7]، ويطلق على الصَّليب؛ قال الأعشى:

---

(١) في النسخ الخطية ومطبوع البحر ومطبوع الدر المصون ٨/ ٢٦٨: ما تَفَثُك. والتصويب من تهذيب اللغة ١٤/ ٢٦٦، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٩٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٨٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٧٩ دون قوله: في سفره.

(٣) مُغْثُور ومُغْفُور: واحد المَغَاثِير والمَغَافِير، وهو صمغ حُلْوٌ يؤكل، وسلف الكلام عليه في الأنبياء (٩٦).

(٤) الكشاف ٢/ ١٥. وجاء في (ح) و(يه): وَجْبةً، وفي اللسان والتاج (وجب): وجبت الشمس وَجْباً ووُجوباً: غابَتْ.

(٥) ديوانه ص١٠، وروايتُه فيه:

ألم تُكْسَفِ الشمسُ والبدرُ والْـ كواكبُ للجبلِ الواجبِ

وهو في النكت والعيون ٤/ ٢٧، برواية: ضوءُ النهار، بدل: شمس النهار، وهو برواية المصنف في الزاهر ١/ ٢٩٥.

(٦) ديوان الشمَّاخ ص٢٢١، وهو أيضاً في مجاز القرآن ٢/ ٥١، والنكت والعيون ٤/ ٢٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠١. قوله: مَفَاقِرَه، أي: وجوه الفقر.

(٧) تهذيب اللغة ١٥/ ١٤٤.

يَطُوفُ[(١)] العُفَاةُ بأبوابِهِ كَطُوفِ النَّصَارَى بباب الوَثَنْ[(٢)]

وقال رسول الله ﷺ لعديّ بنِ حاتم وقد رَأى في عُنقِه صليباً: «أَلْقِ هذا الوَثَنَ عنك»[(٣)].

واشتقاقُه من: وَثَنَ الشيءُ: أقامَ[(٤)] في مكانِه وثبتَ، والواثنُ: المقيم الراكزُ في مكانه، وقال رؤبة:

عَلَى أَخِلَّاءِ الصَّفَاءِ الوُثَّنِ[(٥)]

يعني الدُّوَّم على العهد.

البُدْن جمع بَدَنَة، كثُمْرٍ جمع ثَمَرَة، قاله الزجّاج[(٦)]، سُمِّيت بذلك لأنها تُبَدَّنُ، أي: تُسَمَّنُ.

وقال الليث: البَدَنَةُ ـ بالهاء ـ تقعُ على الناقةِ والبعيرِ والبقرةِ ممَّا يجوزُ في الهَدْي والأضاحي، ولا يقعُ على الشاة، وسُمّيت بَدَنَةً لعِظَمِها[(٧)].

وقيل: تختصُّ بالإبل، وقيل: ما أُشْعِرَ من ناقةٍ أو بقرة، قاله عطاءٌ وغيرُه[(٨)]، وقيل: البَدَنُ مفردٌ اسمُ جنس[(٩)] يُرادُ به العظيمُ السَّمينُ من الإبل والبقر، ويقال للسمين من الرجال[(١٠)].

---

(١) في (ح) و(يه): تطوف.

(٢) ديوان الأعشى ص٧١، وفيه: بيبت الوثن، وكذلك هو في تهذيب اللغة ١٥/ ١٤٤.

(٣) هو قطعة من حديث عديّ ، أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ (٢١٨).

(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: أقامه، وهو خطأ، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٣٨٥.

(٥) ديوان رؤبة ص١٦٣.

(٦) معاني القرآن له ٣/ ٤٢٨، وفيه: بَدَنَة وبُدْن وبُدُن، مثل: ثَمَرة وثُمْر وثُمُر.

(٧) تهذيب اللغة ١٤/ ١٤٤.

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٢.

(٩) في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٢: قالت فرقة: «البُدْنُ» جمع بَدَن بفتح الدال والباء، ثم اختلفَتْ، فقال بعضُها: «البَدَن» مفرد اسم جنس... الخ.

(١٠) أي: ويقال للسمين من الرجال: بَدَن، كما هو في المصدر السالف، وهو في تهذيب اللغة ١٤/ ١٤٤.

المُعْتَرُّ: المتعرِّضُ من غير سؤال، وقال ابن قُتيبة: عَرَّه واعترَّه وعَرَاه واعتَرَاه: أتاه طالباً لمعروفه[١]، قال الشاعر:

سَلِي الطارقَ المُعْتَرَّ يا أُمَّ مالكٍ إذا ما اعْتَرَاني بينَ قِدْرِي ومَجْزَرِي[٢]

وقال الآخر:

لَعَمْرُكَ ما المُعْتَرُّ يَغْشَى بلادَنا لِنَمْنَعَهُ بالضائعِ المُتَهَضِّمِ[٣]

* * *

التفسير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾.

---

(١) بنحوه في غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٩٣.

(٢) نسب البيت في الحماسة لعروة بن الورد (شرح التبريزي ٤/ ٦٥)، وكذا نسبه إليه ابن حبيب كما ذكر صاحب الأغاني ١٣/ ٦٧، وهو في ديوانه ص٤٤ (طبعة دار صادر) وص٩٠ بشرح ابن السكّيت (طبعة وزارة الثقافة) لكن هذا البيت ليس من رواية ابن السكّيت كما ذكر محقّقُه، وفي هذه المصادر «أتاني» بدل: «اعتراني» فعلى هذه الرواية لا شاهد فيه، وهو بنحو رواية المصنف في النكت والعيون ٤/ ٢٨، والبيت في البيان والتبيين ١/ ١٠ باختلاف بعض ألفاظه، ونُسب فيه لحاتم الطائي.

(٣) البيت لحسان بن ثابت ﷺ، وهو في ديوانه ص٢٣٧، ومجاز القرآن ٢/ ٥٢ برواية: يأتي بلادَنا، وهو برواية المصنف في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣. قوله: المتهضِّم، أي: المظلوم.

هذه السورةُ مكيَّة إلا ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ [١٩] إلى تمام ثلاثِ آيات. قاله ابن عباس ومجاهد، وعن ابن عباس أيضاً أنهنَّ أربعُ آيات إلى قوله: ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [٢٢].

وقال الضحَّاك: هي مدنيَّة، وقال قتادة: إلا من قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [٥٢-٥٥].

وقال الجمهور: منها مكّيّ ومنها مَدَنيّ(١).

ومناسبةُ أولِ هذه السورة لِما قبلَها أنه ذكرَ تعالى حالَ الأشقياء والسُّعداء، وذكرَ الفزَعَ الأكبرَ، وهو هَوْلُ(٢) يوم القيامة، وكان مشركو مكةَ قد أنكرُوا المَعَاد وكذَّبوه بسبب تأخُّرِ العذاب عنهم، نزلت هذه السورةُ تحذيراً لهم وتخويفاً لِما انطَوَتْ عليه من ذِكْرِ زلزلةِ الساعةِ وشدَّةِ هَوْلِها وذِكْرِ ما أعدَّ لمنكرها وتنبيهِهم على البعث بتطويرهم في خلقهم وبهُمُودِ الأرضِ واهتزازِها بعدُ بالنبات.

والظاهر أنَّ قوله: «يا أيها النَّاسُ» عامٌّ، وقيل: المرادُ أهلُ مكة. ونبَّه تعالى على سبب اتقائِهِ وهو ما يؤولُ إليه من أهوال الساعة، وهو على حذفِ مضاف، أي: اتَّقُوا عذابَ ربِّكم.

والزلزلةُ: الحركةُ المُزعجة، وهي عندَ النفخة الأولى، وقيل: عندَ الثانية، وقيل: عندَ قول الله: «يا آدمُ ابْعَثْ بَعْثَ النار»(٣).

وقال الجمهور: في الدنيا آخِرَ الزَّمان، ويتبعُها طلوعُ الشمس من مغربها.

وعن الحسن: يومَ القيامة، وعن علقمة والشعبيّ: عندَ طلوع الشمس من مغربها(٤). وأُضيفَتْ إلى الساعة لأنها من أشراطها.

---

(١) ينظر ما سبق من أقوال في المحرر الوجيز ٤/ ١٠٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٠٦، وذكر ابنُ عطية أنَّ الأصحَّ قولُ الجمهور، وقال: لأن الآيات تقتضي ذلك.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: ما يقول، بدل: هَوْل، وهو محرَّف عن لفظ: ما يهول، كما هو في النهر الماذ بهامش البحر ٦/ ٣٤٧.

(٣) هو قطعة من حديث عمران بن حصين ﷺ، أخرجه عنه أحمد (١٩٩٠١)، والترمذي (٣١٦٨) و(٣١٦٩)، والطبري في التفسير ١٦/ ٤٤٩.

(٤) الكشاف ٣/ ٥. وبنحوه في زاد المسير ٥/ ٤٠٣، وتفسير الرازي ٢٣/ ٢.

والمصدرُ مضافٌ للفاعل[١]، والمحذوفُ المفعولُ، وهو الأرض[٢]، يدلُّ عليه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أو: الناس[٣]، ونسبةُ الزلزلةِ إلى الساعة مجاز.

ويجوزُ أن يضافَ إلى المفعول به على طريقة الاتِّساع في الظرف، فتكون «الساعة» مفعولاً بها[٤].

وعلى هذه التقادير يكون ثَمَّ زلزلةٌ حقيقةً.

وقال الحسن: أشدُّ الزلازلِ ما تكونُ مع قيام الساعة، وقيل: الزلزلةُ استعارةٌ، والمرادُ شدَّةُ الساعة، وأهوالُ يومِ القيامة.

و«شيء» هنا يدلُّ على إطلاقه على المعدوم لأن الزلزلة لم تقع بعدُ، ومن منعَ إيقاعه على المعدوم قال: جعلَ الزلزلةَ شيئاً لتيقُّن وقوعِها وصيرورتِها إلى الوجود[٥].

وذكرَ تعالى أهْوَلَ الصِّفات في قوله: «تَرَوْنَها» الآية لينظرُوا إلى تلك الصِّفةِ ببصائرهم ويتصوَّروها بعقولهم ليكونَ ذلك حاملاً على تقواه تعالى، إذْ لا نجاةَ من تلك الشدائدِ إلا بالتقوى.

ورُوِيَ أنَّ هاتين الآيتين نَزَلَتا ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقرأَهما رسولُ الله ﷺ، فلم يُرَ أكثرُ باكياً من تلك الليلة، فلمَّا أصبحوا لم يَحُطُّوا السُّروج عن الدَّوابّ، ولم يضربُوا الخِيَامَ وقتَ النزول، ولم يَطْبُخوا قِدْراً، وكانوا من بينِ حَزِينٍ باكٍ ومفكِّر[٦].

---

(١) في النسخ الخطية: للمفعول، وهو خطأ، والمثبت من المطبوع والنهر الماذّ بهامشه ٦/ ٣٤٧.

(٢) والتقدير: إنَّ زلزالَ الساعةِ الأرضَ، وذلك من «زلزلَ» المتعدِّي، وذكرَ السمين في الدرّ المصون ٨/ ٢٢١ أنه يمكن أن تكون الإضافة للفاعل من «زلزلَ» اللازم على تقدير: إنَّ تزلزلَ الساعةِ.

(٣) والتقدير: إنَّ زلزالَ الساعةِ الناسَ، كما في الإملاء ٢/ ١٣٩.

(٤) وأورد الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٢٣٢ شاهداً عليه: يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدَّارْ، وهو من شواهد سيبويه ١/ ١٧٥.

(٥) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٠٥.

(٦) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٨٣، والكشاف ٣/ ٤ (ولفظه منه)، وهو في تفسير الرازي ٢٣/ ٣ مطوَّل، وفيه ما سلف من قول الله لآدم: ابْعَثْ بَعْثَ النار.

والناصبُ لـ «يوم»: «تَذْهَلُ» والظاهرُ أنَّ الضمير المنصوب في «تَرَوْنَها» عائدٌ على الزلزلة، لأنها المحدَّثُ عنها، ويدلُّ على ذلك وجودُ ذُهُولِ المُرْضِعة، ووَضْعُ الحَمْل، هذا إذا أُرِيدَ الحقيقة، وهي الأصل، ويكون ذلك في الدنيا[١]، وعن الحسن: تَذْهَلُ المرضعةُ عن ولدِها لغيرِ فِطام، وتضعُ الحاملُ ما في بطنها لغير تمام[٢].

وقالت فرقة: الضميرُ يعودُ على الساعة، فيكونُ الذُّهولُ والوَضْعُ عبارةً عن شدَّة الهَوْل في ذلك اليوم، ولا ذُهولَ ولا رَضْعَ[٣] هناك كقولهم: يومٌ يشيبُ فيه الوليد[٤].

وجاء لفظ «مُرْضِعَة» دون: مُرْضِع، لأنه أُرِيدَ به الفعلُ لا النسبُ، بمعنى: ذات رَضاع، قال الشاعر:

كَمُرْضِعةٍ أولادَ أُخْرَى وضيَّعَتْ بني بطنِها هذا الضلالُ عن القَصْدِ[٥]

والظاهرُ أنَّ «ما» في قوله: «عَمَّا أَرْضَعَتْ» بمعنى الذي، والعائدُ محذوف، أي: أرضَعَتْهُ، ويقوِّيه تعدِّي «وتَضَعُ» إلى المفعول به في قوله: «حَمْلَها» لا إلى المصدر، وقيل: «ما» مصدريَّة، أي: عن إرضاعها.

وقال الزمخشري: المُرضِعَة هي التي في حال الإرضاع تُلقِمُ ثَدْيَها الصَّبيَّ، والمُرْضِع التي شأنُها أن تُرضعَ وإن لم تُباشرِ الإرضاع في حال وصفِها به، فقيل: مُرضعة ليدلَّ على أنَّ ذلك الهَوْلَ إذا فُوجِئَتْ به هذه وقد أَلْقَمتِ الرضيعَ ثَدْيَها نَزعَتْهُ عن فيه لِما يلحقُها من الدَّهشة[٦].

---

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٠٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٤، وزاد المسير ٥/ ٤٠٤، قال ابن الجوزي: وهذا يدلُّ على أن الزلزلة تكون في الدنيا، لأن بعد البعث لا تكون حُبْلَى.
(٣) في المطبوع: وَضع.
(٤) وذكرَ ابنُ عطيَّة في المحرر الوجيز ٤/ ١٠٦ أيضاً أن هذا القول يصحُّ على تأويل: يومَ يَرَوْنَ ابتداءَها في الدنيا.
(٥) البيت للعُدَيْل بن الفَرْخ العِجْلي من شعراء الحماسة من قصيدة له، ينظر شرح المرزوقي ٢/ ٧٣٦.
(٦) الكشاف ٣/ ٤.

وخصَّ بعضُ نحاة الكوفة أمَّ الصبيِّ بمرضعة، والمستأجَرَة بمُرْضِع، وهذا باطل بقوله:

كـمُـرْضِـعـةٍ أولادَ أخـرى وضـيَّـعَـتْ

البيت، فهذه مُرضِعةٌ بالتاء وليست أمًّا للذي ترضع.

وقولُ الكوفيِّين: إنَّ الوصف الذي يختصُّ بالمؤنَّث لا يحتاجُ فيه إلى التاء لأنها إنَّما جيءَ بها للفرق مردودٌ بقول العرب: مُرضعة وحائضة وطالقة[١].

وقرأ الجمهور: «تَذْهَلُ كلُّ» بفتح التاء والهاء، ورَفْعِ «كلّ»، وابنُ أبي عَبْلَة واليمانيّ بضمّ التاء وكسرِ الهاء[٢]، أي: تُذْهِلُ الزلزلةُ أو الساعةُ «كلَّ» بالنصب.

والحَمل؛ بالفتح: ما كان في بَطْنٍ أو على رأسِ شجرة.

وقرأ الجمهور: «وتَرَى» بالتاء مفتوحة خطاباً لمفرد، وزيدُ بنُ عليّ بضمّ التاء وكسر الراء، أي: وتُرِي الزلزلةُ أو الساعةُ[٣].

وقرأ الزَّعفرانيُّ وعبَّاس في اختيارِه بضمّ التاء وفتح الراء، ورفع «الناس»[٤]، وأنَّثَ على تأويل الجماعة.

وقرأ أبو هريرة وأبو زُرعة بن عَمرِو بنِ جَرِير وأبو نَهِيك كذلك إلا أنهم نصبُوا «الناس»[٥]، عُدِّيَ «تُرَى» إلى مفاعيلَ ثلاثة، أحدُها الضمير المستكنّ في «تُرَى» وهو ضمير المخاطب مفعولٌ لم يسمَّ فاعلُه، والثاني والثالث «الناسَ سُكارَى».

---

(١) قال السمين في الدُّرّ ٨/ ٢٢٤: الذي يُقال: إنْ قُصِدَ النَّسَب؛ فالأمرُ على ما ذكروا، وإن قُصد الدلالة على التلبُّس بالفعل وجبت التاء.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٠٦، وزادَ نسبتَها ابنُ الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٠٤ لأبي عمران الجَوْني، وذكر الزمخشري ٣/ ٤ قراءة: «تُذْهَلُ» على البناء للمفعول.

(٣) قال السمين في الدر ٨/ ٢٢٤: وعلى هذه القراءة فلا بدَّ من مفعول أوَّل محذوف ليتمَّ المعنى به، أي: وتُرِي الزلزلةُ أو الساعةُ الخلقَ الناسَ سكارى.

(٤) هي في المحرر الوجيز ٤/ ١٠٦ دون نسبة.

(٥) تفسير الطبري ١٦/ ٤٥٧، والقراءات الشاذة ص٩٤، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٨٢، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١١. قال الطبري: من قول القائل: رُئيتَ، تُرى، التي تطلبُ الاسم والفعل كـ «ظنَّ» وأخواتها.

أثبتَ أنَّهم سُكَارَى على طريق التشبيه، ثم نَفَى عنهم الحقيقة ـ وهي السُّكرُ من الخمر ـ وذلك لِما هم فيه من الحَيْرَة وتخليطِ العقل.

وقرأ الجمهور: «سُكَارَى» فيهما على وزن: فُعالى، وتقدَّم ذكر الخلاف في فُعالى بضمّ الفاء أهو جمعٌ أو اسمُ جمع[١].

وقرأ أبو هريرة وأبو نَهيك وعيسى بفتح السين فيهما، وهو جمع تكسير واحدُهُ سَكْرَان، وقال أبو حاتم: هي لغة تميم[٢].

وقرأ الأخَوَان[٣] وابنُ سَعْدان ومسعود بنُ صالح: «سَكْرَى» فيهما، ورُويت عن الرسول ﷺ، رَوَاها عمران بنُ حُصين وأبو سعيد الخُدري، وهي قراءة عبد الله وأصحابه وحُذيفة.

وقال سيبويه[٤]: وقوم يقولون: سَكْرَى، جعلُوه مثل: مَرْضَى، لأنهما شيئانِ يدخلانِ على الإنسان، ثم جعلوا «رَوْبَى» مثل «سَكْرَى»، وهم المستثقلون نوماً من شُرب الرائب.

قال أبو عليّ الفارسيّ[٥]: ويصحُّ أن يكون جمعَ «سَكِر» كزَمْنَى وزَمِن، وقد حكَى سيبويه: رجلٌ سَكِرٌ، بمعنى سَكْرَان، فيجيءُ «سَكْرَى» حينئذٍ لتأنيث الجمع.

وقرأ الحسنُ والأعرجُ وأبو زُرعة وابنُ جُبير والأعمش: «سُكْرَى» بضمِّ السِّين فيهما، قال أبو الفتح[٦]: هو اسمٌ مفرد كالبُشْرَى، وبهذا أفتاني أبو عليّ. انتهى. وقال الزمخشري: هو غريب.

---

(١) في سورة النساء (٤٣).

(٢) المحرر الوجيز ٤/١٠٦، والقراءة السالفة فيه عن أبي هريرة، وعن أبي نَهِيك وعيسى في القراءات الشاذة ص٩٤.

(٣) هما حمزة والكسائي. وينظر السبعة ص٤٣٤، والتيسير ص١٥٦.

(٤) بنحوه في الكتاب ٣/٦٤٩، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/١٠٦، والكلام السالف فيه.

(٥) الحجة ٥/٢٦٦-٢٦٧، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/١٠٦.

(٦) المحتسب ٢/ ٧٤، والقراءة السالفة فيه وفي القراءات الشاذة ص٩٤، وفي المحرر الوجيز ٤/١٠٦، وعنه نقل المصنف كلام أبي الفتح، وهو ابن جنِّي.

وقال أبو الفضل الرازيّ: فُعْلَى بضمِّ الفاء من صفة الواحدة من الإناث، لكنها لـمَّا جُعلت من صفات النَّاس وهم جماعة أُجْرِيَتِ الجماعةُ بمنزلة المؤنَّث الموحَّد. انتهى.

وعن أبي زُرْعَة أيضاً: «سَكْرَى» بفتح السين، «بسُكْرَى» بضمِّها.

وعن ابن جُبير أيضاً: «سَكْرَى» بالفتح من غير ألف، «بسُكَارَى» بالضم والألف، وعن الحسن أيضاً: «سُكَارى» «بسَكْرَى»[١].

وقال أوَّلاً: «تَرَوْنَها» على خطاب الجمع؛ جُعِلُوا جميعاً رائين لها[٢]، ثم قال: «وتَرَى» على خطاب الواحد، لأنَّ الرؤية مُعَلَّقةٌ بكَوْنِ الناسِ على حال السُّكْر، فجُعِلَ كلُّ واحدٍ رائياً لسائرهم، غَشِيَهُم من خوفِ عذابِ الله ما أذْهَبَ عقولَهم، وردَّهم في حالِ مَنْ يُذْهِبُ السُّكْرُ عقلَه وتَمييزَه.

وجاء هذا الاستدراكُ بالإخبارِ عن عذاب الله أنه شديدٌ لما تقدَّم ما هو بالنسبة إلى العذاب كالحالة الليِّنة الهيِّنة وهو الذُّهولُ والوضعُ ورؤيةُ الناس أشباهَ السُّكارى، وكأنه قيل: وهذه أحوالٌ هيِّنةٌ، «ولكنَّ عذابَ الله شديدٌ» وليس بهيِّن ولا ليِّن لأنَّ «لكن» لا بدَّ أن تقعَ بين متنافيين بوجهٍ مَّا، وتقدَّم الكلامُ فيها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ أي: في قدرتِه وصفاتِه، قيل: نزلت في أبي جهل، وقيل: في أُبيّ بنِ خَلَف والنَّضْرِ بنِ الحارث، وقيل: في النَّضْرِ وكان جَدِلاً يقول: الملائكةُ بناتُ الله والقرآنُ أساطيرُ الأولين ولا يقدرُ الله على إحياءِ مَنْ بَلِيَ وصار تراباً[٣].

والآيةُ عامَّةٌ في كلِّ مَنْ تَعاطَى الجِدالَ فيما يجوزُ على الله وما لا يجوزُ من الصفات والأفعال، ولا يرجعُ[٤] إلى علم ولا برهانٍ ولا نَصَفَة.

---

(١) القراءتان في المحرر الوجيز ٤/١٠٦.

(٢) في الكشاف ٣/ ٥ (والكلام فيه): عُلِّقت الرؤية أولاً بالزلزلة، فجُعل الناسُ جميعاً رائين لها.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٦/٤٥٩، والنكت والعيون ٤/٦، والكشاف ٣/ ٥، والمحرر الوجيز ٤/١٠٧، وتفسير القرطبي ١٤/٣١٢.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع. ولا يرفع، وفي (ح) و(يه): ولا يُدفع، والمثبت من النهر المادّ بهامش مطبوع البحر ٦/٣٤٨، وهي كذلك في الكشاف ٣/ ٥، والكلام فيه بنحوه.

والظاهر أن قوله: ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ هو من الجنّ، كقوله: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ [النساء: ١١٧]، وقيل: يحتملُ أن يكون من الإنس كقوله: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] لمَّا ذكرَ تعالى أهوالَ يومِ القيامة ذَكَرَ مَنْ غَفَلَ عن الجزاء في ذلك اليوم وكذَّبَ به.

وقرأ زيد بنُ علي: «ويَتْبَعُ» خفيفاً.

والظاهر أنَّ الضمير في «عليه» عائد على «مَنْ» لأنه المُحدَّث عنه، وفي «أنَّه» و«تَولَّاه» وفي «فأنَّه» عائد عليه أيضاً، والفاعلُ بـ «تَوَلَّى» ضمير «مَنْ» وكذلك الهاء في «يُضِلُّه» ويجوزُ أن تكون الهاء في «أنَّه» على هذا الوجه ضمير الشأن[١]، والمعنى أنَّ هذا المجادِلَ لكثرة جِداله بالباطل واتّباعه الشيطانَ صارَ إماماً في الضلال لمن يتولَّاه، فشأنُه أنْ يُضِلَّ مَنْ يَتولَّاه.

وقيل: الضمير في «عليه» عائدٌ على «كلِّ شيطانٍ مَرِيد» قاله قتادة، ولم يذكر الزمخشريُّ غيره، وأوردَ ابنُ عطيةَ القولَ الأوَّلَ احتمالاً[٢].

وقال ابنُ عطيَّة: ويظهرُ لي أنَّ الضمير في «أنه» الأولى للشيطان، وفي الثانية لـ «مَنْ» الذي هو للمتولِّي.

قال الزمخشريّ: والكَتْبةُ عليه مَثَلٌ، أي: كأنَّما كُتِبَ إضلالُ مَنْ يتولَّاه عليه ورُقِمَ به لظهور ذلك في حالِه.

وقرأ الجمهور: «كُتِبَ» مبنيًّا للمفعول، وقُرِئ: «كَتَبَ» مبنيًّا للفاعل[٣]، أي: كَتَبَ اللهُ.

وقرأ الجمهور: «أنَّه» بفتح الهمزة في موضع المفعول الذي لم يُسمَّ فاعلُه، «فأنَّه» بفتحها أيضاً، والفاء جواب «مَنْ» الشرطيَّة، أو الداخلة في خبر «مَنْ» إن كانت موصولة.

---

(١) عبارة النسخ الخطية والمطبوع: ويجوز أن تكون الهاء في هذا الوجه أنه ضمير الشأن. والمثبت من روح المعاني ١٧/ ٢٤١ عن البحر.
(٢) الكشاف ٣/ ٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠٧.
(٣) نسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٠٥ لأبي عمران الجَوْني.

و«فأنَّه» على تقدير: فشأنُه أنَّه يُضلُّه، أي: إضلالُه، أو فله أن يُضِلَّه.

وقال الزمخشري: فمن فتحَ فلأنَّ الأولَ فاعلُ «كُتِبَ» ـ يعني به مفعولاً لم يُسمَّ فاعلُه ـ قال: والثاني عطفٌ عليه. انتهى.

وهذا لا يجوز، لأنك إذا جعلتَ «فأنَّه» عطفاً على «أنه» بقيت بلا استيفاء خبر، لأنَّ «مَنْ تولَّاهُ» «مَنْ» فيه مبتدأة، فإنْ قَدَّرْتَها موصولةً فلا خبرَ لها حتى تستقلَّ خبراً لـ «أنَّه»، وإنْ جعلتَها شرطيَّةً فلا جوابَ لها؛ إذ جعلتَ «فأنَّه» عطفاً على «أنَّه»، ومثل قول الزمخشري قال ابنُ عطيَّة؛ قال: و«أنَّه» في موضع رفع على المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعلُه، و«أنَّه» الثانية عطفٌ على الأولى مؤكِّدة مثلُها، وهذا خطأ لِما بيَّنَّاه.

وقرأ الأعمش والجُعفيُّ عن أبي عَمرو: «إنَّه» «فإنَّه» بكسر الهمزتين، وقال ابنُ عطيَّة: وقرأ أبو عَمرو: «إنَّه مَنْ تولَّاه فإنَّه يُضِلُّه» بالكسر فيهما. انتهى.

وليس مشهوراً عن أبي عَمرو، والظاهرُ أنَّ ذلك من إسناد «كُتِبَ» إلى الجملة إسناداً لفظيًّا، أي: كُتِبَ عليه هذا الكلام، كما تقول: كُتِبَ إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدل.

وقال الزمخشريّ: أو على تقدير: قيل، أو على [أنَّ «كُتِبَ» فيه معنى القول[1].

أمَّا الأوَّل ـ وهو على تقدير «قيل» ـ فيكون «عليه» في موضع] المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعلُه لـ «كُتِبَ»، والجملة من «أنه من تولَّاه» في موضع المفعول الذي لم يُسمَّ فاعلُه لـ «قيل» المقدَّرة، وهذا لا يجوزُ عند البصريِّين لأنَّ الفاعلَ عندهم لا يكون جملة، فلا يكون ذلك مفعولاً لم يُسمَّ فاعلُه.

وأمَّا الثاني فلا يجوزُ أيضاً على مذهب البصريِّين لأنه لا تُكسر «إنَّ» بعدَ ما هو بمعنى القول، بل بعد القول صريحة.

ومعنى «ويهديه»: يَسُوقُه، وعبَّر بلفظ الهداية على سبيل التهكُّم.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥. وهذا الكلام بين حاصرتين من الدُّرّ اللقيط بهامش البحر ٦/ ٣٥١، وسقط من النسخ الخطية.

ولمَّا ذكرَ تعالى مَنْ يجادلُ في قدرة الله بغير علم وكان جدالُهم في الحشر والمعاد؛ ذكرَ دليلَيْنِ واضحَيْن على ذلك:

أحدُهُما في نفس الإنسان وابتداء خلقِهِ وتطوُّرِه في مراتبَ سبع، وهي: الترابُ، والنُّطْفةُ، والعَلَقة، والمُضْغَة، والإخراجُ طفلاً، وبلوغُ الأشُدّ، والتوفِّي أو الردُّ إلى الهَرَم.

والثاني في الأرض التي تشاهدون تنقُّلَها من حالٍ إلى حال، فإذا اعتبرَ العاقل ذلك ثبتَ عندَه جوازُه عقلاً فإذا وردَ خبرُ الشرع بوقوعه وجبَ التصديقُ به، وأنه واقعٌ لا مَحالة.

وقرأ الحسن: «من البَعَث» بفتح العين[١]، وهي لغةٌ فيه كالجَلَب والطَّرَد في الجَلْب والطَّرْد، والكوفيُّون إسكانُ العين عندَهم تخفيفٌ يقيسونه فيما وسَطُه حرفُ حلق، كالنَّهْر والنَّهَر والشَّعْر والشَّعَر، والبصريُّون لا يقيسونه، وما وردَ من ذلك هو عندَهم ممَّا جاءَ فيه لغتان[٢].

والمعنى: إنِ ارتبتُم في البعث فمُزِيلُ رَيْبِكُم أن تنظرُوا في بَدءِ خَلْقِكم من ترابٍ، أي: أصْلكم آدم، وسُلِّطَ الفعلُ عليهم من حيث هم من ذُرِّيَّته، أو باعتبارِ وسائطِ التولُّد، لأنَّ المنيَّ ودمَ الطَّمْث يتولَّدانِ من الأغذية، والأغذيةُ حيوانٌ ونبات، والحيوانُ يعودُ إلى النبات، والنباتُ من الأرضِ والماء[٣].

والنُّطْفة: المنيّ، وقيل: نُطفة آدم، قاله النقَّاش[٤]، والعَلَقة قطعةُ الدَّم الجامدة.

ومعنى «وغيرِ مخلَّقة» أي: ليست كاملة ولا ملساء، فالمُضَغُ متفاوتةٌ لذلك، تفاوتوا طولاً وقِصَراً وتَماماً ونقصاناً[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣١٣.
(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤١١.
(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٢٣/ ٧.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٠٧، واستبعده الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٢٤٣.
(٥) في الكلام اختصار كبير، وهو بنحوه أوضحُ منه في الكشاف ٣/ ٥، وتفسير الرازي ٢٣/ ٨.

وقال مجاهد: «غيرِ مخلَّقة» هي التي تستسقط، وقاله قتادة والشعبيّ وأبو العالية[(١)].

ولمَّا كان الإنسانُ فيه أعضاءٌ متباينة وكلٌّ واحدٍ منها مختصٌّ بخَلْقٍ، حَسُنَ تضعيفُ الفعل لأنَّ فيه خَلْقاً كثيرة[(٢)].

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «مُخَلَّقةً» بالنصب «وغيرَ» بالنصب أيضاً[(٣)] نصباً على الحال من النكرة المتقدِّمة، وهو قليل، وقاسَه سيبويه.

قال الزمخشري[(٤)]: و«لنُبيِّنَ لكم» بهذا التدريجِ قُدرتَنا، وأنَّ مَنْ قَدَرَ على خَلْقِ البشر من تراب أوّلاً ثم من نُطفة ثانياً ـ ولا تَناسبَ بين التراب والماء ـ وقَدَرَ على أن يجعلَ النُّطفةَ عَلَقَةً وبينَهما تباينٌ ظاهرٌ، ثم يجعلَ العَلَقَةَ مضغةً، والمضغةَ عظاماً، قَدَرَ على إعادة ما أبداه، بل هذا أدخلُ في القدرة وأهونُ في القياس، وورودُ الفعلِ غيرَ مُعَدًّى إلى المبيَّن إعلامٌ بأنَّ أفعالَه هذه يتبيَّن بها من قدرتِه وعِلْمِهِ ما لا يَكْتَنِهُهُ الفِكْرُ ولا يُحيط به الوصف. انتهى.

و«لنُبيِّنَ» متعلِّق بـ «خَلَقْناكُم» وقيل: لِنُبيِّنَ لكم أمْرَ البَعْث، قال ابنُ عطيَّة[(٥)]: وهو اعتراضٌ بين الكلامين.

وقال الكِرْمانيّ: يعني رُشدكم وضَلالكم.

وقيل: لنُبيِّنَ لكم أنَّ التخليقَ هو اختيارٌ من الفاعل المختار، ولولاه ما صارَ بعضُه غيرَ مخلَّق[(٦)].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/١٠٨، وقول مجاهد بنحوه في تفسير الطبري ١٦/٤٦٢-٤٦٣، قال الطبري: وأولى الأقوال بالصواب قولُ من قال: المخلَّقةُ المصوَّرةُ خلقاً تامًّا، وغيرُ مخلَّقة: السِّقْط قبل تمام خلقِه.

(٢) المحرر الوجيز ٤/١٠٨.

(٣) المصدر السالف.

(٤) الكشاف ٣/ ٥.

(٥) المحرر الوجيز ٤/١٠٨، والقول السالف قبله فيه.

(٦) تفسير الرازي ٢٣/٨ وفيه: ولولاه لما صار بعضُه مُخلَّقاً وبعضُه غيرَ مُخلَّق.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «ليبيِّنَ لكم ويُقِرُّ» بالياء[١]، وقرأ يعقوب وعاصم في رواية: «ونُقِرَّ» بالنصب عطفاً على «لنُبَيِّن»[٢]، وعن عاصم أيضاً: «ثم يخرجَكم» بنصب الجيم عطفاً على «ونُقِرَّ» إذا نصب[٣].

وعن يعقوب: «ونَقُرُّ» بفتح النون وضمِّ القاف والراء، من قَرَّ الماءَ: صَبَّهُ[٤].

وقرأ أبو زيد النحوي: «ويَقِرَّ» بفتح الياء والراء وكسر القاف.

وفي «الكامل» لابن جُبارة: لنبيِّنَ ونقرَّ ونخرجَكم، بالنصب فيهنّ: المفضَّل، وبالياء فيهما مع النصب: أبو حاتم، وبالياء والرفع: عُمر بنُ شَبَّة. انتهى.

قال الزمخشريّ: والقراءةُ بالرفع إخبارٌ بأنه تعالى يُقِرُّ في الأرحام ما يشاء أن يُقِرَّهُ من ذلك إلى أجلٍ مسمًّى، وهو وقتُ الوضع، وما لم يَشَأْ إقرارَه مَجَّتْهُ الأرحامُ وأسقَطَتْهُ، والقراءةُ بالنصب تعليلٌ معطوفٌ على تعليل، والمعنى: خلقناكم مُدَرَّجِين هذا التدريجَ لغَرَضَين: أحدُهما أن نُبيِّنَ قُدرتَنا، والثاني أن نُقِرَّ في الأرحام مَنْ نُقِرُّ حتى يُولَدوا وينشؤوا ويبلغُوا حَدَّ التكليف فأُكلِّفَهم، ويَعْضُدُ هذه القراءةَ قولُه: ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ﴾ انتهى.

وقرأ يحيى بنُ وثَّاب: «ما نِشاءُ» بكسر النون[٥].

والأجلُ المسمَّى مختلفٌ فيه بحسب جنينٍ جنين، فساقطٌ وكاملٌ أمرُه خارجٌ حيًّا.

ووَحَّدَ «طفلاً» لأنه مصدر في الأصل، قاله المبرِّد والطبريّ، أو لأنَّ الغَرَضَ الدلالةُ على الجنس، أو لأنَّ معنى «يخرجُكم»: كلَّ واحدٍ، كقولك: الرجال يُشبعُهم رغيفٌ، أي: يُشبعُ كلَّ واحد.

---

(١) الكشاف ٣/ ٥. وفي زاد المسير «ليبيِّن» عن أبي عمران الجَوْني.
(٢) الكشاف ٣/ ٥-٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠٨. وقراءة عاصم ويعقوب المشهورة عنهما كقراءة الجماعة.
(٣) الكشاف ٣/ ٦. وجاء في المحرر الوجيز ٤/ ١٠٨ والدر المصون ٨/ ٢٣١: نخرجَكم (بالنون). ثم ذكر ابن عطية عن أبي عمرو الداني أنها بالياء. والله أعلم.
(٤) القراءات الشاذة ص٩٤.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٢١، وهي على لغة من يكسرُ حرفَ المضارعة بشرط أن لا يكون ياءً. ينظر الدر المصون ١/ ٦٠.

وقال الزمخشري: الأشُدُّ كمالُ القوَّةِ والعقلِ والتمييز، وهو من ألفاظ الجُموع التي لم يُستعمل لها واحد، كالأَسِدَّة والقُتُود[١] وغيرِ ذلك، وكأنَّها[٢] شِدَّةٌ في غير شيء واحد، فبُنيت لذلك على لفظ الجمع. انتهى.

وتقدَّم الكلام في الأشُدِّ[٣] ومقدارِه من الزَّمان وأنَّ من الناس من قال: إنه جمعُ شِدَّة كأنعُم جمع نِعْمَة. وأمَّا القُتُود؛ فعن أبي عَمْرو الشَّيبانيّ أنَّ واحدَهُ قِتد[٤].

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ وقرئ: «يَتَوَفَّى» بفتح الياء[٥]، أي: يستوفي أجلَه، والجمهور بالضم، أي: بعد الأشُدّ وقَبْلَ الهَرَم، وهو أرذلُ العُمر والخَرَف، فيصيرُ إلى حالة الطفوليَّة ضعيفَ البِنْية سخيفَ العقلِ، ولا زمانَ لذلك محدودٌ، بل ذلك بحسَب ما يقعُ في الناس، وقد نَرى من عَلَتْ سِنُّه وقاربَ المئةَ أو بَلَغَها في غاية جودة الذهن والإدراك مع قوَّةٍ ونشاط، ونَرَى مَنْ هو في سنِّ الاكتهال وقد ضَعُفَتْ بِنيتُه، أوضَحَ تعالى أنه قادرٌ على إنهائه إلى حالة الخَرَف كما أنه كان قادراً على تدريجِهِ إلى حالةِ التَّمام، فكذلك هو قادرٌ على إعادة الأجساد التي دَرَّجَها في هذه المَنَاقل وإنشائها النشأةَ الثانية.

و«لكَيْلا» يتعلَّق بقوله: «يُرَدُّ». قال الكلبيّ: لكيلا يعقلَ من بعدِ عقلِه الأول شيئاً، وقيل: لكيلا يستفيدَ علماً وينسى ما علمَه.

---

(١) أسِدَّة جمع سَدّ، وهو العَيْب مثل الصَّمَم والبَكَم، قال صاحب القاموس: القياس سُدود، وقال صاحب اللسان: الجمعُ أسِدَّة نادرٌ على غير قياس، وقياسُه الغالب عليه أسُدّ أو سُدُود. انتهى. والقُتُود جمع قَتَد، وهو من أدوات الرَّحْل، وجاء في حاشية نسخة خطية للكشاف ما نصُّهُ: القُتُود جمع قَتَد وقياسُه الأقتاد. انتهى. وتصحَّفَ قولُه: «الأسِدَّة والقُتُود» في النسخ الخطية والمطبوع إلى الأشدة والقيود، وصوَّبتُه من الكشاف ٣/٦، والكلام منه.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: مشدَّة، والتصويب من الكشاف.

(٣) في تفسير سورة الأنعام (١٥٢).

(٤) لم أقف على ضبطها عنه، وجاء في اللسان: القَتَدُ، والقِتْدُ؛ الأخيرة عن كُراع: خشبُ الرجل... والجمع أقتاد وأَقْتُد وقُتُود.

(٥) القراءات الشاذة ص٩٤.

وقال الزمخشريّ[1]: أي، ليصيرَ نَسَّاءً بحيث إذا كَسَبَ علماً في شيء لم يَنشَبْ أن ينساه ويزل عنه علمُه حتى يَسألَ عنه من ساعته يقول لك: مَنْ هذا؟ فتقول: فلان، فما يلبث لحظةً إلا سألكَ عنه.

ورُويَ عن أبي عَمرو ونافع تسكين ميم «العُمْر»[2].

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ هذا هو الدليلُ الثاني الذي تضمَّنَتْهُ الآية، ولمَّا كان الدليلُ الأولُ بعضُ مراتبِ الخِلْقة فيه غيرَ مَرْئيِّين[3] قال: ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ فلم يُحِلْ في جميع رُتَبِهِ على الرؤية، ولمَّا كان هذا الدليلُ الثاني مُشاهَداً للأبصار أحالَ ذلك على الرؤية، فقال: وتَرَى أيها السامعُ أو المُجادِلُ الأرضَ هامدةً، ولظهُورِهِ تكرَّرَ هذا الدليلُ في القرآن.

والماءُ ماءُ المطرِ والأنهار والعيونِ والسَّواني، واهتزازُها تخلخلُها واضطرابُ بعضِ أجسامِها لأجلِ خروجِ النبات، و«رَبَتْ» أي: زادَتْ وانتفخَتْ.

وقرأ أبو جعفر وعبد الله بنُ جعفر وخالد بنُ إلياس وأبو عمرو في رواية: «وَرَبَأَتْ» بالهمز[4] هنا وفي «فصّلت» [٣٩] أي: ارتفَعَتْ وأشرفَتْ، يقال: فلان يَرْبَأُ بنفسِه عن كذا، أي: يرتفعُ بها عنه.

قال ابنُ عطيَّة: ووَجْهُها أن يكون من: رَبَأْتُ القومَ، إذا عَلَوْتَ شَرَفاً من الأرض طليعةً، فكأنَّ الأرضَ بالماء تتطاولُ وتعلُو. انتهى. ويقال: رَبيءٌ ورَبِيئة، وقال الشاعر:

بَعَثْنا رَبِيئاً قبلَ ذلك مُخْمِلاً ... كذئبِ الغَضَا يمشي الضَّرَاءَ ويَتَّقي[5]

---

(١) الكشاف ٣/٦.

(٢) القراءات الشاذة ص٩٤، والكشاف ٣/٦ عن أبي عَمرو، والمحرر الوجيز ٤/١٠٨ عن نافع. والقراءة المشهورة عنهما كقراءة الجماعة.

(٣) تحرفت اللفظة في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: مرتبين، وفيه إخلال بالمعنى.

(٤) المحرر الوجيز ٤/١٠٩، وتفسير القرطبي ١٤/٣٢٥، وقراءة أبي جعفر هذه من العشرة كما في النشر ٢/٣٢٥، وأما قراءة أبي عمرو المشهورة عنه فكقراءة الجمهور.

(٥) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص١٧٢. قوله: مُخمِلاً، يعني: يُخملُ نفسَه، أي: يستُرُها ويُخْفِيها، والغَضَا: شجر، وأخبثُ الذئاب ما كان منشؤه ومأواه الغَضَا. قاله شارح الديوان. والضَّرَاء: الاستخفاء. القاموس (ضرى).

«ذلك» أي: الذي ذكرنا من خَلْقِ بني آدم وتطوُّرِهم في تلك المراتب ومن إحياء الأرض حاصلٌ بهذا، وهو حَقِّيَّتُهُ[1] تعالى، فهو الثابتُ الموجودُ القادرُ على إحياء الموتى وعلى كل مقدور، وقد وَعَدَ بالبعث، وهو قادرٌ عليه، فلا بدَّ من كِيانِه.

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ إلى آخره، توكيدٌ لقوله: ﴿أَن يُحۡيِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾.

والظاهرُ أنَّ قولَه: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ﴾ ليس داخلاً في سبب ما تقدَّم ذِكرُه، فليس معطوفاً على «أنه» الذي يليه فيكونُ على تقدير: والأمرُ أنَّ السَّاعةَ.

و«ذلك» مبتدأ، و«بأنَّ» الخبر، وقيل: «ذلك» منصوبٌ بمضمر، أي: فعلنا ذلك.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ ١٦﴾.

الظاهرُ أنَّ المجادِلَ في هذه الآية غيرُ المجادِلِ في الآية قبلَها، فعن محمد بنِ كعب أنها نزَلَتْ في الأخنس بن شَريق[2].

وعن ابن عبَّاس: في أبي جهل. وقيل: الأولى في المُقلِّدين، وهذه في المقلَّدين[3].

---

(١) تحرفت اللفظة في (ع) و(يه) والمطبوع إلى: حقيقته.
(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/١٠٩ عن النقَّاش.
(٣) الكشاف ٣/٦.

والجمهورُ على أنها والتي قبلَها في النَّضْر؛ كُرِّرَتْ مبالغةً في الذَّمّ، ولكونِ كلٍّ واحدةٍ اشتملت على زيادة ليست في الأخرى، وقد قيل: إنه نزلت فيه بضعَ عشرةَ آية[١].

وقال ابن عطية: وكرَّر هذه على جهة التوبيخ، فكأنَّه يقول: هذه الأمثالُ في غاية الوضوح والبيان، ومن الناسِ مع ذلك مَنْ يُجادِلُ، فكأنَّ الواوَ واوُ الحال، والآيةُ المتقدِّمة الواوُ فيها واوُ العطف، عطفَتْ جملةَ الكلام على ما قبلَها، والآيةُ على معنى الإخبار، وهي ههنا مكرَّرةٌ للتوبيخ. انتهى.

ولا يُتَخَيَّلُ أنَّ الواوَ في «ومِنَ النَّاس مَنْ يُجادِلُ» واوُ حال، وعلى تقدير الجملة التي قدَّرَها قبلَه لو كان مصرَّحاً بها لم يتقدَّر بـ «إذْ» فلا تكون للحال، وإنَّما هي للعطف، قسَمَ المخذولين إلى مجادلٍ في الله بغير علم متَّبعٍ لكلِّ شيطانٍ[٢] مَرِيد، ومُجادلٍ أيضاً بغيرِ علم ولا هدًى ولا كتابٍ منيرٍ، إلى آخره، وعابدٍ ربَّه على حرف.

والمراد بالعلم العلمُ الضروريّ، وبالهدى الاستدلالُ والنظرُ لأنه يهدي إلى المعرفة، وبالكتاب المنيرِ الوَحْيُ، أي: يجادلُ بغير واحدٍ من هذه الثلاثة[٣].

وانتصب «ثانيَ عطفه» على الحال من الضمير المستكنّ في «يُجادلُ»، قال ابنُ عباس: متكبِّراً، ومجاهد: لاوياً عُنُقَه بقُبْح، والضحاك: شامخاً بأنفِه، وابنُ جُريج: معرِضاً عن الحقّ[٤].

وقرأ الحسن: «ثانيَ عَطْفِه» بفتح العين[٥]، أي: تَعَطُّفَهُ[٦] وتَرَحُّمَهُ.

و«ليضلَّ» متعلِّق بـ «يجادل».

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٧.

(٢) في النسخ الخطية: متبع لشيطان. والمثبت من النهر الماد بهامش مطبوع البحر ٦/ ٣٥٣.

(٣) الكشاف ٣/ ٦.

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٤٦٩-٤٧٠، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٨٥-٢٨٦، والنكت والعيون ٤/ ٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٧، وقول ابن جُريج عند الطبري هو عن مجاهد.

(٥) القراءات الشاذة ص٩٤، والكشاف ٣/ ٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٠٩.

(٦) قال الزمخشري ٣/ ٦-٧: أي: مانِعَ تَعَطُّفِهِ.

وقرأ مجاهد وأهلُ مكة وأبو عَمْرو في رواية: «لَيضِلَّ» بفتح الياء، أي: لِيَضِلَّ في نفسِه[١]، والجمهورُ بضمِّها، أي: ليُضِلَّ غيرَه، وهو يترتَّب على إضلاله كثرةُ العذاب؛ إذْ عليه وزرُ مَنْ عَمِلَ به.

ولمَّا كان مآلُ جِدالِه إلى الإضلال كان كأنَّه علَّة له، وكذلك لمَّا كان مُعرِضاً عن الهدى مُقبلاً على الجِدال بالباطل؛ كان كالخارج من الهدى إلى الضلال.

والخِزْيُ في الدُّنيا ما لَحِقَهُ يومَ بدرٍ من الأسرِ والقتلِ والهزيمة، وقد أُسِرَ النَّضْر، وقُتِلَ يومَ بدر بالصَّفْراء[٢].

و«الحريقُ» قيل: طبقةٌ من طِباق جهنَّم، وقد يكونُ من إضافةِ الموصوفِ إلى صفتِه، أي: العذاب الحريق، أي: المُحرِق، كالسَّمِيع بمعنى: المُسْمِع.

وقرأ زيدُ بنُ عليّ: «فأُذِيقُه» بهمزة المتكلّم[٣].

«ذلك» إشارةٌ إلى الخِزْي، والإذاقة، وجوَّزُوا في إعراب «ذلك» هنا ما جوَّزُوا في إعراب «ذلك بأنَّ اللهَ هو الحقّ» وتقدَّم المراد.

«بما قدَّمَتْ يداك» أي: باجترامِك وبعَدْلِ اللهِ فيك إذْ عصيتَه، ويحتمل أن يكون «وأنَّ الله» مقتطعاً ليس ذلك في السبب[٤]، والتقدير: والأمرُ أنَّ الله.

قال ابن عطية: والعبيدُ هنا ذُكروا في معنى مَسْكَنَتِهم وقلَّةِ قدرتِهم، فلذلك جاءت هذه الصيغة. انتهى.

---

(١) وقرأ بها أيضاً ابنُ كثير المكّيّ، ينظر السبعة ص٢٦٧، والتيسير ص١٣٤. قال القرطبي في تفسيره ١٤/ ٣٢٨: واللام لام العاقبة، أي: يجادلُ فيضلّ، كقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]. أي: فكان لهم كذلك، ونظيرُه: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ... لِيَكْفُرُوا﴾ [النحل: ٥٤].

(٢) قتلَه علي بن أبي طالب ﷺ فيما ذكر ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٦٤٤ عن ابن إسحاق، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٠٩. والصَّفْراء: وادٍ من ناحية المدينة، بينَه وبين بدر مرحلة، ينظر معجم البلدان ٣/ ٤١٢.

(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ١١.

(٤) يعني ـ على هذا الاحتمال ـ تجويز الوقف على قوله: «يداكَ» كما ذكرَ ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٠٩، وذكر قبلَه قولاً أنه لا يجوزُ الوقف لأنَّ التقدير: وبأنَّ الله...

وهو يفرِّقُ بين العبيد والعباد، وقد رَدَدْنا عليه تفرقته في أواخر آل عمران [١٨٢] في قوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾. وشرحنا هناك قوله: «بظلَّام».

﴿مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ﴾ نزلت في أعراب مِنْ أسْلَم وغَطَفَان تباطؤوا عن الإسلام وقالوا: نخافُ أن لا يُنصر محمد، فينقطعَ ما بيننا وبين حُلفائِنا من يَهود، فلا يقرُّونا ولا يُؤوونا.

وقيل: في أعراب لا يقينَ لهم، يُسْلِمُ أحدُهم فيتَّفقُ [له] تثميرُ مالِهِ وولادةُ ذَكَرٍ وغيرُ ذلك من الخير، فيقول: هذا دِينٌ جيِّد، أو ينعكسُ حالُه فيتشاءم ويرتدُّ كما جرى للعُرَنيِّين. قال معناه ابنُ عبَّاس ومجاهدٌ وقتادةُ وغيرُهم[١].

وعن ابن عبَّاس: في شيبة بنِ ربيعة؛ أسلمَ قبلَ ظهورِ الرسولِ ﷺ، فلما أُوحِيَ إليه ارتدَّ[٢].

وقيل: في يهوديّ أسلَم، فأُصِيبَ فتشاءَمَ بالإسلام، وسألَ الرسولَ الإقالةَ، فقال: «إنَّ الإسلامَ لا يُقال»، فنزلت[٣].

وعن الحسن: هو المنافقُ يعبدُه بلسانه دونَ قلبِه[٤].

وقال ابنُ عيسى: على ضعفِ يقين[٥].

(١) صدرُ الكلام بمعناه عن ابن عباس عند البخاري (٤٧٤٢)، وعند الطبري أيضاً ١٦/ ٤٧٣-٤٧٤ عنه وعن مجاهد وقتادة والضحاك. والكلامُ أعلاه في المحرر الوجيز ٤/ ١١٠ (وما بين حاصرتين منه). وخبر العُرَنيِّين هو في أُناسٍ من عُرَيْنَةَ قدموا المدينةَ فاجْتَوَوْها (أي: كرهوها لسُقْم أصابَهم) فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنْ شئتُم أنْ تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربُوا من ألْبانها وأبوالها». ففعلوا، فَصَحُّوا، ثم مالوا على الرُّعاة فقتلوهم وارتدُّوا عن الإسلام.... الحديث، أخرجه البخاري (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١) عن أنس ﷺ، وأشار إليه المصنف في تفسير الآية (٣٣) من سورة المائدة.

(٢) تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٩.

(٣) الكشاف ٣/ ٧. وهو قطعة من خبر في أسباب النزول للواحدي ص٣١٧ وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٩ عن أبي سعيد الخُدري ﷺ، ونسبَه ابنُ حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١١٢ لابن مردويه، وضعَّف إسنادَه.

(٤) تفسير الثعلبي ٤/ ٢٨٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٣١.

(٥) بنحوه في النكت والعيون ٤/ ١٠. وابنُ عيسى هو عليّ.

وقال أبو عبيد[١]: «على حرف»: على شكّ.

وقال ابنُ عطيَّة[٢]: «[على] حَرْف»: على انحرافٍ منه عن العقيدة البيضاء، أو على شَفًا منها مُعَدًّا للزُّهوق.

وقال الزمخشريّ[٣]: «على حَرْف»: على طَرَفٍ من الدِّين لا في وسَطه وقلبِه، وهذا مَثَلٌ لكونِهم على قَلَقٍ واضطراب في دينهم، لا على سكونٍ وطمأنينة، كالذي يكونُ على طَرَفٍ من العسكر، فإنْ أحَسَّ بظَفَرٍ وغنيمةٍ قرَّ واطمأنَّ، وإلَّا فَرَّ وطارَ على وجهه. انتهى.

وخُسْرانُه الدنيا: إصابتُه فيها بما يَسُوءُه من ذهابِ مالِه وفَقْدِ أحبابِه، فلم يُسْلِمْ للقضاء، وخُسرانُ الآخرة: حيث حُرم ثوابَ مَنْ صبرَ، فارتدَّ عن الإسلام.

وقرأ مجاهد وحُميد الأعرج[٤] وابنُ مُحَيْصِن من طريق الزعفراني وقَعنب والجَحْدَريُّ وابن مِقْسَم: «خاسِرَ الدنيا» اسم فاعل، نصباً على الحال[٥].

وقُرئ: «خاسرُ» اسم فاعل مرفوعاً على تقدير: هو خاسرُ، وقال الزمخشري[٦]: والرفعُ على الفاعليَّة ووضع الظاهر موضع الضمير[٧]، وهو وجهٌ حسن. انتهى.

وقرأ الجمهور: «خَسِرَ» فعلاً ماضياً، وهو استئنافُ إخبار، ويجوزُ أن يكونَ في موضع الحال، ولا يحتاج إلى إضمار «قَدْ» لأنه كثُرَ وقوعُ الماضي حالاً في لسان العرب بغير «قَدْ» فساغَ القياسُ عليه.

---

(١) في (يه): أبو عبيدة. والقول بنحوه عنه في زاد المسير ٥/ ٤١١.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١١٠.
(٣) الكشاف ٣/ ٧.
(٤) في النسخ الخطية والمطبوع والمحرر الوجيز ٤/ ١١٠ وأصول القرطبي ١٤/ ٣٣١: حُميد والأعرج، وهو خطأ، وحُميد هو ابن قيس القارئ، أبو صفوان المكي، من رجال التهذيب، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٧، وتفسير الطبري ١٦/ ٤٧٥.
(٥) ينظر إضافة إلى المصادر السالفة: القراءات الشاذة ص٩٤، والمحتسب ٢/ ٧٥.
(٦) ينظر الكشاف ٣/ ٧، وفيه قراءة الرفع المذكورة قبل.
(٧) أي: انقلبَ خاسرُ الدنيا، والأصل: انقلب هو. قاله السمين في الدُّرّ المصون ٨/ ٢٣٨.

وأجاز أبو الفضل الرازي أن يكونَ بدلاً من قوله: «انقلبَ على وجهِه» كما كان «يُضاعَفْ» بدلاً من: «يَلْقَ»[(١)].

وتقدَّمَ تفسير الضلال البعيد في قوله: ﴿ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

ونَفَى هنا الضُّرَّ والنَّفْعَ، وأثبتَهما في قوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ وذلك لاختلافِ المتعلَّق، وذلك أنَّ قولَه: «ما لا ينفعُه» هو الأصنامُ والأوثان، ولذلك أتَى التعبيرُ عنها بـ «ما» التي لا تكونُ لآحادِ مَنْ يعقل.

وقولُه: ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ هو مَنْ عُبِدَ باقتضاءٍ وطلبٍ من عابديه من المدَّعِين الإلهيَّة، كفرعونَ وغيرِه من ملوك بني عُبيد الذين كانوا بالمغرب ثم ملكُوا مصر، فإنهم كانوا يدَّعُون الإلهيَّة، ويُطافُ بقصرِهم في مصر، ويُنادَوْنَ بما يُنادَى به ربُّ العالمين من التسبيح والتقديس، فهؤلاء وإن كان منهم نفعٌ مَّا لعابديهم في دار الدنيا؛ فضَرَرُهم أعظمُ وأقربُ من نفعهم؛ إذْ هم في الدُّنيا مملوكون للكفار، وعابدون لغيرِ الله، وفي الآخرة معذَّبُون العذابَ الدائم، ولهذا كان التعبيرُ هنا بـ «مَنْ» التي هي لمن يعقل، وعلى هذا فتكون الجملتان من إخبارِ الله تعالى عمَّن يدعُو إلهاً غيرَ الله.

وقال الزمخشريّ[(٢)]: فإنْ قلتَ: الضُّرُّ والنَّفع منفيَّان عن الأصنام مُثْبَتان لها في الآيتين، وهذا تناقض.

قلت: إذا حصلَ المعنى ذهبَ هذا الوهم، وذلك أنَّ اللهَ تعالى سَفَّهَ الكافرَ بأنه يعبدُ جماداً لا يملكُ ضَرًّا ولا نفعاً، وهو يعتقدُ فيه بجهلِهِ وضلالتِه أنه سينتفعُ به ثم قال: يومَ القيامة يقولُ هذا الكافرُ بدعاءٍ وصُراخ حين يَرى استضرارَه بالأصنام ودخولَه النار بعبادتها ولا يرى أثرَ الشفاعة التي ادَّعاها لها: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ وكرَّرَ «يَدْعُو» كأنَّه قال: يدعُو يدعُو من دون الله ما لا يضرُّه وما لا ينفعُه، ثم قال: لَمَنْ ضَرُّه بكونه معبوداً أقربُ من نفعه بكونه شفيعاً، لبئس المولى. انتهى.

---

(١) يعني في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ... يُضَٰعَفْ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].
(٢) الكشاف ٣/ ٧-٨.

فجعلَ الزمخشريُّ المدعوَّ في الآيتين الأصنامَ، وأزالَ التعارضَ باختلاف القائلين بالجملة الأولى من قول الله تعالى إخباراً عن حال الأصنام، والجملة الثانية من كلام عُبَّاد الأصنام يقولون ذلك في الآخرة، وحكَى الله عنهم ذلك، وأنهم أثبتُوا ضُرًّا بكونهم عبدُوه، وأثبتُوا نفعاً بكونهم اعتقدُوه شفيعاً، فالنافي هناك غيرُ المثبِت هنا، فزالَ التعارضُ على زعمه.

والذي أقولُ: إنَّ الصنم ليس له نفع البتَّة حتى يقال: ضَرُّه أقربُ من نفعه، وأجابَ بعضُهم عن زَعْم مَنْ زَعَمَ أنَّ ظاهرَ الآيتين يقتضي التعارض بأنها لا تضرُّ ولا تنفعُ بأنفسِها، ولكنَّ عبادتها نُسِبَ الضَّرر إليها[1]، كقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [إبراهيم: ٣٦] أضافَ الإضلالَ إليهم إذْ كانوا سببَ الضلال، فكذا هنا نَفَى الضَّرر عنهم لكونها ليست فاعلة، ثم أضافه إليها لكونها سببَ الضَّرر.

وقال آخرون: هي في الحقيقة لا تضرُّ ولا تنفع؛ بَيَّنَ ذلك في الآية الأولى، ثم أثبتَ لها الضُّرَّ والنفعَ في الثانية على طريق التسليم، أي: ولو سلَّمْنا كونَها ضارَّةً نافعةً لكان ضَرُّها أكثرَ من نَفْعِها[2].

وتكلَّفَ المُعْرِبون وجوهاً، فقالُوا: «يَدْعُو» إمَّا أن يكون لها تعلُّق بقوله: «لَمَنْ ضَرُّه» أوْ لا، إنْ لم يكن لها تعلُّق فوُجُوه:

أحدُها: أن يكون توكيداً لفظيًّا لـ «يَدْعُو» الأولى، فلا يكون لها معمول.

الثاني: أن تكون عاملةً في «ذلك» من قوله: «ذلك هو الضَّلال» وقُدِّمَ المفعول الذي هو «ذلك»، وجُعِل موصولاً بمعنى «الذي». قاله أبو عليّ الفارسيّ[3].

وهذا لا يصحُّ إلا على قول الكوفيِّين، إذْ يُجيزون في اسم الإشارة أن يكون موصولاً، والبصريُّون لا يُجيزون ذلك إلا في «ذا» بشرط أن يتقدَّمها الاستفهام بـ «ما» أو «مَنْ».

---

(١) في تفسير الرازي ٢٣/ ١٤ (والكلام فيه بنحوه): ولكن عبادتها سببُ الضرر.
(٢) المصدر السالف.
(٣) ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١١٠.

الثالث: أن يكون «يَدْعُو» في موضع الحال، و«ذلك» مبتدأ، و«هو» فَصْلٌ أو مبتدأ، وحُذف الضمير مِن «يَدْعُو» أي: يَدْعوه، وقَدَّرُوه: مَدْعُوًّا.

وهذا ضعيف، لأنَّ «يَدْعُوه» لا يُقَدَّرُ «مَدْعُوًّا» إنَّما يُقَدَّرُ «داعياً»، فلو كان «يُدْعَى» مبنيًّا للمفعول لكان تقديرُه «مَدْعُوًّا» جارياً على القياس، وقال نحوَه الزجَّاج[1].

وإن كان له تعلُّق بقوله: «لَمَنْ ضَرُّهُ» فوجوه:

أحدُها: ما قالَه الأخفش[2]، وهو أنَّ «يَدْعُو» بمعنى «يقول»، و«مَنْ» مبتدأ موصول صلتُه الجملة بعدَه، وهي «ضَرُّهُ أقربُ من نفعه»، وخبرُ المبتدأ محذوفٌ تقديرُه: إلهٌ وإلهي، والجملةُ في موضع نصب محكيَّةٌ بـ «يَدْعُو» التي هي بمعنى «يقول»، قيل: هو فاسدُ المعنى، لأنَّ الكافرَ لم يعتقد قطُّ أنَّ الأوثانَ ضرُّها أقربُ من نفعها[3]، وقيل: في هذا القول يكونُ «لَبِئْسَ» مستأنفاً، لأنَّه لا يصحُّ دخولُه في الحكاية، لأنَّ الكفار لا يقولون عن أصنامهم: لَبِئْسَ المَوْلَى.

الثاني: أنَّ «يَدْعُو» بمعنى يُسَمِّي، والمحذوفُ آخِراً هو المفعولُ الثاني لـ «يُسَمِّي» تقديرُه: إلهاً، وهذا لا يتمُّ إلا بتقدير زيادة اللام، أي: يَدْعُو مَنْ ضَرُّهُ.

الثالث: أنَّ «يَدْعُو» شُبِّهَ بأفعال القلوب، لأنَّ الدُّعاء لا يصدُرُ إلا عن اعتقاد.

والأحسنُ أن يُضَمَّن معنى «يَزْعُم»، ويُقدَّرُ لـ «مَنْ» خبرُه، والجملةُ في موضع نصب لـ «يَدْعُو» أشارَ إلى هذا الوجه الفارسيُّ[4].

---

(١) معاني القرآن له ٣/ ٤١٥-٤١٦، وذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١١٠، والقرطبي في تفسيره ١٤/ ٣٣٣. وينظر الإملاء ٢/ ١٤٠.

(٢) في معانيه ٢/ ٦٣٥-٦٣٦. وتنظر المصادر السالفة.

(٣) أجاب القُشيري ـ فيما نقله عنه القرطبي ١٤/ ٣٣٣ ـ عن هذا الإشكال وقال: المعنى: يقول الكافر: لَمَنْ ضَرُّه أقربُ من نفعه في قول المسلمين معبودي وإلهي، وهو كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: يا أيها الساحر عند أولئك الذي يدعونك ساحراً.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١١٠.

الرابع: ما قالَه الفرَّاء[١]، وهو أنَّ اللامَ دخلت في غير موضعِها، والتقديرُ: يَدْعُو مَنْ لَضَرُّهُ أقربُ من نفعه. وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ ما كان في صلة الموصول لا يتقدَّم على الموصول.

الخامس: أن تكون اللام زائدةً للتوكيد، و«مَنْ» مفعول بـ «يَدْعُو»، وهو ضعيف، لأنه ليس من مواضع زيادة اللام، لكن يُقَوِّيه قراءةُ عبد الله: «يَدْعُو مَنْ ضَرُّهُ»[٢] بإسقاط اللام.

وأقربُ التوجيهات أن يكون «يَدْعُو» توكيداً لـ «يَدْعُو» الأول، واللامُ في «لَمَنْ» لام الابتداء[٣]، والخبرُ الجملة التي هي قَسَمٌ محذوفٌ وجوابُه: «لَبِئْسَ الْمَوْلَى».

والظاهرُ أنَّ «يَدْعُو» يُراد به النِّداء والاستغاثة، وقيل: معناه: يَعْبُد.

والمَوْلَى هنا الناصر، والعَشِير الصاحب المُخالِط.

ولـمَّا ذكرَ تعالى حالةَ مَنْ يَعْبُدُه على حَرْف وسَفَّهَ رأيَه وتوعَّدَه بخُسرانه في الآخرة عَقَّبه بذكرِ حالِ مخالفهم من أهل الإيمان وما وعدَهم به من الوعْدِ الحسن.

ثم أخذَ في توبيخ أولئك الأوَّلين، كأنه يقول: هؤلاء العابدون على حَرْفٍ صَحِبَهُم القلقُ، وظنُّوا أنَّ الله تعالى لن ينصرَ محمداً ﷺ وأتباعَه، ونحن إنَّما أمَرْناهم بالصبر وانتظارِ وَعْدِنا، فمن ظَنَّ غيرَ ذلك فلْيَمْدُدْ بسببٍ ويختنق وينظر؛ هل يَذهبُ بذلك غيظُه؟ قال هذا المعنى قتادة[٤].

وهذا على جهة المَثَل السائر قولهم: دونَك الحَبْلَ فاخْتَنِقْ[٥]، يقال ذلك للذي

---

(١) في معاني القرآن له ٢/ ٢١٧، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٨٩ عن الكسائي وردَّه. وينظر معاني الزجاج ٣/ ٤١٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٢.

(٢) معاني الفراء ٢/ ٢١٧، وتفسير الطبري ١٦/ ٤٧٦، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٨٧، والكشاف ٣/ ٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٥.

(٣) وجملة «ضَرُّهُ أقربُ» صلة الموصول.

(٤) تفسير كل من الطبري ١٦/ ٤٧٨-٤٧٩، والثعلبي ٤/ ٢٨٧. والكلام في المحرر الوجيز ٤/ ١١١.

(٥) جاء هذا القول في شعر لأبي أيوب سليمان بن محمد بن بطَّال البطليوسي المعروف بالمتلمِّس كما في نفح الطِّيب ٣/ ٢٩٢ و٤٥١، قال:

=

يريدُ من الأمر ما لا يمكنُه[١].

فعلى هذا تكون الهاء في «ينصرُه» للرسول ﷺ، وهو قولُ ابنِ عباس والكلبيِّ ومقاتل والضحَّاك وقتادة وابنِ زيد والسُّديِّ[٢]، واختاره الفرَّاء والزجَّاج[٣]، فالمعنى: [مَنْ ظَنَّ] أنْ لن ينصرَ الله محمداً في الدنيا بإعلاءِ كلمتِه وإظهارِ دينِه، وفي الآخرة بإعلاءِ درجتِهِ والانتقام ممَّن كذَّبَه. والرسولُ وإنْ لم يَجْرِ له ذِكْرٌ في الآية ففيها ما يدلُّ عليه وهو ذِكْرُ الإيمان في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

وظانٌّ ذلك قومٌ من المسلمين لشدَّةِ غيظِهم على المشركين يستبطئون ما وعدَ اللهُ رسولَه من النصر، أو أعرابٌ استبطؤوا ظُهورَ الرسولِ ﷺ، فتباطؤوا عن الإسلام.

والظاهر أنَّ الضمير في «ينصرَه» عائدٌ على «مَنْ» لأنه المذكور، وحقُّ الضمير أنْ يعودَ على المذكور، وهو قولُ مجاهد[٤].

وحَمَلَ بعضُ قائلي هذا القولِ[٥] النَّصْرَ هنا على الرِّزْقَ، كما قالوا: أرضٌ منصورة، أي: ممطورة، وقال الشاعر:

وإنَّكَ لا تُعطي امْرَأً فوقَ حَقِّهِ ... ولا تَمْلِكُ الشِّقَّ الذي الغَيْثُ[٦] ناصِرُهْ[٧]

= فقلتُ عفوَك إذْ أصبحتُ متَّهماً ... فقال دونَكَ هذا الحبلَ فاختنقِ

توفي البطليوسي سنة (٤٠٠) أو نحوها كما في كتاب الصِّلة ص١٩٧ وهو من شيوخ أبي عمر ابن عبد البر القرطبي.

(١) من قوله: ولما ذكر تعالى حالة من يعبدُه. . . .إلى هذا الموضع من المحرر الوجيز ٤/ ١١١ باختلاف يسير.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٤٧٩، والثعلبي ٤/ ٢٨٧-٢٨٨، والقرطبي ١٤/ ٣٣٦. والكلام في تفسير الرازي ٢٣/ ١٥، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٨، وللزجاج ٣/ ٤١٧.

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٤٨٢.

(٥) هو أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٤٦، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/ ١١١، ونقله أيضاً القرطبي ١٤/ ٣٣٦.

(٦) في النسخ الخطية والمطبوع: أنت، بدل: الغيث، والمثبت من المصادر كما يلي.

(٧) نُسب البيت لمضرِّس الفقعسي في تفسير الطبري ١٦/ ٤٨٠، والأضداد لابن الأنباري ص٣٠٣، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٨٨، وأمالي المرتضى ٢/ ١٩٢، وهو دون نسبة في مجاز =

أي: معطيه. وقال[١]: وقفَ علينا سائلٌ من بني بَكْر فقال: من يَنْصُرني نصرَه الله.

فالمعنى: مَنْ كان يظنُّ أنْ لن يرزقَه الله فَلْيَعْدِلْ[٢] عن دينِ محمد لهذا الظنّ، كما وُصف في قوله: ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ فليبلغْ غايةَ الجزَع وهو الاختناق، فإنَّ ذلك لا يُبلِّغُه إلا ما قُدِّرَ له، ولا يجعلُه مرزُوقاً أكثرَ ممَّا قُسم له[٣].

ويحتمل على هذا القول أن يكونَ النصرُ على بابه، أي: مَنْ كانَ يظنُّ أنْ لنْ يَنْصُرَه الله في الدنيا والآخرة، فيغتاظُ لانتفاء نصرِه فَلْيَمْدُدْ.

ويدلُّ على قوله: فيغتاظ قولُه: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ ويكون معنى قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: فليحيَّلْ بأعظم الحِيَل في نُصرة اللهِ إيَّاه ثم لِيَقطعِ الحَبْلَ فلينظرْ هل يُذْهِبَنَّ كيدُه وتَحَيُّلُه في إيصال النَّصْرِ إليه الشيءَ الذي يَغِيظُه من انتفاء نَصرِه بتسلُّط أعدائه عليه؟

وقال الزمخشري: هذا كلامٌ دخلَه اختصار، والمعنى أن الله ناصرٌ رسولَه في الدُّنيا والآخرة، فمن كان يظنُّ من حاسِديهِ وأعادِيهِ أنَّ اللهَ يفعلُ خلافَ ذلك ويطمعُ فيه ويَغِيظُه أنه لا يظفر بمطلوبه، فليستقصِ وُسْعَهُ وليستفرغْ مجهودَه في إزالة ما يَغِيظُه بأن يفعلَ ما يفعلُ من بلغَ منه الغيظُ كلَّ مبلغ حتى مَدَّ حَبْلاً إلى سماء بيتِه فاختنق، فلينظرْ ولْيصوِّرْ في نفسه أنه إن فعلَ ذلك؛ هل يُذهب نصرَ الله الذي يَغِيظُه؟

وسَمَّى الاختناقَ قَطْعاً لأنَّ المختنقَ يقطعُ نَفَسَهُ بحبس مَجارِيه، ومنه قيل للبُهْرِ[٤]: القَطْعُ، وسَمَّى فعلَه كيداً لأنه وضعَه موضِعَ الكيد حيث لم يقدر على

= القرآن ٢/ ٤٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١١١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٦. وفي مجاز القرآن وتفسير الطبري: حظّه، بدل: حقّه. ورواية ابن الأنباري والمرتضى: حظَّ غيره، بدل: فوق حقّه.

(١) القائل أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٤٧، وكلامه في المحرر الوجيز ٤/ ١١١، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٧، وبمعناه دون نسبة في تفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٦.

(٢) المثبت من (يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: فيعدل.

(٣) بنحوه في الكشاف ٣/ ٨، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٧.

(٤) البُهْرُ: انقطاعُ النَّفَس من الإعياء. القاموس (بهر).

غيره، أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يَكِدْ بِهِ محسودَهُ إنَّما كادَ به نَفْسَه، والمرادُ: ليس في يدِه إلا ما ليس بمُذهبٍ لِما يَغِيظُه.

وقيل: فليَمْدُدْ بحبلٍ إلى السماء المُظِلَّةِ وليصعدْ عليه فليقطع الوَحْيَ أن ينزلَ عليه[1]. وهذا قولُ ابنِ زيد[2].

وقيل: الضمير في «ينصرُهُ» عائدٌ على الدِّين والإسلام.

قال ابنُ عطية: وأبينُ وجوهِ هذه الآية أن يكون مَثَلاً، ويكونَ النصرُ المعروفَ، والقطعُ الاختناقَ، والسماءُ الارتفاعَ في الهواء بسقفٍ أو شجرةٍ أو نحوِه، فتأمَّلْهُ.

و«ما» في «ما يَغِيظ» بمعنى الذي، والعائدُ محذوف، أو مصدريَّة.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: ومِثْلَ ذلك الإنزالِ أنزَلْنا القرآنَ كلَّه آياتٍ بيِّناتٍ، أي: لا تفاوتَ في إنزالِ بعضِه ولا إنزالِ كلِّه.

والهاء في «أنزلناه» للقرآن، أُضمِرَ للدَّلالةِ عليه، كقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، والتقدير: والأمرُ أنَّ اللهَ يهدي مَنْ يُريد، أي: يخلقُ الهدايةَ في قلبِ مَنْ يُريدُ هدايته، لا خالقَ للهدايةِ إلا هو.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ
يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ
النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ ﴿١٨﴾
۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ
رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾
كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ
أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا
إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

(١) إلى هذا الموضع كلامُ الزمخشري في الكشاف ٣/ ٨.
(٢) بنحوه أطولُ منه في تفسير الطبري ١٦/ ٤٧٩-٤٨٠.

لمَّا ذكرَ قبلُ أنَّ اللهَ يهدي مَنْ يُريد؛ أعقبَ ببيانِ مَنْ يهديه ومَنْ لا يهديه، لأنَّ ما قبلَه يقتضي أنَّ مَنْ لا يُريد هدايتَه لا يهديه، فدَلَّ إثباتُ الهدايةِ لمن يُريد على نَفْيها عمَّن لا يُريد.

و«الذين أشركوا» هم عَبَدَةُ الأوثان والأصنام ومَنْ عَبَدَ غيرَ الله.

قال الزمخشريّ[1]: وأُدْخِلَتْ «إنَّ» على كلِّ واحدٍ من جُزأَي الجملة لزيادة التأكيد، ونحوُه قولُ جرير:

إنَّ الخليفةَ إنَّ اللهَ سَرْبَلَهُ سِرْبَالَ مُلْكٍ به تُرْجَى الخواتيمُ[2]

وظاهرُ هذا أنه شَبَّهَ البيتَ بالآية، وكذلك قرنَه الزجَّاج بالآية[3]، ولا يتعيَّن أن يكونَ البيتُ كالآية، لأنَّ البيت يحتملُ أن يكون خبرَ «إنَّ الخليفة» قولُه: «به تُرْجَى الخواتيم» ويكونُ «إنَّ الله سَرْبَلَهُ سِرْبالَ مُلْكٍ» جملة اعتراضية بين اسم «إنَّ» وخبرِها بخلاف الآية؛ فإنه يتعيَّن قولُه: «إنَّ الله يفصلُ»[4]، وحسَّنَ دخولَ «إنَّ» على الجملة الواقعة خبراً طُولُ الفصل بينهما بالمعاطيف[5].

والظاهر أنَّ الفصلَ بينَهم يومَ القيامة هو بصيرورة المؤمنين إلى الجنة والكافرين إلى النار، وناسبَ الختمُ بقوله: «شهيد» الفصلَ بين الفِرَق.

وقال الزمخشريّ: الفصلُ مطلقٌ، يحتملُ الفصل بينَهم في الأحوال والأماكن

(١) الكشاف ٣/ ٨.

(٢) البيتُ بهذه الرواية في معاني الفراء ٢/ ٢١٨، وأمالي الزجاجي ص٦٢، والكشاف ٣/ ٨ (والكلام منه) والمحرر الوجيز ٤/ ١١٢، ووردَ صدرُه في معاني الزجاج ٣/ ٤١٨. وهو في تفسير القرطبي ١٤/ ٣٣٨ برواية: سِرْبال عِزٍّ، وهو في ديوان جرير ص٦٧٢ برواية:

يكفي الخليفةَ أن اللهَ سَرْبَلَهُ سِرْبالَ مُلْكٍ به تزجَى الخواتيمُ

وعندئذ لا شاهد فيه، وأشار شارحُه ابنُ حبيب لروايةِ: تُرجى (بالراء). وتنظر الخزانة ١٠/ ٣٦٤.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤١٧-٤١٨.

(٤) يعني أن يكون خبراً، كما في الدرّ المصون ٨/ ٢٤٤.

(٥) وذكر أبو البقاء في الإملاء ٢/ ١٤١ وجهاً وهو أن يكون الخبر محذوفاً، والتقدير: مفترقون يوم القيامة أو نحو ذلك، والمذكور تفسير له.

جميعاً فلا يُجازيهم جزاءً واحداً بغير تفاوت، ولا يجمعُهم في موطنٍ واحد، وقيل: «يفصلُ بينهم»: يقضي بين المؤمنين والكافرين.

والظاهر أنَّ السجودَ هنا عبارةٌ عن طواعيةِ ما ذَكَرَ تعالى والانقيادِ لِما يُريدُه تعالى، وهذا معنًى شَمِلَ «مَنْ» يعقلُ وما لا يعقل، ومَنْ يسجدُ سجودَ التكليف ومَنْ لا يسجُدُهُ، وعُطف على مَنْ ما عُبِدَ من دون الله، ففي السماوات الملائكة كانت تعبدُها.........[1] والشمسُ عبدَتْها حِمْيَرُ[2]، والقمرَ عَبَدَتْهُ كِنانةُ، قاله ابنُ عباس، والدَّبَرَان تميم، والشِّعْرَى لَخْمٌ وقُريش[3]، والثُّرَيَّا طَيِّئ، وعُطارداً أَسَدٌ، والمِرْزَمَ رَبيعةُ[4]، وفي الأرض مَنْ عُبِدَ من البشر والأصنام المنحوتة من الجبال والشجر والبقر وما عُبد من الحيوان.

وقرأ الزُّهريُّ: «والدَّوَابُ» بتخفيف الباء؛ قال أبو الفضل الرازيّ: ولا وَجْهَ لذلك إلا أن يكون فِراراً من التضعيف، مثل: ظَلْتَ وقَرْنَ[5].

ولا تعارضَ بين قوله: «ومَنْ في الأرض» لعمومِه وبين قولِه: «وكثيرٌ من الناس» لخصوصهِ لأنه لا يتعيَّن عطف «وكثيرٌ» على ما قبلَه من المفردات المعطوفة الداخلة تحت «يسجدُ» إذ يجوزُ إضمارُ: يسجدُ له كثيرٌ من الناس سجودَ عبادة، دَلَّ عليه المعنى، لا أنه يفسِّرُه «يسجدُ» الأول لاختلاف الاستعمالَيْن، ومَنْ يَرَى الجمعَ بين المشترِكين وبين الحقيقة والمجاز يُجيز عطفَ «وكثيرٌ من الناس» على المفردات قبلَه وإن اختلف السجودُ عندَه بنسبتِه لِما لا يعقلُ ولمن يعقل.

ويجوز أن يرتفع على الابتداء، والخبرُ محذوف يدلُّ عليه مُقابِلُهُ الذين في الجملة بعدَه[6]، أي: وكثيرٌ من الناسِ مُثابٌ.

---

(١) بياض في النسخ، ولعله يريد الصابئين، كما هو في المحرر الوجيز ٤/ ١١٢.
(٢) وهم قوم بلقيس، كما في المحرر الوجيز ٤/ ١١٣، والكلام فيه.
(٣) في المصدر السالف: «كانت لَخم تعبدُ المشتري، وكانت قريش تعبد الشِّعْرَى». ولَخْم حيٌّ باليمن، والدَّبَران: منزل القمر. (القاموس: لخم ـ دبر).
(٤) المِرزَم، أو أمُّ مِرزَم: الشَّمال، أو الريح. والمِرْزَمان: نجمان مع الشِّعْرَيَيْن. (القاموس ـ رزم).
(٥) قاله قبله ابنُ جنّي في المحتسب ٢/ ٧٦ بإثر ذكره القراءة وقاله أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١١٣، وقوله: «ظَلْتَ» و«قَرْنَ» من «طه» (٩٧)، والأحزاب (٣٣) على الترتيب.
(٦) ومقابِلُهُ في الجملة بعده هو قولُه: حَقَّ عليه العذاب، كما في الكشاف ٣/ ٩.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يكون «من الناس» خبراً له، أي: من الناس الذين هم الناسُ على الحقيقة، وهم الصالحون والمتَّقون، ويجوزُ أن يُبالَغَ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطَفَ «كثير» على «كثير» ثم يُخبَرَ عنهم بـ «حَقَّ عليهم العذاب» كأنه قال: وكثيرٌ وكثيرٌ من الناس حقَّ عليهم العذاب. انتهى. وهذان التخريجان ضعيفان.

وقرأ جَناح بنُ حُبَيْش: «وكبير حَقَّ» بالباء[1].

وقال ابنُ عطية[2]: «وكثيرٌ حَقَّ عليه العذابُ» يحتملُ أن يكون معطوفاً على ما تقدَّم، أي: وكثيرٌ حقَّ عليه العذابُ يسجدُ، أي: كراهيةً وعلى رغمِهِ إمَّا بظلِّهِ وإمَّا بخُضوعِه عند المكاره، ونحو ذلك. قاله مجاهدٌ، وقال: سجودُه بظلِّه.

وقُرئ: «وكثيرٌ حَقًّا» أي: حَقَّ عليهم العذابُ حَقًّا[3]، وقرئ: «حُقَّ» بضمّ الحاء[4] و«مَنْ» مفعول مقدَّم بـ «يُهِنْ».

وقرأ الجمهور: «من مُكْرِمٍ» اسم فاعل، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة بفتح الراء على المصدر، أي: من إكرام[5].

قال الزمخشريّ: ومَنْ أهانَهُ الله [بأنْ][6] كتبَ عليه الشقاوةَ لِما سبقَ في علمِه مِن كفرِه أو فِسْقِه فقد بقيَ مُهاناً لن يجدَ له مُكْرِماً، إنه يفعلُ ما يشاء من الإكرام والإهانة، ولا يشاءُ من ذلك إلا ما يقتضيه عملُ العاملين واعتقادُ المعتقدين. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزال.

ولمَّا ذكرَ تعالى أهلَ السعادة وأهلَ الشقاوة ذكرَ ما دارَ بينَهم من الخصومة في دينه، فقال: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾، قال قيسُ بنُ عُباد وهلالُ بنُ يِسَاف: نزلت في

---

(١) لم أقف عليها قبل أبي حيَّان، ونُسب في القراءات الشاذة ص٩٤ لجناح بن حُبَيْش: وكثيرٌ حَقٌّ عليه العذاب، بالتنوين.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١١٣.
(٣) نسبت في القراءات الشاذة ص٩٤ لابن جُبير، وهي أيضاً في الكشاف ٣/ ٩.
(٤) الكشاف ٣/ ٩. وجاء في القراءات الشاذة ص٩٤ عن جَناح بن حُبيش: حَقٌّ، بالتنوين.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١١٣، وهي دون نسبة في معاني الفراء ٢/ ٢١٩، والكشاف ٣/ ٩، وقال صاحب القراءات الشاذة ص٩٤: ذكرها أبو معاذ.
(٦) ما بين حاصرتين من الكشاف ٣/ ٩، والكلام منه.

المتبارِزِينَ يومَ بدر: حمزة، وعليّ، وعُبيدة بنُ الحارث؛ برزُوا لعتبةَ وشيبةَ ابني ربيعة والوليدِ بنِ عُتْبة[١].

وعن عليّ: أنا أوَّلُ مَنْ يَجْثُو يومَ القيامة للخُصومة بين يدي الله تعالى[٢].

وأقسمَ أبو ذرّ على هذا، ووقع في صحيح البخاري أنَّ الآيةَ فيهم[٣].

وقال ابنُ عبَّاس: الإشارةُ إلى المؤمنين وأهلِ الكتاب، وقعَ بينَهم تخاصمٌ، قالت اليهود: نحن أقدمُ ديناً منكم. فنزلت[٤].

وقال مجاهد وعطاء بن أبي رَباح والحسنُ وعاصم والكلبيّ: الإشارةُ إلى المؤمنين والكفَّار على العموم[٥].

و«خَصْم» مصدر، وأُريد به هنا الفريق، فلذلك جاء: ﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾ مراعاةً للمعنى، إذ تحت كلِّ خصمٍ أفرادٌ.

وفي رواية عن الكسائيّ: «خِصْمانِ» بكسر الخاء[٦]، ومعنى «في ربِّهم» في دينِ ربِّهم، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «اخْتَصَما» راعى لفظَ التثنية[٧]. ثم ذكر تعالى ما أعدّ للكفار.

---

(١) علَّقه البخاري عن قيس بن عُباد بإثر الحديث (٣٩٦٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره عنه وعن هلال بن يِساف ١٦/ ٤٩٠-٤٩١. وينظر ما يلي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٦٥) والطبري ١٦/ ٤٨٩-٤٩٠ من طريق قيس بن عُباد عن علي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٦٩)، ومسلم أيضاً (٣٠٣٣) (وبه ختم صحيحه) من طريق قيس بن عُباد عن أبي ذرّ ﷺ. والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٤/ ١١٣.

(٤) أخرجه الطبري ١٦/ ٤٩١ بأطول منه، وهو في المحرر الوجيز ٤/ ١١٣-١١٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٤١.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١١٤، وزاد المسير ٥/ ٤١٦. قال ابن عطية: وهذا قول تعضده الآية، وذلك أنه تقدَّم قوله: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ المعنى: هم مؤمنون ساجدون، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ ثم أشار إلى هذين الصنفين بقوله: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾. وينظر تتمة كلامه.

(٦) القراءات الشاذة ص٩٤، والكشاف ٣/ ٩، وتفسير الرازي ٢٣/ ٢١.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ١١٤، وزادَ ابن الجوزي نسبتها في زاد المسير ٥/ ٤١٧ لابن مسعود ﷺ.

وقرأ الزعفرانيّ في اختياره: «قُطِعَتْ» بتخفيف الطاء[١]، كأنَّه تعالى يُقدِّرُ لهم نيراناً على مقادير جُثَثِهم تشتملُ عليهم كما تُقطَّعُ الثياب الملبوسة[٢].

والظاهر أنَّ هذا المقطَّع لهم يكون من النار، وقال سعيد بنُ جُبير: ثيابٌ من نحاسٍ مذابٍ، وليس شيءٌ إذا حُمِّيَ أشدَّ حرارةً منه[٣]، فالتقديرُ من نحاسٍ محمَّى بالنار.

وقيل: الثيابُ من النار استعارة عن إحاطةِ النارِ بهم كما يُحيطُ الثوبُ بلابِسهِ.

وقال وَهْب: يُكْسَى أهلُ النار والعُرْيُ خيرٌ لهم، ويَحْيَوْنَ والموتُ خيرٌ لهم.

ولمَّا ذكرَ ما يُصَبُّ على رؤوسهم، إذْ يظهرُ في المعروف أنَّ الثوبَ إنَّما يُغَطَّى به الجسدُ دون الرأس، فذكر ما يُصيبُ الرأسَ من العذاب.

وعن ابن عبَّاس: لو سقطت من الحميم نقطةٌ على جبالِ الدنيا لأذابَتْها[٤].

ولمَّا ذكرَ ما يُعذَّبُ به الجسَدُ ظاهرُه وما يُصَبُّ على الرأس؛ ذكرَ ما يصلُ إلى باطن المُعَذَّب وهو الحميم الذي يُذيبُ ما في البطن من الحَشا، ويصلُ ذلك الذَّوْبُ إلى الظاهر، وهو الجِلْد، فيؤثِّر في الظاهر تأثيرَه في الباطن، كما قال تعالى: ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وقرأ الحسن وفرقة: «يُصَهَّرُ» بفتح الصاد وتشديد الهاء[٥].

وفي الحديث: «إنَّ الحميمَ لَيُصَبُّ على رؤوسهم، فيَنفُذُ الجُمْجُمَةَ حتى يَخْلُصَ إلى جَوْفِهِ فيَسْلِتُ ما في جَوْفِهِ حتى يَمْرُقَ من قدمَيْه، وهو الصَّهْر، ثم يُعادُ كما كانَ»[٦].

---

(١) هي في الكشاف ٣/ ٩، وتفسير الرازي ٢٣/ ٢١ دون نسبة.

(٢) المصدران السالفان.

(٣) تفسير كل من الطبري ١٦/ ٤٦٤، والثعلبي ٤/ ٢٩١، والبغوي ٣/ ٢٨٠، والقرطبي ١٤/ ٣٤٣.

(٤) تفسير الرازي ٢٣/ ٢٢.

(٥) القراءات الشاذة ص٩٤، والكشاف ٣/ ٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٤.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (٨٨٦٤)، والترمذي (٢٥٨٢)، والطبري في التفسير ١٦/ ٤٩٥ (من طريقين) من حديث أبي هريرة ﷺ. وقوله: وهو الصَّهْرُ... إلخ، ليس في حديث أحمد وأحدِ روايتي الطبري. وعند الترمذي: «فينفذُ الحميمُ»، بدل: فينفذُ الجمجمةَ. وقال

والظاهر عطفُ «والجلود» على «ما» من قوله: «يُصْهَرُ به ما في بطونهم» وأنَّ الجلودَ تُذاب كما تُذاب الأحشاء.

وقيل: التقدير: وتُحرق الجلودُ، لأنَّ الجلودَ لا تُذاب، إنَّما تجتمع على النار وتنكمش، وهذا كقوله:

عَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً[(١)]

أي: وسقيتُها ماءً.

والظاهرُ أنَّ الضمير في «ولهم» عائدٌ على الكفار، واللام للاستحقاق، وقيل: بمعنى «على» أي: وعليهم، كقوله ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [غافر: ٥٢] أي: وعليهم[(٢)].

وقيل: الضميرُ يعود على ما يفسِّرُه المعنى، وهو الزَّبانِيَة[(٣)].

وقال قوم منهم الضحاك: المَقَامع المَطَارق[(٤)]، وقيل: سِياطٌ من نار.

وفي الحديث: «لو وُضِعَ مِقْمَعٌ منها في الأرض ثم اجتمعَ عليه الثَّقَلانِ، ما أقلُّوه من الأرض»[(٥)].

و«مِنْ غَمٍّ» بدل من «منها» بدل اشتمال، أُعيدَ معه الجارُّ، وحُذف الضمير لفهم المعنى، أي: مِنْ غمِّها، ويحتمل أن تكون «مِنْ» للسبب، أي: لأجل الغمّ الذي يلحقُهم.

= الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، لكن ضعَّفَ إسنادَه محقِّقو المسند، لأنَّ في إسناده درَّاج بن سمعان أبا السمح فقد ذكروا أنه ضَعَّفَه غير واحد من الأئمة. قوله: يَسْلِتُ، أي: يقطعُ ويستأصل، كما في حواشي المسند عن السِّنْدي.

(١) نسبه الفراء في معانيه ١/ ١٤ لبعض بني أسد، وسلف في البقرة (٧)، والنساء (٣)، والمائدة (٥٠)، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٤.

(٢) ذكره السمين في الدُّرّ ٨/ ٢٥٠ وقال: ليس بشيء.

(٣) استبعده كلٌّ من السمين في الدُّرّ، والآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٢٨١.

(٤) زاد المسير ٥/ ٤١٧.

(٥) أخرجه بنحوه أحمد في المسند (١١٢٣٣)، وأبو يعلى (١٣٨٨) والبيهقي في البعث والنشور (٥٩٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وضعَّفَ محققو المسند إسناده.

والظاهر تعليقُ الإعادة على الإرادة للخروج، فلا بدَّ من محذوف يصحُّ به المعنى، أي: من أماكنهم المُعَدَّةِ لتعذيبهم أعيدوا فيها، أي: في تلك الأماكن، وقيل: أُعيدُوا فيها بضرب الزَّبانية إياهم بالمقامع.

«وذوقوا» أي: ويقالُ لهم: ذُوقُوا.

ولمَّا ذكرَ تعالى ما أعدَّ لأحد الخَصْمَين من العذاب ذكرَ ما أعدَّ من الثواب للخصم الآخر.

وقرأ الجمهور: «يُحَلَّوْنَ» بضم الياء وفتح الحاء وتشديد اللام، وقُرئ بضم الياء والتخفيف، وهو بمعنى المشدَّد[1]، وقرأ ابن عبَّاس: «يَحْلَوْنَ» بفتح الياء واللام وسكون الحاء[2]، من قولهم: حَلِيَ الرجلُ وحَلِيَت المرأة: إذا صارَتْ ذاتَ حُلِيّ، والمرأةُ حالٍ.

وقال أبو الفضل الرازيّ: يجوزُ أن يكونَ من: حَلِيَ بعيني يَحْلَى: إذا اسْتَحْسَنْتَهُ؛ قال: فتكونُ «مِنْ» زائدة[3]، فيكون المعنى: يَسْتَحْسِنُون فيها الأساورةَ الملبوسة. انتهى.

وهذا ليس بجيِّد، لأنه جعلَ «حَلِيَ» فعلاً متعدِّياً، ولذلك حكَم بزيادة «مِنْ» في الواجب، وليس مذهبَ البصريين، وينبغي على هذا التقدير أن لا يجوز، لأنه لا يُحفظ [بهذا المعنى إلا] لازماً[4]، فإنْ كان بهذا المعنى كانت «مِنْ» للسبب، أي: بلباسِ أساورِ الذَّهب يَحْلُونَ بعينِ مَنْ يَراهم، أي: يَحْلَى بعضُهم بعينِ بعضٍ.

قال أبو الفضل الرازيّ: ويجوزُ أن يكون من: حَلِيتُ به: إذا ظفرتَ به، فيكون المعنى: يَحْلَوْنَ فيها بأساورَ، فتكون «مِنْ» بدلاً من الباء، والحِلْيَةُ من ذلك، فأمَّا إذا أخذتَه من حَلِيتُ به فإنه من الحِلْية، وهو من الياء[5]، وإنْ أخَذْتَه من حَلِيَ بعيني

(١) الإملاء ٢/ ١٤٢. قال أبو البقاء: من قولك: أُحْلِيَ، أي: أُلْبِسَ الحُلِيّ.
(٢) القراءات الشاذة ص٩٤-٩٥، والمحتسب ٢/ ٧٧.
(٣) وقاله أيضاً أبو البقاء في الإملاء ٢/ ١٤٢.
(٤) ما بين حاصرتين من الدر المصون ٨/ ٢٥٢ عن البحر.
(٥) يعني أنَّ «حَلِيَ» بمعنى: لَبِسَ الحِلْيَة، و«حَلِيَ» بمعنى ظَفِرَ؛ كلاهما من مادة الياء، لأنَّهما من الحِلْيَة.

فإنه من الحلاوة، من الواو. انتهى.

ومن معنى الظَّفَر قولُهم: لم يَحْلَ فلانٌ بطائل، أي: لم يظفر.

والظاهر أنَّ «مِنْ» في «مِنْ أساورَ» للتبعيض، وفي «مِنْ ذَهَبٍ» لابتداء الغاية، أي: أُنشِئَتْ من ذهب.

وقال ابنُ عطيَّة: «مِنْ» في «مِنْ أساورَ» لبيانِ الجنس، ويحتملُ أن تكون للتبعيض[1]، وتقدَّم الكلامُ على نظير هذه الجملة في «الكهف» [٣١].

وقرأ ابن عبَّاس: «أَسَوِرَ» بفتح الراء من غير ألف ولا هاء[2]، وكان قياسُه أن يصرفَه لأنه نَقَصَ بناؤه، فصارَ كـ «جَنَدِلٍ»[3] لكنَّه قدَّر المحذوف موجوداً، فمنعه الصَّرف.

وقرأ عاصم ونافع والحسن والجَحْدَرِيُّ والأعرج وأبو جعفر وعيسى بنُ عُمر وسلَّام ويعقوب: «ولؤلؤاً» هنا وفي «فاطر» بالنصب[4]، وحملَه أبو الفتح على إضمار فعل[5]، وقدَّره الزمخشريّ: ويُؤتَوْنَ لؤلؤاً[6]، ومن جعلَ «مِنْ» في «مِنْ أساورَ» زائدةً جازَ أن يعطفَ «ولؤلؤاً» على موضع «أساور»، وقيل: يعطف على موضع «مِنْ أساور» لأنه يقدَّر: ويُحَلَّوْنَ حُلِيًّا من أساور.

وقرأ باقي السبعة والحسن أيضاً وطلحة وابنُ وثَّاب والأعمش وأهلُ مكة:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١١٥.

(٢) في المصدر السالف عن ابن عباس: أسورة.

(٣) في اللسان (جندل) عن سيبويه: «قالوا: جَنَدِل، يعنُون الجنادل، وصَرَفُوه لنقصان البناء عمَّا لا ينصرف». وهو بنحوه في الكتاب ٣/ ٢٢٨. والجنادل الحجارة، وينظر مغني اللبيب ١/ ٤٤٦.

(٤) كذا ذكر المصنف عن يعقوب، والذي ذكره عنه القرطبي ١٤/ ٣٤٦ وابن الجزري في النشر ٢/ ٣٢٦ أنه قرأ بالنصب هنا، وبالخفض في فاطر (٣٣)، وأبدل شعبة في رواية عاصم (كما سيرد) وأبو جعفر الهمزة الأولى واواً ساكنة مدِّيّة. وينظر السبعة ص٤٣٥، والتيسير ص١٥٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٥.

(٥) وهذا الفعل يدلُّ عليه قولُه: «يُحَلَّوْنَ فيها من أساور» أي: ويُؤتَوْن لؤلؤاً ويلبسون لؤلؤاً. قاله أبو الفتح ابنُ جني في المحتسب ٢/ ٧٨. والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٤/ ١١٦.

(٦) الكشاف ٣/ ١٠، وهو ما قدَّره ابنُ جنّي كما في التعليق السالف.

«ولؤلؤٍ» بالخفض[١] عطفاً على «أساورَ» أو على «ذهب» لأنَّ السِّوار يكون من ذهب ولؤلؤ يُجمَعُ بعضُه إلى بعض.

قال الجحدريّ: الألف ثابتة بعد الواو في الإمام، وقال الأصمعي: ليس فيها ألف[٢].

ورَوى يحيى عن أبي بكر همز الأخير[٣] وإبدالِ الأولى، ورَوَى المُعَلَّى بنُ منصور عنه ضدَّ ذلك.

وقرأ الفيَّاض: «ولُوليًا»[٤] قلبَ الهمزتين واواً، صارت الثانية واواً قبلَها ضمة، عُمِلَ فيها ما عُمِلَ في «أَدْلٍ» من قلبِ الواوِ ياءً والضمةِ قبلَها كسرةً[٥].

وقرأ ابن عبَّاس: «ولِيلِيًا»[٦] أبدلَ الهمزتين واوَيْن، ثم قلَبَهما ياءَيْنِ؛ أَتْبَعَ الأولى للثانية[٧].

وقرأ طلحة: «وَلُولٍ»[٨] مجروراً عطفاً على ما عطف عليه المهموز.

---

(١) وأبدل أبو عَمرو البصري ـ وهو من السبعة ـ في رواية السُّوسي الهمزةَ الأولى واواً ساكنة مدِّيَّة. وتنظر المصادر المذكورة قبل تعليقين.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١١٥، وذكر الثعلبي في تفسيره ٤/ ٢٩٢، والقرطبي ١٤/ ٣٤٦ أنها كتبت في جميع المصاحف هنا بألف، وفي فاطر (٣٣) بغير ألف، وذكر أبو عمرو الداني في المقنع ص٤٠ الاتفاقَ على كتابتها بألف في هذا الموضع، والاختلافَ في فاطر.

(٣) يعني الواو الثانية كما هو في المحرر الوجيز ٤/ ١١٥ والكلام منه، وأشرت إلى هذا قبل أربع تعليقات.

(٤) القراءات الشاذة ص٩٥. والكشاف ٣/ ١٠، وينظر الدر المصون ٨/ ٢٥٤.

(٥) أدْلٍ جمع دَلْو، وأصلُ «أدْلٍ»: أدْلُوٌ، وحيث لم يكن في كلامهم اسم متمكّن آخِرُهُ واوٌ قبلَها ضمَّة، قُلبت الواو ياءً والضمةُ قبلَها كسرة، فصارت: أدْلِي، ثم أُعِلَّت إعلال الاسم المنقوص كقاضٍ، فصارت: أدْلٍ. وفي قراءة الفيَّاض هذه ثبتت الياء لأنه قرأها منوّنةً بالنصب، خلافاً لقراءة طلحة: لُولٍ (كما سيرد) حيث حذف الياء. وينظر روح المعاني ١٧/ ٢٨٤.

(٦) القراءات الشاذة ص٩٥، واللسان ٣/ ١٠.

(٧) أمَّا قلبُ الواو الثانية، فكما سلف قبل تعليق، وأما قلبُ الأولى فلإتباعها الثانية كما ذكر المصنف. وينظر روح المعاني ١٧/ ٢٨٤.

(٨) في القراءات الشاذة ص٩٥ عن طلحة: «ولُوليَ»، فالظاهر أنه منعها الصرف، وأثبت الياء.

والطَّيِّبُ من القول إن كانت الهدايةُ في الدنيا فهو قول: «لا إله إلا الله» والأقوالُ الطيِّبةُ من الأذكار وغيرِها، ويكون الصراط طريقَ الإسلام.

وإن كان إخباراً عمَّا يقعُ منهم في الآخرة فهو قولُهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] وما أشبه ذلك من محاورة أهلِ الجنة ويكون الصراط الطريق إلى الجنة.

وعن ابن عباس: هو لا إله إلا الله والحمد لله، زاد ابنُ زيد: واللهُ أكبر، وعن السُّدِّي: القرآن، وحكى الماورديّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(١)].

وعن ابن عباس: هو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾[(٢)].

والظاهر أن «الحميد» وصفٌ للهِ تعالى؛ قال ابنُ عطيَّة: ويحتمل أن يريد بـ «الحميد» نفسَ الطريق، فأضاف إليه على حدّ إضافته في قوله: دارُ الآخرة[(٣)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ
سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا
لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ
عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ
بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ
رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ
وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

(١) الكلام في زاد المسير ٥/ ٤١٨ وقول ابن زيد أخرجه الطبري ١٦/ ٥٠٠، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٣٤٩.
(٢) الكشاف ٣/ ١٠.
(٣) كما في قوله في «النحل» (٣٠): ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾. والكلام في المحرر الوجيز ٤/ ١١٥.

المضارع قد لا يُلحظ فيه زمانٌ معيَّن من حالٍ أو استقبال، فيدلُّ إذْ ذاك على الاستمرار، ومنه: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقيل: هو مضارع أُرِيدَ به الماضي عطفاً على «كفروا».

وقيل: هو على إضمار مبتدأ، أي: وهم يَصُدُّون.

وخبر «إنَّ» محذوف قدَّره ابنُ عطيَّة بعد «والباد»: خَسِرُوا، أو: هَلَكُوا[١]، وقدَّره الزمخشريّ بعد قوله: «الحرام»: «نُذِيقُهم من عذاب أليم»[٢]، ولا يصحُّ تقديرُه بعدَه لأنَّ «الذي» صفة المسجد الحرام[٣]، فموضعُ التقدير هو بعد «والباد»، لكن مقدَّر الزمخشريّ أحسنُ من مقدَّر ابنِ عطيَّة لأنه تدلُّ عليه الجملةُ الشرطية بعدُ من جهة اللفظ، وابنُ عطيَّة لَحَظَ من جهة المعنى؛ لأنَّ مَنْ أُذِيقَ العذابَ خَسِرَ وهَلَك.

وقيل: الواو في «ويَصُدُّون» زائدة وهو خبر «إنَّ» تقديرُه: إنَّ الذين كفروا يصدُّون؛ قال ابنُ عطيَّة[٤]: وهذا مُفسد للمعنى المقصود. انتهى. ولا يُجيزُ البصريُّون زيادة الواو، وإنَّما هو قولٌ كوفيٌّ مرغوبٌ عنه.

وهذه الآيةُ نزلت عامَ الحُديبية حين صُدَّ رسولُ الله ﷺ عن المسجد الحرام، وذلك أنَّه لم يُعلم لهم صَدٌّ قبل ذلك بجمع[٥] إلا أن يُراد صَدُّهم لأفرادٍ من الناس، فقد وقعَ ذلك في صدر المَبْعث.

والظاهرُ أنَّه نفسُ المسجد الحرام، ومن صُدَّ عن الوصول إليه فقد صُدَّ عنه.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١١٥.

(٢) الكشاف ٣/ ١٠، وقال: لدلالة جواب الشرط عليه.

(٣) أي أنه يلزمُ من هذا التقدير الفصلُ بين الصفة والموصوف بأجنبيّ، وهو خبرُ «إنَّ». وذكر السمين في الدُّرِّ المصون ٨/ ٢٥٦ أنه يمكن للزمخشري أن ينفصل عن هذا الاعتراض بأن يكون قوله: «الذي جعلناه» مقطوعاً عمَّا قبله نصباً أو رفعاً، وأن لا يكون صفة للمسجد.

(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ١١٥، والقول السالف في الإملاء ٢/ ١٤٢.

(٥) في المحرر الوجيز (والكلام فيه): الجمع.

وقيل: الحَرَمُ كلُّه، لأنَّهم صَدُّوه وأهلَه عليه الصلاة والسلام، فنزلوا خارجاً عنه، لكنَّه قُصد بالذِّكْرِ المُهِمُّ المقصودُ من الحَرَم.

وقرأ الجمهور «سَوَاءٌ» بالرفع على أنَّ الجملة من مبتدأ وخبر في موضع المفعول الثاني، والأحسنُ أن يكون «العاكفُ والبادي» هو المبتدأ، و«سَوَاءٌ» الخبر، وقد أُجيز العكس.

وقال ابنُ عطيَّة: والمعنى: الذي جعلناه للناسِ قِبْلةً أو مُتَعبَّداً. انتهى.

ولا يُحتاج إلى هذا التقدير إلا إن كان أرادَ تفسيرَ المعنى لا الإعراب فيسوغ، لأنَّ الجملة في موضع المفعول الثاني فلا يُحتاج إلى هذا التقدير.

وقرأ حفص والأعمش: «سَوَاءً» بالنصب[(١)]، وارتفعَ به «العاكف» لأنه مصدر في معنى «مُسْتوٍ» اسمُ الفاعل، ومن كلامهم: مررتُ برجلٍ سَوَاءٍ هو والعَدَمُ[(٢)]. فإن كانت «جعلَ» تتعدَّى إلى اثنين فـ «سَوَاءً» الثاني، أو إلى واحد فـ «سَوَاءً» حال من الهاء.

وقرأت فرقة منهم الأعمش في رواية القطعي: «سَوَاءً» بالنصب «العاكفِ فيه» بالجرّ؛ قال ابنُ عطيَّة[(٣)]: عطفاً على «الناس». انتهى. وكأنه يريد عطف البيان، والأولى أن يكون بدلَ تفصيل.

وقُرئ: «والبادي» وصلاً ووقفاً، وبتركِها فيهما، وبإثباتها وصلاً وحذفِها وقفاً[(٤)].

و«العاكف»: المُقيم فيه، و«البادِي»: الطارئ عليه.

---

(١) السبعة ص٤٣٥، والتيسير ص١٥٧ عن حفص، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٥ عن الأعمش.
(٢) ينظر الكتاب ٢/ ٣١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١١٥، والقراءة السالفة فيه وفي تفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٤ دون نسبة.
(٤) فَصَّلَ ابنُ عطية القراءةَ في هذا الحرف في المحرر الوجيز ٤/ ١١٦ وقال: قرأ ابنُ كثير في الوصل والوقف: «البادِي» بالياء، ووقفَ أبو عَمرو بغير ياء ووصلَ بالياء، وقرأ نافع: «البادِ» بغير ياء في الوصل والوقف في رواية المُسَيَّبي وأبي بكر وإسماعيل ابني أبي أويس، وروى ورش الوصلَ بالياء، وقرأ عاصم وابنُ عامر وحمزة والكسائي بغير ياء وصلاً ووقفاً. انتهى. قلت: ورَوَى قالون عن نافع حذفَها وقفاً ووصلاً. ينظر السبعة ص٤٣٦، والتيسير ص١٥٨.

وأجمعوا على الاستواء في نفس المسجد الحرام واختلفوا في مكة فذهب عُمر وابنُ عبَّاس ومجاهد وجماعة إلى أنَّ الأمر كذلك في دُور مكة، وأنَّ القادمَ له النزولُ حيث وَجَد، وعلى رَبِّ المنزِلِ أن يُؤوِيَهُ شاءَ أو أبَى، وقال به الثوريّ، وكذلك كان الأمرُ في الصدر الأول.

قال ابنُ سابط: وكانت دُورُهم بغير أبواب حتى كَثُرَتْ السرقة، فاتَّخذَ رجل باباً، فأنكرَ عليه عُمر ﷺ وقال: أتُغلقُ باباً في وَجْهِ حَاجٍّ بيتِ الله؟ فقال: إنما أردتُ حِفْظَ متاعِهم من السرقة. فتركه، فاتَّخذَ الناسُ الأبوابَ[١].

وهذا الخلافُ مترتِّب على الخلاف في فتح مكة أكان عَنْوة أو صُلْحاً، وهي مسألة يُبحثُ فيها في الفقه[٢].

والإلحادُ: المَيْلُ عن القصد، ومفعول «يُرِدْ» قال أبو عبيدة: هو «بإلحاد» والباء زائدة في المفعول، قال الأعشى:

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيالِنا أرْمَاحُنا[٣]

أي: رِزْقَ.

وكذا قرأه الحسن منصوباً، قرأ: «ومَنْ يُرِدْ إلحادَهُ بظلم»[٤] أي: إلحاداً فيه، فتوسَّعَ[٥].

وقال ابنُ عطيَّة: يجوزُ أن يكون التقدير: ومن يُرِدْ فيه الناسَ بإلحادٍ.

---

(١) من قوله: وأجمعوا على الاستواء... إلى هذا الموضع من المحرر الوجيز ٤/ ١١٦.

(٢) ينظر الأموال لأبي عُبيد ص٨٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٢٦٣-١٢٦٤، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥١-٣٥٤.

(٣) هو صدرُ بيت ورد في المحرر الوجيز ٤/ ١١٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٧، وبتمامه في مجاز القرآن ٢/ ٤٩، وتفسير الطبري ١٦/ ٥٠٥، وعجزُه في المجاز: ملءَ المراجلِ والصريح الأجْرَدَا، وفي الطبري: بين المراجل... وروايتُه في ديوان الأعشى ص٢٨١:

ضَمِنَتْ لنا أعجازُهنَّ قدورَنا وضُروعُهنَّ لنا الصَّرِيحَ الأجْرَدَا

وينظر الاقتضاب ص٤٥٧.

(٤) القراءات الشاذة ص٩٥، والكشاف ٣/ ١٠.

(٥) أي: أضافَهُ على الاتِّساع في الظرف كمكرِ الليل، كما في الكشاف، قال الزمخشري: ومعناه: من يُرِدْ أن يلحد فيه ظالماً.

وقال الزمخشريّ: «بإلحادٍ بظلم» حالان مترادفتان، ومفعول «يُرِدْ» متروك ليتناولَ كلَّ مُتناوَل، كأنه قال: «ومَنْ يُرِدْ فيه مراداً مَّا عادِلاً عن القصد ظالماً نُذِقْهُ من عذاب أليم».

وقيل: الإلحادُ في الحَرَم مَنْعُ الناسِ عن عِمارَتِه، وعن سعيد بن جُبير: الاحتكار، وعن عطاء: قول الرجل في المبايعة: لا والله، وبلى والله. انتهى[١].

والأولى أن تُضَمَّنَ «يُرِدْ» معنى: يَتَلَبَّسْ، فيتعدَّى بالباء.

وعلَّق الجزاءَ ـ وهو «نُذِقْهُ» ـ عل الإرادة، فلو نَوَى سيِّئةً ولم يعملها لم يُحاسَبْ بها إلا في مكَّة. وهذا قولُ ابنِ مسعود وجماعة.

وقال ابنُ عباس: الإلحادُ هنا الشِّرْك، وقال أيضاً: هو استحلالُ الحرام، وقال مجاهد: هو العملُ السيِّئُ فيه، وقال ابنُ عَمْرو[٢]: لا واللهِ وبلى واللهِ، من الإلحاد، وقال حبيب بنُ أبي ثابت: الحَكْرُ بمكة من الإلحاد بالظلم[٣].

والأَوْلَى حملُ هذه الأقوال على التمثيل لا على الحَصْر، إذ الكلامُ يدلُّ على العموم.

وقرأت فرقة: «ومَنْ يَرِدْ» بفتح الياء من الورود، وحكاها الكسائيّ والفَرَّاء[٤]، ومعناه: ومن أتَى فيه بإلحادٍ ظالماً[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ١٠.

(٢) المثبت من (يه)، وهو الصواب، ووقع في النسخ الأخرى والمطبوع والكشاف ٣/ ١٠: ابن عمر، وهو خطأ، نَبَّهَ عليه ابنُ حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١١٢، والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٤/ ١١٦، وقول ابن عَمرو ﷺ أخرجه الأزرقي في تاريخ مكة ٢/ ١٣١-١٣٢ ضمن خبر له، وأخرجَ ابنُ أبي شيبة ٤/ ٢٨٥ (نشرة العمروي) صَدْرَ الخبر.

(٣) من قوله: فلو نوى سيئة ولم يعملها... إلى هذا الموضع من المحرر الوجيز ٤/ ١١٦. وتنظر بعضُ الأقوال أيضاً في تفسير الطبري ١٦/ ٥٠٦-٥٠٩، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٩٤، والنكت والعيون ٤/ ١٦، وزاد المسير ٥/ ٤٢١-٤٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٥.

(٤) القراءات الشاذة ص٩٥ (عن الكسائي)، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٣، والكشاف ٣/ ١٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٦، وتفسير الرازي ٢٣/ ٢٤.

(٥) الكشاف ٣/ ١٠. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١١٦: والأولُ أبينُ وأتمُّ وأمدحُ للبقعة.

ولمَّا ذكرَ تعالى حالَ الكفار وصدَّهم عن المسجد الحرام وتوعَّدَ فيه مَنْ أرادَ فيه بإلحاد ذكَّرهم حالَ أبيهم إبراهيم ووَبَّخَهُم[١] على سلوكهم غيرَ طريقِهِ مِنْ كُفرِهم باتِّخاذِ الأصنام وامتنانِه عليهم بإيفاد العالَم إليهم.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ أي: واذكُرْ إذْ بوَّأنا، أي: جَعلْنا لإبراهيمَ مكانَ البيتِ مَباءةً، أي: مرجعاً يَرْجِعُ إليه للعِمارةِ والعبادة.

قيل: واللامُ زائدة، أي: بَوَّأنا إبراهيمَ مكانَ البيت، أي: جعلناه يَبُوء إليه، كقوله: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت: ٥٨]. وقال الشاعر:

كم صاحبٍ لي صالحٍ بَوَّأْتُهُ بيديَّ لَحْدَا[٢]

وقيل: مفعول «بَوَّأْنا» محذوف تقديرُه: بَوَّأْنَا الناسَ، واللام في «لإبراهيمَ» لامُ العلَّة، أي: لأجلِ إبراهيمَ كرامةً له وعلى يديه.

والظاهرُ أنَّ قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ خطابٌ لإبراهيم، وكذا ما بعدَه من الأمر. وقيل: هو خطابٌ لرسول الله ﷺ.

و«أنْ» مخفَّفة من الثقيلة، قاله ابنُ عطيَّة. والأصلُ أن يَلِيَها فعلُ تحقيقٍ أو ترجيح[٣] كحالِها إذا كانت مشدَّدة، أو حرفُ تفسير؛ قاله الزمخشريُّ وابنُ عطيَّة[٤]، وشرطُها أن يتقدَّمَها جملة في معنى القول، و«بَوَّأْنا» ليس فيه معنى القول.

والأَولى عندي أن تكون «أنْ» الناصبةَ للمضارع، إذْ يليها الفعلُ المتصرِّف من ماضٍ ومضارعٍ وأمر، والنَّهْيُ كالأمر.

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: وتوبيخهم، والمثبت من النهر المادّ بهامش مطبوع البحر ٦/ ٣٦١.

(٢) البيت لعَمرو بن معدي كرب كما في الحماسة ١/ ١٧٩ (بشرح المرزوقي)، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٧ برواية: كم من أخٍ لي صاحبٍ، وفي الكامل ٣/ ١٣٧٧: لي حازم.

(٣) كذا وقع، وهو تحريف أو سهو، والصواب: أن يتقدَّمها فعلُ تحقيق أو ترجيح. وينظر الدرّ المصون ٨/ ٢٦٣، وأفعال التحقيق والترجيح هي أفعال اليقين والظنّ، كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمّل: ٢٠].

(٤) الكشاف ٣/ ١٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٧.

قال الزمخشري: فإنْ قلتَ: كيف يكونُ النهيُ عن الشِّرْك والأمرُ بتطهيرِ البيت تفسيراً للتَّبوِئة؟

قلتُ: كانت التبوئةُ مقصودةً من أجل العبادة، فكأنَّه قيل: تَعَبَّدْنا إبراهيمَ قلنا له: لا تُشْرِكْ بي شيئاً وطَهِّرْ بيتيَ من الأصنام والأوثان والأقذار أنْ تُطْرَحَ حولَه.

وقرأ عكرمة وأبو نَهِيك: «أنْ لا يُشْرِكْ» بالياء[1] على معنى أن يقولَ معنى القولِ الذي قيلَ له، قال أبو حاتم: ولا بدَّ من نصب الكاف على هذه القراءة بمعنى: بأنْ لا يشركَ[2].

والقائمون هم المصلُّون، ذَكَرَ من أركانها أعظمَها، وهو القيامُ والركوعُ والسجودُ.

وقرأ الجمهور: «وأَذِّنْ» بالتشديد، أي: نادِ، رُوِيَ أنه صَعِدَ أبا قُبَيْس فقال: يا أيها الناس حُجُّوا بيتَ ربِّكم[3]. وتقدَّم قولُ من قال: إنه خطابٌ للرسول ﷺ، وقاله الحسن؛ قال: أُمِرَ أن يفعلَ ذلك في حَجَّةِ الوداع[4].

وقرأ الحسن وابنُ مُحيصن: و«آذِنْ» بمدَّة وتخفيف الذال[5].

قال ابنُ عطية: وتصحَّف هذا على ابن جنِّي، فإنه حَكَى عنهما: «وأَذِنَ» على فعل ماضٍ وأعربَ على ذلك بأن جعلَه عطفاً على «بَوَّأْنا». انتهى.

وليس بتصحُّف، بل قد حكى أبو عبد الله الحُسين بن خالويه في «شواذّ القراءات» من جمعهِ وصاحبُ «اللوامح» أبو الفضل الرازي ذلك عن الحسن وابنِ

---

(١) القراءات الشاذة ص٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٥٩، وهي في الكشاف ٣/ ١١ دون نسبة.

(٢) في المحرر الوجيز وتفسير القرطبي: لئلا يشرك.

(٣) الخبر بأطول منه في تفسير الطبري ١٦/ ٥١٤-٥١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٧، وزاد المسير ٥/ ٤٢٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦١، ولفظُه أعلاه في الكشاف ٣/ ١١.

(٤) الكشاف ٣/ ١١.

(٥) الكشاف ٣/ ١١، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦١.

مُحَيْصن[١]؛ قال صاحب «اللوامح»: وهو عطفٌ على «وإذْ بوّأنا»[٢] فيصيرُ في الكلام تقديمٌ وتأخير، ويصير «يأتوك» جزماً على جواب الأمر الذي هو «وطَهِّرْ». انتهى.

وقرأ ابنُ أبي إسحاق: «بالحِجِّ» بكسر الحاء حيث وقع[٣]، والجمهورُ بفتحها.

وقرأ الجمهور: «رِجالاً»، وابنُ أبي إسحاق بضمّ الراء والتخفيف، ورُوِيَ كذلك عن عكرمة والحسنِ وأبي مِجْلَز[٤]، وهو اسمُ جمع كظُؤار[٥].

ورُوِيَ عنهم وعن ابنِ عباس ومجاهد وجعفر بن محمد بضمّ الراء وتشديد الجيم[٦].

وعن عكرمة أيضاً: «رُجَالَى» على وزن: النُّعامَى، بألف التأنيث المقصورة[٧]، وكذلك مع تشديد الجيم عن ابن عباس وعطاء وابنِ حُدَيْر.

و«رِجال» جمع راجل كتاجر وتِجَار.

وقرأ الجمهور: «يأتينَ» فالظاهر عَوْدُ الضمير على «كلِّ ضامر» لأنَّ الغالبَ أنَّ البلادَ الشاسعةَ لا يُتوصَّل منها إلى مكة إلا بالرُّكوب، وقد يجوزُ أن يكون الضمير يشملُ «رِجالاً» و«كلّ ضامر» على معنى الجماعات والرِّفاق[٨].

وقرأ عبدُ الله وأصحابُه والضحّاك وابنُ أبي عَبْلَة: «يأتون»[٩] غَلَّبَ العقلاء الذكور في البُداءة بـ «رِجال» تفضيلاً للمشاة إلى الحجّ.

---

(١) القراءات الشاذة ص٩٥، والمحتسب ٢/ ٧٨.
(٢) أي: واذكر إذْ بوَّأْنا وإذْ أَذِنَ. قاله السمين في الدّرّ ٨/ ٢٦٤: وهي تخريج واضح.
(٣) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٩٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٢.
(٤) المحتسب ٢/ ٧٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٢.
(٥) جمع ظِئْر، وهو جمع عزيز كما في اللسان (ظأر). والظِّئر: المرضعة لغير ولدها.
(٦) أي: رُجّال، مثل صائم وصُوَّام. والقراءة في القراءات الشاذة ص٩٥، والمحتسب ٢/ ٧٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٢.
(٧) المحتسب٢/ ٧٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٢، وجاءت في القراءات الشاذة ص٩٥ دون ضبط عن ابن عباس وابن جُبير.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ١١٨.
(٩) القراءات الشاذة ص٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٤.

وعن ابن عبَّاس: ما آسى على شيء فاتني أن لا أكونَ حَجَجْتُ ماشياً[١].

والاستدلالُ بقوله: «يأتوك رجالاً وعلى كلِّ ضامر» على سقوط فرضِ الحجِّ على مَنْ يركبُ البحرَ ولا طريقَ له سواه لكونه لم يُذكَر في هذه الآية ضعيفٌ، لأنَّ مكة ليست على بحر، وإنما يُتَوَصَّل إليها على إحدى هاتين الحالتين مَشْيٍ أو رُكُوب، فذكرَ تعالى ما يُتوصَّلُ به إليها[٢].

وقرأ ابنُ مسعود: «فَجٍّ مَعِيق»[٣].

قال ابنُ عبَّاس وغيرُه: المنافعُ التجارة، وقال الباقر: الأجر[٤]، وقال مجاهد وعطاء: كلاهما، واختاره ابنُ العربيّ[٥].

قال الزمخشريّ: ونكَّرَ المنافعَ لأنه أرادَ منافعَ مختصَّةً بهذه العبادة دينيةً ودُنياويَّة لا تُوجدُ في غيرِها من العبادات.

وعن أبي حنيفة أنه كان يُفاضِلُ بين العبادات قبل أن يحجّ، فلما حجَّ فضَّلَ الحجَّ على العبادات كلِّها لِما شاهدَ من تلك الخصائص.

وكَنَى عن النَّحر والذَّبح بذِكْرِ اسمِ الله لأنَّ أهلَ الإسلام لا ينفكُّون عن ذكرِ اسمِه إذا نَحَرُوا أو ذَبَحُوا، وفيه تنبيهٌ على أنَّ الغَرَضَ الأصليَّ فيما يُتَقَرَّبُ به إلى الله أن يُذكَرَ اسمُهُ، وقد حَسَّنَ الكلامَ تحسيناً بيِّناً أنْ جمعَ بين قولِه ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ وقولِه ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾. ولو قال: لينحَرُوا في أيام معلومات بهيمةَ الأنعام؛ لم تَرَ شيئاً من ذلك الحُسن والرَّوْعة. انتهى.

واستدلَّ من قال: إنَّ المقصودَ بذِكْرِ اسمِ الله هو على الذَّبح والنَّحر على أنَّ

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٥١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٦٣.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١١٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٤.

(٣) الكشاف ٣/ ١١.

(٤) تفسير الطبري ١٦/ ٥٢٠-٥٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٨.

(٥) أحكام القرآن ٣/ ١٢٦٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٦، وقول مجاهد أيضاً في تفسير الطبري ١٦/ ٥٢١، وزاد المسير ٥/ ٤٢٥، قال ابنُ الجوزي: وهو أصحّ، لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصلُ قصدُ الحجّ، والتجارةُ تَبَعٌ.

الذَّبح لا يكون بالليل ولا يجوز فيه لقوله: «في أيام» وهو مذهبُ مالك وأصحابِ الرأي[١].

وقيل: الذِّكْرُ هنا حمدُه وتقديسُه شكراً على نعمته في الرِّزق ويؤيِّده قولُه عليه الصلاة والسلام: «إنَّها أيامُ أكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرِ الله».

والأيَّامُ المعلوماتُ أيامُ العشر، قاله ابنُ عبَّاس والحسن وإبراهيم وقتادة وأبو حنيفة، والمعدودات: أيامُ التشريق الثلاثةُ[٢].

وقالت فرقة منهم مالك وأصحابُه: المعلومات يوُم النَّحرِ ويومانِ بعدَه، والمعدوداتُ أيامُ التشريق الثلاثةُ، فيومُ النَّحر معلومٌ لا معدودٌ، واليومانِ بعدَه معلومان معدودان، والرابعُ معدودٌ لا معلوم[٣].

ويومُ النحرِ ويومانِ بعده هي أيامُ النَّحر عند عليّ وابنِ عبَّاس وابنِ عُمر وأنس وأبي هريرة وسعيد بنِ جُبير وسعيد بنِ المسيِّب وأبي حنيفة والثوريّ، وعند الحسن وعطاء والشافعيّ ثلاثةُ أيام بعد يوم النحر، وعند النَّخعيّ النَّحرُ يومان، وعند ابنِ سِيرِين النَّحرُ يومٌ واحد، وعن أبي سَلَمة وسليمانَ بنِ يسار: الأضحى إلى هلال المحرَّم[٤].

وقال ابنُ عطيَّة: ويظهرُ أن تكونَ المعلومات والمعدودات بمعنى أنَّ تلك الأيام الفاضلة كلها، ويبقَى أمرُ الذَّبح وأمرُ الاستعجال لا يتعلَّق بمعدودٍ ولا معلوم، وتكون فائدةُ قولِه: «معلومات» و«معدودات» التحريض على هذه الأيام وعلى اغتنام فضلِها، أي: ليست كغيرِها، فكأنه قال: هي مخصوصاتٌ فلتُغْتَنَمْ. انتهى.

والبهيمةُ مُبهمةٌ في كلِّ ذاتِ أربع في البرِّ والبحر، فبُيِّنَت بالأنعام، وهي الإبلُ والبقرُ والضأن والمَعْز[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١١٨، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٩-٣٧٠.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٣/ ٢٩، وذكره القرطبي ٣/ ٣٦٥ عن ابن عباس ﵄ وقال: وهو قول الجمهور. والحديث أخرجه أحمد (١٥٧٣)، ومسلم (١١٤٢) من حديث كعب بن مالك ﵁، وله طرق أخرى.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١١٨.
(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٣٤، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٣٦٨.
(٥) الكشاف ٣/ ١١.

وتقدَّم الخلافُ في مدلولِ بهيمةِ الأنعام في أول المائدة.

والظاهر وجوبُ الأكل والإطعام، وقيل باستحبابهما، وقيل باستحباب الأكلِ ووجوبِ الإطعام.

والبائسُ: الذي أصابَه بُؤسٌ، أي: شدَّة، والتَّفَثُ ما يصنعُه المُحْرِمُ عندَ حِلِّهِ من تقصير شعرٍ وحلقِهِ وإزالة شَعَثِهِ ونحوِه من إقامة الخمسِ من الفطرة حسَبَ الحديث، وفي ضمنِ ذلك قضاءُ جميع مناسِكه إذْ لا يُقْضَى التَّفَثُ إلا بعد ذلك[١].

وقال ابنُ عمر: التَّفَثُ ما عليهم من الحجّ، وعنه: المناسك كلُّها[٢].

والنُّذور هنا ما يَنذُرُونه من أعمال البِرِّ في حَجِّهم، وقيل: المرادُ الخروجُ عمَّا وجبَ عليهم نَذَرُوا أو لم يَنذُرُوا.

وقرأ شعبة عن عاصم: «ولْيُوَفُّوا» مشدَّداً[٣]، والجمهورُ مخفَّفاً.

«وليطوَّفُوا» هو طوافُ الإفاضة، وهو طوافُ الزِّيارة الذي هو من أركان الحجِّ، وبه تمام التحلُّل، وقيل: هو طوافُ الصَّدَر[٤]، وهو وطوافُ الوداع.

وقال الطبريّ[٥]: لا خلافَ بين المتأوِّلِين أنه طوافُ الإفاضة؛ قال ابنُ عطية: ويحتملُ بحسب الترتيب أن يكون طوافَ الوداع. انتهى.

والعتيقُ القديمُ؛ قاله الحسن وابنُ زيد، أو المُعْتَقُ من الجبابرة؛ قاله ابنُ الزبير وابنُ أبي نجيح وقَتادة[٦]، كم جَبَّارٍ سارَ إليه فأهلكَه الله، قصدَه تُبَّعٌ ليهدمَه، فأصابَه

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١١٩. وقال الزمخشري: «التَّفَث: الوَسَخ، فالمرادُ قضاءُ إزالةِ التَّفَث». اهـ. والحديثُ المشارُ إليه أخرجه البخاري (٥٨٨٩) ومسلم (٢٥٧) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «خمسٌ من الفطرة: الخِتان، والاستحدادُ، وتقليمُ الأظفار، ونَتْفُ الإبط، وقصُّ الشارب».

(٢) تفسير الطبري ١٦/ ٥٢٦.

(٣) السبعة ص٤٣٦، والتيسير ص١٥٧.

(٤) في القاموس: الصَدَرُ: الرُّجوع، ومنه طوافُ الصَّدَر، وفيه أيضاً أنَّ الصَّدَر هو اليومُ الرابع من أيام النحر.

(٥) بنحوه في تفسيره ١٦/ ٥٣١، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/ ١١٩.

(٦) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٥٢٩-٥٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٩، وزاد المسير ٥/ ٤٢٧-٤٢٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٨٣.

الفالج، فأشارَ الأخيارُ عليه أن يكفَّ عنه وقالوا: له ربٌّ يمنعُه. فتركَه وكساه وهو أوَّلُ مَنْ كَساه[١]، وقصدَه أبرهة فأصابَه ما أصابَه، وأمَّا الحجَّاجُ فلم يقصد التسلُّط على البيت؛ لكن تَحصَّنَ به ابنُ الزُّبير فاحتالَ لإخراجِه ثم بناه[٢].

أو المحرَّر، لم يُملك موضعُه قطّ؛ قاله مجاهد.

أو المُعتَقُ من الطُّوفان؛ قاله مجاهد أيضاً وابنُ جُبير.

أو الجيِّد؛ من قولهم: عِتاق الخيل وعِتاق الطير.

أو الذي تُعتق فيه رقابُ المذنبين من العذاب[٣]؛ قال ابنُ عطية: وهذا يردُّه التصريف. انتهى.

ولا يردُّه التصريف لأنه فسَّرَه تفسيرَ معنًى، وأمَّا من حيث الإعراب فلأنَّ العتيق فَعِيل بمعنى مُفْعِل، أي: مُعتِقٌ رقابَ المُذنِبين. ونُسِبَ الإعتاقُ إليه مجازاً، إذْ بزيارتِه والطَّوافِ به يحصُلُ الإعتاق، وينشأ عن كونِه مُعتِقاً أن يقال فيه: تُعتَقُ فيه رقابُ المُذنبين.

«ذلك» خبر مبتدأ محذوف قدَّرَهُ ابنُ عطية: فَرْضُكم ذلك، أو الواجبُ ذلك، وقدَّره الزمخشريّ: الأمرُ أو الشأنُ ذلك؛ قال[٤]: كما يُقدِّمُ الكاتبُ جملةً من كتابِه في بعض المعاني، ثم إذا أرادَ الخَوْضَ في معنًى آخرَ قال: هذا، وقد كان كذا. انتهى.

وقيل: مبتدأ محذوفُ الخبر، أي: ذلك الأمرُ الذي ذكرتُه.

وقيل: في موضع نصب تقديرُه: امتَثِلُوا ذلك، ونظيرُ هذه الإشارة البليغة قولُ زهير وقد تقدَّم له جُملٌ في وصف هَرِم:

---

(١) ينظر تاريخ مكة للأزرقي ١/ ١٣٣ و٢٤٩، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٩٧، وتُبَّع هو من أعاظم تابعة اليمن في الجاهلية.

(٢) الكلام بنحوه في الكشاف ٣/ ١١، وتفسير الرازي ٢٣/ ٣٠، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٣٨٣.

(٣) ينظر فيما سلف من أقوال في تفسير الثعلبي ٤/ ٢٩٧، والنكت والعيون ٤/ ٢١، والمحرر الوجيز ٤/ ١١٩، وزاد المسير ٥/ ٤٢٧-٤٢٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٨٤.

(٤) الكشاف ٣/ ١١.

هذا وليسَ كمَنْ يَعْيَا بخُطبتِهِ وَسْطَ النَّدِيِّ إذا ما ناطقٌ نَطَقَا[(١)]

وكان وصَفَه قبلَ هذا بالكَرَم والشجاعة، ثم وصَفَه في هذا البيت بالبلاغة، فكأنَّه قال: هذا خُلُقُهُ، وليس كمن يَعْيَا بخطبته.

والحُرُماتُ ما لا يَحِلُّ هَتْكُهُ، وجميعُ التكليفات من مناسكِ الحجِّ وغيرِها حُرْمَة.

والظاهرُ عُمومُه في جميع التكاليف، ويحتمل الخصوصَ بما يتعلَّق بالحجِّ[(٢)]، وقاله الكلبي؛ قال: ما أُمِرَ به من المناسك[(٣)].

وعن ابنِ عبَّاس: هي جميعُ المناهي في الحجّ: فُسُوقٌ وجِدالٌ وجِماعٌ وصَيدٌ[(٤)].

وعن ابنِ زيد: هي خمسٌ: المَشْعَرُ الحرام، والمسجدُ الحرام، والبيتُ الحرام، والشهرُ الحرام، والمُحْرِمُ حتى يَحِلّ[(٥)].

وضمير «فهو» عائدٌ على المصدر المفهوم من قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ﴾ أي: فالتعظيمُ خيرٌ له عندَ ربِّه، أي: قُرْبَةٌ منه وزيادةٌ في طاعته يُثِيبُه عليها. والظاهر أنَّ خيراً هنا ليس أفعلَ تفضيل[(٦)].

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ دَفعاً لِما كانت العربُ عليه من تحريم أشياءَ برأيها كالبَحِيرةِ والسائبة، ويعني بقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ما نصَّ في كتابِه على تحريمه، والمعنى: ما يُتلى عليكم آيةُ تحريمِه.

---

(١) البيت بهذه الرواية في عُمدة ابن رشيق ٢/ ١٣٤، وهو في ديوان زهير ص٥٥ برواية: بخُطَّتِهِ وَسْطَ الرِّجالِ، وهو في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٠ برواية: كمن يعطي بخطَّته. وفيه أيضاً: قائل، بدل: ناطق. والبيت من قصيدة لزهير يمدح فيها هَرِم بن سِنان.

(٢) من قوله: والحُرُماتُ ما لا يحلُّ هَتْكُهُ... إلى هذا الموضع، من الكشاف ٣/ ١١-١٢ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٤/ ٢١.

(٤) لم أقف عليه، وذكره الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٣٠٩.

(٥) الكشاف ٣/ ١٢، وأخرجه الطبري ١٦/ ٥٣٤ بلفظ: الحُرُمات: المشعر الحرام، والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام.

(٦) يعني أنها عِدَةٌ بخير، كما في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٠ وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٨٥، قال ابن عطية: ويحتمل أن يُجعل «خير» للتفضيل على تجوُّز في هذا الموضع.

ولمَّا حَثَّ على تعظيم حُرُماتِ الله وذكرَ أنَّ تعظيمَها خيرٌ لمُعَظِّمِها عند الله؛ أتبعَه الأمرَ باجتنابِ الأوثانِ وقولِ الزُّور، لأنَّ توحيدَ اللهِ ونَفْيَ الشُّركاءِ عنه وصِدْقَ القولِ أعظمُ الحُرُمات، وجُمعا في قِرانٍ واحد لأنَّ الشِّركَ من باب الزُّور، لأنَّ المشركَ يزعُم أنَّ الوَثَنَ يستَحقُّ العبادةَ، فكأنه قال: فاجتنبوا عبادةَ الأوثان التي هي رأسُ الزُّور، واجتَنِبُوا قولَ الزُّورِ كُلَّه[١].

و«مِنْ» في «مِنَ الأوثان» لبيانِ الجنس، ويُقدَّر بالموصول عندَهم، أي: الرِّجسَ الذي هو الأوثان، ومَنْ أنكرَ أن تكون «مِنْ» لبيان الجنس جعلَ «مِنْ» لابتداء الغاية، فكأنه نهاهم عن الرِّجس عامًّا ثم عَيَّنَ لهم مَبدَأه الذي منه يلحقُهم، إذْ عبادةُ الوثَنِ جامعةٌ لكلِّ فسادٍ ورِجْس، وعلى القول الأول يكون النهيُ عن سائر الأرجاس من موضع غير هذا.

قال ابنُ عطيَّة[٢]: ومَنْ قال: إنَّ «مِنْ» للتبعيض قلبَ معنى الآية فأفسدَه. انتهى.

وقد يمكن التبعيضُ فيها بأنْ يعني بالرِّجس عبادةَ الأوثان، وقد رُوِيَ ذلك عن ابن عباس وابنِ جُريج، فكأنَّه قال: فاجتنبوا من الأوثانِ الرِّجسَ، وهو العبادة، لأنَّ المحرَّم من الأوثان إنما هو العبادة، ألا ترى أنه قد يُتصوَّرُ استعمالُ الوثَن في بناء وغيرِ ذلك ممَّا لم يُحرِّمه الشرعُ، فكأنَّ للوثنِ جهاتٍ منها عبادتُها، وهو المأمورُ باجتنابه، وعبادتُها بعضُ جهاتِها[٣].

ولمَّا كان قولُ الزُّور مُعادلاً للكُفر لم يُعطف على الرِّجس، بل أُفردَ بأن كُرِّر له العاملُ اعتناءً باجتنابه، وفي الحديث: «عُدِلَتْ شهادةُ الزُّور بالشِّرك»[٤].

ولمَّا أمرَ باجتناب عبادةِ الأوثان وقولِ الزُّور ضربَ مثلاً للمشرك فقال: ﴿وَمَن

(١) الكشاف ٣/ ١٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٠.
(٣) استبعدَ السمين في الدر ٨/ ٢٧٠ هذا التأويل، وذكر الآلوسي أيضاً في روح المعاني ١٧/ ٣١٠ أن هذا الوجه ووجه أن تكون «مِنْ» للابتداء تكلُّف مستغنًى عنه.
(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٧٦٠٣) عن أيمن بن خُريم، و(١٨٨٩٨) عن خُريم بن فاتك، وإسناداهما ضعيفان كما ذكر محقِّقو المسند. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٥٦٩) من حديث ابن مسعود ﷺ، وحسَّنَ إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٠١.

يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ الآية؛ قال الزمخشري: يجوزُ في هذا التشبيه أن يكونَ من المركَّب والمفرَّق، فإن كان تشبيهاً مركَّباً فكأنه قال: مَنْ أشركَ بالله فقد أهلكَ نفسَه إهلاكاً ليس بعدَه؛ بأنْ صوَّرَ حالَه بصورةِ حالِ مَنْ خَرَّ مِن السماء فاختطفَتْهُ الطير، فتفرَّقَ مِزَعاً في حواصِلها، أو عَصَفَتْ به الرِّيحُ حتى هَوَتْ به في بعض المطاوِح[1] البعيدة، وإنْ كان مُفرَّقاً فقد شُبِّهَ الإيمانُ في عُلُوِّهِ بالسماء، والذي تركَ الإيمانَ وأشركَ بالله بالسَّاقِطِ من السماء، والأهواءُ التي تتوزَّع أفكاره[2] بالطير المختطِفة، والشيطانُ الذي يَطوِحُ به في وادي الضلالة بالرِّيحِ التي تهوي بما عَصفَتْ به في بعض المَهاوِي المُتلِفة. انتهى.

وقرأ نافع «فتَخَطَّفُهُ» بفتح الخاء والطاء مشدَّدة، وباقي السبعة بسكون الخاء وتخفيف الطاء[3].

وقرأ الحسن وأبو رجاء والأعمش بكسر التاءِ والخاءِ والطاءِ مشدَّدة[4].

وعن الحسن كذلك إلا أنه فتحَ الطاء مشدَّدة[5].

وقرأ الأعمش أيضاً: «تَخْطَفُهُ» بغير فاء وإسكان الخاء وفتح الطاء مخفَّفة[6].

وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو رجاء: «الرِّياح»[7].

---

(١) جمع مَطَاح، وهو المَسْلَك المُهلِك، وتحرفت اللفظة في النسخ الخطية والمطبوع إلى: المطارح. والتصويب من الكشاف ٣/ ١٢.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: تُنازع أوكاره، والمثبت من المصدر السالف.

(٣) السبعة ص٤٣٦، والتيسير ص١٥٧.

(٤) الكشاف ٣/ ١٣ عن الحسن، وفيه أيضاً دون نسبة، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٢٠ عن الحسن وأبي رجاء، وفي القراءات الشاذة ص٩٥ عنهما وعن الأعمش: فَتِخِطِّفُهُ، بفتح التاء وكسر الخاء والطاء وشدِّها، وأوردَ ابنُ الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٢٩ عن الحسن والأعمش: فَتَخِطَّفُهُ، بفتح التاء والطاء المشدَّدة وكسر الخاء.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٠، ونَسَبَها ابنُ الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٢٩ لأبي رزين وأبي الجوزاء وأبي عمران الجَوْني.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٠.

(٧) ينظر القراءات الشاذة ص٩٥، والكشاف ٣/ ١٣، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٠، وذُكر عن أبي جعفر الوجهان في النشر ٢/ ٢٢٤.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

إعراب «ذلك» كإعراب «ذلك» المتقدِّم، وتقدَّم تفسيرُ «شعائر الله» في أول المائدة، وأمَّا هنا فقال ابن عباس ومجاهد وجماعة: هي البُدْنُ الهدايا، وتعظيمُها تسمينُها والاهتبالُ بها والمغالاةُ فيها[1].

وقال زيد بنُ أسلم: الشعائرُ ستٌّ: الصَّفا والمروة، والبُدْن، والجِمار، والمَشْعَرُ الحرام، وعَرَفة، والرُّكْنُ[2]، وتعظيمُها إتمامُ ما يُفعل فيها.

وقال ابنُ عُمر والحسن ومالك وابنُ زيد: مواضعُ الحجِّ كلُّها ومعالِمُهُ بمنى وعَرَفةَ والمُزدلفةِ والصَّفا والمَرْوَة والبيتِ وغير ذلك[3]. وهذا نحوٌ من قول زيد بنِ أسلم.

وقيل: شرائعُ دينِه، وتعظيمُها التزامُها، والمنافعُ الأجرُ، ويكون الضمير في «فيها» من قوله: «لكم فيها منافع» عائداً على الشعائر التي هي الشرائع، أي: لكم في التمسُّك بها منافعُ إلى أجلٍ منقطعِ التكليف[4]، ثم «مَحِلُّها» يُشْكِلُ على هذا التأويل، فقيل: الإيمانُ والتوجُّهُ إليه بالصلاة، وكذلك القصدُ في الحجِّ والعُمرة،

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٥٤٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢١ (والكلام فيه) وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٨٨.
قوله: الاهتبال بها، أي: الإسراع بأمرها.
(٢) الهداية ٣/ ١٥٦٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٢١، وهو بنحوه في تفسير الطبري ١٦/ ٥٤١ عن ابن زيد.
(٤) أي: إلى أجلٍ ينقطع التكليف عنده، كما هو في تفسير الرازي ٢٣/ ٣٣، وينظر روح المعاني ١٧/ ٣٢٠.

أي: مَحِلُّ ما يختصُّ منها بالإحرام البيتُ العتيق. وقيل: معنى ذلك: ثم أجرُها على ربِّ البيت العتيق؛ قيل: ولو قيل على هذا التأويل: إنَّ البيت العتيق الجنة لم يبعُدْ.

الضمير في «إنَّها» عائد على الشعائر على حذف مضاف، أي: فإنَّ تعظيمَها، أو على التعظمة[١].

وأضافَ التقوى إلى القلوب كما قال عليه الصلاة والسلام: «التَّقْوَى ههنا» وأشارَ إلى صدره[٢].

وعن عُمَر أنه أهْدَى نَجِيبةً طُلبت منه بثلاثِ مئة دينار، فسألَ رسولَ الله ﷺ أن يبيعَها ويشتريَ بثمنها بُدْناً، فنهاه عن ذلك، وقال: «بل أهْدِها»[٣].

وأهدى هو عليه الصلاة والسلام مئةَ بَدَنةٍ فيها جَمَلٌ لأبي جهل في أنفهِ بُرَةٌ من ذهب[٤].

وكان ابنُ عمر يسوقُ البُدْنَ مجلَّلَةً بالقَبَاطِي، فيتصدَّقُ بلحومها وبِجِلالها[٥]، ويعتقدُ أنَّ طاعةَ الله في التقرُّب بها وإهدائها إلى بيته المعظَّم أمرٌ عظيم لا بدَّ أن يُقامَ به ويُسارَعَ فيه[٦].

---

(١) أي عائد على المصدر المفهوم من الفعل قبله: «يُعَظِّم»، و«تَعْظِمَة» مصدر: عَظَّمَ؛ فعَّلَ تَفْعِلةً وتَفْعِيلاً في الصحيح، وتَفْعِلةً في المعتلّ الآخِر، مثل: زَكَّى تزكيةً ووَصَّى توصيةً. ينظر شرح الشافية ١/ ١٦٤.

(٢) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه عنه أحمد (٧٧٢٧) ومسلم (٢٥٦٤) وغيرهما.

(٣) أخرجه أحمد (٦٣٢٥) والبخاري في التاريخ الكبير ٢/ ٢٣٠، وأبو داود (١٧٥٦) من حديث ابن عمر. قال: أهدى عمر. . .إلخ. وضَعَّفَ محقِّقُو المسند إسنادَه، وقال أبو داود: هذا لأنه كان أشعرَها. اهـ. وقولُه: نَجِيبة، أي: من خِيار الإبل.

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٦١٧) من حديث عليّ ﷺ، وبنحوه أخرجه أحمد (٢٠٧٩) وأبو داود (١٧٤٩) من حديث ابن عباس ﷺ. وجَملُ أبي جهل كان من غنائم المسلمين يوم بدر. والبُرَةُ: حلقةٌ تُوضع في أنف البعير.

(٥) بنحوه في الموطأ (٥٠٦) (رواية محمد بن الحسن) وتاريخ مكة ١/ ٢٥٣ للأزرقي، ولفظُه من الكشاف ٣/ ١٣. قوله: القَباطي، هو جمع قُبْطِيَّة؛ قال ابن الأثير في النهاية (قبط): القُبطيَّة: الثوبُ من ثياب مصر رقيقة بيضاء، وكأنه منسوب إلى القِبْط، وهم أهل مصر.

(٦) الكشاف ٣/ ١٣، والأخبار الثلاثة السالفة فيه.

وذكرَ القلوبَ لأنَّ المنافقَ يُظهر التقوى وقلبُه خالٍ عنها، فلا يكونُ مُجِدًّا في أداء الطاعات، والمخلصُ التقوى بالله في قلبه[١]، فيُبالِغُ في أدائها على سبيل الإخلاص.

وقال الزمخشري: [أي] فإنَّ تعظيمَها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحُذفت هذه المُضافات، ولا يستقيمُ المعنى إلا بتقديرِها، لأنه لا بدَّ من راجعٍ من الجزاء إلى «مَنْ» ليرتبطَ به، وإنما ذُكرت القلوبُ لأنها مراكزُ التقوى التي إذا ثَبتَتْ فيها وتمكَّنَتْ ظهرَ أثرُها في سائر الأعضاء. انتهى.

وما قدَّرَه عارٍ من راجع من[٢] الجزاء إلى «مَنْ» ألا ترى أنَّ قولَه «فإنَّ تعظيمَها من أفعال [ذوي تقوَى] القلوب»[٣] ليس في شيء منه ضميرٌ يعود إلى «مَنْ» يربطُ جملةَ الجزاء بجملة الشرط الذي أداتُه «مَنْ»، وإصلاحُ ما قالَه أن يكون التقدير: فإنَّ[٤] تعظيمَها منه، فيكون الضمير في «منه» عائداً على «مَنْ» فيرتبطُ الجزاءُ بالشرط[٥].

وقُرئ: «القلوبُ» بالرفع على الفاعليَّة بالمصدر الذي هو «تَقْوَى»[٦].

والضمير في «فيها» عائد على «البُدْن» على قول الجمهور، والمنافعُ دَرُّها ونَسْلُها وصُوفُها وركوبُ ظهرِها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ وهو أن يُسَمِّيَها ويُوجِبَها هَدْياً، فليس له شيءٌ من منافعها[٧]، قاله ابن عباس في رواية مِقْسم ومجاهد وقتادة والضَّحَّاك[٨].

---

(١) كذا، ولعل الصواب: والمخلصُ التقوى لله في قلبه... أو: المخلصُ التقوى في قلبه... بحذف لفظة «بالله». وعبارةُ الرازي (والكلام في تفسيره ٢٣/ ٣٢-٣٣ بنحوه): أمَّا المخلصُ الذي تكون التقوى متمكنةً في قلبه... الخ.

(٢) في (ح) والمطبوع: إلى، وهو خطأ.

(٣) ما بين حاصرتين مستدرك ممَّا سلف من كلام الزمخشري، ولا بدَّ منه.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: فأي، بدل: فإنَّ، وهو خطأ.

(٥) ينظر ما نقلَه الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٣١٦ في توجيه كلام الزمخشري؛ في أنَّ المحذوفَ المفهوم بمنزلة المذكور، أو أنْ يكونَ عمومُ «ذَوِي تقوَى القلوب» بمنزلة الضمير، فتقدير «منه» ليس بالوجه.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٢١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٨٩.

(٧) أي على هذا القول له الانتفاعُ بِدَرِّها ونَسْلِها وصُوفِها وغيرِ ذلك ما لم يَبْعَثْها هَدْياً، فإذا بَعَثَها فهو الأجلُ المسمَّى. ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٢١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٨٩.

(٨) تفسير الطبري ١٦/ ٥٤٢-٥٤٣، والثعلبي ٤/ ٢٩٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢١، وزاد المسير ٥/ ٤٢٩-٤٣٠، وتفسير الرازي ٢٣/ ٣٣.

وقال عطاء: منافعُ الهدايا بعد إيجابها وتسميتِها هدياً بأنْ تُركَبَ ويُشربَ لبنُها عند الحاجة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى أن تُنحر[١].

وقيل: إلى أن تُشْعَرَ، فلا تُركب إلا عند الضرورة.

ورَوَى أبو رَزِين عن ابن عباس: الأجَلُ المسمَّى الخروج من مكة[٢].

وعن ابن عباس: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: إلى الخروج والانتقال من هذه الشعائر إلى غيرها.

وقيل: الأجلُ يومُ القيامة[٣].

وقال الزمخشريّ: إلى أنْ تُنْحَرَ ويُتَصَدَّقَ بلحومها ويُؤكلَ منها، و«ثُمَّ» للتراخي في الوقت، فاستُعيرت للتراخي في الأحوال[٤]، والمعنى: إنَّ لكم في الهدايا منافعَ كثيرةً في دنياكم ودينكم، وإنما يعتدُّ[٥] الله بالمنافع الدينيَّة، قال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]. وأعظمُ هذه المنافع وأبعدُها شوطاً في النَّفع مَحِلُّها إلى البيت، أي: وجوبُ نحرِها أو وقتُ وجوبِ نَحْرِها منتهية إلى البيت، كقوله: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] والمرادُ نحرُها في الحَرَم الذي هو في حُكم البيت لأنَّ الحَرَمَ هو حَرِيمُ البيت، ومثلُ هذا في الاتساع قولُك: بَلَغْنا البلدَ، وإنما شارَفْتُموه واتصلَ مسيرُكم بحدوده.

وقيل: المرادُ بالشعائرِ المناسكُ كلُّها، و«مَحِلُّها إلى البيت العتيق» يأباه. انتهى.

---

(١) المصادر السالفة، قال الرازي: وهذا القولُ أوْلَى لأنه تعالى قال: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ أي: في الشعائر، ولا تسمَّى شعائرَ قبلَ أن تُسمَّى هَدْياً. اهـ. قلت: ولعطاء قول آخر مثل قول ابن عباس وغيره السالف قبله، أخرجه عنه الطبري ١٦/ ٥٤٤.

(٢) زاد المسير ٥/ ٤٣٠، وجاء في مطبوع تفسير الثعلبي ٤/ ٢٩٩ أنها رواية أبي ذرّ عن ابن عباس (؟).

(٣) هذا القول على تفسير المنافع بالأجر، والشعائر بالدِّين كما في النكت والعيون ٤/ ٢٤، وسلف تفسير الشعائر بالشرائع قريباً.

(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: الأفعال، والمثبت من الكشاف ٣/ ١٤ والكلام منه.

(٥) في (أ) و(ع) و(ح): يعبد، وفي (يه): تعبّد. والمثبت من المصدر السالف.

وقال القفَّال: الهَدْيُ المُتَطَوَّعُ به إذا عَطِبَ قبلَ بلوغِ مكة فإنَّ مَحِلَّهُ موضعُه، فإذا بلغَ منًى فهي مَحِلُّهُ وكلُّ فِجاجِ مكة[١].

وقال ابنُ عطيَّة: وتكون[٢] «ثُمَّ» لترتيب الجُمل، لأنَّ المَحِلَّ قبل الأجَل، ومعنى الكلام عند هاتين الفِرْقَتَيْن[٣] ـ يعني من قال بقول مجاهد ومَنْ وافقَه، ومن قالَ بقول عطاء ـ ثم مَحِلُّها إلى موضع النَّحر، فذكرَ البيتَ لأنه أشرفُ الحَرَم، وهو المقصودُ بالهَدْي وغيرِه، والأجلُ الرجوعُ إلى مكة لطوافِ الإفاضة، وقولُه: «ثم مَحِلُّها» مأخوذٌ من إحلالِ المُحْرِمِ، معناه: ثم آخِرُ هذا كلِّهِ إلى طوافِ الإفاضة بالبيت العتيق، فالبيتُ على هذا التأويل مُرادٌ بنفسِه. قاله مالك في «الموطَّأ»[٤]. انتهى.

والمَنْسَكُ مَفْعَل من «نَسَكَ»، واحتملَ أن يكون موضعاً للنُّسْك، أي: مكانَ نُسْك، واحتملَ أن يكون مصدراً، واحتملَ أن يُراد به مكان العبادة مطلقاً أو العبادة، واحتملَ أن يُراد مكان نُسْكٍ خاصٍّ، أو نُسُكاً خاصًّا وهو موضعُ ذَبْح أو ذِبْح.

وحملَهُ الزمخشريُّ على الذَّبْح فقال: شَرَعَ اللهُ لكلِّ أمةٍ أن يَنْسُكُوا له، أي: يَذبحُوا لِوَجْهِهِ على وَجْهِ التقرُّب، وجعلَ العلَّة في ذلك أن يُذكرَ اسمُه - تَقَدَّسَتْ أسماؤه ـ على النَّسائك[٥]. انتهى.

وقياس بناء مفعل ممَّا ضَارَعَه[٦] يفعُل بضمِّ العين مَفْعَلٌ بفتحها في المصدر والزَّمان والمكان.

---

(١) بنحوه في تفسير الرازي ٢٣/ ٣٤. وآخر الكلام إشارة إلى قطعة من حديث: «منًى كلُّها مَنْحَرٌ، وكلُّ فِجاجِ مكةَ طريقٌ ومَنْحَرٌ» أخرجه أحمد (١٤٤٩٨) عن جابر ﷺ، وله روايات أخرى، ينظر مسند أحمد (٥٦٢) و(١٤٤٤٠).

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: وتكرر، وهو تصحيف، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ١٢١.

(٣) المثبت من (ع) وهو كذلك في المصدر السالف، وفي (أ) و(ح) و(يه): الفريقين، وهو خطأ.

(٤) ١/ ٣٧٠، والكلام من المحرر الوجيز كما سلف.

(٥) في النسخ الخطية والمطبوع: المناسك، والمثبت من الكشاف ٣/ ١٤ والكلام منه.

(٦) في المطبوع: مضارعه.

وبالفتح قرأ الجمهور، وقرأ بكسرها الأخَوَانِ وابنُ سَعْدَان وأبو حاتم عن أبي عَمرو ويونس ومحبوب وعبدُ الوارث إلا القَصَبيّ عنه[١].

قال ابنُ عطية: والكسرُ في هذا من الشاذّ، ولا يَسُوغُ فيه القياس، ويُشبه أن يكون الكسائيُّ سمعَه من العرب[٢].

وقال الأزهريّ: مَنْسَك ومَنْسِك لغتان[٣].

وقال مجاهد: المَنْسَك الذبح وإراقةُ الدّماء[٤].

يقال: نَسَكَ إذا ذبحَ، والذَّبيحةُ نَسِيكة، وجمعُها نُسُك.

وقال الفرَّاء: المَنسَك في كلام العرب الموضعُ المُعتادُ في خيرٍ وشرّ[٥].

وقال ابنُ عَرَفة: مَنْسَكاً، أي: مَذْهباً من طاعة الله، يقال: نَسَكَ نَسْكَ قومِه: إذا سلكَ مذهبَهم.

وقال الفرَّاء: منسكاً عيداً، وقال قتادة: حَجًّا.

﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ معناه أمَرْناهم عند ذبائحِهم بذكرِ الله، وأن يكونَ الذبحُ له، لأنه رازقُ ذلك. ثم خرجَ إلى الحاضرين[٦] فقال: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾

---

(١) قراءة الأخوين (وهما حمزة والكسائي) في السبعة ص٤٣٦، والتيسير ص١٥٧. والقَصَبيّ هو أبو بكر محمد بن عمر. ينظر غاية النهاية ٢/٢١٦-٢١٧.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ١٢١، وهو بنحو كلام أبي عليّ الفارسيّ في الحُجَّة ٥/ ٢٧٨، وقد ردَّ السمينُ في الدُّرّ ٨/ ٢٧٤ هذا الكلام وقال: كيف يقول: يُشبهُ أن يكون الكسائيُّ سمعَه، والكسائي يقول: قرأتُ به، فكيف يحتاج إلى سماع مع تمسُّكه بأقوى السماعات، وهو روايتُه لذلك قرآناً متواتراً؟!

(٣) الكلام للقرطبي في تفسيره ١٤/ ٣٩١، وقد نقلَ قبلَه عن الأزهريّ أنَّ المَنْسِكَ يدلُّ على موضع النحر في هذا الموضع، أراد: مكانَ نَسْك. وهو بنحوه في تهذيب اللغة ١٠/ ٧٤ عن أبي إسحاق الزجَّاج. وينظر معانيه ٣/ ٤٢٦.

(٤) تفسير الطبري ١٦/ ٥٥٠، والنكت والعيون ٤/ ٢٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٩١.

(٥) تحرَّفت اللفظة في النسخ الخطية والمطبوع إلى: وبرّ، والكلام وما بعده في تفسير القرطبي ١٤/ ٣٩١-٣٩٢. وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٠، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩٨.

(٦) يعني خَرَجَ اللفظ، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٢١ (والكلام فيه بنحوه): ثم رجعَ اللفظ من الخبر عن الأمم إلى إخبار الحاضرين. . .

أي: انقادُوا، وكما أنَّ الإلهَ واحدٌ يجبُ أن يُخلَصَ له في الذبيحة ولا يشركَ فيها لغيرِه. وتقدَّم شرح الإخبات، وقال عَمرو بنُ أوس: المُخْبِتون الذين لا يَظلِمُون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا(١).

وقرأ الجمهور: «والمُقِيمِي الصلاةِ» بالخفض على الإضافة، وحُذفت النون لأجلها.

وقرأ ابنُ أبي إسحاق والحسنُ وأبو عَمرو في رواية: «الصلاةَ» بالنصب، وحُذفت النون للطُّول(٢).

وقرأ ابنُ مسعود والأعمش: «والمقيمينَ» بالنون «الصلاةَ» بالنصب(٣).

وقرأ الضحاك: «والمقيم الصلاة»(٤).

وناسبَ تبشيرُ من اتَّصفَ بالإخْبات هنا لأنَّ أفعالَ الحجِّ من نزع الثيابِ والتجرُّدِ من المَخِيط وكشفِ الرأسِ والتردُّدِ في تلك المواضع المغبرة المُحْجِرَة والتلبُّسِ بأفعالٍ شاقَّة لا يعلم معناها إلا الله تعالى مُؤذِنٌ بالاستسلام المَحْضِ والتواضع المُفرط حيث يخرجُ الإنسانُ عن مألوفِهِ إلى أفعالٍ غريبة، ولذلك وصفَهم بالإخْبات والوَجَلِ إذا ذُكِرَ الله تعالى والصبرِ على ما أصابَهم من المشاقِّ وإقامةِ الصلوات في مواضعَ لا يُقيمها إلا المؤمنون المُصْطَفَوْنَ، والإنفاق مِمَّا رزقَهم، ومنها الهدايا التي يُغالُون فيها.

وقرأ الجمهور: «والبُدْنَ» بإسكان الدال، وقرأ الحسنُ وابنُ أبي إسحاق وشيبة وعيسى بضمِّها، وهي الأصل، ورُوِيتْ عن أبي جعفر ونافع(٥).

---

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٥٥١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٢، قال ابن عطية: وهذا مثالٌ شريفٌ من خُلُق المؤمنِ الهيِّن الليِّن. وتقدَّم شرح الإخبات في سورة هود، الآية (٢٣).

(٢) قال ابن عطية: على توهُّم النون، وأن حذفها للتخفيف. وينظر القراءات الشاذة ص٩٥، والمحتسب ٢/ ٨٠، والكشاف ٣/ ١٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٩٣. وقراءة أبي عَمرو المشهورة عنه كقراءة الجمهور.

(٣) القراءات الشاذة ص٩٥، والكشاف ٣/ ١٤ عن ابن مسعود، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٢ عن الأعمش.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٢.

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩٨، والقراءات الشاذة ص٩٥، والكشاف ٣/ ١٤، والمحرر =

وقرأ ابنُ أبي إسحاق أيضاً بضمّ الباء والدال وتشديد النون[1]، فاحتملَ أن يكونَ اسماً مفرداً بُني على فُعُلّ كـ «عُتُلّ»، واحتملَ أن يكون التشديد من التضعيف الجائز في الوقف، وأُجريَ الوصلُ مُجرَى الوقف.

والجمهور على نصب «والبُدْنَ» على الاشتغال، أي: وجعلنا البُدْنَ، وقُرِئ بالرفع على الابتداء[2].

و«لكم» أي: لأجلِكم، و«من شعائر» في موضع المفعول الثاني، ومعنى «من شعائر الله»: من أعلام الشريعة التي شَرَعَها الله، وأضافَها إلى اسمِه تعالى تعظيماً لها.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ قال ابن عباس: نفعٌ في الدنيا وأجرٌ في الآخرة، وقال السُّدِّيُّ: أجر، وقال النَّخَعيّ: من احتاجَ إلى ظهرها ركبَ، وإلى لبنها شَرِبَ[3].

﴿عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ أي: على نَحْرِها، قال مجاهد: معقولة، وقال ابنُ عمر: قائمة قد صُفَّتْ أيديها بالقيود، وقال ابنُ عيسى: مصطفَّة[4]. وذِكْرُ اسمِ اللهِ أن يقول عند النَّحر: الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، اللهم منك وإليك[5].

وقرأ أبو موسى الأشعري والحسن ومجاهد وزيد بنُ أسلم وشقيق وسليمان التيمي والأعرجُ: «صَوَافيَ» جمع صافية[6]، ونوَّنَ الياء عمْرُو بنُ عُبيد[7]؛ قال الزمخشريّ: التنوين عوضٌ من حرف[8] عند الوقف. انتهى. والأَوْلَى أن يكونَ

= الوجيز ٤/ ١٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٩٤، وقراءة أبي جعفر ونافع المشهورة عنهما كقراءة الجمهور.

(١) القراءات الشاذة ص٩٥، والكشاف ٣/ ١٤، وتفسير الرازي ٢٣/ ٣٥.

(٢) الكشاف ٣/ ١٤، وتفسير الرازي ٢٣/ ٣٥.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٥٥٤، والنكت والعيون ٤/ ٢٦، والكشاف ٣/ ١٤.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٢٦.

(٥) تفسير الطبري ١٦/ ٥٥٦، وتفسير الثعلبي ٤/ ٣٠١، والكشاف ٣/ ١٤.

(٦) القراءات الشاذة ص٩٥، والمحتسب ٢/ ٨١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٩٦.

(٧) أي قرأ: صَوَافياً، وهي في القراءات الشاذة ص٩٥، وجاء في الكشاف ٣/ ١٥: صوافناً، وكذا هو في نسخة خطية له ٧٦/ ب.

(٨) يعني حرف الإطلاق، كما في الكشاف ٣/ ١٥.

على لغة مَنْ صَرفَ ما لا ينصرف ولاسيّما الجمعُ المتناهي، ولذلك قال بعضُهم:

والصَّرْفُ في الجمعِ أَتَى كثيرًا حتى ادَّعَى قومٌ به التَّخْيِيرَا

أي: خَوَالِصَ لوجهِ الله تعالى لا يُشْرَكُ فيها بشيء كما كانت الجاهليةُ تُشْرِكُ.

وقرأ الحسن أيضاً: «صَوَافٍ» مثل: عَوَارٍ[1]، وهو على قول من قال:

فكَسَوْتُ عارٍ لَحْمُهُ[2]

يريد: عارياً، وقَولِهم: أعْطِ القَوْسَ بارِيْها[3].

وقرأ عبدُ الله وابنُ عُمر وابنُ عبَّاس والباقر وقتادةُ ومجاهد وعطاء والضحَّاك والكلبيُّ والأعمش بخلاف عنه: «صَوَافِنَ» بالنون[4]، والصافِنة من البُدْن ما اعتمَدَ على طَرَفِ رِجْلٍ بعد تمكُّنِها بثلاث قوائم، وأكثرُ ما تُستعملُ في الخيل.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ عبارة عن سقوطها إلى الأرض بعد نَحْرِها.

قال محمد بنُ كعب ومجاهد وإبراهيم والحسن والكلبيّ: القانعُ: السائل، والمُعْتَرُّ: المتعرِّضُ[5] من غير سؤال، وعكست فرقة هذا.

---

(١) جمع عارِيَة، وهي العاريَّة التي تُعار وتُرَدُّ، ومثل أيضاً جوارٍ جمع جارية، وتوجيهها أنه على تقدير الفتحة على الياء، فيصير حُكمها كحكم حالة الرَّفع والجرّ في حذف الياء وتعويضِ التنوين. ينظر الدُّرّ المصون ٨/ ٢٧٧، وروح المعاني ٧/ ٣٢٧.

(٢) هو قطعة من بيت أنشدَه ابنُ السيرافي كما في سمط اللآلي ١/ ١٠٦، وروايته فيه:

وكَسَوتُ عارٍ لحمُهُ فتركتُه جَذْلانَ جادَ قميصُه ورداؤهُ

وأنشده الفراء كما في رسالة الصاهل والشاحج ص٦٦٢ برواية: جسمه، بدل: لحمه، وجاء في همع الهوامع ١/ ٢٠٩ برواية: وكسوتُ عاري لحمِهِ... وينظر الدُّرر اللوامع ١/ ١٦٥.

(٣) الفاخر ص٣٠٤، وجمهرة الأمثال ١/ ٧٦، وفصل المقال ص٢٩٨، ومجمع الأمثال ٢/ ١٩، والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٢٤٧، وهو من قول الشاعر (كما في الجمهرة):

يا باريَ القوسِ بَرْياً لستَ تُحْكِمُهُ لا تَظْلِمِ القَوْسَ أعْطِ القَوْسَ باريها

وينظر خزانة الأدب ٨/ ٣٤٩-٣٥٠.

(٤) القراءات الشاذة ص٩٥، والمحتسب ٢/ ٨١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٣٩٧.

(٥) في النسخ الخطية والمطبوع: المعترض، وكذا في الموضع التالي، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣ (والكلام فيه) وهو موافق لما في تفسير الطبري ١٦/ ٥٦٥-٥٦٦.

وحكى الطبريّ عن ابن عباس: القانعُ: المستغني بما أُعْطِيَهُ، والمُعْتَرُّ: المُتَعرِّضُ من غير سؤال، وحكى عنه: القانِعُ: المتعفِّفُ، والمعترُّ: السائل، وعن مجاهد: القانِعُ: الجارُ وإن كان غنيًّا[(١)].

وقال قتادة: القانع من القناعة[(٢)]، والمعترّ المتعرِّض للسؤال.

وقيل: المعترّ: الصديق الزائر[(٣)].

وقرأ أبو رجاء: «القَنِع» بغير ألف[(٤)]، أي: القانع، فحذفَ الألف، كالحَذِر والحاذِر.

وقرأ الحسن: «والمُعْتَرِي» اسم فاعل من: اعتَرَى[(٥)].

وقرأ عمرو وإسماعيل: «والمُعْتَرِ» بكسر الراء دون ياء، هذا نقلَ ابنُ خالويه[(٦)].

وقال أبو الفضل الرازي في كتاب «اللوامح»: أبو رجاء بخلاف عنه وابنُ عُبيد: «والمُعْتَرِي» على مُفتعِل[(٧)].

وعن ابن عباس برواية المقري: «والمُعْتَرِ» أراد: المُعْتَرِي، لكنه حذف الياء

(١) تفسير الطبري ١٦/ ٥٦٦-٥٦٧، والكلام في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣، وينظر تفسير الثعلبي ٤/ ٣٠٠-٣٠١، وزاد المسير ٥/ ٤٣٣.

(٢) هذا معنى قول قتادة وليس لفظه؛ فقد ذكر الثعلبي ٤/ ٣٠٠ عن قتادة قوله: القانع: المتعفِّف الجالسُ في بيته، وذكر عن ابن عباس: أن القانع الذي يقنعُ بما أُعطي ويرضى بما عنده ولا يسأل، ثم قال: فعلى هذا يكون القانع من القناعة؛ وينظر تفسير البغوي ٣/ ٢٨٨.

(٣) هو من قول زيد بن أسلم، ولفظُه في تفسير الطبري ١٦/ ٥٦٧: الصديق والضعيف الذي يزور.

(٤) المحتسب ٢/ ٨٢، والكشاف ٣/ ١٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠١.

(٥) القراءات الشاذة ص٩٥، والكشاف ٣/ ١٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠٢، ونسبت القراءة في المحتسب ٢/ ٨٢ والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٣ لأبي رجاء وعمرو بن عُبيد، وسترد.

(٦) القراءات الشاذة ص٩٥، ونُسبت في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣ لأبي رجاء.

(٧) نُسبت إليهما في المحرر الوجيز، وسلف ذكرها عن الحسن، وذكر أبو البقاء أنه قُرئ: والمُعْتَرِيَ، بفتح الياء.

تخفيفاً واستغناءً بالكسرة عنها، وجاء كذلك عن أبي رجاء[١].

قال ابنِ مسعود: الهَدْيُ أثْلاثٌ[٢]، وقال جعفر بنُ محمد [عن أبيه][٣]: أُطعِمُ القانعَ والمُعْتَرَّ ثُلُثاً، والبائسَ الفقيرَ ثُلُثاً، وأهلي ثُلُثاً.

وقال ابن المسيِّب: ليس لصاحبِ الهَدْي منه إلا الرُّبُع. وهذا كلُّه على جهة الاستحسان[٤] لا الفرض. قاله ابنُ عطية.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ أي: مثلَ ذلك التسخيرِ سخرناها لكم تأخذونها منقادةً فتَعقِلُونها وتَحبِسُونها صافَّةً قوائمَها فتطعُنُون في لَبَّاتِها[٥]، مَنَّ عليهم تعالى بذلك، ولولا تسخيرُ الله لم تُطَقْ، ولم تكن بأعجزَ من بعضِ الوحوش التي هي أصغرُ منها جِرْماً وأقلُّ قوةً، وكفى بما يَتَأبَّدُ[٦] من الإبل شاهداً وعِبْرَة!

وقال ابنُ عطية[٧]: كما أمَرْناكم فيها بهذا كلِّه سخَّرناها لكم.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ قال مجاهد: أرادَ المسلمون أن يفعلوا فِعلَ المشركين من الذَّبْح وتشريحِ اللحم منصوباً حولَ الكعبة ونَضْحِ الكعبة حواليها بالدم تقرُّباً إلى الله، فنزلت هذه الآية، وعن ابن عباس قريبٌ منه[٨].

والمعنى: لن يصيبَ رِضَا اللهِ اللحومُ المتصدَّقُ بها ولا الدِّماءُ المُهراقة بالنَّحر، والمرادُ أصحابُ اللحوم والدِّماء، والمعنى: لن يُرضيَ المُضَحُّون والمقرِّبُون ربَّهم

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣ عن أبي رجاء، ولم أقف عليها عن ابن عباس، وسلف ذكرها عن عَمرو وإسماعيل.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣، وهو ضمن خبر في المحلَّى ٧/ ٦٧٠، وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٢٨٢ عن مالك قال: بلغني عن ابن مسعود...
(٣) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣ (والكلام فيه)، وينظر روح المعاني ١٧/ ٣٣٠.
(٤) في المطبوع: الاستحباب، والمثبت من النسخ موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣، والكلام منه.
(٥) جمع لَبَّة، وزن حَبَّة، أي: المَنْحَر.
(٦) أي: يتوحَّشُ. والكلام في الكشاف ٣/ ١٥.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣.
(٨) بنحوه عن ابن عباس في النكت والعيون ٤/ ٢٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٣، وزاد المسير ٥/ ٤٣٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠٢.

إلا بمراعاة النيَّة والإخلاص والاحتفاظ[١] بشروط التقوى في حِلِّ ما قُرِّبَ به وغيرِ ذلك من المحافظات الشرعية وأوامرِ الوَرَع، فإذا لم يُرَاعُوا ذلك لم تُغن عنهم التضحية والتقريب وإن كثُر ذلك منهم. قاله الزمخشري. وهو تكثيرٌ في اللفظ.

وقرأ مالك بنُ دينار والأعرج وابنُ يَعْمَر والزُّهريُّ وإسحاق الكوفيُّ عن عاصم والزَّعفرانيُّ ويعقوب: [«تَنَالَ، تَنَالُهُ» بتاءٍ فيهما][٢].

وقال ابن خالويه: «تنالُه التقوى» بالتاءِ: يحيى بنُ يَعْمَر والجَحْدَرِيّ[٣].

وقرأ زيد بنُ علي: «لحومَها ولا دماءَها» بالنصب «ولكن يُنالُه» بضم الياء.

وكرَّر تذكُّر النعمة بالتسخير؛ قال الزمخشريّ: لتشكروا اللهَ على هدايته إيَّاكم لأعلام دينِه ومناسكِ حجِّهِ بأنْ تُكَبِّرُوا وتُهَلِّلُوا، فاختصرَ الكلام بأنْ ضمَّن التكبيرَ معنى الشُّكر وعُدِّيَ تعديتَه. انتهى.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ظاهرٌ في العموم، قال ابن عباس: وهم المُوحِّدُون[٤]، ورُوِيَ أنها نزلت في الخلفاء الأربعة[٥].

❊ ❊ ❊

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: والاحتياط، والمثبت من الكشاف ٣/ ١٥ والكلام منه.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندي مستفادة من المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠٢، وقراءة يعقوب من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٢٦.

(٣) القراءات الشاذة ص٩٥-٩٦، ونُسبت إليهما القراءة بالتاء في الموضعين في زاد المسير ٥/ ٤٣٤.

(٤) زاد المسير ٥/ ٤٣٥.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠٤.

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ
قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ
لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ
فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ
لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي
فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ
مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم
مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ
أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا
يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ
فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾
وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ
تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ
بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ
مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم
مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ
بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ
ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ
﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى
ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ
ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا

يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ
أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ
تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ
﴿٧٠﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن
نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ
يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ
وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ
ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا
لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ
بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾
وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ
إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ
عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ
ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾.

المفردات

الهَدْمُ معروف، وهو نَقْضُ ما بُنِيَ؛ قال الشاعر:

وكلُّ بيتٍ وإنْ طالَتْ إقامتُهُ ... على دَعائمِهِ لا بُدَّ مَهْدُومُ(١)

الصَّوْمَعَةُ موضعُ العبادة، وزنُها فَوْعَلَة، وهي بناءٌ مرتفعٌ منفرد حديد الأعلى، والأصمعُ من الرِّجال: الحديدُ القولِ، وكانت قبل الإسلام مختصةً برُهْبان النصارى وبعُبَّاد الصابئين؛ قاله قتادة، ثم استُعمل في مئذنة المسلمين.

البِيَعُ: كنائسُ النَّصارى، واحدُها بِيْعَةٌ، وقيل: كنائسُ اليهود(٢).

---

(١) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل، وهو في ديوانه ص٦٧، ورواية صدره في خزانة الأدب ٢٩٧/١١: وكل حصن وإن طالت سلامته

(٢) من قوله: الصومعة.... إلى هذا الموضع من المحرر الوجيز ١٢٥/٤، والقول الأخير حكاه ابن عطية عن الطبري، وهو في تفسيره ٥٨٣/١٦.

البئر من بَأَرْتُ، أي: حفرتُ، وهي مؤنثة على وزنِ فِعْل بمعنى مفعول[١]، وقد تُذَكَّر على معنى القَلِيب، وتعطيلُ الشيء إبطالُ مَنافعِهِ.

العُقْمُ: الامتناعُ من الولادة، يقال: امرأةٌ عَقِيم ورجلٌ عَقِيمٌ لا يولد له، والجمع عُقُم، وأصلُه من القَطْع، ومنه: المُلْكُ عَقِيمٌ[٢]، أي: يقطع فيه الأرحام بالقتل، والمرأةُ العَقِيم: التي قُطعت ولادتُها.

وقال أبو عُبيد[٣]: العُقْم السَّدُّ، يقال: امرأةٌ معقومةُ الرَّحِم، أي: مسدودةُ الرَّحِم. السَّطْوُ: القَهْرُ، وقال ابنُ عيسى: السَّطْوَةُ إظهارُ ما يَهُول للإخافة.

الذُّباب: الحيوان المعروف يجمع على ذِبَّان، بكسر الذال وضمِّها، وعلى ذُبٍّ، والمِذَبَّةُ: ما يُطْرَدُ به الذُّباب، وذُبابُ السيف: طَرَفُهُ، والعينِ إنسانُها، وأسنانِ الإبل حَدُّها[٤].

سلبتُ الشيء: اختطفتُه بسرعة.

استنقذَ: استفعلَ بمعنى أفعلَ، أي: أنقَذَ، نحو أبَلَّ واسْتَبَلَّ[٥].

* * *

التفسير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ

(١) مثل: ذِبْح، بمعنى مذبوح. قاله السمين في الدُّرّ ٨/ ٢٨٧.
(٢) جمهرة الأمثال ٢/ ٢٤٧، ومجمع الأمثال ٢/ ٣١١، والمستقصى ١/ ٣٥٠.
(٣) ينظر غريب الحديث ٤/ ٧١.
(٤) يعني: وذُبابُ العينِ إنسانُها، وذُبابُ أسنانِ الإبل حَدُّها. ينظر الصحاح (ذبب).
(٥) أَبَلَّ المريضُ واستَبَلَّ: بَرِئَ من مرضِه وشُفِيَ.

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

رُوِيَ أنَّ المؤمنين لمَّا كَثُرُوا بمكة وآذَاهم[1] الكفَّارُ وهاجرَ مَنْ هاجرَ إلى أرض الحبشة أرادَ بعضُ مؤمني مكة أن يقتلَ مَنْ أمكنَهُ مِن الكفار ويغتالَ[2] ويَغْدِرَ، فنزلت إلى قوله: «كفور»، وَعَدَ فيها بالمدافعة، ونَهَى عن الخيانة.

وخَصَّ المؤمنين بالدَّفْع عنهم والنُّصرةِ لهم، وعلَّلَ ذلك بأنه لا يُحبُّ أعداءَهم الخائنين اللهَ والرسولَ الكافرين نِعَمَهُ[3].

ومناسبةُ هذه الآية لِما قبلَها أنه تعالى لمَّا ذكرَ جملةً ممَّا يُفعل في الحجِّ وكان المشركون قد صَدُّوا رسولَ الله ﷺ عامَ الحُديبية وآذَوْا مَنْ كانَ بمكة من المؤمنين أنزلَ الله تعالى هذه الآياتِ مبشِّراً للمؤمنين بدَفْعِهِ تعالى عنهم، ومُشيرةً إلى نصرِهم، وآذِنةً لهم في القتال، وتمكينِهم في الأرض بردِّهم إلى ديارهم وفتح مكة، وأنَّ عاقبة الأمور راجعةٌ إلى الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقرأ الحسن وأبو جعفر ونافع «يُدافع» «ولولا دِفاعُ».

وقرأ أبو عَمرو وابنُ كثير: «يَدْفَعُ» «ولولا دَفْعُ».

وقرأ الكوفيُّون وابنُ عامر: «يُدافِعُ» «ولولا دَفْعُ»[4].

و«فاعَلَ» هنا بمعنى المجرَّد، نحو: جاوزتُ، وجُزْتُ، وقال الأخفش: «دَفَعَ» أكثر من «دَافَعَ»، وحكى الزَّهراوي أنَّ «دِفاعاً» مصدر «دَفَعَ» كـ «حَسَبَ حِساباً».

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: آذاهم (دون واو). والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ١٢٤ (والكلام فيه).

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: ويحتال، وفي (ح) و(يه): ويختل، والمثبت من المصدر السالف.

(٣) بنحوه في الكشاف ٣/ ١٥.

(٤) تنظر القراءات في السبعة ص٤٣٧، والتيسير ص١٥٧، والنشر ٢/ ٣٢٦، والكلام من المحرر الوجيز ٤/ ١٢٤.

وقال ابنُ عطيَّة[١]: يحسُن «يُدافع» لأنه قد عَنَّ[٢] للمؤمنين مَنْ يدفعُهم ويُؤذيهم، فتجيء مقاومته ودَفْعُهُ مُدَافَعةً عنهم. انتهى. يعني فيكون «فاعلَ» لاقتسام الفاعلية والمفعولية لفظاً والاشتراكِ فيهما معنًى.

وقال الزمخشريّ[٣]: ومن قرأ: «يُدَافِعُ» فمعناه: يُبالِغُ في الدَّفع عنهم كما يُبالِغُ مَنْ يُغالِبُ فيه، لأنَّ فعل المُغالِب يجيء أقوى وأبلغ. انتهى.

ولم يذكر تعالى ما يدفعُهُ عنهم ليكونَ أفخمَ وأعظمَ وأعمَّ، ولمَّا هاجرَ المؤمنون إلى المدينة أذِنَ الله لهم في القتال.

وقرأ نافع وعاصم وأبو عَمرو بضمّ همزة «أُذِنَ»، وفتحَ باقي السبعة.

وقرأ نافع وابنُ عامر وحفص: «يُقاتَلُون» بفتح التاء، والباقون بكسرِها[٤].

والمأذونُ فيه محذوف، أي: في القتال لدلالة «يُقاتَلون» عليه، وعلَّلَ الإذنَ بأنهم ظُلموا؛ كانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروبٍ ومشجوجٍ فيقول لهم: «اصبِرُوا فإني لم أُومَرْ بالقتال» حتى هاجرَ [فأُنزِلَتْ هذه الآية][٥] وهي أولُ آية أُذِنَ فيها بالقتال بعد ما نُهِيَ عنه في نيِّفٍ وسبعين آية[٦].

وقيل: نزلت في قوم خرجُوا مهاجرين، فاعترضَهم مشركو مكة فأُذِنَ لهم في مقاتلتِهم[٧].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ وَعْدٌ بالنصر، وكذلك الإخبارُ بكونه يدفعُ عنهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٤، والكلام السالف فيه.
(٢) أي: عَرَضَ.
(٣) الكشاف ٣/ ١٥.
(٤) ينظر ما سلف في السبعة ص٤٣٧، والتيسير ص١٥٧.
(٥) ما بين حاصرتين من الكشاف ٣/ ١٥، والكلام فيه، والخبر في أسباب النزول للواحدي ص٣١٩.
(٦) بنحوه في مسند أحمد (١٨٦٥)، والسنن الصغرى للنسائي ٦/ ٢، وتفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٩٦، والمستدرك ٢/ ٦٦ و٢٤٦ و٣٩٠ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، دون قوله: بعد ما نُهِيَ عنه في نيِّف وسبعين آية، فهو من الكشاف ٣/ ١٥، والكلام فيه.
(٧) الكشاف ٣/ ١٥، وهو بنحوه في تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٩٦، عن مجاهد.

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ﴾ في موضع جرّ نعت لـ «الذين»، أو بدل، أو في موضع نصب بـ «أغْنِي»، أو في موضع رفع على إضمار «هم».

و«إلا أن يقولوا» استثناء منقطع فـ «أنْ يقولوا» في موضع نصب لأنه منقطع لا يمكن توجُّهُ العاملِ عليه، فهو مقدَّر بـ «لكنْ» من حيث المعنى، لأنك لو قلت: الذين أُخْرِجُوا من ديارهم إلا أنْ يقولوا ربُّنا الله، لم يصحَّ، بخلاف: ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ، فإنَّه استثناءٌ منقطع، ويمكن أن يتوجَّه عليه العامل فتقول: ما في الدار إلا حمارٌ، فهذا يجوزُ فيه النصبُ والرفع، النصبُ للحجاز، والرفعُ لتميم بخلاف مثل هذا، فالعربُ مجمعون على نصبه.

وأجازَ أبو إسحاق[1] فيه الجرَّ على البدَل، واتَّبعه الزمخشريّ فقال[2]: «أنْ يقولوا» في محلّ الجرّ على الإبدال من «حَقّ»، أي: بغير مُوجِبٍ سوى التوحيد الذي ينبغي أنْ يكونَ مُوجِبَ الإقرار والتمكين لا مُوجِبَ الإخراجِ والتَّسْيِير، ومثلُه: ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩]. انتهى.

وما أجازاه من البدَل لا يجوز، لأن البدَل لا يكون إلا إذا سبَقَه نفيٌ أو نهيٌ أو استفهام في معنى النفي، نحو: ما قامَ أحدٌ إلا زيدٌ، ولا يُضْرَبْ أحدٌ إلا زيدٌ، وهل يُضربُ أحد إلا زيدٌ؟ وأمَّا إذا كان الكلامُ مُوجَباً أو أمراً فلا يجوزُ البدَل، لا يقال: «قامَ القومُ إلا زيدٌ» على البدل، ولا «لِيُضْرَبِ القومُ إلا زيدٌ» على البدَل، لأنَّ البدَل لا يكون إلا حيث يكون العاملُ يتسلَّطُ عليه، ولو قلتَ: قامَ إلا زيدٌ، ولْيُضْرَبْ إلا عَمْرو، لم يجز، ولو قلتَ في غير القرآن: أُخْرِجَ الناسُ من ديارهم إلا بأن يقولوا: لا إله إلا الله، لم يكن كلاماً. هذا إذا تُخيِّلَ أن يكون «إلا أنْ يقولوا» في موضع جَرّ بدَلاً من «غير» المضاف إلى «حَقّ»، وأمَّا أنْ يكونَ بدَلاً من «حَقّ» كما نصَّ عليه الزمخشريّ فهو في غاية الفساد، لأنه يلزمُ منه أن يكونَ البدَلُ يلي «غيراً» فيصير التركيبُ: بغير إلا أنْ يقولوا، وهذا لا يصحُّ، ولو قدَّرْتَ «إلا» بـ «غير» كما يقدَّر في النفي في: ما مررتُ بأحدٍ إلا زيدٍ، فتجعلُه بدلاً؛ لم يصحَّ؛ لأنه يصير

(١) هو الزجَّاج، وينظر معانيه ٣/ ٤٣٠.
(٢) الكشاف ٣/ ١٦.

التركيب: بغيرِ غيرِ قولهم ربُّنا الله، فتكونُ قد أضفتَ «غيراً» إلى «غير»، وهي هي، فصار: بغير غير، ويصحُّ في: ما مررتُ بأحدٍ إلا زيدٍ أنْ تقول: ما مررتُ بغير زيد.

ثم إنَّ الزمخشريَّ حين مثَّلَ البدَل قدَّرَه: بغير مُوجِبٍ سوى التوحيد، وهذا تمثيلٌ للصفة، جعلَ «إلا» بمعنى «سوى»، ويصحُّ على الصفة، فالتبسَ عليه بابُ الصفة بباب البدَل، ويجوزُ أن تقول: مررتُ بالقوم إلا زيدٍ، على الصفة لا على البَدل.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ الآية، فيها تحريضٌ على القتال المأذونِ فيه قبلُ، وأنه تعالى أجْرَى العادةَ بذلك في الأمم الماضية بأن ينتظمَ به الأمرُ، وتقومَ الشرائع، وتُصانَ المتعبَّداتُ من الهَدْم، وأهلُها من القتل والشَّتات، وكأنَّه لمَّا قال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ قيل: فليقاتلِ المؤمنون. فلولا القتالُ لَتُغلِّبَ على الحقِّ في كلِّ أمَّة، وانظر إلى مجيء قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] إثْرَ قتالِ طالوتَ لجالوتَ وقتلِ داودَ جالوتَ، وأخبرَ تعالى أنه لولا ذلك الدفعُ لفسدتِ الأرضُ، فكذلك هنا.

وقال عليٌّ ﷺ: ولولا دفعُ اللهِ بأصحابِ محمدٍ الكفارَ عن التابعين فمن بعدَهم[1].

وأخذَ الزمخشريُّ قولَ عليٍّ وحسَّنه وذَيَّلَ عليه فقال[2]: دَفْعُ اللهِ بعضَ الناسِ ببعض إظهارُه وتسليطُ المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة، ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل المِلَلِ المختلفة في أزمنتِهم وعلى متعبَّداتِهم فهدَمُوها، ولم يتركوا للنصارى بِيَعاً، ولا لرهبانهم صَوَامعَ، ولا لليهودِ صلواتٍ، ولا للمسلمين مساجدَ، ولغلبَ المشركون في أمة محمد ﷺ على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمَّتِهم، وهَدَمُوا متعبداتِ الفريقين. انتهى.

وقال مجاهد: ولولا دفعُ اللهِ ظُلْمَ قَومٍ بشهاداتِ العدول ونحو هذا[3].

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠٩.
(٢) الكشاف ٣/ ١٦، وهو بمعنى قول الزجَّاج في معانيه ٣/ ٤٣١.
(٣) النكت والعيون ٤/ ٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠٩.

وقال قوم: دَفْعُ ظلمِ الظَّلَمة بعدلِ الولاة[١].

وقالت فرقة: دَفْعُ العذابِ بدعاءِ الأخيار[٢].

وقال قُطرب: بالقصاص عن النفوس[٣].

وقيل: بالنَّبيِّين عن المؤمنين[٤].

وقال الحسن: لولا أمانُ الإسلام لخَرِبَتْ متعبَّداتُ أهلِ الذِّمَّة[٥].

ومعنى الدَّفع بالقتال أليقُ بالآية وأمكنُ في دفع الفساد.

وقرأ الحِرْميَّانِ وأيوبُ وقتادةُ وطلحةُ وزائدةُ عن الأعمش والزَّعفرانيُّ: «لَهُدِمَتْ» مخفَّفاً، وباقي السبعة وجماعة مشدَّدة[٦]؛ لمَّا كانت المواضعُ كثيرةً ناسبَ مجيءُ التضعيف لكثرة المواضع، فتكرَّر الهدم لتكثيرها.

وقرأ الجمهور: «وصَلَوَاتٌ» جمع صلاة.

وقرأ جعفر بنُ محمد: «وصُلُواتٌ» بضم الصاد واللام[٧].

وحَكَى عنه ابنُ خالويه: «صِلْوَاتٌ» بسكون اللام وكسر الصاد، وحُكيت عن الجَحْدَرِيِّ[٨].

والجَحْدَرِيُّ: «صُلَوَات» بضم الصاد وفتح اللام، وحُكيت عن الكلبيّ[٩].

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ٤٠٩، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٢٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٤-١٢٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٠٩.

(٣) النكت والعيون ٤/ ٢٩ (وتحرف في مطبوعه لفظة القصاص إلى: الفضائل) ونُسب القول في تفسير الرازي ٢٣/ ٤٠ لمجاهد.

(٤) هو قول الكلبي كما في المصدرين السالفين.

(٥) ينظر تفسير الرازي ٢٣/ ٤٠.

(٦) قراءة الحِرْمِيَّيْن (وهما نافع وابنُ كثير) في السبعة ص٤٣٨، والتيسير ص١٥٧.

(٧) المحتسب ٢/ ٨٣، وجاءت في القراءات الشاذة ص٩٦ عن أبي العالية والكلبي والضحَّاك، وذكر في حاشيته اختلاف النسخ الخطية فيها.

(٨) في القراءات الشاذة ص٩٦ عن جعفر بن محمد والجحدري: صُلْوَات، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٢٥ عن جعفر: صَلْوَات.

(٩) المحتسب ٢/ ٨٣. وفي القراءات الشاذة ص٩٦ عن الكلبي.

وأبو العالية: بفتح الصاد وسكون اللام: «صَلْوَاتٌ»[١].

والحجَّاجُ بنُ يوسف والجَحْدَرِيُّ أيضاً: «وصُلُوتٌ» - وهي مساجدُ النصارى - بضمتين من غير ألف[٢].

ومجاهد كذلك إلا أنَّه بفتح التاء وألف بعدها[٣].

والضحَّاكُ والكلبيُّ: «وصُلُوثٌ» بضمتين من غير ألف وبثاء منقوطة بثلاث[٤].

وجاء كذلك عن أبي رجاء والجَحْدَريّ وأبي العالية ومجاهد كذلك إلا أنه بعد الثاء ألف[٥].

وقرأ عكرمة: «وصِلْوِيثًا» بكسر الصاد وإسكان اللام وواوٍ مكسورة، بعدَها ياء، بعدَها ثاء منقوطة بثلاث، بعدَها ألف[٦].

والجحدريّ أيضاً: «صُلْوَاثٌ» بضمّ الصاد وسكون اللام وواوٍ مفتوحة بعدَها ألف، بعدَها ثاء مثلثة النَّقْط[٧].

وحكى ابنُ مجاهد أنه قرئ كذلك إلا أنه بكسر الصاد[٨].

وحكى ابنُ خالويه وابنُ عطية عن الحجَّاج والجَحْدَرِيّ: «صُلُوب» بالباء بواحدة[٩] على وزن كُعُوب، جمع صَلِيب، كظريف وظُرُوف، وأَسِينة وأُسُون[١٠]،

---

(١) القراءات الشاذة ص٩٦، ونُسبت في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٥ لجعفر بن محمد كما سلف قبل تعليق.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٥ (وتحرفت في مطبوعه إلى: صُلُوات)، وهي في القراءات الشاذة ص٩٦ عن الجحدري.

(٣) المحتسب ٢/ ٨٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٥. قال ابنُ عطية: قالوا: هي مساجد اليهود.

(٥) القراءات الشاذة ص٩٦ عن مجاهد.

(٦) المصدر السالف.

(٧) المصدر السالف.

(٨) ذكرها ابنُ خالويه عن ابن مجاهد كما في المصدر السالف.

(٩) القراءات الشاذة ص٩٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٢٥.

(١٠) الأسينة: سَيْرٌ أو نحوه، يُضْفَرُ مع غيره فيُجعل حبلاً أو وَتَراً أو عِناناً. ينظر القاموس (أسن). والجمع أُسُور، كما في تاج العروس (أسن).

وهو جمع شاذّ، أعني جمع فَعِيل على فُعُول.

فهذه ثلاثَ عشرةَ قراءة، والتي بالثاء المثلثة النَّقط قيل: هي مساجدُ اليهود، وهي بالسريانيةِ ممَّا دخلَ في كلام العرب، وقيل: عبرانية.

وينبغي أن تكون قراءة الجمهور يُرادُ بها الصَّلَواتُ المعهودة في المِلَل، وأمَّا غيرُها ممَّا تَلَاعَبَتْ فيه العرب بتحريف وتغيير؛ فيُنظرُ ما مدلولُه في اللسان الذي نُقل منه فيفسَّرُ به.

ورَوَى هارون عن أبي عَمرو: «وصَلَواتُ» كقراءة الجماعة إلا أنه لا ينوِّن التاء، كأنه جعلَه اسمَ موضع كالمواضع التي قبله، وكأنه عَلَمٌ فمنعَه الصَّرْفَ للعلمية والعُجْمة، وكَمُلَتِ القراءاتُ بهذه أربعَ عشرةَ قراءة.

والأظهر في تعداد هذه المواضع أنَّ ذلك بِحَسَبِ معتقداتِ الأمم، فالصَّوامعُ للرُّهْبان، وقيل: للصابئين، والبِيَعُ للنَّصارى، والصَّلَواتُ لليهود، والمساجدُ للمسلمين، وقاله خَصِيف.

قال ابنُ عطية[(١)]: والأظهرُ أنه قُصِدَ بها المبالغةُ في ذِكر المتعبَّدات، وهذه الأسماءُ تشتركُ الأمم في مسمَّياتها إلا البِيْعَةَ؛ فإنها مختصَّةٌ بالنصارَى في عُرف اللغة، ومعاني هذه الأسماء هي في الأمم التي لها كتابٌ على قديم الدهر، ولم يَذكر في هذه الآية المجوسَ ولا أهلَ الإشراك؛ لأنَّ هؤلاء ليس لهم ما يُوجبُ حمايتَه، ولا يُوجَدُ ذِكْرُ الله إلا عند أهلِ الشرائع. انتهى.

والظاهرُ عَوْدُ الضمير في قوله «يُذْكَرُ فيها» على المواضع كلِّها جميعِها، وقاله الكلبيّ ومقاتل[(٢)]، فيكون «يُذْكَرُ» في موضع الصفة لها، وقيل: يعودُ على قوله: «ومساجدُ» فيكون «يُذْكَرُ»[(٣)] صفة للمساجد[(٤)].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٥، وقول خَصِيف السالف فيه، وهو أيضاً في تفسير القرطبي ١٤/ ٤١٢، وأخرجه النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤١٧-٤١٨.

(٢) تفسير الرازي ٢٣/ ٤١، وهو في زاد المسير ٥/ ٤٣٧ عن الضحاك.

(٣) من قوله: في موضع الصفة لها. . . إلى هذا الموضع، سقط من المطبوع.

(٤) وهو الأقربُ كما في تفسير الرازي ٢٣/ ٤١، وذكر السمين عكس ذلك في الدر المصون ٨/ ٢٨٦، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٤١٢.

وإذا حملنا الصلواتِ على الأفعال التي يصلِّيها أهلُ الشرائع؛ كان ذلك إمَّا على حذف مضاف، أي: ومَواضِعُ صَلَواتٍ، وإمَّا على تضمين «لَهُدِّمَتْ» معنى: عُطِّلَتْ، فصارَ التعطيلُ قَدْراً مُشْتَرَكاً بين المواضع والأفعال.

وتأخيرُ المساجد إمَّا لأجْلِ قِدَمِ تلك وحدوثِ هذه، وإمَّا لانتقالٍ من شريفٍ إلى أشرف.

وأقسمَ تعالى على أنَّه ينصُرُ مَنْ ينصُرُه، أي: ينصُرُ دينَه وأولياءَه، ونَصْرُهُ تعالى هو أن يُظْفِرَ أولياءَه بأعدائهم جِلاداً وجِدالاً، وفي ذلك حضٌّ على القتال، ثم أخبرَ تعالى أنه قويٌّ على نصرِهم، عزيزٌ لا يُغالَبُ.

والظاهرُ أنه يجوزُ في إعراب «الذينَ إنْ مَكَّنَّاهُم في الأرضِ» ما جازَ في إعراب «الذين أُخْرِجُوا»، وقال الزجَّاج[1]: هو منصوبٌ بدلٌ مِنْ «مَنْ ينصُرُهُ».

والتمكين: السلطنةُ ونفاذُ الأمر على الخلق، والظاهر أنه من وصفِ المأذونِ لهم في القتال، وهم المهاجرون، وفيه إخبارٌ بالغيب عمَّا يكونُ عليه سيرتُهم إن مَكَّنَ لهم في الأرض وبَسطَ لهم في الدنيا، وكيف يقومون بأمرِ الدين.

وعن عثمان ﷺ: هذا واللهِ ثَناءٌ قبلَ بلاء، يريد أنَّ اللهَ قد أثنَى عليهم قبل أن يُحدِثُوا من الخير ما أحدَثُوا.

وقالوا: فيه دليلٌ على صحةِ أمرِ الخلفاء الراشدين لأنَّ اللهَ تعالى لم يجعل التمكينَ ونفاذَ الأمر مع السِّيرة العادلة لغيرِهم من المهاجرين، لاحَظَّ في ذلك للأنصار والطُّلَقاء[2].

وفي الآية أخذُ العهدِ على مَنْ مَكَّنَهُ الله أن يفعلَ ما رُتِّبَ على التمكين في الآية.

وقيل: نزلت في أصحاب محمد ﷺ[3].

---

(١) ينظر معاني القرآن له ٣/ ٤٣١.

(٢) من قوله: وعن عثمان... إلى هذا الموضع، في الكشاف ٣/ ١٦.

(٣) هو قولُ قتادة كما في تفسير القرطبي ١٤/ ٤١٣، وفي زاد المسير ٥/ ٤٣٧ أنه قولُ الأكثرين.

وعن الحسن وأبي العالية: هم أمَّتُه عليه الصلاة والسلام.

وعن عكرمة: هم أهلُ الصلواتِ الخمس. وهو قريبٌ ممَّا قبلَه.

وقال ابن أبي نَجِيح: هم الوُلاة.

وقال الضحَّاك: هو شرطٌ شرَطَهُ الله [على] مَنْ آتاه الملكَ.

وقال ابنُ عباس: المهاجرون والأنصارُ والتابعون(١).

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ تَوعُّدٌ للمخالفِ ما ترتَّبَ على التمكين.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ الآية، فيها تسليةٌ للرسول بتكذيب مَن سبقَ من الأمم المذكورة لأنبيائهم، ووعيدٌ لقريش، إذ مَثَّلَهم بالأمم المكذِّبة المعذَّبة، وأسندَ الفعل بعلامة التأنيث من حيثُ أرادَ الأمةَ والقبيلة(٢).

وبُنِيَ الفعلُ للمفعول في «وكُذِّبَ موسى» لأنَّ قومَه لم يكذِّبوه إنما كذَّبه القِبْطُ(٣).

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: أمهلتُ لهم وأخَّرْتُ عنهم العذابَ مع علمي بفعلهم.

وفي قوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ترتيبُ الإملاء على وصف الكفر، فكذلك قريشٌ أملَى تعالى لهم ثم أخَذَهم في غزوة بدر وفتحِ مكة وغيرِهما، والأخذُ كنايةٌ عن العقاب والإهلاك.

والنكيرُ مصدر كالنذير المراد به المصدر، والمعنى: فكيف كان إنكاري عليهم، وتبديلُ حالهم الحسنةِ بالسيئة، وحياتُهم بالهلاك، ومعمورُهم بالخراب؟! وهذا استفهامٌ يصحبه معنى التعجُّب، كأنَّه قيل: ما أشدَّ ما كان إنكاري عليهم! وفي الجملة إرهابٌ لقريش.

---

(١) تنظر الأقوال السالفة في تفسير القرطبي ١٤/ ٤١٣، وما سلفَ بين حاصرتين منه، وقولا الحسن وابنِ أبي نَجِيح في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤١٩-٤٢٠، وقولُ عكرمة في الوسيط للواحدي ٣/ ٢٧٤.

(٢) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٦.

(٣) الكشاف ٣/ ١٦، وذكر الزمخشري في هذا معنًى آخرَ، فينظر ثمة.

«فكأيِّنْ» للتكثير، واحتملَ أن يكونَ في موضع رفع على الابتداء، وفي موضع نصب على الاشتغال.

وقرأ أبو عَمرو وجماعة: «أهلكتُها» بتاء المتكلِّم، والجمهورُ بنون العظمة[١].

﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ جملة حالية ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ تقدَّم تفسير هذه الجملة في البقرة [٢٥٩] في قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾.

وقال الزمخشريّ[٢]: فإنْ قلتَ: ما محلُّ الجملتين من الإعراب؟ أعني: «وهي ظالمة فهي خاوية».

قلت: الأولى في محلٍّ نصب على الحال، والثانية لا محلَّ لها لأنها معطوفةٌ على «أهلكناها» وهذا الفعلُ ليس له محلّ. انتهى.

وهذا الذي قاله ليس بجيِّد، لأنَّ «فكأيِّن» الأجودُ في إعرابها أن تكون مبتدَأة، والخبرُ الجملةُ من قوله: «أهلكناها» فهي في موضع رفع، والمعطوفُ على الخبر خبر، فيكون قوله: «فهي خاويةٌ» في موضع رفع، لكن يتجهُ قولُ الزمخشري على الوجه القليل، وهو إعراب «فكأيِّن» منصوباً بإضمار فعل على الاشتغال، فتكون الجملة من قوله: «أهلكناها» مفسِّرة لذلك الفعل، وعلى هذا لا محلَّ لهذه الجملة المفسِّرة، فالمعطوفُ عليها لا محلَّ له.

وقرأ الجحدريُّ والحسن وجماعة: «مُعْطَلَةٍ» مخفَّفاً[٣]، يقال: عَطَّلْتُ البئرَ وأعْطَلْتُها، فعَطَلَتْ هي، بفتح الطاء، وعَطِلَتِ المرأةُ من الحُلِيّ، بكسر الطاء.

قال الزمخشري: ومعنى المُعَطَّلة أنَّها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء إلَّا أنها عُطِّلَتْ، أي: تُركت لا يُسْتَقَى منها لهلاكِ أهلِها.

والمَشِيد: المُجَصَّص، أو المرفوع البنيان، والمعنى: كم قريةٍ أهْلَكْنا، وكم بئرٍ

(١) السبعة ص٤٣٨، والتيسير ص١٥٧.
(٢) الكشاف ٣/ ١٧.
(٣) القراءات الشاذة ص٩٦، والمحتسب ٢/ ٨٥، والكشاف ٣/ ١٧، وجاء في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٧ أنها بفتح الميم، ولعله وهم.

عَطَّلْنا عن سُقاتِها، وقصرٍ مَشِيدٍ أَخْلَيْناه عن ساكنيه، فتُرِكَ ذلك لدلالةِ «مُعَطَّلة» عليه. انتهى.

و«بئر» و«قصر» معطوفانِ على «مِنْ قرية»، و«من قرية» تمييز لـ «كأيِّن»، و«كأيِّن» يقتضي التكثير، فدلَّ ذلك على أنه لا يُرادُ بـ «قرية» و«بئر» و«قصر» معيَّن، وإنْ كان الإهلاكُ إنَّما يقعُ في معيَّن، لكن من حيث الوقوعُ، لا من حيث دلالةُ اللفظ.

وينبغي أن يكون «وبئر» «وقصر» من حيث عُطفا على «من قرية» أن يكون التقدير: أهلكتُهما، كما كان «أهلكتُها»[١] مخبراً به عن «كأيِّن» الذي هو القرية من حيث المعنى، والمرادُ أهلُ القرية والبئرِ والقصرِ.

وجَعْلُ «وبئرٍ مُعَطَّلةٍ وقَصْرٍ مَشِيد» معطوفَيْن على «عروشِها» جهلٌ بالفَصاحة، ووُصِفَ القصرُ بِمَشِيد ولم يوصف بمُشَيَّد كما في قوله: ﴿فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ﴾ [النساء: ٧٨] لأنَّ ذلك جمعٌ ناسبَ التكثيرَ فيه، وهذا مفرد، وأيضاً «مَشِيد» فاصلةُ آية.

وقد عيَّن بعضُ المفسِّرين هذه البئرَ؛ فعن ابنِ عبَّاس أنَّها كانت لأهلِ عَدَن من اليمن، وهي الرَّسُّ[٢].

وعن كعبِ الأحبار أنَّ القصرَ بَنَاهُ عادٌ الثاني، وهو شدَّادُ[٣] بنُ عاد بن إرَمَ بنِ عاد.

وعن الضحَّاك وغيرِه أنَّ البئرَ بحضرموتَ من أرض الشِّحْرِ[٤]، والقصرُ مشرفٌ على قُلَّةِ جَبَلٍ[٥] لا يُرْتَقَى، والبئرُ في سفحِهِ لا تُقِرُّ الرِّيحُ شيئاً يسقطُ فيها[٦]. رُوِيَ

(١) هي قراءة أبي عَمرو كما سلف، وقرأ الجمهور: أهلكناها.
(٢) هو في تفسير القرطبي ١٤/ ٤١٧ دون نسبة.
(٣) تحرَّف في النسخ الخطية والمطبوع والنهر الماد (بهامش المطبوع ٦/ ٣٧٣) إلى: منذر، وجاء على الصواب في تفسير سورة الفجر (٧). وينظر الخبر مطولاً في زاد المسير ٩/ ١١٢-١١٤، وأخرجه أبو الشيخ في العَظَمة (٩٩٥)، وينظر التعريف والإعلام ص١١٨-١١٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤١٨-٤١٩.
(٤) بكسر الشين المعجمة وإسكان الحاء المهملة: هو ساحل اليمن ممتدٌّ بينها وبين عُمان، وأرضُ الشِّحْر متصلة بأرض حضرموت. ينظر الروض المعطار ص٣٣٨.
(٥) أي: قمَّتِهِ، وقُلَّةُ كلِّ شيء أعلاه.
(٦) ينظر النكت والعيون ٤/ ٣١-٣٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤١٦.

أنَّ صالحاً عليه السلام نزلَ عليها مع أربعة آلاف نفَر ممَّن آمنَ به، ونجَّاهم الله من العذاب، وهي بحضرموت، وسُمِّيت بذلك لأنَّ صالحاً حين حَضَرَها ماتَ.

وثَمَّ بلدةٌ عند البئر اسمُها حاضُورَا بَنَاها قومُ صالح، وأمَّرُوا عليهم جَليس[1] بنَ جُلَاس، وأقاموا بها زماناً، ثم كفروا وعبدُوا صنماً وأرسل الله إليهم حنظلة بنَ صفوان ـ وقيل: اسمُه شُرَيْحُ بنُ صفوان ـ نبيًّا، فقتلُوه في السُّوق، فأهلكَهم الله عن آخِرهم، وعَطَّلَ بئرَهم، وخَرَّبَ قصرَهم.

وعن الإمام أبي القاسم الأنصاري أنه قال[2]: رأيتُ قبرَ صالح بالشام في بلدة يقال لها: عَكّا، فكيف يكون بحضرموت؟

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى من كذَّبَ الرُّسل من الأمم الخالية وكان عند العرب أشياءُ من أحوالهم ينقلونها وهم عارفون ببلادهم وكثيراً ما يمرُّون على كثيرٍ منها قال: «أفلم يسيرُوا» فاحتملَ أن يكون حَثًّا على السَّفَر ليشاهدوا مَصَارِعَ الكفار فيعتبرُوا، أو يكونوا قد سافرُوا وشاهدُوا، فلم يعتبروا فجُعلوا كأنْ لم يسافرُوا ولم يَرَوْا.

---

(١) في الكشاف ٣/ ١٧ (والكلام فيه من أول الخبر) وتفسير القرطبي ١٤/ ٤١٧ عن الثعلبي: جلهس، وفي مطبوع تفسير الثعلبي ٤/ ٣٠٤: بلهنس (؟)

(٢) نقله عنه الرازي في تفسيره ٢٣/ ٤٤. وأبو القاسم الأنصاري هو سَلْمان بن ناصر بن عِمْران الجُوَيْني الشافعي تلميذ إمام الحَرَمَيْن، له «شرح الإرشاد في أصول الدين» و«الغُنْية» مات سنة (٥١١) أو (٥١٢). كذا في طبقات الشافعية للسُّبْكي ٧/ ٩٦ (الترجمة ٧٩٣). وفي هدية العارفين ١/ ٣٩٨: سليمان بن ناصر، وكذا في تفسير الرازي ١٣/ ٢٠١ (الأنعام: ١٣٣)، ويفيد الكلام فيه أنه شيخ أبي الفخر الرازي.

وقرأ مبشِّر بن عُبيد: «فيكون» بالياء[1]، والجمهور بالتاء.

«فتكونَ» منصوبٌ على جواب الاستفهام، قاله ابنُ عطية[2]، وعلى جواب التقرير؛ قاله الحَوْفي، وقيل: على جواب النَّفي، ومذهبُ البصريين أنَّ النَّصبَ بإضمار «أنْ» ويَنسَبِكُ منها ومن الفعل مصدر يُعطف على مصدر متوهَّم، ومذهبُ الكوفيين أنه منصوب على الصَّرف، إذْ معنى الكلام الخبر، صرفُوه عن الجزم على العطف على «يسيروا» وردُّوه إلى أخي الجزم، وهو النصب، هذا معنى الصَّرف عندهم، ومذهبُ الجَرْميّ أن النصب بالفاء نفسِها.

وإسنادُ العقلِ إلى القلب يدلُّ على أنه محلُّه، ولا يُنكَرُ أنَّ للدِّماغ بالقلب اتصالاً يقتضي فسادَ العقل إذا فسدَ الدِّماغ[3].

ومتعلَّق «يعقلون بها» محذوف، أي: ما حَلَّ بالأممِ السابقة حين كذَّبوا أنبياءَهم، ويعقلون ما يجبُ من التوحيد، وكذلك مفعول «يسمعون» أي: يسمعون أخبارَ تلك الأمم، أو ما يجبُ سماعُه من الوَحْي.

والضمير في «فإنَّها» ضمير القصة، وحَسَّنَ التأنيثَ هنا ورجَّحَه كونُ الضمير وَلِيَهُ فعلٌ بعلامة التأنيث، وهي التاء في «لا تَعْمَى»، ويجوزُ في الكلام التذكير، وقرأ به عبدُ الله: «فإنَّه لا تَعْمَى»[4].

وقال الزمخشريّ[5]: ويجوزُ أن يكون ضميراً مُبْهَماً يفسِّرُه «الأبصار» وفي «تَعْمَى» راجع إليه. انتهى.

وما ذكره لا يجوزُ لأنَّ الذي يفسِّرُه ما بعدَه محصورٌ، وليس هذا واحداً منها، وهو في باب «رُبَّ»، وفي باب «نِعْمَ وبِئسَ»، وفي باب الإعمال، وفي باب البَدل،

---

(١) القراءات الشاذة ص٩٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٧، وقال ابن عطية: صُرِفَ الفعلُ من الجزم إلى النصب.
(٣) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/١٢٧.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٨، والكشاف ٣/ ١٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤١٩، وأشار إليها الطبري ١٦/ ٥٩٦.
(٥) الكشاف ٣/ ١٧.

وفي باب المبتدأ والخبر على خلافٍ في هذه الأربعة على ما قُرِّر ذلك في أبوابه، وهذه الخمسةُ يفسَّرُ الضميرُ فيها بمفرد، وفي ضمير الشأن يُفسَّرُ بالجملة[١] على خلاف فيه أيضاً. وهذا الذي ذكرَه الزمخشريّ ليس واحداً من هذه الستة فوجبَ اطّراحُه[٢].

والمعنى أنَّ أبصارَهم سالمةٌ لا عَمًى بها، وإنما العَمَى بقلوبهم، ومعلوم أنَّ الأبصار قد تَعْمَى، لكن المَنْفيَّ فيها ليس العَمَى الحقيقيّ، وإنما هو ثمرةُ البصَر، وهو التأديةُ إلى الفكرة فيما يشاهِدُهُ البصر، لكنَّ ذلك متوقِّفٌ على العقل الذي محلُّه القلب.

ووُصفت القلوب بـ «التي في الصدور» قال ابنُ عطيَّة[٣]: مبالغةٌ، كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وكما تقول: نظرتُ إليه بعيني.

وقال الزمخشري[٤]: الذي قد تُعُورِفَ واعتُقِدَ أنَّ العَمَى على الحقيقة مكانُهُ البصر، وهو أن تصابَ الحدقةُ بما يَطمِسُ نورَها، واستعمالُه في القلب استعارةٌ ومَثَلٌ، فلمَّا أُرِيدَ إثباتُ ما هو خلافُ المعتقَد من نسبة العَمَى إلى القلوب حقيقةً ونَفْيِهِ عن الأبصار؛ احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرَّرَ أنَّ مكان العَمَى هو القلوبُ لا الأبصارُ، كما تقول: ليس المَضَاءُ للسَّيف، ولكنَّه للسانِك الذي بين فَكَّيْكَ، فقولك: الذي بين فكَّيْك: تقريرٌ لِما ادَّعيتَه للسانِه وتثبيتٌ، لأنَّ محلَّ المَضَاءِ هو هو لا غير، وكأنَّك قلت: ما نفيتُ المَضَاءَ عن السيف وأثبتُّه للسانِك فلتةً ولا سهواً منِّي، ولكن تعمَّدتُ به إيَّاه بعينه تعمُّداً. انتهى.

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: يفسَّر الضمير فيها المفرد وفي ضمير الشأن ويفسر بالجملة. والتصويب من الدُّرّ المصون ٨/ ٢٨٩، وينظر الارتشاف للمصنف ٢/ ٩٤٥-٩٤٨، وروح المعاني ١٧/ ٣٤٩-٣٥٠.

(٢) تعقَّب السمينُ الحلبي في الدر ٨/ ٢٨٩ شيخَه أبا حيَّان بقوله: بل هذا من المواضع المذكورة وهو باب المبتدأ، غايةُ ما في ذلك أنه دخل عليه ناسخ وهو «إنَّ»، فهو نظير قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩].

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٧.

(٤) الكشاف ٣/ ١٧-١٨.

وقوله: «ولكن تعمَّدتُ به إيَّاه» فَصَلَ الضمير، وليس من مواضع فصلِه، والصوابُ: ولكن تعمَّدْتُه به، كما تقول: السيفُ ضربتُك به، ولا تقول: ضربتُ به إياك، وفصلُه في مكان اتّصاله عُجمة[١].

وقال أبو عبد الله الرازي[٢]: وعندي فيه وجهٌ آخر، وهو أنَّ القلبَ قد يُجعلُ كنايةً عن الخاطر والتَّدَبُّر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. وعند قوم أنَّ محلَّ الفِكْر هو الدِّماغ، فالله تعالى بيَّن أنَّ محلَّ ذلك هو الصَّدر.

والضمير في «ويستعجلونك» لقريش، وكان ﷺ يُحذِّرُهم نَقِمَاتِ الله، ويُوعدهم بذلك دنيا وآخرة، وهم لا يصدِّقون بذلك، ويستبعدون وُقوعَه، فكان استعجالُهم على سبيل الاستهزاء، وأنَّ ما توعَّدتَنا به لا يقع، وأنه لا بعث.

وفي قوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ أي: إنَّ ذلك واقعٌ لا مَحَالة، لكنْ لوقوعِهِ أجلٌ لا يتعدَّاه، وأضافَ الوعدَ إليه تعالى لأنَّ رسولَه عليه الصلاة والسلام هو المخبِرُ به عن الله تعالى.

وقال الزمخشري: أنكرَ استعجالَهم بالمُتَوعَّدِ به من العذاب العاجلِ والآجل، كأنَّه قال: ولِمَ يستعجلون به؟ كأنَّهم يُجَوِّزون الفَوْت، وإنَّما يجوزُ ذلك على ميعاد مَنْ يجوزُ عليه الخُلْف، والله عزَّ وجلَّ لا يُخلِفُ الميعاد، وما وعدَهُ لَيُصِيبَنَّهُمْ ولو بعد حين، وهو سبحانه حليمٌ لا يَعْجَلُ. انتهى.

وفي قوله: «وإنما يجوزُ ذلك على ميعادِ مَنْ يجوزُ عليه الخُلْف» دسيسةُ الاعتزال.

وقيل: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ في النَّظِرَةِ والإمهال.

واختلفوا في هذا التشبيه؛ فقيل: في العدد، أي: اليومُ عندَ الله ألْفُ سنة من

---

(١) رَدَّ السمين كلامَ أبي حيَّان هذا، وأنه لا خطأ فيه، وقال: وأيُّ خطأ في مثل هذا حتى يدَّعي العُجمة على فصيح شهدَ له بذلك أعداؤه وإن كان مخطئاً في بعض الاعتقادات مما لا تعلُّقَ له فيما نحن بصدده؟!

(٢) تفسيره ٢٣/ ٤٥.

عَدَدِكم، وفي الحديث الصحيح: «يدخلُ فقراءُ المسلمين الجنةَ قبلَ الأغنياءِ بنصفِ يوم»[١] وذلك خمسُ مئة عام، فالمعنى: وإنْ طالَ الإمهالُ فإنه في بعض يومٍ من أيام الله[٢].

وقيل: التشبيه وقعَ في الطُّول للعذاب فيه والشدَّة، أي: وإنَّ يوماً من أيام عذابِ الله لِشدةِ العذابِ فيه وطُولِهِ كألْفِ سنةٍ من عَدِدِكم، إذْ أيامُ التَّرْحَةِ مُسْتَطالة، وأيامُ الفَرْحَةِ مُستقصَرة، وكان ذلك اليومُ الواحدُ كألْفِ سنةٍ من سِنِي العذاب. والمعنى أنهم لو عرفُوا حالَ الآخرةِ ما استعجلُوه. وهذا القولُ قريبٌ من قولِ أبي مسلم[٣].

وقيل: التشبيه بالنسبة إلى علمِهِ تعالى وقدرتِه وإنفاذِ ما يريد كألْفِ سنة، واقتصرَ على ألْفِ سنة وإن كان اليومُ عندَه كما لا نهايةَ له من العدد لكون الألْفِ منتهى العدد دون تكرار. وهذا القولُ لا يناسب موردَ الآية[٤]، إلا إنْ أُريدَ أنه القادرُ الذي لا يُعجِزُه شيء فإذا لم يَستبعِدُوا إمهالَ يوم فلا يستبعدوا أيضاً إمهالَ ألْفِ سنة.

وقال ابنُ عبَّاس: أرادَ باليوم من الأيام التي خلقَ الله فيها السماواتِ والأرض[٥].

وقال ابن عيسى: يُجمعُ لهم عذابُ ألْفِ سنة في يوم واحد، ولأهلِ الجنة سرورُ ألْفِ سنة في يوم واحد.

وقال الفرَّاء: تضمَّنتِ الآيةُ عذاب الدنيا والآخرة، وأُريدَ العذابُ في الدنيا، أي: لن يُخلف الله وعدَه في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإنَّ يوماً من أيام عذابِكم في الآخرة كألْفِ سنة من سِني الدنيا، فكيف تستعجلون العذاب[٦]؟

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٤٦)، والترمذي (٢٣٥٣) (٢٣٥٤)، والطبري ١٦/ ٥٩٧ من حديث أبي هريرة ﷺ، وصحَّحه ابن حبان (٦٧٦)، وقال الترمذي: حسن صحيح.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٧.
(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ٤٦، وقال: هو أولى الوجوه.
(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٧.
(٥) تفسير الطبري ١٦/ ٥٩٦-٥٩٧، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٣، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٢٠.
(٦) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٩، ونقله المصنف بواسطة زاد المسير ٥/ ٤٣٩.

وقال الزجَّاج: تفضَّلَ تعالى عليهم بالإمهال، والمعنى أنَّ اليومَ عند الله والألْفَ سواءٌ في قدرته [فلا فرقَ] بين ما استعجلوا به وبين تأخُّرِه[1].

وقرأ الأخَوَانِ وابنُ كثير: «يَعُدُّون» بياء الغَيبة، وباقي السبعة بتاء الخطاب[2].

وعُطفت «فكأيِّن» الأولى بالفاء، وهذه الثانية بالواو؛ قال الزمخشري: الأولى وقعت بدلاً عن قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وأمَّا هذه فحُكْمُها حُكْمُ ما تقدَّمَها من الجملتين المعطوفتين بالواو، أعني قولَه: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾[3].

وتكرَّر التكثير بـ «كأيِّن» في القُرى لإفادة معنًى غيرَ ما جاءت له الأولى، لأنه ذكرَ فيها القُرى التي أهلكَها دون إملاءٍ وتأخير، بل أعقبَ الإهلاكَ التذكير، وهذه الآيةُ لمَّا كانَ تعالى قد أمهلَ قريشاً حتى استعجلَتْ بالعذاب جاءت بالإهلاك بعد الإملاء تنبيهاً على أنَّ قريشاً وإنْ أملَى تعالى لهم وأمهَلَهم فإنه لا بدَّ من عذابِهم، فلا يفرحُوا بتأخيرِ العذابِ عنهم.

ثم أمرَ نبيَّه أن يقول لأهل مكة: يا أيها الناسُ إنما أنا لكم نذيرٌ من عذاب الله مُوضِحٌ لكم ما تحذرون، أو مُوضِحُ النِّذَارَةَ لا تَلَجلُجَ فيها. وذكرَ النِّذارةَ دون البِشارة وإن كان التقسيمُ بعد ذلك يقتضيهما لأنَّ الحديث مَسُوقٌ للمشركين، و«يا أيُّها الناسُ» نداءٌ لهم، وهم المَقُولُ فيهم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ والمُخْبَرُ عنهم باستعجال العذاب، وإنما ذُكِرَ المؤمنون هنا وما أعدَّ الله لهم من الثواب ليُغَاظَ المشركون بذلك ولِيُحرِّضَهم على نَيْلِ هذه الرُّتبةِ الجليلة التي فيها فوزُهم. وحصرَ النِّذارةَ لأنَّ المعنى: ليس لي تعجيلُ عذابِكم ولا تأخيرُهُ عنكم، وإنما أنا منذرُكُم به.

وقال الكِرْمانيّ: التقدير: بشيرٌ ونذيرٌ، فحذف، والتقسيمُ داخلٌ في المَقُول.

والسَّعيُ: الطلبُ والاجتهادُ في ذلك، ويقال: سَعَى فلانٌ في أمرِ فلان، فيكون

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٤٣٣، ونقله المصنف بواسطة زاد المسير ٥/ ٤٤٠، وما سلف بين حاصرتين منهما.
(٢) السبعة ص٤٣٩، والتيسير ص١٥٨، والأخَوَان: حمزة والكسائي.
(٣) الكشاف ٣/ ١٨.

بإصلاحٍ وبإفساد، وقد يُستعمل في الشَّرِّ، يقال فيه: سَعَى بفلانٍ سِعايةً، أي: تَحيَّلَ وكادَ في إيصالِ الشرِّ إليه.

وسعيُهم بالفساد في آيات الله حيث طعنوا فيها فسَمَّوْها سِحْراً وشِعْراً وأساطيرَ الأولين، وثبَّطُوا الناسَ عن الإيمان بها.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو والجَحْدَريّ وأبو السَّمَّال والزَّعفرانيّ: «مُعَجِّزِين» بالتشديد هنا وفي حَرْفي «سبأ»[(١)] [٥ و٣٨] زادَ الجَحْدَرِيّ في جميع القرآن، أي: مثبِّطِين، وقرأ باقي السبعة بألف.

وقرأ ابنُ الزبير: «مُعْجِزِين» بسكون العين وتخفيف الزاي[(٢)]، من: أعجزَني: إذا سبقَكَ ففاتَكَ؛ قال صاحب «اللوامح»: لكنَّه هنا بمعنى: «مُعاجِزين» أي: ظانِّين أنهم يُعجِزُونَنا، وذلك لظنِّهم أنهم لا يُبعثون.

وقيل: في «معاجزين»: معانِدين، وأما «مُعَجِّزين» بالتشديد فإنه بمعنى مُبَطِّئين الناسَ عن الإسلام، ويقال: مُثَبِّطين.

وقال الزمخشريّ: عاجَزَهُ: سابقَهُ، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما في طلب إعجازِ الآخر عن اللَّحاقِ به، فإذا سبقَه قيل: أعجزَهُ وعجَّزهُ، فالمعنى: سابقين أو مسابقين في زعمهم وتقديرِهم، طامعين أنَّ كيدَهم للإسلام يتمُّ لهم. انتهى[(٣)].

وقال أبو عليّ الفارسيّ: «مُعَجِّزين» معناه: ناسبين أصحابَ النبيِّ ﷺ إلى العجز، كما تقول: فسَّقتُ فلاناً: إذا نسبتَه إلى الفِسْق[(٤)].

وتقدَّم شرحُ أخرى هاتين الجملتين الواردتين تقسيماً.

---

(١) قراءة ابن كثير وأبي عَمرو في السبعة ص٤٣٩، والتيسير ص١٥٨.

(٢) ذكر الفراء في معانيه ٢/ ٢٢٩ عن عبد الله بن الزُّبير ﷺ أنه قرأ: مُعَجِّزين، بالتشديد، وقال: يقول: مثبِّطين، ونقل النحاس في معانيه ٤/ ٤٢٤ والقرطبي في التفسير ١٤/ ٤٢٤ عن ابن الزبير قوله: إنما هي معجِّزين، أي: مثبِّطين عن الإيمان. اهـ. ولم أقف على رواية المصنف له.

(٣) الكلام مجتزأ من الكشاف ٣/ ١٨، وليس بتمامه.

(٤) الحجة ٥/ ٢٨٤، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/ ١٢٨.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ
فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا
يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ
بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ
قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي
مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ
لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ
﴿٥٨﴾ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿٥٩﴾ ۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ
بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى أنه يدفعُ عن الذين آمنوا وأنه تعالى أذِنَ للمؤمنين في القتال، وأنَّهم كانوا أُخرِجُوا من ديارهم، وذكرَ مَسْلَاةَ رسولِه ﷺ بتكذيبِ مَنْ تقدَّمَ من الأمم لأنبيائهم وما آلَ إليه أمرُهم من الإهلاك إثْرَ التكذيب وبعدَ الإمهال، وأمرَه أن يناديَ الناسَ ويُخبرَهم أنه نذيرٌ لهم بعد أن استعجلُوا بالعذابِ، وأنه ليس له تقديمُ العذابِ ولا تأخيرُهُ = ذكرَ له تعالى مَسْلاةً ثانيةً باعتبارِ مَنْ مَضَى من الرُّسلِ والأنبياء، وهو أنهم كانوا حريصين على إيمانِ قومِهم متمنِّين لذلك مُثابرِينَ عليه، وأنه ما منهم أحدٌ إلَا وكان الشيطانُ يُراغمُهُ بتزيينِ الكفر لقومهِ وبثّ ذلك إليهم وإلقائِه في نفوسِهم، كما أنه ﷺ كانَ من أحرصِ الناسِ على هدى قومِه، وكان فيهم شياطينُ؛ كالنَّضْرِ بنِ الحارث يُلقون لقومِه وللوافدين عليه شُبَهاً يثبِّطُون بها عن الإسلام، ولذلك جاء قبل هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ وسَعْيُهم بإلقاء الشُّبَهِ في قلوب مَنِ استمالُوه، ونُسِبَ ذلك إلى الشيطان لأنه هو المُغْرِي والمحرِّكُ شياطينَ الإنس للإغْواء، كما قال: ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ﴾ [ص: ٨٢].

وقيل: إنَّ الشيطانَ هنا هو جنسٌ يُراد به شياطِينُ الإنس.

والضمير في «أُمْنِيَّتِه» عائدٌ على الشيطان، أي: في أُمْنِيَّةِ نفسِه، أي: بسبب أُمْنِيَّةِ نفسِه، ومفعول «أَلْقَى» محذوف لفهم المعنى، وهو الشرُّ والكفرُ ومخالفةُ ذلك الرسول أو النبيّ، لأنَّ الشيطانَ ليس يُلقي الخير.

ومعنى «فينسخُ اللهُ ما يُلْقِي الشيطانُ» أي: يُزِيلُ تلك الشُّبَهَ شيئاً فشيئاً حتى يُسْلِمَ الناسُ، كما قال: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾.

﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: معجزاتِه، يُظهِرُها مُحكَمةً لا لَبْسَ فيها.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ من تلك الشُّبَهِ وزخارفِ القول فتنةً لمريض القلب ولِقاسِيهِ ولِيعلمَ مَنْ أُوتيَ العِلْمَ أنَّ ما تمنَّى الرسولُ والنبيُّ من هدايةِ قومِه وإيمانِهم هو الحقُّ.

وهذه الآيةُ ليس فيها إسنادُ شيء إلى رسولِ الله ﷺ، وإنما تضمَّنَتْ حالةَ مَنْ كانَ قبلَه من الرُّسل والأنبياء إذا تمنَّوْا.

وذكرَ المفسِّرون في كتبهم؛ ابنُ عطية والزمخشريُّ فمن قبلَهما ومَن بعدَهما ما لا يجوزُ وقوعُه من آحاد المؤمنين منسوباً إلى المعصوم صلواتُ الله عليه، وأطالُوا في ذلك وفي تقريره سؤالاً وجواباً، وهي قصةٌ سُئلَ عنها الإمامُ محمد بن إسحاق جامعُ السِّيرةِ النبويَّة[١]، فقال: هذا من وَضْعِ الزَّنادقة. وصنَّفَ في ذلك كتاباً.

وقال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحُسين البيهقيُّ: هذه القصةُ غيرُ ثابتة من جهة النَّقل، وقال ما معناه: إنَّ رُواتَها مطعونٌ عليهم[٢]، وليس في الصِّحاح ولا في التصانيف الحديثيَّة شيء ممَّا ذكرُوه، فوجَبَ اطِّراحُه، ولذلك نزَّهْتُ كتابي عن ذكره فيه. والعجبُ من نقل هذا وهم يتلون في كتاب الله

(١) كذا قال المصنف رحمه الله، وتابعه عليه الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٣٦٨، وإنما هو محمد بنُ إسحاق بنِ خُزيمة كما في تفسير الرازي ٢٣/ ٥٠. والكلامُ فيه، وليس ابنَ إسحاقَ صاحب السيرة.

(٢) المصدر السالف. وقد فصَّلَ القاضي عياض الكلام في ردِّ هذه القصة في الشفا ٢/ ٢٨٨-٣٠٤.

تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤]. وقال الله تعالى آمراً لنبيِّه: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ﴾ [يونس: ١٥] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤] الآية، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٧٤] الآية، فالتثبيت واقع، والمقاربة منفيَّة، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ﴾ [الفرقان: ٣٢] وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] وهذه نصوصٌ تشهدُ بعصمته.

وأمَّا من جهة المعقول فلا يمكنُ ذلك، لأن تجويزَه يُطرِّقُ إلى تجويزِه في جميع الأحكام والشريعة فلا يُؤمَنُ فيها التبديلُ والتغيير، واستحالةُ ذلك معلومة.

ولنرجع إلى تفسير بعض ألفاظِ الآية، إذ قد قرَّرْنا ما لاحَ لنا فيها من المعنى، فقولُه: «مِنْ قبلِك»: «مِنْ» فيه لابتداء الغاية، و«مِنْ» في «مِن رسولٍ» زائدة تُفيد استغراقَ الجنس، وعَطفُ «ولا نبيّ» على «مِنْ رسول» دليلٌ على المغايرة، وقد تقدَّم لنا الكلامُ على مدلوليهما، فأغنَى عن إعادته هنا.

وجاء بعد «إلا» جملة ظاهرُها الشرط، وهو «إذا تَمنَّى ألْقَى الشيطانُ» وقاله الحَوْفي، ونصُّوا على أنه يليها في النفي مضارع لا يشترط فيه شرط، فتقول: ما زيدٌ إلا يفعلُ كذا، وما رأيتُ زيداً إلا يفعل كذا، وماضٍ بشرط أن يتقدَّمه فعل، كقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟﴾ [الحجر: ١١]، أو يكون الماضي مصحوباً بـ «قد» نحو: ما زيدٌ إلا قد قام، وما جاء بعد «إلا» في الآية جملة شرطية ولم يَلِهَا ماضٍ مصحوبٌ بـ «قد» ولا عارٍ منها، فإنْ صحَّ ما نصُّوا عليه تُؤوِّل على أنَّ «إذا» جُرِّدَتْ للظرفيَّة ولا شرطَ فيها، وفُصِلَ بها بين «إلا» والفعلِ الذي هو «ألْقَى» وهو فصلٌ جائز، فتكون «إلا» قد وَلِيَها ماضٍ في التقدير ووُجدَ شرطُهُ، وهو تقدُّمُ فعلٍ قبل «إلا» وهو «وما أرسلنا».

وعاد الضمير في «تَمنَّى» مفرداً، وذكرُوا أنه إذا كان العطفُ بالواوِ عادَ الضميرُ مطابقاً للمتعاطفَين، وهذا عطفٌ بالواو، وما جاء غيرَ مطابق أوَّلُوه على الحذف، فيكون تأويلُ هذا: وما أرسَلْنا من قبلك من رسول إلا إذا تَمنَّى ألْقَى الشيطانُ في

أُمْنِيَّتِهِ، ولا نبيٍّ إلا إذا تَمنَّى ألقَى الشيطانُ في أمْنِيَّتِه، فحُذِف من الأوَّل لدلالةِ الثاني عليه[1].

و«تَمنَّى» تفعَّل من المُنْيَة؛ وقال أبو مسلم: التمنِّي نهايةُ التقدير، ومنه المَنِيَّة وفاةُ الإنسان للوقتِ الذي قدَّره الله، ومَنَى الله لك، أي: قدَّر.

وقال رواة اللغة: الأُمنيَّة: القراءةُ، واحتجُّوا ببيت حسان، وذلك راجعٌ إلى الأصل الذي ذُكر، فإنَّ التالي مقدِّرٌ للحروف فذكرها[2] شيئاً فشيئاً. انتهى. وبيتُ حسان:

تَمنَّى كتابَ اللهِ أوَّلَ لَيْلِهِ وآخِرَهُ لاقَى حِمامَ المَقَادِرِ[3]

وقال آخر:

تَمنَّى كتابَ اللهِ أوَّلَ لَيْلِهِ تَمنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ[4]

وحملَ بعضُ المفسِّرين قولَه: «إذا تَمنَّى» على «تَلَا»، و«في أُمْنِيَّتِه» على تلاوته[5]. والجملة بعد «إلا» في موضع الحال، أي: وما أرسلناه إلا وحالُهُ هذه، وقيل: الجملة في موضع الصفة، وهو قول الزمخشريّ[6] في نحو: ما مررتُ بأحدٍ إلا زيدٌ خيرٌ منه، والصحيحُ أنَّ الجملة حالية لا صفة؛ لقبولها واوَ الحال.

---

(١) تعقَّب السمين الحلبي في الدُّرّ ٨/ ٢٩٣ شيخَه أبا حيَّان وقال: لا حاجةَ إلى هذا التكلُّف المخرج للآية عن معناها، بل هي جملة شرطية؛ إما حال أو صفة أو استثناء، كقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ﴾. انتهى. وسيرد أن الصحيح كونها حالية لقبولها واو الحال.

(٢) في تفسير الرازي ٢٣/ ٥١ (والكلام فيه): ويذكرُها.

(٣) المصدر السالف، ونُسب البيت في النكت والعيون ١/ ١٥٠، وتفسير القرطبي ٢/ ٢١٨ لكعب بن مالك، وهو دون نسبة في الزاهر ٢/ ١٥٠، وزاد المسير ٥/ ٤٤٢، واللسان (منى).

(٤) الزاهر ٢/ ١٥١، والكشاف ٣/ ١٩. وفي زاد المسير ٥/ ٤٤٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٨: آخِرَ لَيْلِهِ. ومعناه كما في اللسان (منى): تلا كتابَ الله مُتَرَسِّلاً فيه كما تلا داودُ الزَّبورَ مترسِّلاً فيه.

(٥) هو القول السالف، وهو في المحرر الوجيز ٤/ ١٢٨، وزاد المسير ٥/ ٤٤١-٤٤٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢١٨، واستشهدوا عليه بالبيتين المذكورين أعلاه. قال ابن الجوزي: هو قولُ الأكثرين.

(٦) المفصَّل ٢/ ٩٣ (بشرح ابن يعيش). وينظر في الكشاف تفسير الآية (٢٠) من سورة الفرقان، والآية (٢٠٨) من الشعراء.

واللام في «ليجعلَ» متعلقة بـ «يُحْكِمُ»، قاله الحَوْفي، وقال ابن عطية[١]: بـ «يَنْسَخُ»، وقال غيرهما: بـ «أَلْقَى»، والظاهرُ أنها للتعليل، وقيل: هي لام العاقبة. و«ما» في «ما يُلْقي» الظاهر أنها بمعنى الذي، وجُوِّزَ أن تكون مصدرية.

والفتنةُ الابتلاءُ والاختبار، و«الذين في قلوبهم مرض» عامَّة الكفار، وقال الزمخشريّ[٢]: المنافقون والشَّاكُّون.

و«القاسية قلوبُهم» خواصٌّ من الكفار عُتاةٌ كأبي جهل والنَّضْر وعُتبة، وقال الزَّمخشري: المشركون المكذِّبون، «وإنَّ الظالمين» يريد: إنَّ هؤلاء المنافقين والمشركين، وأصلُه: وإنَّهم، فوضعَ الظاهرَ موضعَ المُضمر قضاءً عليهم بالظلم[٣]. والشِّقاقُ المُشاقَّة، أي: في شِقٍّ غيرِ شِقِّ الصَّلاح، ووصفَه بالبعيد مبالغةً في انتهائه، وأنهم غيرُ مَرْجُوٍّ رَجْعتُهم منه.

والضمير في «أنَّه» قال ابنُ عطيَّة: عائدٌ على القرآن، و«الذين أُوتوا العلم» أصحابُ رسولِ الله ﷺ.

وقد تقدَّم من قولنا في الآية ما يعودُ الضمير إليه.

«فتُخْبِتَ» أي: تتواضعَ وتتطامَنَ، بخلافِ مَنْ في قلبه مرضٌ وقَسَا قلبُه.

وقرأ الجمهور: «لَهَادِ الذين آمنوا» بالإضافة، وأبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلَة بتنوين «لَهَادٍ»[٤].

المِرْيَة: الشَّكُّ، والضميرُ في «منه» قيل: عائدٌ على القرآن، وقيل: على الرَّسول، وقيل: [على] ما أَلْقَى الشيطان[٥].

ولمَّا ذكرَ حالَ الكافرين أولاً ثم حالَ المؤمنين ثانياً عادَ إلى شَرْح حالِ الكافرين.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٢٩.
(٢) الكشاف ٣/ ١٩.
(٣) المصدر السالف.
(٤) القراءات الشاذة ص٩٦ (وفيه أيضاً: فإنَّ الله) وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٣٣ عن أبي حَيْوة، وهي في الكشاف ٣/ ١٩ والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٠ دون نسبة.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٠، وما سلف بين حاصرتين منه.

والظاهر أنَّ الساعة يومُ القيامة، قيل: واليومُ العقيم يومُ بدر، وقيل: ساعةُ موتِهم أو قتلِهم في الدنيا كيوم بدر، واليومُ العَقِيم يومُ القيامة[١].

وقال الزمخشريُّ: اليومُ العقيم يومُ بدر، وإنما وُصِفَ يومُ الحربِ بالعقيم لأنَّ أولادَ النساء يُقتلون فيه فيَصِرْنَ كأنَّهن عُقُم لم يَلِدْنَ، أو لأنَّ المُقاتِلين يقال لهم: أبناءُ الحرب، فإذا قُتِلُوا وُصف يومُ الحرب بالعُقْم على سبيل المجاز.

وقيل: هو الذي لا خيرَ فيه، يقال: رِيحٌ عَقِيمٌ إذا لم تُنشئ مطراً ولم تُلْقِحْ شجراً. وقيل: لا مِثْلَ له في عِظَمِ أمرِهِ لقتالِ الملائكةِ فيه.

وعن الضحَّاك: أنه يومُ القيامة، وأنَّ المرادَ بالساعة مقدِّماتُهُ، ويجوزُ أن يُراد بالساعةِ ويومٍ عقيمٍ يومُ القيامة، كأنه قيل: حتى تأتِيَهم الساعةُ أو يأتِيَهم عذابُها، فوُضع «يوم عقيم» موضعَ الضمير. انتهى[٢].

وقال ابنُ عطية: وسَمَّى يومَ القيامة أو يومَ الاستئصال عقيماً لأنه لا ليلة بعدَه ولا يومَ، والأيامُ كلُّها نتائج يجيءُ واحدٌ إثْرَ واحد[٣]، وكأنَّ آخِرَ يومٍ قد عُقم، وهذه استعارة، وجملةُ هذه الآية توعُّد. انتهى.

و«حتى» غاية لاستمرارِ مِرْيَتِهِم، فالمعنى: حتى تأتيَهم الساعة أو عذابُ يومٍ عقيم فتزولُ مِرْيَتُهُم ويُشاهدون الأمرَ عِياناً.

والتنوين في «يومئذٍ» تنوينُ العِوَض، والجملةُ المُعوَّضُ منها هذا التنوينُ هو الذي حُذف بعد الغاية، أي: المُلكُ يومَ تزولُ مِرْيَتُهم، وقدَّرَه الزمخشريّ أولاً: يومَ يؤمنون، وهو لازمٌ لزوالِ المِرْيَة، فإنه إذا زالتِ المِرْيَةُ آمنوا، وقدَّرَ ثانياً كما قَدَّرْنا، وهو الأَوْلى.

والظاهرُ أنَّ هذا اليومَ هو يومُ القيامة من حيث إنه لا مُلْكَ فيه لأحدٍ من ملوك الدُّنيا كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]. ويُساعد هذا التقسيمُ بعدَه،

(١) ينظر تفسير الطبري ١٦/٦١٦-٦١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٠، وتفسير الرازي ٢٣/٥٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٣٤-٤٣٥.

(٢) الكشاف ٣/١٩-٢٠، وقولُ الضحَّاك أخرجه الطبري ١٦/٦١٦ بلفظ: عذابُ يوم لا ليلة له.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ١٣٠ (والكلام منه): والأيام كأنها نتائجُ لمجيء واحدٍ إثرَ واحد.

ومن قال: إنه يومُ بدر ونحوه؛ فمن حيثُ يَنفُذُ قضاءُ الله وحدَه ويَبطُلُ ما سواه، ويَمضي حُكْمُه فيمن أرادَ تعذيبَه، ويكون التقسيمُ إخباراً متركِّباً على حالهم في ذلك اليوم العقيم من الإيمان والكُفر.

وألفاظُ التقسيم ومعانيها واضحةٌ لا تحتاجُ إلى شرح، وقابلَ النعيمَ بالعذاب، ووصفَه بالمُهين مبالغةً فيه.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الآية. هذا ابتداءُ معنًى آخَر، وذلك أنَّه لما ماتَ عثمانُ بنُ مظعون وأبو سَلَمة بنُ عبد الأسد قال بعضُ الناس: مَنْ قُتل من المهاجرين أفضلُ ممَّن ماتَ حَتْفَ أنفِه. فنزلَتْ مسوِّيةً بينهم في أنَّ الله يرزقُهم رزقاً حسناً[١]، وظاهرُ «والذين هاجروا» العموم.

وقال مجاهد: نزلت في طوائفَ خرجُوا من مكة إلى المدينة للهجرة، فتَبِعَهم المشركون وقاتلوهم[٢].

ورُوِيَ أنَّ طوائفَ من الصحابة قالوا: يا نبيَّ الله، هؤلاء الذين قُتِلُوا قد عَلِمْنا ما أعطاهم اللهُ من الخير، ونحن نُجاهدُ معك كما جاهدُوا، فما لَنا إن مِتْنا معك؟ فأنزل الله هاتين الآيتين.

وقال الزمخشريّ[٣]: لمَّا جمعَتْهم المُهاجرةُ في سبيل الله سَوَّى بينَهم في الموعد، وأَنْ[٤] يُعطيَ مَنْ ماتَ منهم مِثْلَ ما يُعطي مَنْ قُتِلَ فضلاً منه وإحساناً، والله عليمٌ بدرجات العاملين ومراتبِ استحقاقِهم، حليمٌ عن تفريطِ المُفرِّطِ منهم بفضله وكرمِه. انتهى.

وفي قوله: ومراتِبِ استحقاقِهم، دسيسةُ الاعتزال، والتسويةُ في الوعد بالرِّزق لا تدلُّ على تفضيلٍ في قدرِ المُعطَى ولا تسوية، فإنْ يكُن تفضيلٌ فمن دليلٍ آخرَ.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٣٥-٤٣٦.
(٢) تفسير الرازي ٢٣/ ٥٧.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٠، والخبر السالف قبله فيه، وفي تفسير الرازي ٢٣/ ٥٨.
(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: أن (دون واو). والمثبت من المصدر السالف.

وظاهرُ الشريعة أنَّ المقتولَ أفضل، وقيل: المقتولُ والميِّتُ في سبيلِ اللهِ شهيدان[١]. والرِّزْقُ الحَسَن يحتمل أنْ يُرادَ به رِزقُ الشهداء في البَرْزَخ، ويحتمل أنه بعد يوم القيامة في الجنة[٢]، وهو النعيمُ فيها.

وقال الكلبيّ: هو الغنيمة، وقال الأصمّ: هو العلمُ والفَهْم، كقول شُعيب ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود: ٨٨] وضُعِّفَ هذان القولان لأنه تعالى جَعلَ الرِّزقَ الحسنَ جَزاءً على قتلهم في سبيل الله، أو موتِهم بعد هجرتهم، وبعد ذلك لا يكون الرِّزقُ في الدنيا[٣].

والظاهر أنَّ «خير الرازقين» أفعل تفضيل، والتفاوت أنه تعالى مختصٌّ بأن يَرْزُقَ ما لا يقدرُ عليه غيرُه تعالى، وبأنه الأصل في الرزق، وغيرُه إنما يَرزُقُ بما لَهُ من الرِّزق من جهة الله[٤].

ولمَّا ذكرَ الرِّزقَ ذكرَ السَّكَنَ، فقال: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ وهو الجنة، «يَرضَوْنه»: يختارونه، إذْ فيه رِضاهُم، كما قال: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨].

وتقدَّم الخلاف في القراءة بضمّ الميم أو فتحها في «النساء» [٣١].

والأَولى أن يكونَ يُراد بالمُدْخَل مكانُ الدُّخول، أو مكانُ الإدخال، ويحتمل أن يكون مصدراً.

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ الآية، قيل: نزلت في قوم من المؤمنين لَقِيَهُم كفار في أشهر الحُرُم، فأَبَى المؤمنون من قتالهم، وأبَى المشركون إلا القتال، فلما اقتتلُوا جَدَّ المؤمنون ونصرَهم الله[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٠ وقال ابنُ عطية بإثره: لكن للمقتول مزيةُ ما أصابَه في ذات الله.
(٢) المصدر السالف.
(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٢٣/ ٥٧.
(٤) المصدر السالف.
(٥) تفسير السمرقندي ٢/ ٤٠٢، وتفسير الثعلبي ٤/ ٣٠٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣١ (ولفظُه منه) وزاد المسير ٥/ ٤٤٦-٤٤٧، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٣٨.

ومناسبتُها لِما قبلَها واضحة، وهو أنه تعالى لمَّا ذكَرَ ثوابَ مَنْ هاجرَ وقُتل أو ماتَ في سبيل الله أخبرَ أنَّه لا يدعُ نُصْرَتَهم في الدنيا على مَنْ بَغَى عليهم.

وقال ابنُ جُريج: الآيةُ في المشركين بَغَوْا على رسول الله ﷺ وأخرجوه. والتقدير الأمرُ ذلك.

قال الزمخشريّ: تسميةُ الابتداء بالجزاء لملابستِه له من حيث إنّه سببٌ، وذلك مسبَّبٌ عنه، كما يحملون النَّظِير على النَّظير والنقيضَ على النقيض للملابسة.

فإن قلتَ: كيف طابقَ ذِكرُ العفوِّ الغفورِ هذا الموضعَ؟

قلت: المُعاقِبُ مبعوثٌ من جهة الله عزَّ وجلَّ على الإخلال بالعقابِ والعَفوِ عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم، ومندوبٌ إليه ومستوجب عند الله المدحَ إنْ آثرَ ما نُدِبَ إليه وسلكَ سبيلَ التنزيه، فحين لم يُؤثِر ذلك وانتصرَ وعاقبَ ولم ينظر في قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أي: لا يلُومُه على ترك ما بعثَه عليه، وهو ضامنٌ لنَصْرِهِ في كَرَّتِهِ الثانية من إخْلالِهِ بالعَفْو وانتقامِهِ من الباغي عليه.

ويجوزُ أن يضمنَ له النصرَ على الباغي فيعرِّضَ مع ذلك بما كان أَوْلَى به من العفو ويُلَوِّحَ به بِذِكرِ هاتين الصفتين، أو دلَّ بذِكرِ العفو والمغفرة على أنه قادرٌ على العُقُوبة لأنه لا يُوصَفُ بالعفو إلا القادرُ على ضدِّه.

«ذلك» أي: ذلك النصرُ بسبب أنه قادرٌ، ومِنْ آياتِ قدرتهِ البالغةِ أنه يُولِجُ الليلَ في النهار، والنهارَ في الليل، أو بسببِ أنه خالقُ الليل والنهار ومصرِّفُهما، فلا يَخْفَى عليه ما يجري فيهما على أيدي عبادِهِ من الخير والشرّ والبغي والانتصار[1]، وأنه سميعٌ لما يقولون، بصيرٌ بما يفعلون.

وتقدَّم في أوائل «آلِ عمران» [٢٧] شرحُ هذا الإيلاج.

«ذلك» أي: ذلك الوصفُ بخلقِ الليلِ والنهارِ والإحاطةِ بما يجري فيهما وإدراكِ

(١) في الكشاف ٣/ ٢٠ (والكلام منه): والإنصاف.

كلِّ قولٍ وفعلٍ بسبب أنَّ الله الحقُّ الثابتُ الإلهيَّة، وأنَّ كلَّ ما يُدْعَى إلهاً دونَه باطلُ الدَّعوة، وأنه لا شيءَ أعلى منه شأناً وأكبرُ سلطاناً.

وقرأ الجمهور: «وأنَّ ما» بفتح الهمزة، وقرأ الحسنُ بكسرها(١).

وقرأ الأخَوَان وأبو عَمرو وحفص: «يَدْعُون» بياء الغيبة هنا وفي «لقمان» [٣٠]، وقرأ باقي السبعة بتاء الخطاب، وكلاهما الفعلُ فيه مبنيّ للفاعل(٢).

وقرأ مجاهد واليَمانيّ وموسى الأسْوَارِيّ: «يُدْعَوْنَ» بالياء مبنيًّا للمفعول(٣)، والواوُ عائدةٌ على «ما» على معناها.

و«ما» الظاهرُ أنها أصنامُهم، وقيل: الشياطين. والأوْلَى العمومُ في كلِّ مدعوٍّ دونَ الله تعالى.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى ما دَلَّ على قدرته الباهرة من إيلاج الليل في النهارِ والنهارِ في الليل وهما أمرانِ مشاهدانِ ـ مجيء الظُّلمة والنورِ ـ ذكرَ أيضاً ما هو مشاهدٌ من العالَم العلويّ والعالَم السُّفْليّ، وهو نُزُولُ المطر وإنباتُ الأرض، وإنزالُ المطر واخضرارُ الأرضِ مرئيانِ، ونسبة الإنزالِ إلى الله تعالى مُدْرَكٌ بالعقل.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: الماءُ وإنْ كانَ مرئيًّا إلا أنَّ كونَ اللهِ مُنْزِلَهُ من السماء غيرُ مَرْئيّ، إذا ثبتَ هذا وجبَ حملُه على العلم، لأنَّ المقصودَ من تلك الرؤيةِ [هو

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٣١ دون نسبة.
(٢) السبعة ص٤٤٠، والتيسير ص١٥٨.
(٣) القراءات الشاذة ص٩٦، والكشاف ٣/ ٢٠ عن اليماني.

العلم، لأن الرؤية] إذا لم يقترن بها العلم كانت كأنَّها لم تحصل[١].

وقال الزمخشريّ[٢]: فإنْ قلتَ: هلَّا قيل: فأصْبَحَتْ؟ ولِمَ صُرِفَ إلى لفظ المضارع؟

قلت: لنُكْتةٍ فيه، وهي إفادةُ بقاءِ أثرِ المطر زماناً بعد زمان، كما تقول: أنعم عليَّ فلان عامَ كذا، فأرُوحُ وأغْدُو شاكراً له. ولو قلت: فرحتُ وغدَوْتُ لم يقع ذلك الموقع.

فإن قلت: فما بالُه رُفع ولم يُنصب جواباً للاستفهام؟

قلت: لو نُصب لأعطَى ما هو عكسُ الغَرَض، لأنَّ معناه إثباتُ الاخضرار، فينقلبُ بالنصب إلى نَفي الاخْضِرار، مثالُه أن تقول لصاحبك: ألم تَرَ أني أنعمتُ عليك فتَشكُرَ؟ إنْ نصبتَه فأنتَ نافٍ لشُكرِهِ شاكٍ تفريطَه، وإنْ رفعتَه فأنتَ مُثبتٌ للشكر، وهذا وأمثالُه ممَّا يجبُ أن يَرغَبَ له من اتَّسَمَ بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله.

وقال ابنُ عطيَّة[٣]: وقولُه: «فتُصبِحُ الأرضُ» بمنزلة قولِه: فتُضْحِي، أو: تصيرُ، عبارةٌ عن استعجالِها إثْرَ نزولِ الماء واستمرارِها كذلك عادة. ورَفْعُ قولِه: «فتُصبحُ» من حيث الآيةُ خبرٌ، والفاءُ عاطفة وليست بجواب، لأنَّ كونَها جواباً لقوله: «ألم تَرَ» فاسدُ المعنى. انتهى.

ولم يبيِّن هو ولا الزمخشريُّ كيف يكونُ النصبُ نافياً للاخضرار، ولا كونَ المعنى فاسداً.

وقال سيبويه: وسألتُه ـ يعني الخليلَ ـ عن ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ فقال: هذا واجبٌ، وهو تنبيه، كأنَّك قلت: أتسمعُ أنزلَ الله من السماء ماءً[٤] فكانَ كذا وكذا؟

---

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ٦٢، وما سلف بين حاصرتين منه.
(٢) الكشاف ٣/ ٢١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٣١.
(٤) عبارة الكتاب ١/ ٤٠: أتسمعُ أن الله أنزل من السماء ماءً...

قال ابنُ خَرُوف: وقوله: فقال: هذا واجب، وقولُه: فكانَ كذا، يريدُ أنهما ماضِيان، وفسَّرَ الكلام بـ: أتَسْمَعُ، ليُرِيَكَ أنه لا يتصلُ بالاستفهام لضَعْفِ حُكم الاستفهامِ فيه. ووقَعَ في «الشَّرقيَّة» عِوَض: أتسمع: انتبه. انتهى.

ومعنى في «الشَّرقيَّة»: في النسخة الشَّرقيَّة من كتاب سيبويه.

وقال بعض شُرَّاح الكتاب: «فتُصبحُ» لا يمكنُ نصبُه لأنَّ الكلام واجبٌ، ألا تَرَى أنَّ المعنى: أنَّ الله أنزلَ، فالأرضُ(١) هذه حالُها.

وقال الفرَّاء: «ألم تَرَ» خبر، كما تقول في الكلام: اعْلَم أنَّ اللهَ يفعلُ كذا فيكونُ كذا. انتهى(٢).

ونقول: إنما امتنعَ النصبُ جواباً للاستفهام هنا لأنَّ النَّفي إذا دخلَ عليه الاستفهام وإنْ كانَ يقتضي تقريراً في بعض الكلام هو مُعامَلٌ مُعاملةَ النفي المَحْض في الجواب، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وكذلك في الجواب بالفاء إذا أجبتَ النَّفيَ كان على معنيَيْن، في كلٍّ منهما ينتفي الجوابُ، فإذا قلتَ: ما تأتينا فتحدِّثَنا، بالنصب، فالمعنى: ما تأتينا محدِّثاً إنما تأتي ولا تُحدِّث، ويجوزُ أن يكون المعنى: إنك لا تأتي، فكيف تُحدِّث؟ فالحديثُ منتفٍ في الحالتين، والتقريرُ بأداة الاستفهام كالنَّفي المَحْض في الجواب يُثبتُ ما دخلَتْه الهمزة وينتفي الجواب، فيلزمُ من هذا الذي قرَّرناه إثباتُ الرؤية وانتفاءُ الاخضرار، وهو خلافُ المقصود. وأيضاً فإنَّ جواب الاستفهام ينعقدُ منه مع الاستفهام السابق شرطٌ وجزاءٌ كقوله:

أَلَمْ تَسْأَلْ فتُخْبِرْكَ الرُّسُومُ(٣)

يتقدَّر: إنْ تَسْأل تُخبِرْكَ الرُّسوم. وهنا لا يتقدَّر: إنْ تَرَ إنزالَ المطر تصبح الأرضُ مخضرَّة، لأنَّ اخْضِرَارَها ليس مترتِّباً على علمك أو رؤيتِك، إنَّما هو مترتِّبٌ

---

(١) في (ح) و(يه): بأرضٍ.

(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٩.

(٣) هو صدرُ بيت، وعجزُه كما في الكتاب ٣/ ٣٤: على فِرْتاجَ والطَّلَلُ القديمُ، وهو في اللسان (فرتج) برواية: ألم تَسَلِي، وجاء فيه: فِرْتاج موضعٌ من بلاد طيِّئ.

على الإنزال، وإنما عبَّر بالمضارع لأنَّ فيه تصويراً للهيئةِ التي الأرضُ عليها والحالةِ التي لابَستِ الأرضَ، والماضي يفيد انقطاعَ الشيء، وهذا كقولِ جَحْدرِ بنِ معاوية[1] العُكْلِي يصفُ حالَه مع أسَدٍ نَازلَهُ في قصة جَرَتْ له مع الحجَّاج بنِ يوسف:

يَسْمُو[2] بناظِرتَيْنِ تَحْسَبُ فيهما ... لـمَّا أجالَهما شُعاعَ سِراجِ

لـمَّا نزلتُ بِحِصْنِ أزْبَرَ مُهْصِرٍ ... لِلقِرْنِ أرواحَ العِدَى مِسْحاجِ[3]

فأكُرُّ أحْمِلُ وهو يُقْعِي باسْتِهِ ... فإذا يعودُ فراجعٌ أدْرَاجي

وعلمتُ أنِّي إنْ أبَيْتُ نِزَالَهُ ... أني من الحجَّاج لستُ بناجِ[4]

فقولُه: فأكُرُّ، تصويرٌ للحالة التي لابَسَها.

والظاهر تعقُّبُ اخْضِرارِ الأرضِ إنزالَ المطر، وذلك موجودٌ بمكة وتِهامة فقط، قاله عكرمة، وأخذَ «تُصبحُ» على حقيقتها، أي: تصبحُ من ليلةِ المطر، وذهبَ إلى أنَّ الاخضرار في غير مكة وتِهامة يتأخَّر.

وقال ابنُ عطية[5]: وقد شاهدتُ هذا في السُّوس الأقصى[6]، نزلَ المطر ليلاً

---

(١) تحرف في المطبوع والدرّ المصون ٨/ ٣٠٠ إلى معونة، وهو جَحْدَر اللصّ، سُمِّيَ في الحماسة البصرية ٢/ ٣٣٧: جحدر بن معاوية، وفي المحاسن والمساوئ ص٥١ (ومن نقلَ عنه) والموفَّقيات ص١٧٠: جحدر بن مالك، وقالوا: كان فاتكاً شجاعاً شاعراً، أغارَ على أهل حِجْر، فبلغَ ذلك الحجاج، فأتى به وسجنَه، وله قصة طريفة في إرسال الحجَّاج أسدٍ عليه أُجيعَ ثلاثة أيام، فتلقَّاه جحدر بالسيف وقتله. وينظر خزانة الأدب ٧/ ص٤٦٣ وما بعدها، وينظر خبر جحدر وشِعرُه مفصَّلاً في أشعار اللصوص ص٧٢ وما بعدها.

(٢) في المحاسن والمساوئ ص٥٢ وخزانة الأدب ٧/ ٤٦٥ وأشعار اللصوص ص٨٠: يرنو.

(٣) في أشعار اللصوص: بخُصّ، بدل: بحصن، وهو أشبه (والخُصّ بيت يسقف عليه بخشب)، وأزْبَر، أي: أسد عظيم الزُّبْرَة، وهي شعرُهُ المجتمع بين كتفيه. ومُهْصِر، أي: كاسر، ومِسْحاج، أي: سريع.

(٤) الأبيات في المصادر السالفة ضمن قصيدة، إلا الثالث منها ـ وهو موضع الشاهد ـ ولم أقف عليه، والبيت الثاني في الحماسة البصرية وأشعار اللصوص.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٣١.

(٦) هي كُورَة (بُقعة فيها قرًى ومحالّ) بالمغرب مدينتُها طَرْقَلَة.

بعد قحطٍ، فأصبحت تلك الأرضُ الرَّملة التي نسفَتْها الرياحُ قد اخضرَّتْ بنبات ضعيف. انتهى.

وإذا جعلنا «فتصبح» بمعنى «فتصير»[(١)] لا يلزمُ أن يكونَ ذلك الاخضرارُ في وقتِ الصباح، وإذا كان الاخضرارُ متأخّراً عن إنزال المطر فثَمَّ جُمَلٌ محذوفة، التقدير: فتهتزُّ وتَرْبُو فتُصبحُ، يُبَيِّنُ ذلك قولُه تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

وقُرئ: «مَخْضَرَة» على وزن: مَبْقَلَة، ومَسْبَعَة، أي: ذاتَ خَضِرٍ[(٢)].

وخَصَّ «تُصبح» دون سائرِ أوقاتِ النهار لأنَّ رؤية الأشياء المحبوبة أوَّلَ النهار أبهجُ وأسرُّ للرائي.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي: باستخراج النباتِ من الأرض بالماء الذي أنزلَه ﴿خَبِيرٌ﴾ بما يَحدُثُ عن ذلك النبتِ من الحَبِّ وغيرِه.

وقيل: خبيرٌ بلطيف التَّدبير، خبيرٌ بالصُّنع الكثير.

وقيل: خبيرٌ بمقادير مصالح عبادِه، فيفعلُ على قَدْرِ ذلك من غيرِ زيادةٍ ولا نقصان.

وقال ابنُ عبَّاس: لطيفٌ بأرْزَاق عبادِه، خبيرٌ بما في قلوبهم من القُنوط[(٣)].

وقال الكلبي: لطيفٌ بأفعاله، خبيرٌ بأعمال خلقِهِ[(٤)].

وقال الزمخشريّ: لطيفٌ: واصلٌ علمُه أو فضلُه إلى كل شيء، خبيرٌ بمصالح الخلقِ ومنافعِهم.

وقال ابنُ عطية[(٥)]: واللطيف: المُحكِمُ للأمور برِفْقٍ.

---

(١) وهو أَوْلى كما ذكر الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٣٩٤.
(٢) الكشاف ٣/ ٢١. وقوله: مَبْقَلَة ومَسْبَعَة، أي: ذاتُ بَقْل وذاتُ سِباع. وتحرفت لفظة: مبقلة، في النسخ الخطية والمطبوع إلى: مفعلة، وينظر تفسير القرطبي ١٤/ ٤٤٠.
(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ٦٢، وبنحوه في الوسيط للواحدي ٣/ ٢٧٨، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٤١.
(٤) تفسير الرازي ٢٣/ ٦٢.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٣١.

«ما في الأرض» يشملُ الحيوانَ والمعادنَ والمرافق.

وقرأ الجمهور: «والفُلْكَ» بالنصب، وضمَّ اللامَ ابنُ مِقْسَم والكِسائيُّ عن الحسن[1]. وانتصب عطفاً على «ما»، ونُبِّهَ عليها وإن كانت مندرجةً في عموم «ما» تنبيهاً على غَرابةِ تسخيرِها وكثرةِ منافعِها، وهذا هو الظاهر، وجُوِّزَ أن يكون معطوفاً على الجلالة بتقدير: وأنَّ الفلك، وهو إعرابٌ بعيدٌ عن الفَصاحة.

و«تجري» حال على الإعراب الظاهر، وفي موضع الخبر على الإعراب الثاني.

وقرأ السُّلَميُّ والأعرجُ وطلحة وأبو حَيْوَة والزَّعفراني بضم الكاف مبتدأ وخبر[2]، ومَنْ أجازَ العطفَ على موضع اسم «إنَّ» أجازَه هنا، فيكون «تجري» حالاً.

والظاهرُ أنَّ «أنْ تقعَ» في موضع نصب بدل اشتمال، أي: ويمنعُ وقوعَ السماء على الأرض، وقيل: هو مفعولٌ من أجله يقدِّرُه البصريُّون: كراهةَ أن تقعَ، والكوفيُّون: لئلا تقع[3].

وقوله: «إلا بإذنه» أي: يومَ القيامة، كأنَّ طَيَّ السماء ونَقْضَ[4] هذه الهيئة كوقوعِها، ويجوزُ أن يكون ذلك وعيداً لهم في أنه إنْ أذِنَ في سقوطها كِسَفاً عليهم سقطت كما في قولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

و«إلا بإذنِه» متعلق بـ «أنْ تقعَ» أي: إلا بإذنِه فتقع.

وقال ابنُ عطية[5]: ويحتمل أن يعودَ قولُه: «إلا بإذنِه» على الإمساك لأنَّ

---

(١) سيرد في آية لقمان (٣١) ضم لام الفُلْك عن موسى بن الزُّبير، ونقل الآلوسي عند تفسير آية لقمان عن عيسى بن عمر قوله: ما سُمع فُعْل بضم الفاء وسكون العين إلا وقد سُمع فيه فُعُل بضم العين.

(٢) القراءات الشاذة ص٩٦، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٤١، وهي في الكشاف ٣/ ٢١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣١ دون نسبة.

(٣) ووَجْهٌ ثالثٌ ذكرَه أبو البقاء في الإملاء ٢/ ١٤٦ وثنَّى به، والسمينُ في الدّرّ المصون ٨/ ٣٠٢ وبدأ به، وهو أنها في موضع جرّ، أي: من أنْ تقعَ.

(٤) في (أ) و(ح) و(يه) والمطبوع: بعض، والمثبت من (ع). والكلام في المحرر الوجيز ٤/ ١٣١.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١٣١-١٣٢.

الكلام يقتضي بغير عَمَدٍ ونحوه، فكأنَّه أرادَ: إلا بإذنِه فبِهِ يُمسكُها. انتهى.

ولو كان على ما قالَه ابنُ عطية لكان التركيب: بإذنِه، دون أداة الاستثناء، أي: يكون التقدير: ويُمسكُ السماءَ بإذْنِهِ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ أي بعد أن كنتُم جماداً تراباً ونُطفةً وعلقةً ومضغةً، وهي المَوْتَةُ الأولى المذكورة في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

و«الإنسان» قال ابن عبَّاس: هو الكافر، وقال أيضاً: هو الأسود بن عبد الأسد، وأبو جهل، وأُبيُّ بنُ خَلَف[1]. وهذا على طريق التمثيل.

«لكَفُور» لجَحُودٌ لِنِعَمِ الله يعبدُ غيرَ مَنْ أنعمَ عليه بهذه النِّعم المذكورة وبغيرها.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ رُوي أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديلِ بنِ وَرْقاء وبشرِ بنِ سفيان الخزاعيَّين وغيرِهما في الذبائح وقولِهم للمؤمنين: تأكلون ما ذبحتُم وهو مِن قَتلِكُم ولا تأكلونَ ما قتلَ الله، فنزلت بسبب هذه المنازعة[2].

وقال ابن عطية: «هُم ناسِكُوه» يعطي أنَّ المَنْسَكَ المصدرُ، ولو كان الموضع لقال: هم ناسكون فيه. انتهى.

ولا يتعيَّن ما قال، إذ قد يُتَّسَعُ في معمول اسم الفاعل كما يُتَّسَعُ في معمول الفعل، فهو موضعٌ اتُّسِعَ فيه، فأُجرِيَ مُجرى المفعول به على السَّعَة، ومن الاتِّساع في ظرف المكان قولُه:

ومَشْرَبٍ أشربُهُ رَسِيلِ[3] لا آجِنِ الطَّعْمِ[4] ولا وبيلِ[5]

---

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ٦٣.

(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٣١١، والكشاف ٣/ ٢١، وبنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٣٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) أي: ماء عَذْب، ووقع في المصادر التالية: وشيل، أي: ماء قليل.

(٤) في النسخ الخطية: العظم، وفي المطبوع: الماء، والمثبت من المصادر التالية.

(٥) ارتشاف الضَّرَب ٣/ ١٤٦٣، والدر المصون ٨/ ٣٠٤، والدرر اللوامع ٣/ ٩٧، والبيت الأول في الهمع ٢/ ١٦٨.

مَشْرَب: مكان الشُّرْب، عاد عليه الضمير، وكان أصله: أشربُ فيه، فاتُّسِعَ فيه فتعدَّى الفعل إلى ضميره.

ومن الاتساع: سِيْرَ بزيدٍ فرسخان[1].

وقرئ: «فلا يُنازِعُنْكَ» بالنون الخفيفة[2]، أي: اثْبُتْ على دينك ثباتاً لا يطمعون أن يجذبوك، ومثله: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٨٧].

وهذا النهيُ لهم عن المنازعة من باب لا أَرَيَنَّك ههنا[3]. والمعنى: فلا يَدَ لهم بمنازعتِك فينازعوك.

وقرأ أبو مجلز: «فلا يَنْزِعُنَّكَ»[4] من النَّزع بمعنى: فلا يَقلَعُنَّك فيحملونك من دينك إلى أديانهم، من: نَزَعْتُه من كذا.

و«الأمر» هنا الدِّين وما جئتَ به، وعلى ما رُويَ في سبب النزول يكون «في الأمر» يعني: في الذبح.

﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾ أي: إرشاد، وجاء «ولكلِّ أمَّة» بالواو[5]، وهنا «لكلِّ أمَّة» لأنَّ تلك وقعت مع ما يُدانيها ويناسبُها من الآي الواردة في أمر النَّسائك، فعُطفت على أخواتها، وأما هذه فواقعة مع أباعدَ عن معناها، فلم تجد مَعْطِفاً. قاله الزمخشريّ.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ آيةُ موادعة نسخَتها آيةُ السيف[6]، أي: وإنْ أَبَوْا لِلِجَاجِهِم إلا المجادلةَ بعد اجتهادِك أن لا يكون بينك وبينهم تنازعٌ فادفَعْهم بأنَّ الله أعلمُ

---

(١) ينظر الكتاب ١/ ٢٢٣، والأصول في النحو ٢/ ٢٥٦ و٢٩٤.

(٢) لم أقف عليها، ونقلها السمين في الدر المصون ٨/ ٣٠٤، والآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٤٠٢، وقد ذكر أبو البقاء في الإملاء ٢/ ١٤٦ أنه قُرئ: يَنْزِعُنك، بفتح الياء وكسر الزاي وإسكان النون، وقال: أي: لا يخرجنَّك.

(٣) هو نهيٌ للمتكلِّم ظاهراً، وفي الحقيقة هو نهي للمخاطَب، أي: لا تكن ههنا حتى لا أراك، وسلف هذا الحرفُ مراراً.

(٤) القراءات الشاذة ص٩٦، والمحتسب ٢/ ٨٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٤٣، وهي في الكشاف ٣/ ٢١ والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٢ دون نسبة.

(٥) يعني في الآية السالفة برقم (٣٤).

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٢، وزاد المسير ٥/ ٤٥٠. وآية السيف هي الآية (٥) من التوبة: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، وقيل: الآية (٣٦) منها: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾.

بأعمالكم وبقبحِها، وبما تستحقُّون عليها من الجزاء. وهذا وعيد وإنذار، ولكن برِفق ولين[(١)].

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ خطابٌ من الله للمؤمنين والكافرين، أي: يفصلُ بينكم بالثواب والعقاب، ومَسْلَاةٌ لرسول الله ﷺ بما كان يَلْقَى منهم[(٢)].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾.

لمَّا تقدَّم ذكرُ الفصلِ بين الكفار والمؤمنين يومَ القيامة؛ أعقبَ تعالى أنه عالمٌ بجميع ما في السماء والأرض، فلا تَخْفَى عليه أعمالُكم.

و﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ قيل: هو أمُّ الكتاب الذي كتبَه اللهُ قبلَ خلقِ السماوات والأرض، كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة، وقيل: الكتابُ اللوحُ المحفوظ.

والإشارةُ بقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ قيل: إلى الحُكم السابق، والظاهرُ أنه إشارة إلى حصر المخلوقات تحت علمِه وإحاطتِه.

وقال الزمخشري: ومعلومٌ عند العلماء بالله أنه يعلمُ كلَّ ما يحدُثُ في السماوات والأرض، وقد كتبَه في اللوح قبلَ حدوثه، والإحاطةُ بذلك وإثباتُه وحفظُه عليه يسيرٌ، لأنَّ العالِم الذات[(٣)] لا يتعذَّرُ عليه ولا يمتنعُ تعلُّق بمعلوم. انتهى.

وفي قوله: لأن العالم الذات، دسيسةُ الاعتزال، لأنَّ من مذهبهم نفيَ الصفات، فهو عالم لذاتِه لا بعلمٍ عندَهم.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢١-٢٢.

(٢) المصدر السالف.

(٣) في (ح) و(يه) ومطبوع الكشاف ٣/ ٢٢: بالذات. والمثبت من (أ) و(ع)، وهو كذلك في أصل خطي للكشاف ٨٠/أ.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ أي: حُجَّة وبرهاناً سماوياً من جهة الوحي والسمع ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي: دليلٌ عقليّ ضروريّ أو غيره ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: المجاوِزينَ الحدَّ في عبادةِ ما لا يمكن عبادتُه ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ ينصرُهم فيما ذهبوا إليه، أو إذا حلَّ بهم العذاب.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾ أي: بتلاوةِ الرسولِ أو غيرِه آياتِنا الواضحةَ في رفضِ آلهتِهم ودعائِهم إلى توحيد الله وعبادته. ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: الذين ستَرُوا الحقَّ وغَطَّوْه، وهو واضحٌ بيِّن.

و«المنكر» مصدر بمعنى الإنكار، ونبَّه على مُوجب المنكر وهو الكفر، ونابَ الظاهرُ مَناب المضمر، كأنَّه قيل: تعرفُ في وجوههم، لكنه نبَّه على العلَّة المُوجبة لظهورِ المنكر في وجوهِهم.

والمنكر: المَسَاءةُ والتجهُّم والبُسُور والبطشُ الدالُّ ذلك كلُّه على سوء المعتقد وخُبث السَّريرة، لأنَّ الوجه يظهرُ فيه التَّرَحُ والفَرَحُ اللذان محلُّهما القلب.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ أي: هم دهرَهم بهذه الصفة، فهم يُقاربون ذلك طُولَ زمانِهم، وإن كان قد وقعَ منهم سَطْوٌ ببعض الصحابة في شاذّ من الأوقات.

قال ابنُ عباس: «يَسْطُون»: يبسُطون إليهم أيديَهم، وقال محمد بن كعب: يقعون بهم، وقال الضحاك: يأخذونهم أخذاً باليد، والمعنى واحد(١).

وقرأ عيسى بنُ عمر: «يُعْرَفُ» مبنيًّا للمفعول «المنكرُ» رفعٌ(٢).

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ وعيدٌ وتقريع، والإشارة [بـ «ذلكم»](٣) إلى غيظهم على التالين وسَطْوِهم عليهم، أو إلى ما أصابَهم من الكراهة والبُسُور بسبب ما تُلِيَ عليهم.

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ٤٤٥-٤٤٦.
(٢) القراءات الشاذة ص٩٦، ووقع في مطبوعه: تُعرف، ولعله تحريف كما أشار إليه محقِّقُه، وهي في الكشاف ٣/ ٢٢ دون نسبة.
(٣) ما بين حاصرتين من النهر الماد (بهامش مطبوع البحر ٦/ ٣٨٨)، والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٣٣.

وقرأ الجمهور: «النارُ» رفعاً على إضمار مبتدأ، كأنَّ قائلاً قال[1]: وما هو؟ قال: النارُ، أي نارُ جهنَّم.

وأجاز الزمخشري أن تكون «النار» مبتدأً و«وَعَدَها» الخبر، وأن يكون «وَعَدَها» حالاً على الإعراب الأول[2]، وأن تكون جملةَ إخبار مستأنفة.

وأجيز أن تكون خبراً بعد خبر، وذلك في الإعراب الأول.

ورُوِيَ أنهم قالوا: محمدٌ وأصحابُه شرُّ خَلْقِ الله، فقال الله: قل لهم يا محمَّد: أفأنبِّئكم بشرٍّ ممَّن ذكرتُم على زعمكم؟ أهلُ النار، فهم أنتم شرُّ خلقِ الله.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة وإبراهيم بنُ يوسف عن الأعشى وزيد بنُ علي «النارَ» بالنصب؛ قال الزمخشريُّ: على الاختصاص[3].

ومن أجازَ في الرفع أن تكون «النارُ» مبتدأً، فقياسُه أن يُجيزَ في النصب أن يكون من باب الاشتغال.

وقرأ ابنُ أبي اسحاق وإبراهيم بنُ نوح عن قتيبة: «النارِ» بالجرّ على البدل من «شَرّ»[4].

والظاهر أنَّ الضمير في «وَعَدَها» هو المفعول الأول على أنه تعالى وعدَ النارَ بالكفار أن يُطعِمَها إياهم، ألا ترى إلى قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني، و«الذين كفروا» هو الأول كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٨].

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: كأنَّ قائلاً يقول قال، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ١٣٣، وهو بنحوه في الكشاف ٣/ ٢٢.

(٢) كذا قال المصنف، وإنما جعلَ الزمخشريُّ جملة «وَعَدَها» حالاً على قراءة نصب «النار» (وسترد) أو جرِّها بإضمار «قد». نبَّه على هذا السمين في الدُّرّ المصون ٨/ ٣٠٥ وقال: ولا يجوز أن تكون حالاً، قال أبو البقاء [في الإملاء ٢/ ١٤٦]: لأنه ليس في الجملة ما يصلح أن يعمل في الحال.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٢، وفيه القراءة السالفة دون نسبة.

(٤) المصدر السالف دون نسبة، وذكر النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٠٥، والقرطبي ١٤/ ٤٤٦ جوازَ النصب والجرّ دون ذكر ذلك قراءة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى أن الكفَّار يعبدون ما لا دليلَ على عبادتِه لا مِنْ سمعٍ ولا مِن عقلٍ ويتركون عبادةَ مَنْ خَلَقَهم؛ ذكَرَ ما عليه معبوداتُهم من انتفاء القدرة على خلقِ أقلِّ الأشياء، بل على ردِّ ما أخذَه ذلك الأقلُّ منه، وفي ذلك تجهيلٌ عظيمٌ لهم حيث عبدُوا مَنْ هذه صفتُه لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ بتاء الخطاب.

وقيل: خطابٌ للمؤمنين، أرادَ الله أن يبيِّنَ لهم خطأَ الكافرين، فيكون «تدعون» خطاباً لغيرهم الكفارِ عابدي غيرِ الله.

وقيل: الخطابُ عامٌّ يشملُ مَن نظرَ في أمرِ عبادةِ غيرِ الله، فإنه يظهر له قُبح ذلك.

و«ضُرِبَ» مبنيّ للمفعول، والظاهرُ أنَّ ضاربَ المَثَلِ هو اللهُ تعالى، ضَرَبَ مَثَلاً لِما يُعبدُ من دونِه، أي: بيَّنَ شَبَهاً لكم ولمعبودِكم[1].

وقيل: ضاربُ المثل هم الكفار، جعلُوا مَثَلاً للهِ تعالى أصنامَهم وأوثانَهم، أي: فاستمعُوا أنتم أيُّها الناس لحالِ هذا المَثَل، ونحوُه ما قال الأخفش، قال: ليس ههنا مَثَلٌ، وإنما المعنى: جعلَ الكفارُ للهِ مَثَلاً.

وقيل: هو مَثَلٌ من حيث المعنى، لأنه ضَربَ مثلَ مَنْ يعبدُ الأصنام بمن يعبدُ ما لا يَخلقُ ذُباباً.

(١) تفسير القرطبي ١٤/٤٤٧.

وقال الزمخشريُّ[(١)]: فإن قلتَ: الذي جاء به ليس بمثَل، فكيف سمَّاه مثَلاً؟

قلتُ: قد سُمِّيَتِ الصفةُ أو القصةُ الرائعة المتلقَّاة بالاستحسان والاستغراب مَثَلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيَّرة لكونِها مستحسنةً مستغربةً عندهم. انتهى.

وقرأ الجمهور: «تَدْعُون» بالتاء، وقرأ الحسن ويعقوب وهارون والخفَّاف ومحبوب عن أبي عَمرو بالياء[(٢)]، وكلاهما مبنيّ للفاعل.

وقرأ اليمانيّ وموسى الأسواريّ بالياء من أسفل مبنيًا للمفعول[(٣)].

وقال الزمخشريّ: «لن» أخت «لا» في نفي المستقبل إلا أنَّ «لَنْ» تنفيه نفياً مؤكَّداً، وتأكيدُهُ هنا الدلالةُ على أنَّ خَلْقَ الذُّبابِ منهم مستحيلٌ منافٍ لأحوالهم، كأنه قال: محالٌ أن يخلُقُوا. انتهى.

وهذا القولُ الذي قاله في «لَنْ» هو المنقولُ عنه أنَّ «لَنْ» للنفي على التأبيد، ألا تراه فسَّر ذلك بالاستحالة؟ وغيرُه من النُّحاة يجعل «لَنْ» مثلَ «لا» في النفي، ألا ترى إلى قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ﴾ كيف جاء النفي بـ «لا»؟ وهو الصحيح، والاستدلالُ عليه مذكور في النحو.

وبدأ تعالى بنفي اختراعِهم وخلقِهم أقلَّ المخلوقات من حيث إنّ الاختراعَ صفةٌ له تعالى ثابتة، مختصَّةٌ به لا يَشْرَكُه فيها أحد، وثَنَّى بالأمر الذي بلغَ بهم غايةَ التعجيز، وهو أمرُ سلبِ الذُّبابِ وعدمُ استنقاذِ شيء ممَّا يَسْلُبُهم، وكان الذُّبابُ كثيراً عند العرب، وكانوا يُضَمِّخُونَ أوثانَهم بأنواع الطِّيب، فكان الذُّباب يذهبُ بذلك.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢.

(٢) قراءة يعقوب من العشرة، وهي في النشر ٢/ ٣٢٧، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٥١ لابن عباس وأبي رَزِين وابن أبي عبلة، ونسبها القرطبي في تفسيره ١٤/ ٤٤٧ ليعقوب والسُّلمي وأبي العالية.

(٣) القراءات الشاذة ص٩٦، ونسبَها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٥١ لابن السَّمَيْفَع وأبي رجاء وعاصم الجَحدريّ. وهذه القراءة والتي قبلها في الكشاف ٣/ ٢٢ والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٤ دون نسبة.

وعن ابن عباس: كانوا يطلُونها بالزَّعفران ورؤوسَها بالعسل، ويُغلقون عليها، فيدخلُ الذُّباب من الكُوى فيأكله[١].

وموضع «ولو اجتمعُوا له» قال الزمخشريّ: نصبٌ على الحال، كأنه قال: مستحيلٌ أن يخلُقُوا الذبابَ مشروطاً عليهم اجتماعُهم جميعاً لخلقِه وتعاونُهم عليه. انتهى.

وتقدَّم لنا الكلام على نظير «ولو» هذه، وتقرَّر أنَّ الواو فيه للعطف على حال محذوفة[٢]، كأنه قيل: لن يخلقُوا ذباباً على كلِّ حالٍ ولو في هذه الحال التي كانت تقتضي أن يخلقُوا لأجل اجتماعِهم، ولكنَّه ليس في مقدورهم ذلك.

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ قال ابنُ عباس: الصَّنمُ والذُّباب[٣]، أي: ينبغي أن يكون الصنمُ طالباً لما سلب من طِيبهم على معهود الأنَفَة من الحيوان[٤].

وقيل: المطلوب الآلهة، والطالب الذُّباب، فضَعْفُ الآلهة أنْ لا مَنَعةَ لها، وضَعْفُ الذبابِ في استلابِه ما على الآلهة.

وقال الضحاك: العابد والمعبود[٥]، فضَعفُ العابدِ في طلبهم الخيرَ من غير جهتِه، وضعفُ المعبود في إيصال ذلك لعابده.

وقال الزمخشري[٦]: وقولُه: «ضَعُفَ الطالبُ والمطلوب» كالتسوية بينهم وبين الذُّباب في الضعف، ولو حقَّقْتَ وجدتَ الطالبَ أضعفَ وأضعفَ، لأنَّ الذبابَ حيوانٌ، وهو جماد، وهو غالب، وذاك مغلوب.

والظاهر أنه إخبارٌ بضعفِ الطالبِ والمطلوب.

وقيل: معناه التعجُّب، أي: ما أضعفَ الطالبَ والمطلوب!

---

(١) تفسير الثعلبي ٤/ ٣١٢، والكشاف ٣/ ٢٣، وبنحوه في زاد المسير ٥/ ٤٥٢، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٤٨.
(٢) ينظر تفسير الآية (١٧٠) من البقرة، والآية (٨) من الأنفال، والآية (١١٣) من التوبة.
(٣) زاد المسير ٥/ ٤٥٢، وهو في المحرر الوجيز ٤/ ١٣٤ وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٤٨ دون نسبة.
(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: في الحيوان، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ١٣٤ والكلام فيه.
(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ٣١٢، وزاد المسير ٥/ ٤٥٢.
(٦) الكشاف ٣/ ٢٣.

﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عرفوه حقَّ معرفتِه حيث عبدُوا مَنْ هو منسلخٌ عن صفاته وسَمَّوْه باسمِه، ولم يؤهِّلُوا خالقَهم للعبادة. ثم ختمَ بصفتين منافيتين لصفاتِ آلهتِهم من القوَّة والغلبة.

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ الآية، نزلت بسبب قولِ الوليد بن المغيرة: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] وأنكرُوا أن يكونَ الرسولُ من البشر، فردَّ الله عليهم بأنَّ رسلَه ملائكةٌ وبشرٌ(١).

ثم ذكرَ أنه عالِمٌ بأحوالِ المكلَّفين لا يخفَى عليه منهم شيء، وإليه مرجعُ الأمورِ كلِّها.

ولمَّا ذكرَ تعالى أنه اصطفى رسلاً من البشر إلى الخلق أمَرَهُم بإقامة ما جاءت به الرسلُ من التكاليف، وهو الصلاةُ؛ قيل: كان الناسُ أوَّلَ ما أسلمُوا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود، فأُمِرُوا أن تكون صلاتُهم بركوع وسجود(٢).

واتفقوا على مشروعيَّة السجود في آخر آية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ﴾ وأما في هذه الآية فمذهبُ مالك وأبي حنيفة أنَّه لا يسجد فيها، ومذهبُ الشافعيِّ وأحمدَ أنَّه يسجد فيها، وبه قال عُمر، وابنُه عبدُ الله، وعثمانُ، وأبو الدرداء، وأبو موسى، وابنُ عباس(٣).

﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي: أفرِدُوه بالعبادة.

﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ قال ابن عباس: صلةُ الأرحام ومكارمُ الأخلاق(٤).

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٤. ونسب الرازي الخبر في تفسيره ٢٣/ ٦٩ لمقاتل، وهو بنحوه في تفسير الثعلبي ٤/ ٣١٢، وزاد المسير ٥/ ٤٥٣، وأشار إليه الطبري ١٦/ ٦٣٨.

(٢) الكشاف ٣/ ٢٣. قال الآلوسي في روح المعاني ١٧/ ٤٢٣: لم نره في أثر يُعتمد عليه. انتهى. قلت: وذكره الرازي ٢٣/ ٧١ عن ابن عباس ﵄ بلفظ: إن الناس في أول إسلامهم كانوا يركعون ولا يسجدون حتى نزلت هذه الآية.

(٣) ينظر زاد المسير ٥/ ٤٥٤، وجاء فيه: عمَّار، بدل: عثمان. وأورد الثعلبي في تفسيره ٤/ ٣١٣ آثاراً في السجود في هذه الآية عن عمر وعبد الله بن عمر وأبي موسى وعقبة بن عامر ﵃. وينظر الكشاف ٣/ ٢٣.

(٤) الكشاف ٣/ ٢٣، وتفسير الرازي ٢٣/ ٧١.

ويظهر في هذا الترتيب أنهم أُمِرُوا أولاً بالصلاة، وهي نوعٌ من العبادة، وثانياً بالعبادة، وهي نوعٌ من فعل الخير، وثالثاً بفعلِ الخير، وهو أعمُّ من العبادة، فبدأ بخاصٍّ ثم بعامٍّ ثم بأعمّ(١).

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ أمرٌ بالجهادِ في دين الله وإعزازِ كلمتِه يشملُ جهادَ الكفار والمبتدِعة وجهادَ النفس. وقيل: أمرٌ بجهاد الكفار خاصة.

﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أي: استفرِغُوا جُهدَكم وطاقتَكم في ذلك، وأضافَ الجهادَ إليه تعالى لمَّا كان مختصًّا بالله من حيث هو مفعولٌ لوجهه ومن أجلِهِ، والإضافة تكون بأدنى ملابسة.

قال الزمخشريّ(٢): ويجوز أن يُتَّسعَ في الظرف، كقوله:

ويومٍ شَهِدْناهُ سُلَيْماً وعامِرَا(٣)

انتهى. يعني بالظرف الجارَّ والمجرورَ، كأنه كان الأصل: حَقَّ جهادٍ فيه، فاتُّسِعَ بأن حُذف حرفُ الجرّ، وأُضيف «جهاد» إلى الضمير، و«حَقَّ جهادِه» من باب: هو حَقُّ عالِمٍ وجِدُّ عالِمٍ، أي: عالِمٌ حَقًّا وعالِمٌ جِدًّا(٤).

وعن مجاهد والكلبيّ: أنه منسوخ بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾(٥) [التغابن: ١٦].

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي: اختارَكم لتحمُّلِ تكليفاتِه، وفي قوله: «هو» تفخيمٌ واختصاص، أي: هو لا غيرُه.

«من حَرَجٍ»: من تضييق، بل هي حَنِيفِيَّة سَمْحَة ليس فيها تشديدُ بني إسرائيل، بل شرعَ فيها التوبةَ والكفَّاراتِ والرُّخَص.

---

(١) بنحوه في تفسير الرازي ٢٣/ ٧١.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٤، والكلام السالف قبله فيه بنحوه.
(٣) هو صدرُ بيت، وعجزُه: قليلٍ سوى الطَّعْنِ النِّهالِ نوافلُه. وهو في الكتاب ١/ ١٧٨، وسلف في تفسير الآية (١٠٣) من سورة هود.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٤.
(٥) ذكره الرازي ٢٣/ ٧٢ عن مقاتل والكلبي وردَّه، وينظر النكت والعيون ٤/ ٤١-٤٢.

وانتصب «مِلَّةَ أبيكم» بفعل محذوف، وقدَّره ابنُ عطية: جَعَلَها مِلَّةَ[١].

وقال الزمخشريّ[٢]: نصبُ الملَّة بمضمونِ ما تقدَّمَها، كأنه قيل: وسَّعَ دينَكم توسعةَ ملَّةِ أبيكم، ثم حذفَ المضاف وأقامَ المضاف إليه مُقامه، أو على الاختصاص، أي أعني بالدين مِلَّةَ أبيكم كقولك: الحمدُ للهِ الحميدَ.

وقال الحَوْفي وأبو البقاء[٣]: اتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيم.

وقال الفرَّاء[٤]: هو نصبٌ على تقدير حذف الكاف، كأنّه قيل: كَمِلَّةِ أبيكم، بالإضافة إلى أبي الرسول، وأمَّةُ الرسولِ في حكم أولادِه، فصار أباً لأمَّتِهِ بهذه الوساطة.

وقيل: لما كانَ أكثرُهم من ولدِه كالرسولِ ورهطِه وجميعِ العرب غُلِّبَ الأكثر، فأضيفَ إليهم.

وجاء قوله: «ملَّةَ [أبيكم] إبراهيم» باعتبارِ عبادةِ الله وتركِ الأوثانِ، وهو المَسُوقُ له الآياتُ المتقدِّمة، ولا يدلُّ ذلك على الاتِّباع في تفاصيل الشرائع[٥].

والظاهر أنَّ الضمير في «هو سمَّاكم» عائدٌ على إبراهيم، وهو أقربُ مذكور، ولكل نبيّ دعوةٌ مستجابة، ودعا إبراهيمُ فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فاستجابَ الله له، فجعلَها أمةَ محمد عليه الصلاة والسلام، وقاله ابنُ زيد والحسن.

وقيل: يعودُ «هو» إلى الله، وهو قولُ ابنِ عبَّاس وقتادة ومجاهد والضحَّاك[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٥، زادَ ابنُ عطية بعده قولَه: أو نحوه من أفعال الإغراء.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٤.
(٣) الإملاء ٢/ ١٤٧.
(٤) معاني القرآن له ٢/ ٢٣١.
(٥) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ٢٣/ ٧٤. وما سلف بين حاصرتين زيادة من أجل السياق.
(٦) ينظر تفسير الطبري ١٦/ ٦٤٤-٦٤٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٥، وزاد المسير ٥/ ٤٥٧، وتفسير الرازي ٢٣/ ٧٤، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٥٣-٤٥٤.

وعن ابن عبَّاس: إنَّ الله سمَّاكم المسلمين «من قبلُ» أي: في كلِّ الكتب «وفي هذا» أي: القرآن(١).

ويدلُّ على أنَّ الضمير لله قراءةُ أُبيّ: «اللهُ سمَّاكُم»(٢).

قال ابن عطية: وهذه اللفظةُ - يعني قولَه: «وفي هذا» - تُضعِفُ قولَ من قال: الضميرُ لإبراهيم، ولا يتوجَّهُ إلا على تقدير محذوف من الكلام مستأنف. انتهى.

وتقديرُ المحذوف: وسُمِّيتُم في هذا القرآنِ المسلمين.

والمعنى أنه فضَّلَكم على الأمم وسمَّاكم بهذا الاسم ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أنه قد بلَّغكم ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بأنَّ الرُّسل قد بلَّغتْهم، وإذ قد خصَّكم بهذه الكرامة والأثَرة فاعبُدُوه وثِقُوا به، ولا تطلُبوا النُّصرة والولاية إلَّا منه، فهو خيرُ مولًى وناصر(٣).

وعن قتادة: أُعطِيَتْ هذه الأمةُ ما لم يُعْطَهُ إلا نبيّ، قيل للنبيّ: أنت شهيدٌ على أمَّتك، وقيل له: ليس عليك حرجٌ، وقيل له: سَلْ تُعْطَ، وقيل لهذه الأمة: ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، وقيل لهم: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وقيل لهم: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾(٤).

قال ابن عباس: سَلُوا رَبَّكم أن يَعْصِمَكم من كلِّ ما يُكرهُ(٥).

وقال الحسن: تمسَّكُوا بدينِ الله(٦).

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٥، وتفسير القرطبي ١٤/ ٤٥٤، وينظر زاد المسير ٥/ ٤٥٧.
(٢) القراءات الشاذة ص٩٧، والكشاف ٣/ ٢٤، وتفسير الرازي ٢٣/ ٧٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٤.
(٤) بنحوه في تفسير الطبري ١٦/ ٦٤٧-٦٤٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٥، والآيتان الأخيرتان في غافر (٦٠) وآل عمران (١٠٣) على الترتيب.
(٥) زاد المسير ٥/ ٤٥٧ ولفظُه فيه: من كل ما يُسخط ويُكره.
(٦) زاد المسير ٥/ ٤٥٧، وزاد الثعلبي ٤/ ٣١٤ لفظَ: الذي لطفَ به لعباده.

سورة المؤمنون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ
مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً
فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا
ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن
نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ
بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ
كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ
يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا
هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ
ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى

بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ
ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ
وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ (٢٩)
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ
رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ
مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ
إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِىَ
إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا
وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ
(٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ
بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ
مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟
قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ
ٱلْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً
وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى
بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم
بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ
رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩)
وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا
سَٰبِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ
قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم
بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ (٦٤) لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ
عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ

أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَـٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

المفردات السُّلالة فُعالة من سَلَلْتُ الشيءَ من الشيء: إذا استخرجتَه منه. وقال أميَّة:

خَلَقَ البَرِيَّةَ مِن سُلالَةِ مُنْتِنٍ ... وإلى السُّلالَةِ كلُّها ستعودُ[(١)]

والولدُ سُلالةُ أبيه، كأنَّه انسلَّ من ظهرِ أبيه، قال الشاعر:

فجاءَتْ بهِ عَضْبَ الأديمِ غَضَنْفَراً ... سُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ[(٢)]

وهو بناءٌ يدلُّ على القِلَّة، كالقُلَامة والنُّحاتة.

«سيناء» و«سينُون» اسمان لبقعة، وجمهورُ العرب على فتح سين «سيناء»، فالألفُ فيه للتأنيث، كصَحْراء، فيمتنعُ الصرف للتأنيث اللازم، وكِنانة تكسر السين، فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم أيضاً عند الكوفيين لأنهم يثبتون أنَّ همزةَ فِعْلاء تكون للتأنيث، وعند البصريِّين يمتنعُ من الصرف للعلمية والعُجمة أو العلمية والتأنيث[(٣)] لأن ألف فِعْلاء عندهم لا تكون للتأنيث بل للإلحاق كعِلْباء[(٤)] ودرحاء[(٥)].

قيل: وهو جبلُ فلسطين، وقيل: بين مصر وأيلة.

---

(١) ديوان أمية ص٦٠.
(٢) البيت لحسان بن ثابت، وهو في ديوانه ص٤٨٢ (بشرح البرقوقي) والمحرر الوجيز ٤/١٣٨، وتفسير القرطبي ١٥/١٨. قوله: غضنفراً، أي: غليظ الجثة.
(٣) يعني على أنها اسمٌ للبُقْعة. ينظر الكشاف ٣/٢٩، والمحرر الوجيز ٤/١٤٠.
(٤) والهمزة فيها منقلبة عن ياء أو واو، لأن الإلحاق يكون بهما. قاله السمين في الدر المصون ٨/٣٢٦.
(٥) لم تتبيَّن لي، ولعلَّها محرَّفة عن: حِرْباء.

الدُّهْنُ: عُصارة الزيتون واللوز وما أشبَهُهما ممَّا فيه دَسَم، والدَّهْنُ بفتح الدال مَسْحُ الشيء بالدُّهْن.

«هَيْهات» اسم فعل يفيد الاستبعاد، فمعناها: بَعُدَ، وفيها لغات كثيرة ذكرناها في كتاب «التكميل لشرح التسهيل»[١] ويأتي منها ما قُرئ به إن شاء الله.

الغُثَاء: الزَّبَدُ وما ارتفعَ على السَّيْل، ونحوُ ذلك ممَّا لا يُنتفَعُ به. قاله أبو عبيد[٢].

وقال الأخفش: الغُثاء والجُفَاء واحد، وهو ما احتملَه السَّيْلُ من القذَر والزَّبَد[٣].

وقال الزجَّاج: البالي من ورق الشجر، إذا جرى السَّيْلُ خالطَ زَبَدَه. انتهى[٤].

وتشدَّدُ ثاؤه وتخفَّف، ويجمع على «أغثاء» شذوذاً، ورَوَوْا بيت امرئ القيس: «من السَّيلِ والغُثَاء» بالتخفيف والتشديد والجمع[٥].

«تَتْرَى»: واحداً بعد واحد، قال الأصمعيّ: وبينهما مُهْلَة، وقال غيرُه: المُواترةُ التتابعُ بغير مُهْلَة، وتاؤه مُبْدَلة من واو على غير قياس، إذ أصلُه: الوتر، كتاء تَوْلَج وتَيْقُور، الأصلُ: وَوْلَج، ووَيْقُور، لأنه من الوُلُوج والوَقَار[٦].

وجمهورُ العرب على عدم تنوينه، فيمتنع الصَّرف للتأنيث اللازم، وكنانة تُنوِّنُه،

---

(١) سيرد في تفسيرها أن في هذه اللفظة ما يزيد على أربعين لغة، وينظر الدر المصون ٨/ ٣٣٧.
(٢) زاد المسير ٥/ ٤٧٣، والكلام فيه عن أبي عبيدة، وهو في مجاز القرآن له ٢/ ٥٩.
(٣) ينظر النكت والعيون ٤/ ٥٤.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٣، وهو في زاد المسير ٥/ ٤٧٣.
(٥) أي: والأغثاء. والبيت بتمامه:

كأنَّ طَمِيَّةَ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً ... من السَّيْلِ والغُثَّاء فَلْكَةُ مِغْزَلِ

وهو في ديوانه ص٢٥. قال شارحُه: طَمِيَّة: اسم جبل، والمُجَيْمر: أرض لبني فَزارة، فشَبَّه الجبلَ به حين أحاط به السَّيْلُ والغُثَّاء فاستدار ما بقي منه بفَلْكَةِ المِغْزَل.
(٦) وأيضاً مثل تاء تَوْرَاة وتُخَمَة وتُراث وتُجاه، فإنها من الوَرْي والوَخامة والوِراثة والوَجْه. قاله السمين في الدر المصون ٨/ ٣٤٥-٣٤٦.

وينبغي أن تكون الألفُ فيه للإلحاق، كهي في عَلْقَى[(١)] المنوّن، وكَتْبُه بالياء يدلُّ على ذلك، ومن زعمَ أنَّ التنوينَ فيه كصَبْراً ونَصْراً فهو مخطئ لأنه يكون وزنه فَعْلاً، ولا يُحفظ فيه الإعراب في الراء فتقولَ: تَتْرٌ في الرفع، وتَتْرٍ في الجرّ، لكن ألف الإلحاق في المصدر نادر، ولا يلزمُ وجودُ النظير.

وقيل: تَتْرَى اسم جمع، كأَسْرَى وشَتَّى[(٢)].

المَعِين؛ الميمُ فيه زائدة، ووزنُه مفعُول، كمَخِيط، وهو المُشاهَدُ جَرْيُهُ بالعين، تقول: عانَهُ: أدركَه بعينِه، كقولك: كَبَدَهُ: ضَرَبَ كَبِدَهُ، وأدخلَه الخليل في باب: ع ي ن.

وقيل: الميم أصلية من باب مَعَنَ الشيءُ مَعَانةً: كَثُرَ، فوزنُه فعيل، وأجاز الفرَّاء الوجهين[(٣)]. وقال جرير:

إنَّ الذين غَدَوْا بِلُبِّكَ غادرُوا ... وَشَلًا بعينِكَ ما يزالُ مَعِينَا[(٤)]

الغَمْرَةُ: الجَهَالة، رجلٌ غَمْرٌ: غافلٌ لم يُجَرِّبِ الأمور، وأصلُه السَّتْر، ومنه الغِمْر: للحِقْد لأنه يغطِّي القلب، والغَمْرُ: الماءُ الكثير لأنه يغطِّي الأرضَ، والغَمْرَةُ: الماءُ الذي يَغْمُرُ القامةَ، والغَمَراتُ: الشدائد، ورجلٌ غامرٌ: إذا كان يُلْقِي نفسَه في المهالك، ودخلَ في غِمار الناس، أي: في زَحْمَتِهم.

الجُؤارُ مثل الخُوار، جَأَرَ الثورُ يجأَرُ: صاحَ، وجَأَرَ الرَّجلُ إلى الله: تَضَرَّعَ بالدُّعاء. قاله الجوهريّ. وقال الشاعر:

يُراوِحُ من صَلَوَاتِ المَلِيك ... فطَوْراً سُجوداً وطَوْراً جُؤَارَا[(٥)]

---

(١) عَلْقَى كسَكْرَى: نبتٌ يكون واحداً وجمعاً، قضبانُه دِقاقٌ عَسِرٌ رَضُّها، يُتَّخذ منه المكانس. (القاموس ـ علق).

(٢) نظر فيه السمين في الدُّر المصون ٨/ ٣٤٥ وقال: المشهور أن أسرى وشتَّى جمعا تكسير لا اسما جمع.

(٣) ينظر معاني القرآن له ٢/ ٢٣٧.

(٤) ديوان جرير ص٣٨٦.

(٥) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص١٠٣، وفيه: طوراً، وكذلك أورده الطبري ١/ ٧١٥ و١٧/ ٧٧، وهو برواية المصنف في المحرر الوجيز ٤/ ١٤٩. وينظر كلام الجوهري في الصحاح (جأر).

وقيل: الجُؤار: الصُّراخ باستغاثة، قال:

جَـآرٌ سـاعـاتِ الـنِّـيـامِ لـربِّـهِ(١)

السَّامِر مفرد بمعنى الجمع، يقال: قومٌ سامرٌ وسَمْرٌ، ومعناه: سَهَرُ الليل، مأخوذ من السَّمَر، وهو ما يقعُ على الشجر من ضوء القمر(٢)، وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر، والسميرُ الرفيقُ بالليل في السَّهر، ويقال له: السَّمَّار أيضاً، ويقال: لا أفعلُه ما سَمَرَ ابنا سمير(٣)، والسَّميرُ الدَّهر، وابناهُ الليلُ والنهار.

نكبَ عن الطريق ونكَّب بالتشديد: إذا عدلَ عنه.

اللَّجاجُ في الشيء: التَّمادِي عليه.

* * *

التفسير ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾.

هذه السورةُ مكيَّة بلا خلاف، وفي «المستدرك»(٤) للحاكم عنه ﷺ أنه قال:

---

(١) هو صدرُ بيت لربيعة بن مقروم من قصيدة له في الأغاني ٢٢/ ١٠١-١٠٢، وعَجُز البيت:
حتى تخدَّدَ لحمُه مستعمِلِ.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٦٥، وينظر الصحاح (سمر).

(٣) جمهرة الأمثال ٢/ ٢٨٢، وتفسير القرطبي ١٥/ ٦٦.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: الصحيح، بدل: المستدرك، والمثبت من (ح) و(يه)، وهو الصواب.

«لقد أُنزلت عليَّ عَشْرُ آيات، مَنْ أقامَهنَّ دخلَ الجنة». ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آيات[١].

ومناسبتُها لآخِرِ السورةِ قبلَها ظاهرة، لأنه تعالى خاطبَ المؤمنين بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ﴾ الآية، وفيها: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وذلك على سبيل الترجية، فناسبَ ذلك قولَه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ إخباراً بحصول ما كانوا رَجَوْهُ من الفلاح.

وقرأ طلحة بنُ مُصَرِّف وعَمْرُو بنُ عُبيد: «قد أُفْلِحَ المؤمنون» بضمِّ الهمزة وكسر اللام مبنيًّا للمفعول[٢]، ومعناه: أُدْخِلُوا في الفَلاح، فاحتملَ أن يكونَ من «فَلَحَ» لازماً، أو يكون «أفلحَ» يأتي متعدِّياً ولازماً.

وقرأ طلحة أيضاً: «قَدْ أَفْلَحُ» بفتح الهمزة واللام وضمِّ الحاء؛ قال عيسى بنُ عمر: سمعتُ طلحة بنَ مصرِّف يقرأ: «قد أفلحوا المؤمنون» فقلت له: أتلحنُ؟! قال: نعم، كما لحنَ أصحابي. انتهى. يعني أنَّ مَرْجُوعَه في القراءة إلى ما رَوَى وليس بلحن، لأنه على لغة: أكلوني البراغيث.

وقال الزمخشريّ: أو على الإبهام والتفسير[٣]. وقال ابنُ عطية: وهي قراءة مردودة[٤].

وفي كتاب ابنِ خالويه مكتوباً بواوٍ بعد الحاء، وفي «اللوامح»: وحُذفت واو الجمع بعد الحاء لالتقائهما في الدَّرْج، وكانت الكتابةُ عليها محمولةً على الوصل، نحو: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ﴾[٥] [الشورى: ٢٤].

---

(١) المستدرك ٢/ ٣٩٢، وهو قطعة من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٢٣) والترمذي (٣١٧٣) والنسائي في الكبرى (١٤٤٣). وأعله النسائي وابن أبي حاتم في العلل ٣/ ٧٥-٧٦ بجهالة يونس بن سُليم أحد رجال إسناده.

(٢) القراءات الشاذة ص٩٧، وتفسير الثعلبي ٤/ ٣١٦، والكشاف ٣/ ٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٥.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٦، وفيه قول عيسى بن عمر السالف.

(٥) قال السمين: ومنه: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾. ينظر الدر المصون ٨/ ٣١٥.

وقال الزمخشريّ: وعنه ـ أي: عن طلحة ـ: «أَفْلَحُ» بضمة بغير واوٍ اجتزاءً بها عنها، كقوله:

فَلَوْ أَنَّ الأَطِبَّا كَانُ حَوْلِي[1]

انتهى، وليس بجيِّد، لأنَّ الواو في «أَفْلَحُ» حُذفت لالتقاء الساكنين، وهنا حُذفت للضرورة، فليست مثلَها.

قال الزمخشريّ: «قَدْ» نقيضة «لمَّا»، هي تُثبِتُ المُتوقَّع، و«لمَّا» تنفيه، ولا شكَّ أنَّ المؤمنين كانوا متوقِّعين لمثلِ هذه البِشارة، وهي الإخبارُ بثباتِ الفلاح لهم، فخوطِبُوا بما دلَّ على ثبات ما توقَّعوه. انتهى.

والخشوعُ لغةً الخضوعُ والتذلُّل، وللمفسِّرين فيه هنا أقوال:

قال عَمرو بنُ دينار: هو السُّكُونُ وحُسْنُ الهيئة[2].

وقال مجاهد: غَضُّ البصر، وخفضُ الجَنَاح[3].

وقال مُسلم بنُ يسار وقتادة: تنكيسُ الرأس[4].

وقال الحسن: الخوف[5].

وقال الضَّحَّاك: وضعُ اليمين على الشِّمال[6].

وعن عليّ: تركُ الالتفاتِ في الصلاة[7].

---

(١) هو صدرُ بيت، وعجزُه: وكان مع الأطبَّاءِ الأُساةُ. أوردَه الفراء في معانيه ١/ ٩١ (البقرة: ١٥٠)، وهو الشاهد (٣٧٥) في خزانة الأدب ٥/ ٢٢٩، وسلف في الأنعام (١٥٤).

(٢) تفسير الثعلبي ٤/ ٣١٦، وعن مجاهد وإبراهيم والزُّهري في زاد المسير ٥/ ٤٦٠: السكون في الصلاة.

(٣) تفسير الثعلبي ٤/ ٣١٦، والنكت والعيون ٤/ ٤٦.

(٤) ذهبا إلى معنى ما رُوي أنه ﷺ كان إذا صلَّى رفع بصرَه إلى السماء، فنزلت الآية، فنكسَ رأسه. قاله ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٦٠.

(٥) زاد المسير ٥/ ٤٦٠، وبنحوه في تفسير الثعلبي ٤/ ٣١٦ عن الحسن وقتادة.

(٦) نُسب هذا القول في تفسير الثعلبي ٤/ ٣١٧ لقتادة.

(٧) زاد المسير ٥/ ٤٦٠، وبنحوه في تفسير القرطبي ٢/ ٧١.

وعن أبي الدَّرْدَاء: إعظامُ المقام، وإخلاصُ المَقَال، واليقينُ التامُّ، وجمعُ الاهتمام[١].

وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلِّي رافعاً بصرَه إلى السماء، فلمَّا نزلت هذه الآية رَمَى ببصرِه نحوَ مَسْجَدِه[٢].

ومن الخشوع أن يستعملَ الآدابَ، فيتَوَقَّى كفَّ الثَّوبِ والعبثَ بجسدِه وثيابِه والالتفاتَ والتَّمطِّيَ والتثاؤبَ والتغميضَ وتغطيةَ الفم والسَّدْلَ والفَرْقعةَ والتشبيك والاختصار وتقليبَ الحَصَى[٣].

وفي «التحرير»[٤]: اختُلف في الخشوع؛ هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكمِّلاتها؟ على قولين، والصحيحُ الأول، ومحلُّه القلب، وهو أوَّلُ عِلم يُرفع من الناس. قاله عُبادة بن الصامت[٥].

وقال الزمخشريّ: فإن قلتَ: لِم أُضيفَتِ الصلاةُ إليهم؟ قلتُ: لأنَّ الصلاةَ دائرةٌ بين المُصَلِّي والمُصَلَّى له، فالمُصَلِّي هو المنتفعُ بها وحدَه، وهي عُدَّتُه وذخيرتُه، فهي صلاتُه. وأمَّا المُصَلَّى له فغنيٌّ متعالٍ عن الحاجة إليها والانتفاعِ بها، اللَّغْوُ: ما لا يَعْنِيكَ من قولٍ أو فعلٍ، كاللَّعِبِ والهَزْلِ وما تُوجبُ المروءةُ اطِّراحَه، يعني أنَّ بهم من الجِدِّ ما يَشْغَلُهم عن الهَزْلِ، لمَّا وصفَهم بالخشوع في الصلاة

---

(١) تفسير النسفي ٣/ ١١٣، ونُسب القولُ في تفسير الثعلبي ٤/ ٣١٧ لابن أبي الورد.

(٢) أخرجه أبو داود بنحوه في المراسيل (٤٥) والطبري ١٧/ ٧ عن محمد بن سيرين مرسلاً. قال البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٢٨٣: هذا هو المحفوظ مرسل.

(٣) الكشاف ٣/ ٢٥. وقد وردت أحاديث في ترك الالتفات في الصلاة وترك العبث فيها وترك رفع البصر إلى السماء وترك الاختصار (وهو وضع اليد على الخاصرة) ينظر على التوالي صحيح البخاري (٧٥١) ومصنف عبد الرزاق (٣٣٠٩)، وصحيح مسلم (٤٢٨)، وصحيح ابن حبان (٢٢٨٦).

(٤) هو التحرير والتحبير لابن النقيب شيخ المصنف، ذكرَه في مقدمة الكتاب، وتكرَّر ذكره مراراً.

(٥) الكلام في تفسير القرطبي ١٥/ ٩-١٠. وفي هذا الموضع خلاف، والذي عليه جمهورُ الفقهاء أن الخشوع من سنن الصلاة وآدابها. وخبر عُبادة بن الصامت في رفع الخشوع أخرجه الترمذي (٢٦٥٣) وفيه قصة. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

أتبعَهم الوصفَ بالإعراض عن اللَّغو ليجمعَ لهم الفعلَ والتَّركَ الشاقَّين على الأنفس اللَّذَيْنِ هما قاعدتا بناء التكليف. انتهى.

وإذا تقدَّم معمول اسم الفاعل جاز أن تُقَوَّى تعديتُه باللام كالفعل، وكذلك إذا تأخَّر، لكنه مع التقديم أكثر، فلذلك جاء: «للزكاة» باللام، ولو جاء منصوباً لكان عَرَبيًّا.

والزكاة إنْ أُرِيدَ بها التزكيةُ صحَّ نسبةُ الفعل إليها، إذْ كلُّ ما يصدر يصحُّ أن يُقال فيه: فُعِلَ، وإنْ أُرِيدَ بالزَّكاة قَدْرُ ما يُخرَجُ من المال للفقير فيكون على حذف، أي: لأداءِ الزكاةِ فاعلون، إذْ لا يصحُّ فعلُ الأعيان من المزكِّي، أو يُضَمَّن «فاعلون» معنى: مؤدُّون، وبه شَرَحَهُ التبريزيّ.

وقيل: «للزكاة»: للعملِ الصالح، كقوله: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ [الكهف: ٨١] أي: عملاً صالحاً. قاله أبو مسلم(١).

وقيل: الزكاة هنا النَّماء والزيادة، واللامُ لامُ العلَّة، ومعمول «فاعلون» محذوف، التقدير: والذين هم لأجلِ تحصيلِ النَّماء والزيادة فاعلون الخيرَ.

وقيل: المصروفُ لا يسمَّى زكاةً حتى يحصلَ بيد الفقير.

وقيل: لا تسمَّى العينُ المخرَجةُ زكاةً، ، فكان التعبير بالفعل عن إخراجه أولى منه بالأداء. وفيه رَدٌّ على بعض زنادقة الأعاجم الأجانب عن ذوق العربية في قوله: ألا قال: مؤدُّون؟ قال في «التحرير والتحبير»: وهذا كما قيل: لا عقلَ ولا نقلَ، والكتابُ العزيز نزلَ بأفصح اللغات وأصحِّها بلا خلاف، وقد قال أمية بن أبي الصَّلْت(٢):

المُطْعِمُونَ الطعامَ في السَّنَةِ الأ زْمَةِ والفاعلونَ للزَّكَوَاتِ

ولم يردَّ عليه أحدٌ من فصحاء العرب، ولا طعنَ فيه علماءُ العربيَّة، بل جميعُهم يحتجُّون به ويستشهدون بقوله. انتهى.

---

(١) نقل الرازي في تفسيره ٢٣/ ٧٩ عن أبي مسلم قوله: فعلُ الزكاة يقعُ على كل فعل محمود مرضيّ، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾.

(٢) ديوانه ص٣٠، وهو في الكشاف ٣/ ٢٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ١١.

وقال الزمخشريّ: وحَمْلُ البيتِ على هذا أصحُّ، لأنها فيه مجموعة[١]. يعني على أنَّ الزكاةَ يُرادُ بها العين، وهو على حذف مضاف، أي: لأداء الزَّكَوَات، وعلَّل ذلك بجمعها، يعني أنها إذا أُرِيدَ بها العينُ صحَّ جمعُها، وإذا أُريدَ بها التزكيةُ لم تُجمع، لأنَّ التزكية مصدر، والمصادرُ لا تُجمع، وهذا غيرُ مسلَّم، بل قد جاء منها مجموعاً ألفاظ، كالعُلُوم والحُلُوم والأشغال، وأمَّا إذا اختلفت فالأكثرون على جواز جمعِها، وهنا اختلفت بحسب متعلَّقاتها، فإخراجُ النَّقدِ غيرُ إخراجِ الحيوان، وغيرُ إخراجِ النبات، والزَّكَوَاتُ في قول أميَّة ممَّا جاء جمعاً من المصادر، فلا يتعدَّى حملُه على المخرَج لجمعه.

و«حَفِظَ» لا يتعدَّى بـ «على» فقيل: «على» بمعنى «مِنْ»، أي: إلا مِنْ أزواجهم، كما استُعملت «مِنْ» بمعنى «على» في قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧] أي: على القوم. قاله الفرَّاء[٢]، وتبعَه ابنُ مالك وغيرُه، والأَوْلَى أن يكونَ من باب التضمين، ضمَّن «حافظون» معنى: مُمْسِكون، أو: قاصرون، وكلاهما يتعدَّى بـ «على» كقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وتكلَّفَ الزمخشريّ هنا وجوهاً، فقال: «على أزواجهم» في موضع الحال، أي: إلَّا وَالِينَ على أزواجهم، أو قوَّامين عليهنَّ، من قولك: كان فلان على فلانة، فماتَ عنها، فخلفَ عليها فلان، ونظيرُه: كان زيادٌ على البصرة، أي: والياً عليها، ومنه قولهم: فلانةٌ[٣] تحتَ فلان، ومن ثَمَّ سُمِّيتِ المرأةُ فِراشاً، أو تُعَلَّق «على» بمحذوف يدلُّ عليه: «غيرُ ملومين» كأنه قيل: يُلامون إلا على أزواجهم، أي: يُلامون على كلِّ مباشَر إلا على ما أُطلِقَ لهم، فإنهم غيرُ مَلُومين عليه، أو تجعله صلة لـ «حافظين» من قولك: احْفَظْ عَلَيَّ عِنَانَ فرسي، على تضمينه معنى النَّفي، كما ضمَّن قولُهم: نشدتك باللهِ إلا فعلتَ معنى: ما طلبتُ منك إلا فِعْلَكَ. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٦.

(٢) معاني القرآن له ٢/ ٢٣١.

(٣) في مطبوع البحر: فلان، وهو خطأ، وتحرَّفت اللفظة في مطبوع الكشاف ٣/ ٢٦ إلى «ثلاثة».

يعني أن يكون «حافظون» صورتُه صورةُ المُثبَت، وهو منفيّ من حيث المعنى، أي: والذين هم لم يحفظوا فروجَهم إلا على أزواجهم، فيكون استثناءً مُفرَّغاً متعلِّقاً فيه «على» بما قبلَه، كما مثَّلَ بـ «نشدتُك» الذي صورتُه صورةُ مُثبَت ومعناه النفي، أي: ما طلبتُ منك.

وهذه التي ذكرَها وجوهٌ متكلَّفة ظاهرٌ فيها العُجْمَة.

وقولُه: «أو ما ملكت» أُريد بـ «ما» النوع، كقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣].

وقال الزمخشري: أُرِيدَ من جنس العقلاء ما يجري مَجْرَى غير العقلاء، وهم الإناث. انتهى.

وقوله: وهم الإناث، ليس بجيِّد لأنَّ لفظ «هم» مختصٌّ بالذكور، فكان ينبغي أن يقول: وهو الإناث، على لفظ «ما» أو: هُنَّ الإناث، على معنى «ما».

وهذا الاستثناءُ حَدٌّ يجبُ الوقوفُ عنده، والتَّسَرِّي خاصٌّ بالرِّجال، ولا يجوزُ للنساء بإجماع، فلو كانت المرأةُ متزوجةً بعبدٍ فملكته فأعتَقَتْهُ حالةَ المِلْكِ؛ انفسخَ النكاح عند فقهاء الأمصار.

وقال النخعيّ والشعبيّ وعُبيد الله بن عَبد الله بن عُتبة: يبقيان على نكاحِهما(١).

وفي قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ دلالة على تعميم وطء ما ملكَ باليمين، وهو مختصٌّ بالإناث بإجماع، فكأنه قيل: أو ما ملكَتْ أيمانُهم من النساء، وفي الجمع بين الأختين من مِلْك اليمين وبين المملوكة وعمَّتِها أو خالتِها خلافٌ.

ويخصُّ أيضاً في الآية بتحريم وطء الحائِض والأمَة إذا زوِّجت والمظاهِر منها حتى يكفِّر.

ويشمل قولُه: «وراءَ ذلك» الزِّنى واللِّواطَ ومواقعةَ البهائم والاستمناء، ومعنى «وراءَ ذلك»: وراءَ هذا الحدّ الذي حُدَّ من الأزواج ومملوكات النساء.

---

(١) الاستذكار ١٦/ ٣١٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ١١. قال ابن عبد البرّ: ولا يقول هذا أحد من فقهاء الأمصار.

وانتصابُه على أنه مفعول بـ «ابْتَغَى» أي: خلافَ ذلك، وقيل: لا يكون «وراء» هنا إلا على حذف، تقديرُه: ما وراءَ ذلك.

والجمهورُ على تحريم الاستمناء، ويسمَّى الخضخضةَ وجَلْدَ عُميرة، يكنُون عن الذَّكَر بعُميرة، وكان الإمام أحمد بنُ حنبل يُجيزُ ذلك لأنه فضلةٌ في البَدَن، فجازَ إخراجُها عند الحاجة، كالفَصْدِ والحِجامة[١].

وسأل حَرْمَلةُ بنُ عبد العزيز مالكاً عن ذلك، فتلا هذه الآية[٢].

وكان جَرَى في ذلك كلامٌ مع قاضي القضاة أبي الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيريّ ابن دقيق العيد[٣]، فاستدلَّ على منع ذلك بما استدلَّ مالك من قوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ فقلتُ له: إنَّ ذلك خرجَ مخرجَ ما كانت العربُ تفعلُه من الزِّنى والتفاخُرِ بذلك في أشعارها، وكان ذلك كثيراً فيها بحيث كان في بغاياهم صاحباتُ رايات، ولم يكونوا يُنكرون ذلك، وأما جَلْدُ عُميرة فلم يكن معهوداً فيها، ولا ذَكَرَهُ أحدٌ منهم في أشعارهم فيما علمناه، فليس بمندرجٍ في قوله: «وراء ذلك»، ألا ترى أنَّ محلَّ ما أُبيح لهم هو نساؤهم بنكاح أو تَسَرٍّ، فالذي وراءَ ذلك هو من جنس ما أُحلَّ لهم وهو النساء، فلا يحلُّ لهم شيء منهنَّ إلا بنكاح أو تَسَرٍّ.

والظاهر أنَّ نكاح المتعة لا يندرجُ تحت قوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ لأنها ينطلق عليها اسم زوج[٤]، وسأل الزُّهريُّ القاسمَ بنَ محمد عن المتعة، فقال: هي محرَّمة في كتاب الله، وتلا ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ الآية. ولا يظهر التحريم في هذه الآية[٥].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٢٩٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٢، وقد نقل ابنُ رجب في قواعده ص٢٤٦ وغيرُه عن أحمد قولين: أصحُّهما أن الاستمناء حرام، والآخر أنه مكروه عند الضرورة، وينظر أيضاً كشاف القناع ٦/ ١٢٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٥/ ١١-١٢.

(٣) هو الفقيه الأصولي صاحب الإلمام بأحاديث الأحكام وغيره، توفي سنة (٧٠٢)هـ.

(٤) بنحوه في الكشاف ٣/ ٢٦-٢٧. وينظر التعليق التالي.

(٥) وذكر القرطبي ١٥/ ١٣ خلاف ذلك، قال: وهذا يقتضي تحريم نكاح المتعة، لأنَّ المتمتَّع بها لا تجري مجرى الزوجات، لا ترثُ ولا تُورث، ولا يُلحق بها ولدُها... وينظر تتمةُ كلامه، وقال هذا أيضاً الرازي ٢٣/ ٨٠. وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٢٩٩.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو في رواية: «لأمانتهم» بالإفراد، وباقي السبعة بالجمع[١].

والظاهر عمومُ الأمانات، فيدخلُ فيها ما ائتَمَنَ تعالى عليه العبدَ من قولٍ وفعلٍ واعتقاد، فيدخلُ في ذلك جميعُ الواجبات من الأفعال والتُّروك، وما ائتَمَنَهُ الإنسان.

قيل: ويحتمل الخصوصُ في أمانات الناس.

والأمانةُ: هي الشيءُ المؤتَمَنُ عليه، ومراعاتُها القيامُ عليها لحفظِها إلى أن تؤدَّى، والأمانةُ أيضاً المصدر، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. والمؤدَّى هو العينُ المؤتَمَنُ عليه، أو القولُ إن كان المؤتمنَ عليه، لا المصدر.

وقرأ الأخَوَان: «على صلاتهم» بالتوحيد، وباقي السبعة بالجمع[٢].

والخُشوع والمحافظةُ متغايران، بُدِئ أوَّلاً بالخُشوع وهو الجامعُ للمراقبة القلبية[٣]، والتذلُّلُ بالأفعال البدَنيَّة، وثنَّى بالمحافظة وهي تأديتُها في وقتها بشروطِها من طهارة المصلِّي وملبوسِه ومكانِه، وأداءُ أركانِها على أحسنِ هَيْئَاتِها، ويكونُ ذلك دَأْبَهُ في كلِّ وقت.

قال الزمخشريّ[٤]: ووُحِّدَتْ أولاً ليُفادَ الخشوعُ في جنس الصلاةِ أيِّ صلاةٍ كانت، وجُمعت آخِراً لتُفادَ المحافظةُ على أعدادِها، وهي الصلواتُ الخمس والوترُ والسُّننُ المرتَّبة مع كل صلاة وصلاةُ الجمعة والعيدين والجِنازةُ والاستسقاءُ والكسوفُ والخسوف وصلاةُ الضُّحى والتهجُّدُ وصلاةُ التسبيح وصلاةُ الحاجة، وغيرُها من النوافل.

«أولئك» أي: الجامعون لهذه الأوصاف «هُم الوارِثُون» الأحِقَّاءُ أن يُسَمَّوْا وُرَّاثاً دون مَنْ عَدَاهم.

---

(١) السبعة ص٤٤٤، والتيسير ص١٥٨ عن ابن كثير. والقراءة المشهورة عن أبي عمرو بالجمع.
(٢) المصدران السالفان. والأخَوَان هما حمزة والكسائي.
(٣) في (ح) و(يه): للمراقبة الأصلية القلبية.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٧.

ثم ترجمَ الوارثين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ فجاء بفخامةٍ وجزالةٍ لإرْثِهم لا تَخْفَى على الناظر، ومعنى الإرْث ما مرَّ في سورة مريم. انتهى.

وتقدَّم الكلام في الفِرْدَوْس في آخر الكهف.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الآية، لمَّا ذكَرَ تعالى أنَّ المتَّصفين بتلك الأوصاف الجليلة هم يرثون الفردوس فتضمَّن ذلك المعادَ الأخرويّ؛ ذَكَرَ النشأةَ الأولى ليستدلَّ بها على صحَّة النشأة الآخرة.

وقال ابنُ عطية: هذا ابتداءُ كلام، والواوُ في أوَّلِه عاطفةٌ جملةَ كلام[(١)] على جملة وإنْ تباينَتْ في المعاني. انتهى.

وقد بيَّنَّا المناسبةَ بينهما، ولم تتباين في المعاني من جميع الجهات.

و«الإنسان» هنا؛ قال قتادة وغيره، ورواه عن سلمان وابن عباس: آدم، لأنه انسلَّ[(٢)] من الطين.

«ثم جعلناه» عائدٌ على ابنِ آدمَ وإنْ كان لم يُذكر لشُهرةِ الأمر، وأنَّ المعنى لا يصلحُ إلَّا له، ونظيرُه: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾[(٣)] [ص: ٣٢].

أو على حذف مضاف، أي: ثم جعَلْنَا نَسْلَهُ، وعن ابن عباس أيضاً أنَّ الإنسان ابنُ آدم، و«سُلالة من طين»: صَفْوةُ الماء، يعني المنيّ، وهو اسمُ جنس، والطِّينُ يُرادُ به آدم[(٤)]، إذْ كانت نشأتُهُ من الطين كما سُمِّيَ عِرْقَ الثَّرَى[(٥)]، أو جُعل من الطين لكونه سُلالةَ من أبويه، وهما متغذِّيان بما يكون من الطِّين[(٦)].

(١) في المحرر الوجيز ٤/ ١٣٧ (والكلام منه): الكلام.
(٢) في المصادر: استُلَّ. ينظر تفسير الطبري ١٧/ ١٨، والنكت والعيون ٤/ ٤٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٧، وزاد المسير ٥/ ٤٦٢، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٧.
(٤) في تفسير القرطبي ١٥/ ١٨: من طين، أي إنَّ الأصل آدم، وهو من طين.
(٥) جاءت هذه التسمية في الشعر، ومنها بيت لامرئ القيس الذي صدرُه: إلى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتْ عروقي. وسلفَ أول سورة النساء.
(٦) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٣٧.

وقال الزمخشريّ[١]: خَلَقَ جوهرَ الإنسانِ أولاً طيناً، ثم جَعَلَ جوهرَهُ بعدَ ذلك نطفةً. انتهى. فجعلَ الإنسانَ جنساً باعتبار حالتَيْه لا باعتبار كلٍّ مردود منه.

و«مِنْ» الأولى لابتداء الغاية، و«من» الثانية قال الزمخشريّ: للبيان، كقوله: ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. انتهى. ولا تكون للبيان إلا على تقدير أن تكون السُّلالة هي الطِّين، أمَّا إذا قلنا: إنه ما انسَلَّ من الطِّين، فتكون لابتداء الغاية.

والقَرَارُ مكانُ الاستقرار، والمُراد هنا الرَّحِم، والمَكِين المتمكِّن، وُصف القرارُ به لتمكُّنِه في نفسِه بحيث لا يَعرِضُ له اختلال، أو لتمكُّن مَنْ يَحُلُّ فيه، فوُصف بذلك على سبيل المجاز، كقولهم: طريق سائر، لكونه يُسارُ فيه.

وتقدَّم تفسير النُّطفة والعَلَقة والمُضغة.

وقرأ الجمهور: «عظاماً»، و«العظام» بالجمع فيهما.

وقرأ ابنُ عامر وأبو بكر عن عاصم[٢]، وأبان والمفضَّل والحسن وقتادة وهارون والجُعفيّ ويونسُ عن أبي عمرو وزيدُ بنُ عليّ بالإفراد فيهما.

وقرأ السُّلميّ وقتادة أيضاً والأعرج والأعمش ومجاهد وابنُ محيصن بإفراد الأول وجمع الثاني[٣].

وقرأ أبو رجاء وإبراهيم بن أبي بكر ومجاهد أيضاً بجمع الأول وإفراد الثاني[٤].

فالإفراد يُرادُ به الجنس[٥]، وقال الزمخشري[٦]: وُضع الواحد موضع الجمع لزوالِ اللَّبس، لأنَّ الإنسان ذو عظام كثيرة. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٧.

(٢) السبعة ص٤٤٤، والتيسير ص١٥٨.

(٣) المحتسب ٢/ ٨٧ والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٨ عن الأربعة الأُول، قال ابن جنّي: واختُلف عنهم.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٨، وهي في المحتسب ٢/ ٨٧ عن مجاهد.

(٥) قال السمين الحلبي في الدرّ المصون ٨/ ٣٢٣: كقوله تعالى: ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤].

(٦) الكشاف ٣/ ٢٧.

وهذا لا يجوز عند سيبويه وأصحابِنا إلا في الضرورة، وأنشدوا:

كُلُوا في بعضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا[١]

ومعلومٌ أنَّ هذا لا يَلْبِس، لأنهم كلَّهم ليس لهم بطنٌ واحد، ومع هذا خَصُّوا مجيئه بالضرورة.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال ابنُ عباس والشعبيُّ وأبو العالية والضحَّاك وابنُ زيد: هو نفخُ الرُّوح فيه. وقال ابنُ عباس أيضاً: خروجُه إلى الدنيا. وقالت فرقة: نباتُ شعرِه. وقال مجاهد: كمالُ شبابه. وقال ابنُ عباس أيضاً: تصرُّفُه في أمور الدُّنيا.

قال ابنُ عطية[٢]: وهذا التخصيصُ لا وَجْهَ له، وإنَّما هو عامٌّ في هذا وغيرِه من وجود النُّطق والإدراك، وأولُ رتبةٍ من كونِه «آخَر» نفخُ الرُّوح، وآخِرُهُ تحصيلُه المعقولات إلى أن يموت. انتهى ملخَّصاً.

وهو قريبٌ ممَّا رواه العَوْفيّ عن ابن عباس[٣]، ويدلُّ عليه قولُه بعد ذلك: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾.

وقال الزمخشريّ ما ملخَّصُه: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ مبايناً للخلق الأول مباينةً ما أبعدَها، حيث جعلَه حيواناً ناطقاً سميعاً بصيراً، وأودَعَ كلَّ عضو وكلَّ جزء منه عجائبَ وغرائبَ لا تُدرَكُ بوصف ولا تُبلغ بشرح، وقد احتجَّ أبو حنيفة بقوله: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ على أنَّ غاصبَ بيضةٍ أفرخَتْ عنده يضمنُ البيضةَ ولا يردُّ الفرخ[٤].

---

(١) الكتاب ١/ ٢١٠، والمحتسب ٢/ ٨٧، وعجُزُه: فإنَّ زمانكم زمنٌ خَمِيصُ، وأورده الفرَّاء في معانيه ١/ ٣٠٧ برواية: كلوا في نصف بَطنِكُمُ تَعِيشوا، وهو الشاهد (٥٧٥) من خزانة الأدب ٧/ ٥٥٩، ومن أبيات سيبويه الخمسين التي لم يُعلم قائلُها كما ذكر البغدادي في الخزانة ٧/ ٥٦٤. وسلف في تفسير الآية (١٠) من سورةِ النساء وأول المائدة.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٨، والأقوال السالفة فيه، وينظر أيضاً تفسير الطبري ١٦/ ٢٢-٢٤، والنكت والعيون ٤/ ٤٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٩.

(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ٨٥، وهو في تفسير الثعلبي ٤/ ٣٢٠ مطوَّل.

(٤) قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٣٦: في المسألة خلافٌ كثير وكلامٌ طويل يُطلب من كتب الفروع المبسوطة.

وقال: ﴿أَنشَأْنَٰهُ﴾ جعلَ إنشاءَ الرُّوح فيه، وإتمامُ خلقِه إنشاءً له. قيل: وفي هذا ردٌّ على النَّظَّام[1] في زعمه أن الإنسان هو الرُّوحُ فقط، وقد بيَّن تعالى أنه مركَّبٌ من هذه الأشياء، وردٌّ على الفلاسفة في زعمهم أنَّ الإنسان شيء لا ينقسم.

و«تبارك» فعلٌ ماضٍ لا يتصرَّف، ومعناه: تعالى وتقدَّس.

و«أحسنُ الخالقين» أفعل التفضيل، والخلاف فيها إذا أُضيفت إلى معرفة هل إضافتها محضة أم غير محضة، فمن قال: محضة، أعربَ «أحسن» صفة، ومن قال: غيرُ محضة[2] أعربَه بدلاً[3].

وقيل: خبر مبتدأ محذوف تقديرُه: هو أحسنُ الخالقين.

ومعنى «الخالقين»: المقدِّرين، وهو وصفٌ يُطلقُ على غير الله تعالى كما قال زهير[4]:

ولأنتَ تَفْري ما خلقتَ وبَعْـ ـضُ القومِ يَخْلُقُ ثم لا يَفْري

قال الأعلم: هذا مَثَلٌ ضربَه، يعني زهيراً، والخالقُ الذي يُقَدِّرُ الأديمَ ويُهيِّئُهُ لأنْ يقطَعَه ويخرُزَه، والفَرْيُ القَطْعُ، والمعنى أنك إذا تهيَّأتَ لأمرٍ مضيتَ له وأنفَذْتَهُ ولم تَعْجِزْ عنه.

وقال ابنُ عطية[5]: معناه الصَّانعين، يقال لمن صنعَ شيئاً: خلقَه. وأنشدَ بيت زهير، قال: ولا تُنفى هذه اللفظة عن البشر في معنى الصُّنع، إنما هي منفيةٌ بمعنى الاختراع.

---

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ٨٥، والكلام السالف فيه.

(٢) من قوله: أم غيرُ محضة... إلى هذا الموضع، سقط من النسخ الخطية، وهو من مطبوع البحر، والنهر الماد بهامشه ٦/٣٩٦.

(٣) أعربَه بَدَلاً أبو البقاء في الإملاء ٢/١٤٨ ومنعَ أن يكون وصفاً. وقال السمين في الدُّرّ المصون ٨/ ٣٢٤: النعت أولى لأن البدل بالمشتق يقلُّ.

(٤) ديوانه ص٩٤، والبيت فيه من قصيدة له يمدحُ فيها هَرِمَ بنَ سِنان. وسلف في البقرة (٢١)، وآل عمران (٤٩).

(٥) المحرر الوجيز ٤/١٣٨.

وقال ابنُ جُرَيْج: قال: «الخالقين» لأنه أذِنَ لعيسى في أن يخلُقَ[١].

وتمييز أفعل التفضيل[٢] محذوف لدلالة «الخالقين» عليه، أي: أحسنُ الخالقين خَلْقاً، أي: المقدِّرين تقديراً. ورُوِيَ أنَّ عُمر لمَّا سمعَ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ إلى آخره، قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ فنزلت[٣].

ورُوِيَ أن قائل ذلك معاذ[٤]، وقيل: عبد الله بن أبي سَرْح، وكانت سببَ ارتدادِهِ ثم أسلَم وحَسُن إسلامُه[٥].

وقرأ زيد بنُ علي وابنُ أبي عَبْلَة وابنُ مُحيصن: «لَمَائِتُون» بالألِف[٦]، يريد حدوثَ الصِّفة، فيقال: أنت مائتٌ عن قليل، وميِّت، ولا يقال: مائت للذي قد مات.

قال الفرَّاء[٧]: إنَّما يقال في الاستقبال فقط. وكذا قال ابنُ مالك، وإذا قُصد استقبال المصوغة من ثلاثيّ على غير فاعل رُدَّت إليه ما لم يقدَّر الوقوع، يعني أنه لا يقال لمن مات: مائت.

---

(١) المصدر السالف، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢١. وأخرجه الطبري ١٧/ ٢٥ عنه بنحوه.

(٢) في (ح) و(يه): وتمييز أحسن الخالقين.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٢٤٤) والأوسط (٥٦٥٨) من حديث ابنِ عباس رضي الله عنهما. والخبر أعلاه في المحرر الوجيز ٤/ ١٣٨. وتفسير القرطبي ١٥/ ١٩، وفي آخره مرفوعاً: «هكذا أنزلت».

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٦٥٤) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه وفي إسناده جابر الجعفي؛ قال ابن كثير في تفسيره: ضعيف جداً، وفي خبره هذا نكارة شديدة، وذلك أن هذه السورة مكية، وإسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة.

(٥) تفسير الثعلبي ٤/ ٣٢١، والكشاف ٣/ ٢٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٨. وينظر الإصابة ٦/ ١٠١.

(٦) ينظر القراءات الشاذة ص٩٧، وتفسير الثعلبي ٤/ ٣٢١، والكشاف ٣/ ٢٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٨، ونقل القرطبي ١٥/ ٢٢ عن النحاس في معانيه ٤/ ٤٤٩ قوله: ويقال في هذا المعنى: لمائتون.

(٧) بنحوه في معانيه ٢/ ٢٣٢، ونقله المصنف عنه بواسطة زاد المسير ٥/ ٤٦٤، والكلام السالف قبله منه.

وقال الزمخشري[١]: والفرقُ بين الميّت والمائت أنَّ الميِّت كالحيّ صفة ثابتة، وأما المائت فيدلُّ على الحدوث، تقول: زيدٌ مائتٌ الآن ومائت غداً، كقولك: يموت، ونحوُهما ضيّق وضائق في قوله ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ [هود: ١٢] انتهى.

والإشارة بقوله: «بعد ذلك» إلى هذا التطوير والإنشاءِ خلقاً آخر، أي: وانقضاءِ مدَّةِ حياتِكم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦﴾ ونبَّه تعالى على عظيم قدرتِه بالاختراع أولاً، ثم بالإعدام، ثم بالإيجاد، وذكرُه الموتَ والبعثَ لا يدلُّ على انتفاء الحياة في القبر لأنَّ المقصودَ ذِكرُ الأجناس الثلاثة: الإنشاء والإماتة والإعادة، والحياةُ في القبر[٢] من جنس الإعادة.

ومعنى «تُبعثون» للجزاء.

فإنْ قيل: الموتُ مقطوعٌ به عند كلِّ أحد، والبعثُ قد أنكرَتْه طوائفُ واستبعدَتْه وإن كان مقطوعاً به من جهة الدليل لإمكانِهِ في نفسِه ومجيءِ السماع[٣] به، فوجبَ القطعُ به، فما بالُ جملة الموت جاءت مؤكَّدةً بـ «إنَّ» وباللام، ولم تؤكَّد جملة البعث [إلا][٤] بـ «إنَّ».

فالجوابُ أنه بُولِغَ في تأكيدِ ذلك تنبيهاً للإنسان أن يكونَ الموتُ نُصْبَ عينَيه ولا يَغْفُلَ عن ترقُّبِه، فإنَّ مآلَه إليه، فكأنَّه أُكِّدَتْ جملتُه ثلاثَ مِرارٍ لهذا المعنى، لأنَّ الإنسانَ في الحياة الدُّنيا يسعى فيها غايةَ السعي ويَكُدُّ ويَجمَعُ حتى كأنَّه مُخَلَّدٌ فيها، فنبه بذِكْرِ الموت مؤكَّداً مبالَغاً فيه ليقصر وليعلم أنَّ آخِرهُ إلى الفناء، فيعملَ لدارِ البقاء، ولم تؤكَّد جملة البعث إلَّا بـ «إنَّ» لأنه أُبرز في صورة المقطوع به الذي لا يُمكن فيه نزاع ولا يُقبل إنكار، أو أنه حَتْمٌ لا بدَّ من كيانِهِ فلم يحتج إلى توكيدٍ ثانٍ.

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٨.
(٢) في المصدر السالف (والكلام فيه): والمطويُّ ذِكرُها، بدل: والحياة في القبر. وسقطت لفظة «والحياة» من مطبوع البحر.
(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: السمع.
(٤) ما بين حاصرتين زيادة من عندي لضرورة السياق.

وكنتُ سُئلتُ: لِمَ دخلتِ اللام في قوله: «لميِّتون» ولَم تدخل في «تُبعثون»؟ فأجبتُ بأنَّ اللام مُخلِّصة المضارعَ للحال غالباً، فلا تُجامع يوم القيامة لأنَّ إعمال «تُبعثون» في الظرف المستقبل تخلِّصُه للاستقبال، فتُنافي الحال، وإنما قلت: غالباً، لأنه قد جاءت قليلاً مع الظرف المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النحل: ١٢٤] على أنه يحتمل تأويلُ هذه الآية وإقرارُ اللام مخلِّصةً المضارعَ للحال بأن يقدَّر عامل في «يوم القيامة».

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى ابتداءَ خلقِ الإنسانِ وانتهاءَ أمرِهِ، ذكَّره بنِعَمِه.

و«سبع طرائق» السماوات، قيل: لها طرائقُ لتطارقِ بعضِها فوقَ بعض، طارقَ النَّعلَ: جعلَه على نَعْلٍ، وطارقَ بين ثوبين: لبسَ أحدَهما على الآخر، قاله الخليل والفرَّاء والزجَّاج، كقوله: ﴿طِبَاقًا﴾[1] [نوح: ١٥].

وقيل: لأنها طرائقُ الملائكة في العُروج.

وقيل: لأنها طرائقُ الكواكب في مسيرها.

وقيل: لأنَّ لكلِّ سماءٍ طريقةً وهيئةً غيرَ هيئة الأخرى[2].

قال ابنُ عطية[3]: ويجوزُ أن تكون الطرائق بمعنى المبسوطات، من: طرقتُ الشيءَ. ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ نَفَى تعالى عنه الغفلة عن خلقه، وهو ما خلقه

(١) الكلام في تفسير الرازي ٢٣/ ٨٧. وفي معاني الفراء ٢/ ٢٣٢ والزجاج ٤/ ٩: «سبع طرائق» يعني السماوات، كل سماء طريقة. وينظر العين ٥/ ٩٧.
(٢) ينظر النكت والعيون ٤/ ٤٩، والكشاف ٣/ ٢٨، وتفسير الرازي ٢٣/ ٨٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٩.

تعالى، فهو حافظُ السماوات من السقوط، وحافظُ عبادِه بما يُصلِحُهم، أي: هم بمرأى منَّا نُدبِّرُهم كما نشاء.

«بِقَدَرٍ»: بتقديرٍ منَّا معلوم لا يزيدُ ولا ينقصُ بحسب حاجاتِ الخلقِ ومصالحِهِم.

﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جعلنا مقرَّهُ في الأرض، وعن ابن عباس: أنزلَ اللهُ من الجنَّة خمسةَ أنهار: جَيْحُون وسَيْحُون ودِجْلةَ والفُرات والنِّيل[١].

وفي قوله: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ دليلٌ على أنَّ مَقَرَّ ما نزلَ من السماء هو في الأرض، فمنه الأنهارُ والعيونُ والآبار، وكما أنزله تعالى بقدرتهِ هو قادرٌ على إذهابِهِ.

قال الزمخشريّ: «على ذهابٍ به» من أوْقَعِ النّكرات وأحزِّها للمفصل، والمعنى: على وجهٍ من وجوهِ الذهاب به وطريقٍ من طرقه. انتهى.

و«ذهاب» مصدر ذَهَبَ، والباء في «به» للتعدية مرادفة للهمزة، كقوله: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] أي: لأذهبَ سمعَهم، وفي ذلك وعيدٌ وتهديدٌ، أي: في قدرتنا إذهابُه، فتَهلِكُون بالعطش أنتم ومواشيكم، وهذا أبلغُ في الإيعاد من قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

وقال مجاهد: ليس في الأرض ماءٌ إلا وهو من السماء.

قال ابن عطية[٢]: ويمكن أن يُقيَّدَ هذا بالعَذْب، وإلا فالأُجاجُ ثابتٌ في الأرض مع القَحْط، والعَذْبُ يقلُّ مع القَحْط، وأيضاً فالأحاديثُ تقتضي الماءَ الذي كان قبلَ خلقِ السماواتِ والأرض، ولا محالةَ أنَّ الله قد جعلَ في الأرض ماءً، وأنزلَ من السماء ماءً. انتهى.

---

(١) هو قطعة من حديثه أخرجه عنه مرفوعاً ابن حبان في المجروحين ٣/ ٣٤-٣٥، والخطيب البغدادي في تاريخه ١/ ٥٧-٥٨، وابن مردويه كما في الدّرّ المنثور ٥/ ٨. وهو حديث ضعيف. وسَيْحُون نهرُ الهند، وجَيْحون نهر بَلْخ. وقال ابنُ عديّ في الكامل ٦/ ٢٣١٦: منكر المتن. والصحيح في هذا الباب ما أخرجه مسلم (٢٨٣٩) عن أبي هريرة مرفوعاً: «سَيْحان وجَيْحان والنيل والفرات، كلٌّ من أنهار الجنة».

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٩. وقول مجاهد السالف فيه وفي تفسير القرطبي ١٥/ ٢٣.

وقيل: ما نزلَ من السماء أصلُه من البحر، رفَعه تعالى بلطفه وحُسنِ تقديرِه من البحر إلى السماء حتى طابَ بذلك الرفع والتصعيد، ثم أنزله إلى الأرض ليُنتفعَ به ولو كان باقياً على حاله ما انتُفع به من ملوحته.

ولمَّا ذكرَ تعالى نعمةَ الماءِ ذكرَ ما ينشأُ عنه، فقال: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ﴾ وخصَّ هذه الأنواع الثلاثة من النخل والعنب والزيتون لأنها أكرمُ الشجر وأجمعُها للمنافع، ووصفَ النخلَ والعنبَ بقوله: «لكم فيها» إلى آخره، لأن ثمرَهما جامعٌ بين أمرين أنه فاكهةٌ يُتَفكَّهُ بها وطعامٌ يؤكل رَطْباً ويابساً، رُطَباً وعِنَباً، وتمراً وزبيباً، والزيتون بأنَّ دُهنَهُ صالحٌ للاستصباح والاصطباغ جميعاً، ويحتملُ أن يكونَ قولُه ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من قولهم: فلانٌ يأكلُ من حِرْفة يحترفُها، ومن ضَيْعةٍ يَغْتَلُّها[1]، ومن تجارة يتَربَّحُ بها، يعنون أنها طُعْمَتُهُ، وجهتُه التي منها يُحَصِّلُ رِزْقَه، كأنه قال: وهذه الجناتُ وجوهُ أرزاقِكم ومعايشكم، منها تُرتزقون وتتعيَّشون. قاله الزمخشريّ.

وقال الطبريّ[2]: وذكرَ النخيلَ والأعنابَ لأنها ثمرةُ الحِجازِ بالطائف والمدينة وغيرِهما.

والضمير في «لكم فيها»[3] عائد على الجنَّات، وهو أعمُّ لسائر الثمرات، ويجوز أن يعود على النخيل والأعناب.

وعطف «وشجرةً» على «جنات»، وهي شجرة الزيتون، وهي كثيرةٌ بالشام.

وقال الجمهور: «سيناء» اسمُ الجبل، كما تقول: جبلُ أُحُد[4]، من إضافة العامّ إلى الخاصّ.

---

(١) أي: يأخذ غَلَّتَها (وهي ما يُحَصَّلُ منها من أكل أو أُجْرَة)، ووقعَ في النسخ الخطية والمطبوع: صنعة، بدل: ضيعة. والمثبت من الكشاف ٣/ ٢٩، والكلام منه، وفي (ح) و(يه): يعملها، بدل: يغتلُّها.

(٢) بنحوه في تفسيره ١٧/ ٢٨، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/ ١٣٩.

(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: ولكم فيها، وهو خطأ. فاللفظ في هذا الموضع دون واو. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٣٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٠. قال الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٥١: صُحِّحَ القول بأنه اسم للبقعة.

وقال مجاهد: معنى «سيناء» مبارك. وقال قتادة: معناه الحَسَنُ، والقولان عن ابن عبَّاس. وقيل: الحَسَن بالحبشيَّة. وقيل: بالنَّبَطيَّة. وقال معمر عن فرقة: معناه ذو شجر[١].

وقيل: «سيناء» اسم حجارةٍ بعينها، أُضيف الجبلُ إليها لوجودها عنده. قاله مجاهدٌ أيضاً.

وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عَمرو والحسَن بكسر السِّين[٢]، وهي لغة لبني كِنانة.

وقرأ عمر بنُ الخطاب وباقي السبعة بالفتح، وهي لغةُ سائرِ العرب.

وقُرِئ[٣]: «سَيْنَى» مقصوراً وبفتح السِّين[٤].

والأصحُّ أنَّ «سَيْناء» اسم بُقعة، وأنه ليس مشتقاً من السَّنَاء لاختلاف المادَّتين على تقدير أن يكون «سَيْناء» عربيَّ الوضع، لأنَّ نون السَّنَاء عين الكلمة، وعينُ «سيناء» ياء.

وقرأ الجمهور: «تَنْبُتُ» بفتح التاء وضمّ الباء، والباءُ في «بالدُّهْن» على هذا باء الحال، أي: تَنْبُتُ مصحوبةً بالدُّهْن، أي: ومعَها الدُّهْن.

وقرا ابنُ كثير وأبو عَمرو وسلام وسهل ورُوَيْس والجَحْدَريّ بضمِّ التاء وكسرِ الباء[٥]، فقيل: «بالدُّهْن» مفعول، والباء زائدة، التقدير: تُنْبِتُ الدُّهْنَ.

وقيل: المفعول محذوف، أي: تُنْبِتُ جَنَاها، و«بالدُّهْن» في موضع الحال من المفعول المحذوف، أي: تُنبتُ جَنَاها ومعه الدُّهْن.

(١) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٢٩-٣١، والنكت والعيون ٤/ ٥٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٩، وزاد المسير ٥/ ٤٦٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٧. قال ابن عطية والقرطبي: ويلزمهم أن ينوِّنوا الطور.

(٢) السبعة ص٤٤٥، والتيسير ص١٥٩. والحِرْميَّان: نافع المدني، وابن كثير المكّيّ.

(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: وقرأ. وهو خطأ.

(٤) هي قراءة الأعمش كما في القراءات الشاذة ص٩٧، والكشاف ٣/ ٢٩، والدُّرّ المصون ٨/ ٣٢٦.

(٥) السبعة ص٤٤٥، والتيسير ص١٥٩ عن ابن كثير وأبي عمرو، وقراءةُ رُويس عن يعقوب من العشرة، كما في النشر ٢/ ٣٢٨.

وقيل: «أنْبَتَ» لازم كـ «نَبَتَ»، فتكون الباء للحال. وكان الأصمعيُّ يُنكر ذلك ويتَّهم من رَوَى في بيت زهير:

قَطِيناً بها حتى إذا أنْبَتَ البَقْلُ[1]

بلفظ: «أنبتَ»[2].

وقرأ الحسنُ والزُّهريُّ وابنُ هُرْمُز بضمِّ التاء وفتح الباء مبنيًّا للمفعول، و«بالدُّهْن» حال[3].

وقرأ زِرُّ بنُ حُبَيْش بضمّ التاء وكسر الباء «الدُّهْنَ» بالنصب[4].

وقرأ سليمان بنُ عبد الملك والأشهب: «بالدِّهان» بالألف[5].

وما روَوْا من قراءة عبد الله «تَخْرُجُ بالدُّهْنِ»[6] وقراءة أُبيّ: «تُثْمِرُ بالدُّهْنِ»[7] محمولٌ على التفسير لمخالفتِهِ سَوادَ المصحف المُجمعِ عليه، ولأنَّ الرِّوايةَ الثابتةَ عنهما كقراءة الجمهور.

---

(١) ديوان زهير ص١١١، وصدرُ البيت: رأيتُ ذوي الحاجات حول بيوتهم. وسلف في النحل (الآية: ١١). قال ثعلب في شرحه: القَطِين: الساكنُ النازل في الدار، أي: يلزمونهم فيَسْمَنُون عندهم.

(٢) أي إن الرواية: نَبَتَ. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٤٠، وروح المعاني ١٨/ ٥٣.

(٣) المحتسب ٢/ ٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٩، ونسبت في القراءات الشاذة ص٩٧ لعمر بن قيس.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٠.

(٥) المصدران السالفان، وهي في القراءات الشاذة ص٩٧ عن سليمان بن عبد الملك، وفي الكشاف ٣/ ٢٩ دون نسبة. ودِهان جمع دُهْن، مثل رُمْح ورِماح. قاله السمين في الدر ٨/ ٣٢٩.

(٦) اختلفت النسخ الخطية والمصادر في هذه القراءة، فالمثبت من (يه)، وهي كذلك في المحتسب ٢/ ٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٩، وهي في الكشاف ٣/ ٢٩ دون نسبة. وفي (ح): تُخْرِجُ الدُّهْنَ، وهي كذلك في تفسير الطبري ١٧/ ٣١، وفي الكشاف: تُخْرِجُ الدُّهْنَ وصِبْغَ الآكلين. وفي (أ) و(ع) والمطبوع: يُخْرِجُ الدُّهْنَ، وهي كذلك في القراءات الشاذة ص٩٧، وزاد ابنُ خالويه فيه نسبتها لطلحة.

(٧) القراءات الشاذة ص٩٧، والكشاف ٣/ ٢٩.

والصِّبْغُ: الغَمْسُ والائتدام، وقال مقاتل: الصِّبْغُ الزيتون، والدُّهْنُ الزيت، جعلَ تعالى في هذه الشجرة أُدْماً[١] ودُهْناً[٢].

وقال الكِرْمانيّ: القياسُ أن يكون الصِّبْغُ غيرَ الدُّهْن، لأنَّ المعطوفَ غيرُ المعطوفِ عليه.

وقرأ الأعمش: «وصِبْغاً» بالنصب[٣]، وقرأ عامر بنُ عبد الله: «وصِباغٍ» بالألف[٤]، فالنصبُ عطفٌ على موضع: «بالدُّهْن» كان في موضع الحال، أو في موضع المفعول، والصِّباغ كالدِّبْغ والدِّباغ.

وفي كتاب ابن عطية: وقرأ عامر بنُ عبد قيس: «ومتاعاً للآكلين»[٥]. كأنه يريد تفسير الصِّبْغ.

ذكرَ تعالى شرفَ مقرِّ هذه الشجرة، وهو الجبلُ الذي كلَّم الله فيه نَجِيَّهُ موسى عليه السلام، ثم ذكرَ ما فيها من الدُّهْنِ والصِّبْغِ ووصفَها بالبركة في قوله: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥].

قيل: وهي أولُ شجرةٍ نَبَتَتْ بعد الطُّوفان.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ تقدَّم تفسير نظير هذه الجملة في «النحل» [٦٦].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ من الحمل والرُّكوبِ والحَرْثِ، والانتفاعِ بجلودِها وأوبارِها،

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: تأدماً، والمثبت من المصادر التالية.
(٢) تفسير الواحدي ٣/ ٢٨٨، والبغوي ٣/ ٣٥ (بهامش الخازن)، والنسفي ٣/ ١١٧، والقرطبي ١٥/ ٣٠، ولفظُه عندهم: جعل الله في هذه الشجرة أُدْماً ودُهْناً (وفي النسفي: إداماً)، فالأُدْمُ الزيتون، والدُّهْنُ الزيت. قال القرطبي: فالصِّبْغُ على هذا الزيتونُ.
(٣) القراءات الشاذة ص٩٧، والكشاف ٣/ ٢٩.
(٤) المصدران السالفان، وهي في الكشاف دون نسبة.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ١١٠، وذكرها القرطبي أيضاً ١٥/ ٣٠. وعامر بن عبد قيس من عُبَّاد التابعين كان يُقرئ الناس. ينظر طبقات القراء ١/ ٣٥٠.

ونَبَّهَ على غَزارةِ فوائدِها والزمِها[١]، وهو الشُّرْبُ والأكلُ، وأدرجَ باقي المنافع في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾.

ثم ذكرَ ما تكادُ تختصُّ به بعضُ الأنعام، وهو الحملُ عليها، وقرَنَها بالفُلْكِ لأنَّها سفائنُ البَرِّ كما أنَّ الفُلْكَ سفائنُ البحر. قال ذو الرُّمَّة:

سَفِينةُ بَرٍّ تحتَ خَدِّي زِمَامُها[٢]

يريد «صَيْدَحَ» ناقتَهُ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

لمَّا ذكرَ أوَّلاً بدءَ الإنسانِ وتطوُّرَه في تلك الأطوار وما امتنَّ به عليه ممَّا جعلَه تعالى سبباً لحياتِهم وإدراكِ مقاصدِهم، ذكرَ أمثالاً لكفار قريش من الأمم السابقة المُنكِرةِ لإرسالِ اللهِ رُسُلاً المكذِّبةِ بما جاءَتْهم به الأنبياء عن الله، فابتدأَ قصَّةَ نوحٍ لأنه أبو البشر الثاني، كما ذكرَ أوَّلاً آدمَ في قوله: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾.

ولقصته أيضاً مناسبة بما قبلَها، إذْ قبلَها ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ فذكرَ قصةَ مَنْ

---

(١) في (ح) و(به): وأكرمها.

(٢) هو عجز بيت، وصدرُه: طُرُوقاً وجِلْبُ الرَّحْلِ مشدودةٌ به. وهو في ديوانه ٢/ ١٠٠٤ (بشرح أبي نصر الباهلي). وفي البيت قبله: ألا خَيَّلَتْ مَيٌّ وقد نام صُحْبَتي. . .، يريد: خَيَّلَتْ طُرُوقاً، أي: رَأَيْنا منها خيالاً جاء في المنام، والطُّرُوق الإتيانُ ليلاً. وجِلْب الرَّحْل: خشبةٌ بغير أداة، و«به» أي: بالجِلْب، وقولُه: تحت خدِّي زِمامُها، أي إنه قد عَرَّسَ، فزمامُها تحت خدِّه. ينظر شرح الديوان، والخزانة ٣/ ٤٢٠.

صنعَ الفُلكَ أوَّلاً، وأنه كان سببَ نجاةِ مَنْ آمنَ وهلكَ من لم يكن فيه، فالفُلْكُ من نعمةِ الله، كلُّ هذه القَصَصِ يُحَذِّرُ بها قريشاً نِقَمَ الله ويُذَكِّرُهُم نِعَمَه.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ جملةٌ مستأنفة منبِّهة على أن يُفْرَدَ بالعبادة مَنْ كانَ منفرداً بالإلهيَّة، فكأنَّها تعليلٌ لقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أي: أفلا تخافونَ عقوبتَه إذا عَبَدْتُم غيرَه؟ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟﴾ أي: كُبراءُ الناسِ وعظماؤهم، وهم الذين هم أعصى الناسِ وأبعدُهم لقبول الخير: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: مساويكم في البشريَّة، فأنَّى يكونُ[١] له اختصاص بالرسالة؟!

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلبَ الفضل عليكم ويرأسَكُم، كقوله: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨].

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ هذا يدلُّ على أنهم كانوا مُقِرِّينَ بالملائكة، وهذه شِنْشِنَةُ قريش ودَأْبُها في استبعاد إرسالِ اللهِ البشرَ.

والإشارة في «بهذا» تحتمل أن تكونَ لنوحٍ عليه السلام، وأن تكونَ إلى ما كلَّمهم به من الأمر بعبادة الله ورَفْضِ أصنامِهم، وأن يكون إلى ما أتى به من أنه رسولُ الله وهو بشرٌ، وأَعْجِبْ بضلالِ هؤلاء، استبعَدُوا رسالةَ البَشَر، واعتقدُوا أُلوهيَّة الحَجَر! وقولُهم: «ما سمعنا بهذا» الظاهرُ أنهم كانوا مُباهِتِين، وإلا فنبوَّةُ إدريس وآدم لم تكن المدة بينها وبينهم متطاولة بحيث تُنسى، فدافعُوا الحقَّ بما أمكنَهم دفاعَه، ولهذا قالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ ومعلومٌ عندهم أنه ليس بمجنون.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: انتظروا حالَهُ حتى ينجليَ أمرُه وعاقبةُ خبرِه.

فدَعا رَبَّه تعالى بأن ينصرَه ويُظفِرَه بهم بسبب ما كذَّبوه.

وقال الزمخشري: بَدَلَ ما كذبون[٢] كما تقول: هذا بذاك، أي: بَدَلَ ذاك ومكانَهُ، والمعنى: أبْدِلْني مِنْ غَمِّ تكذيبِهم سَلْوَةَ النصرِ عليهم، أو انصرني بإنجازِ

(١) في (أ) و(ع) و(يه) (وهي النُّسخ في هذا الموضع): «تؤفكون» بدل: «يكون»، والصواب ما أثبتُّه إن شاء الله.

(٢) أي: انصرني بَدَلَ ما كذَّبونِ. كما في الكشاف ٣/ ٣٠، والكلام السالف قبلَه فيه بنحوه.

ما وعدتَهم من العذاب، وهو ما كذَّبوه فيه حين قال لهم: ﴿إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. انتهى.

وقرأ أبو جعفر وابنُ مُحَيْصِن: «قال رَبُّ» بضم الباء[١]، وتقدَّم توجيهُه في قوله: «قُلْ رَبُّ احْكُم» بضم الباء[٢]، وتقدَّم الكلام على أكثر تفسير ألفاظ هذه الآية في سورة هود [٢٧].

ونهاه تعالى أنْ يُخاطبَه في قومه بدعاءِ نجاةٍ أو غيرِه، وبَيَّنَ علَّةَ النَّهي بأنه تعالى قد حكَم عليهم بالإغراق، وأمرَه تعالى بأن يحمَدَهُ على نجاتِهِ وهلاكِهم، وكان الأمرُ له وحدَه وإن كان الشَّرط[٣] قد شَمِلَه ومَنْ معه لأنه نبيُّهم وإمامُهم وهم متَّبعوه في ذلك، إذْ هو قدوتُهم، قال مع ما فيه[٤] من الإشعارِ بفضلِ النبوَّة وإظهارِ كبرياءِ الرُّبوبيَّة، وأنَّ رتبةَ تلك المخاطبةِ لا يَتَرَقَّى إليها إلا ملكٌ أو نبيّ. انتهى.

ثم أمرَه أن يدعوَه بأنْ[٥] يُنْزِلَهُ مُنْزَلاً مباركاً، قيل: وقال ذلك عند الرُّكوبِ في السَّفينة، وقيل: عند الخروج منها[٦].

وقرأ الجمهور: «مُنْزَلاً» بضمّ الميم وفتح الزاي، فجازَ أن يكون مصدراً ومكاناً، أي إنزالاً، أو مَوْضِعَ إنزال.

وقرأ أبو بكر والمفضَّل وأبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلَة وأبانُ بفتح الميم وكسر الزاي[٧]، أي: مكانَ نُزول.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٤١، ولم تُذكر في النشر عن أبي جعفر، ونسبَها ابنُ الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٧٠ لعكرمة وابن مُحَيْصِن.
(٢) آخر سورة الأنبياء.
(٣) يعني في قوله تعالى: فإذا استويتَ أنتَ ومن معك...
(٤) في الكشاف ٣/ ٣١ (والكلام فيه): فكان قولُه قولَهم مع ما فيه...
(٥) في النسخ الخطية والمطبوع: بأنه، والتصويب من النهر المادّ بهامش البحر ٦/ ٤٠١.
(٦) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٣٨، والنكت والعيون ٤/ ٥٣، وزاد المسير ٥/ ٤٧١، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٧.
(٧) السبعة ص٤٤٥، والتيسير ص١٥٩، وتفسير القرطبي عن أبي بكر (وهو ابنُ عيَّاش) وزاد القرطبي نسبتها معه للمفضَّل وزرّ بن حُبيش.

«إنَّ في ذلك» خطابٌ للرسول عليه الصلاة والسلام، أي: إنَّ في ما جَرَى على أمَّةِ نوحٍ لَدَلائلَ وعِبَراً ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ أي: لَمُصِيبين قومَ نوح ببلاء عظيم، أو لَمختبرين بهذه الآيات عبادَنا ليعتبروا، كقوله ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَـٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

ذِكْرُ هذه القصة عَقِيب قصة نوحٍ يُظهر أنَّ هؤلاء هم قومُ هود، والرسولُ هو هودٌ عليه السلام، وهو قولُ الأكثرين.

وقال أبو سليمان الدمشقي والطبري: هم ثمود، والرسولُ صالح عليه السلام(١)، هَلَكُوا بالصَّيحة، وفي آخر القصة: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ ولم يأت أنَّ قوم هود هَلَكُوا بالصَّيحة، وقصةُ قوم هود جاءت في «الأعراف» وفي «هود» وفي «الشعراء» بإثرِ قصةِ قومِ نوح، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾.

والأصل في «أَرْسَلَ» أن يتعدَّى بـ «إلى» كأخَوَاتِه: وَجَّهَ، وأَنْفَذَ، وبَعَثَ، وهنا عُدِّيَ بـ «في»، جُعلت الأمةُ موضعاً للإرسال كما قال رؤبة:

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٤٠ و٤٧، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٧١ عن أبي سليمان الدمشقي، وينظر تفسير القرطبي ١٥/ ٣٨. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ١٤٢: في جلّ الروايات ما يقتضي أن قوم عاد أقدم، إلا أنهم لم يهلكوا بصيحة، وفي هذا احتمالات كثيرة، والله أعلم.

أرسلت فيها مصعباً ذا إقحامِ[1]

وجاء «بَعَثَ» كذلك في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٨٩]. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١].

و«أنْ» في «أنِ اعبُدُوا الله» يجوز أن تكون مفسّرة، وأن تكون مصدرية.

وجاء هنا: «وقال الملأ» بالواو، وفي «الأعراف» وسورة هود في قصته بغير واو[2]، قُصد في الواو العطفُ على ما قالَه، أي: اجتمع قولُه الذي هو حقّ وقولُهم الذي هو باطل، كأنه إخبارٌ بتباين الحالَيْن، والتي بغير واوٍ قُصد به الاستئناف، وكأنه جوابٌ لسؤالٍ مقدَّر، أي: فما كان قولُهم له؟ قال: قالوا: كيت وكيت.

﴿بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: بلقاء الجزاءِ من الثواب والعقاب فيها.

«وأترفناهم» أي: بَسَطْنا لهم الآمالَ والأرزاقَ، ونعَّمْناهم. واحتملت هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة «الذين» وكان العطفُ مشعراً بغلبة التكذيب والكفر، أي: الحاملُ لهم على ذلك كونُنا نَعَّمْناهم وأحسنَّا إليهم، وكان ينبغي أن يكون الأمرُ بخلاف ذلك وأن يقابلُوا نعمتَنا بالإيمان وتصديقِ من أرسلتُه إليهم.

وأن تكون جملة حاليَّة، أي: وقد أترفناهم، أي: كذَّبُوا في هذه الحال، ويؤولُ هذا المعنى إلى المعنى الأول، أي: كذَّبُوا في حال الإحسان إليهم، وكان ينبغي أن لا يكفروا وأن يشكروا النعمةَ بالإيمان والتصديق لرسلي.

وقولُه: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ تحقيقٌ للبشرية، وحُكْمٌ بالتساوي بينه وبينهم، وأن لا مَزِيَّةَ له عليهم.

والظاهرُ أنَّ «ما» موصولة في قوله: ﴿مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ وأنَّ العائد محذوف تقديرُه: ممَّا تشربون منه، لوجود شرائط الحذف، وهو اتحاد المتعلَّق والمتعلِّق، كقولك:

---

(١) الكشاف ٣/ ٣١ (والكلام فيه)، ولم أقف عليه في ديوان رؤبة.

(٢) في «الأعراف» (٦٦): ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾، وفي «هود» (٥٣): ﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾. والكلام في الكشاف ٣/ ٣١.

مررتُ بالذي مررتَ. وحَسَّنَ هذا الحذفَ ورجَّحَه كونُ «تشربون» فاصلة، ولدلالة «منه» عليه في قوله: ﴿مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾.

وفي «التحرير»: وزعمَ الفرَّاء[1] أنَّ معنى قوله: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ على حذف، أي: ممَّا تشربون منه، وهذا لا يجوز عند البصريِّين، ولا يحتاج إلى حذف البتَّة، لأنَّ «ما» إذا كانت مصدراً لم تحتج إلى عائد، فإنْ جعلتَها بمعنى «الذي» حذفتَ المفعول، ولم تحتج إلى إضمار «مِن». انتهى.

يعني أنه يصير التقدير: ممَّا تشربونه، فيكون المحذوف ضميراً متصلاً، وشروطُ جوازِ الحذفِ فيه موجودة، وهذا تخريجٌ على قاعدة البصريِّين إلا أنه يفوِّتُ فصاحةَ معادلة التركيب، ألا ترى أنه قال: ﴿مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ﴾ فعدَّاه بـ «من» التبعيضية، فالمعادلة تقتضي أن يكون التقدير ممَّا تشربون منه، فلو كان التركيب: ممَّا تأكلونه؛ لكان تقدير: تشربونه، هو الراجح.

وقال الزمخشريّ[2]: حُذف الضمير، والمعنى: من مشروبِكم، أو حُذف «منه» لدلالة ما قبلَه عليه. انتهى.

فقولُه: حُذف الضمير، معناه: ممَّا تشربونه، وفسَّره بقوله: مشرويكم، لأن الذي تشربونه هو مشروبكم.

وقال الزمخشري: «إذاً» واقعٌ في جزاء الشرط، وجوابٌ للذين قاولوهم من قومهم، أي: تخسرون عقولكم وتُغْبَنُون في آرائكم. انتهى.

وليس «إذاً» واقعاً في جزاء الشرط، بل واقعاً بين «إنكم» والخبر، و«إنكم» والخبر ليس جزاءً للشرط، بل ذلك جملة جواب القسم المحذوف قبل «إنْ» الموطِّئة، ولو كانت «إنكم» والخبر جواباً للشرط للزمت الفاء في «إنكم» بل لو كان بالفاء في تركيب غير القرآن لم يكن ذلك التركيب جائزاً إلا عند الفرَّاء، والبصريُّون لا يُجيزونه، وهو عندهم خطأ.

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٣٤. وكتاب التحرير هو لابن النقيب شيخ المصنف، سلف ذكره مراراً، وفي المقدمة.
(٢) الكشاف ٣/ ٣١.

واختلف المعربون في تخريج «أنَّكم» الثانية، والمنقول عن سيبويه أنَّ «أنَّكم» بدل من الأولى، وفيها معنى التأكيد، وخبر «أنَّكم» الأولى محذوف لدلالة خبر الثانية عليه: تقديرُه: أنَّكم تُبعثون إذا متُّم. وهذا الخبر المحذوف هو العامل في «إذا».

وذهب الفرَّاء والجَرْميّ والمبرِّد إلى أنَّ «أنَّكم» الثانية كُرِّرت للتأكيد، لمَّا طال الكلام حسُن التكرار[1]، وعلى هذا يكون «مُخْرَجُون» خبر «أنكم» الأولى، والعامل في «إذا» هو هذا الخبر، وكأنَّ المبرِّد يأبَى البدل لكونه من غير مستقبل إذْ لم يذكر خبر «أنَّ» الأولى.

وذهب الأخفش[2] إلى أنَّ «أنَّكم مُخْرَجُون» مقدَّر بمصدر مرفوع بفعل محذوف تقديرُه: يحدثُ إخراجُكم، فعلى هذا التقدير يجوز أن تكون الجملة الشرطية خبراً لـ «أنَّكم»، ويكون جواب «إذا» ذلك الفعلُ المحذوف، ويجوز أن يكون ذلك الفعل المحذوف هو خبر «أنكم» ويكون عاملاً في «إذا».

وذكرَ الزمخشريّ قولَ المبرِّد بادئاً به، فقال: ثَنَّى «أنَّكم» للتوكيد، وحسَّن ذلك الفصلُ ما بين الأول والثاني بالظرف، و«مُخرجون» خبرٌ عن الأول[3]. وهذا قول المبرِّد.

قال الزمخشري: أو جَعْلِ «أنَّكم مخرجون» مبتدأ، و«إذا متُّم» خبراً على معنى: إخراجكم إذا مِتُّم، ثم أخبر بالجملة عن «أنَّكم». انتهى.

وهذا تخريج سهلٌ لا تَكلُّفَ فيه.

قال: أو رَفْعِ «أنكم مخرجون» بفعل هو جزاء الشرط، كأنه قيل: إذا متُّم وقعَ إخراجُكم. انتهى. وهذا قول الأخفش إلا أنه حَتَمَ أن تكونَ الجملة الشرطية خبراً عن «أنَّكم» ونحن جَوَّزْنا في قول الأخفش هذا الوجه، وأن يكون خبر «أنَّكم» ذلك الفعل المحذوف، وهو العامل في «إذا».

---

(١) ينظر معاني الفراء ٢/ ٢٣٤، والمقتضب ٢/٣٥٦، وهو في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٥٥ وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٩ عن الفراء والجَرْمي والمبرّد.

(٢) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤/٤٥٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٠.

(٣) الكشاف ٣/ ٣١.

وفي قراءة عبد الله: «أيَعِدُكم إذا متُّم» بإسقاط «أنَّكم» الأولى[١].

وقرأ الجمهور: «هيهاتَ هيهاتَ» بفتح التاءين، وهي لغة الحجاز، وقرأ هارون عن أبي عَمرو بفتحهما منوَّنتين، ونسبَها ابنُ عطيَّة لخالد بن إلياس[٢].

وقرأ أبو حَيْوَة بضمِّهما من غير تنوين[٣]، وعنه وعن الأحمر بالضمِّ والتنوين[٤]، وافقه أبو السمَّال في الأول وخالفه في الثاني[٥].

وقرأ أبو جعفر وشيبة بكسرهما من غير تنوين، ورُوِيَ هذا عن عيسى[٦]، وهي في تميم وأسَد، وعنه أيضاً وعن خالد بن إلياس بكسرهما والتنوين[٧].

وقرأ خارجة بن مصعب عن أبي عَمْرو والأعرج وعيسى أيضاً بإسكانهما[٨].

وهذه الكلمةُ تلاعبت بها العربُ تلاعباً كثيراً بالحذف والإبدال والتنوين وغيره، وقد ذكرنا في «التكميل لشرح التسهيل»[٩] ما يُنيفُ على أربعين لغة، فالذي أختارُه أنها إذا نُوِّنت وكُسرت أو كُسرت ولم تنوَّن لا تكون جمعاً لـ «هيهاتَ»، ومذهب سيبويه أنها جمع لـ «هيهاتَ» وكان حقُّها عندَه أن تكون «هَيْهَيَات»، إلا أنَّ ضعفَها لم يقتضِ إظهارَ الياء.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٤، والكشاف ٣/ ٣٢، والمحرر الوجيز ٤/ ١٣٤.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٣، وهي عن هارون عن أبي عَمرو في زاد المسير ٥/ ٤٧١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٣. ونُسبت في زاد المسير ٥/ ٤٧١-٤٧٢ لأبي المتوكل الناجي وسعيد بن جبير وعكرمة.
(٤) القراءات الشاذة ص٩٧، ونُسبت في المحتسب ٢/ ٩٠ والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٣ لأبي حَيْوة، ونُسبت في زاد المسير ٥/ ٤٧١ لابن مسعود وعاصم الجحدري وأبي حَيْوة الحضرمي وابنِ السَّمَيْقَع.
(٥) الدر المصون ٨/ ٣٣٨.
(٦) ينظر القراءات الشاذة ص٩٧، والمحتسب ٢/ ٩٠، وقراءةُ أبي جعفر هذه من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٢٨.
(٧) القراءات الشاذة ص٩٧، والمحتسب ٢/ ٩٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٠.
(٨) ينظر المصدران الأولان السالفان، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٣، وزاد المسير ٥/ ٤٧٢.
(٩) طُبع قسم منه، وينظر ارتشاف الضَّرَب للمصنِّف ٥/ ٢٣٠٢.

قال سيبويه: هي مثل: بيضات[١]، يعني في أنها جمع، فظنَّ بعضُ النحاة أنه أراد في اتفاق المفرد، فقال: واحدُ هيهات: هَيْهَة، وتحريرُ هذا كلِّه مذكورٌ في علم النحو[٢].

ولا تُستعمل هذه الكلمةُ غالباً إلا مكرَّرة، وجاءت غيرَ مكرَّرة في قول جرير:

وهيهاتَ خِلٌّ بالعقيقِ نُواصِلُهْ[٣]

وقول رؤبة:

هيهاتَ من مُنْخَرِقٍ هيهاؤُهُ[٤]

و«هيهات» اسم فعل لا يتعدَّى، يرفعُ الفاعلَ ظاهراً[٥] أو مضمراً، وهنا جاء التركيب: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لم يظهر الفاعل، فوجبَ أن يُعتقد إضمار تقديرُه: «هو» أي: إخراجُكم، وجاءت اللام للبيان، أي: أعني لِما توعدون، كهي بعد: «سُقْياً لك» فتتعلَّق بمحذوف، وبَيَّنت المستبعَدَ ما هو بعدَ اسم الفعل الدالّ على البُعد كما جاءت في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] لبيان المُهَيَّت به.

وقال الزجاج: البُعْدُ لما تُوعدون، أو: بُعْدٌ لِما توعدون[٦]. وينبغي أن يُجعلَ كلامُه تفسيرَ معنًى لا تفسيرَ إعراب، لأنه لم تثبت مصدريَّة «هيهات».

وقولُ الزمخشري: فمن نوَّنَه نزَّلَه منزلةَ المصدر، ليس بواضح لأنهم قد نوَّنُوا أسماءَ الأفعال، ولا نقول: إنها إذا نُوِّنت تنزَّلت منزلةَ المصدر.

---

(١) الكتاب ٣/ ٢٩٠-٢٩١.

(٢) ينظر أيضاً شرح الكافية ٣/ ١٨٣-١٨٤، وشرح الشافية ٢/ ٢٩١.

(٣) روايتُه في ديوان جرير ص٩٦٥: وأيهاتَ وَصْلٌ بالعقيق نواصلُه، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٤٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤١: وأيهاتَ خِلٌ... وصدرُه فيها: فأيهاتَ أيهاتَ العقيقُ ومَنْ به. وهو برواية «هيهات» في البيت في الخصائص ٣/ ٤٢، وشرح المفصَّل ٤/ ٣٥. قال ابن يعيش: العقيق وادٍ بالمدينة.

(٤) ديوان رؤبة ص٤. قال ابن جني في المحتسب ٢/ ٩٣ والخصائص ٣/ ٤٣: هو كقولك: بَعُدَ بُعْدُه.

(٥) رفَعَهُ ظاهراً كما في بيت جرير السالف.

(٦) معاني القرآن ٤/ ١٢، وذكره عنه أيضاً الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٢.

وقال ابنُ عطية[١]: طوراً تلي الفاعل دون لام، تقول: هيهات مجيءُ زيدٍ، أي: بَعُدَ، وأحياناً يكون الفاعل محذوفاً، وذلك عند اللام كهذه الآية، التقدير: بَعُدَ الوجودُ لِما توعدون. انتهى.

وهذا ليس بجيِّد، لأنَّ فيه حذفَ الفاعل، وفيه أنه مصدرٌ حُذف وأُبقيَ معمولُه، ولا يُجيز البصريُّون شيئاً من هذا.

وقال ابن عطية أيضاً في قراءة من ضمَّ ونوَّن: إنه اسم معرب مستقلّ، وخبرُه «لما توعدون» أي: البعدُ لِوَعْدِكم، كما تقول: النُّجْحُ لسعيك.

وقال صاحب «اللوامح»: فأمَّا من قال: «هيهاتٌ» فرفعَ ونوَّنَ، احتملَ أن يكونا اسمينِ متمكِّنَيْنِ مرتفعين بالابتداء، وما بعدَهما خبرُهما من حروف الجر، بمعنى: البُعْدُ لِما تُوعدون، والتكرار للتأكيد، ويجوزُ أن يكونا اسماً للفعل، والضمُّ للبناء مثل «حَوْبُ» في زجر الإبل، لكنه نُوِّنَ لكونه نكرة. انتهى.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «هيهاتَ هيهاتَ ما توعدون» بغير لام[٢]، وتكون «ما» فاعلة بـ «هيهات»، وهي قراءة واضحة.

وقالوا ﴿إِنْ هِيَ﴾ هذا الضمير يفسِّرُه سياقُ الكلام لأنهم قبلُ أنكروا المَعَاد، فقالوا: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾ الآية، فاستفهموا استفهام استبعاد وتوقيف واستهزاء، فتضمَّن أن لا حياة إلا حياتُهم.

وقال الزمخشريّ[٣]: هذا ضميرٌ لا يُعلم ما يُعنَى به إلا بما يتلوه من بيانه، وأصلُه: إنِ الحياةُ إلا حياتُنا الدُّنيا، ثم وضع «هي» موضع الحياة لأنَّ الخبر يدلُّ عليها ويُبيِّنها، ومنه: هي النفس تتحملُ ما حُمِّلَتْ[٤]، وهي العربُ تقولُ ما شاءت،

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٣.

(٢) المصدر السالف.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٢.

(٤) أورد الرازي ٢٣/ ٩٨ بدلاً منه: هي النفسُ ما حَمَّلْتَها تتحمَّلُ، وهو صدر بيت لعليّ بن الجَهْم، وعجزُه: وللدَّهرِ أيامٌ تجورُ وتعدلُ. ينظر طبقات ابن المعتز ص٣٢١، والأغاني ١٠/ ٢٠٢.

والمعنى: لا حياةَ إلا هذه الحياة الدنيا، لأنَّ «إنْ» النافية دخلت على «هي» التي هي في معنى الحياة الدالةِ على الجنس، فنَفَتْها، فوازَنَتْ «لا» التي نَفَتْ ما بعدَها نفيَ الجنس.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموتُ بعضٌ ويُولد بعضٌ، ينقرضُ قَرْنٌ ويأتي قَرْن. انتهى.

ثم أكَّدُوا ما حصرُوه من أنْ لا حياةَ إلا حياتُهم، وجزمُوا بانتفاء بعثِهم من قبورهم للجزاء، وهذا هو كفرُ الدَّهْرِيَّةِ، ثم نسبوه إلى افتراء الكذب على الله في أنه نبّأه وأرسلَه إلينا وأخبره أنَّا نُبعث.

﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بمصدِّقين.

ولمَّا أيسَ من إيمانهم ورأى إصرارَهم على الكفر دعا عليهم وطلبَ عقوبتَهم على تكذيبهم.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي: عن زمنٍ قليل، و«ما» توكيدٌ للقلَّة، و«قليل» صفة لزمن محذوف، وفي معناه: قريب، قيل: أي بعد الموت تصيرون نادمين.

وقيل: «عمَّا قليل» أي: وقتَ نزولِ العذاب في الدنيا ظهورُ علاماتِه والندامةُ على ترك قبولِ ما جاءهم به رسولهم حيث لا ينفعُ الرجوع[١].

واللام في «لَيصبحُنَّ» لام القسم، و«عمَّا قليل» متعلّق بما بعد اللام إمَّا بـ «يُصْبِحُنَّ» وإما بـ «نادمين» وجاز ذلك لأنه جارٌّ ومجرور، ويُتسامح في المجرورات والظروف ما لا يتسامح في غيرها، ألا ترى أنه لو كان مفعولاً به لم يَجُز تقديمُه، لو قلت: لأضربنَّ زيداً لم يجز: زيداً لأضربنَّ.

وهذا الذي قرَّرناه من أنَّ «عمَّا قليل» يتعلّق بما بعد لام القسم هو قولُ بعض أصحابنا، وجمهورُهم على أنَّ لام القسم لا يتقدَّم شيء من معمولات ما بعدَها عليها سواءٌ كان ظرفاً أو مجروراً أو غيرَهما، فعلى قول هؤلاء يكون «عمَّا قليل» يتعلق بمحذوف يدلُّ عليه ما قبلَه، تقديره: عمَّا قليلٍ تُنصر، لأن قبله: «قال ربِّ انصرني».

(١) ينظر تفسير الرازي ٢٣/٩٩.

وذهب الفرَّاء وأبو عبيدة إلى جواز تقديم معمول ما بعد هذه اللام عليها مطلقاً.

وفي «اللوامح» عن بعضهم: «لَتُصْبِحُنَّ» بتاء على المخاطبة، فلو ذهبَ ذاهبٌ إلى أن يصير القول من الرسول إلى الكفار بعد ما أُجيبَ دعاؤه لكان جائزاً، والله أعلم. انتهى.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ قال الزمخشريّ[١]: صيحةُ جبريل عليه السلام، صاحَ عليهم فدمَّرَهم ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالوجوب لأنهم قد استوجبُوا الهلاك، أو بالعدل من الله، من قولك: فلان يقضي بالحقّ: إذا كان عادلاً في قضاياه، شبَّههم بالغُثاء في دَمارهم، وهو حَمِيلُ السَّيْل مما بَلِيَ واسودَّ من الورق والعيدان. انتهى.

وعن ابن عباس: الصَّيحة: الرجفة، وقيل: هي نفسُ العذاب والموت، وقيل: العذابُ المصطلم. قال الشاعر:

صاحَ الزَّمانُ بآلِ زيدٍ صيحةً خَرُّوا لشَنَّتِها[٢] على الأذقانِ[٣]

وقال المفضَّل: «بالحقّ» بما لا مَدْفَع له، كقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

وانتصب «بُعْداً» بفعل متروك إظهارُه، أي: بَعُدُوا بُعْداً، أي: هلكوا، يقال: بَعُدَ بُعْداً وبَعَداً، نحو: رَشَدَ رُشْداً ورَشَداً[٤].

وقال الحَوْفي: «للقوم» متعلّق بـ «بُعْداً».

وقال الزمخشري: و«للقوم الظالمين» بيانٌ لمن دُعِيَ عليه بالبُعدْ، نحو ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣] و﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ انتهى. فلا يتعلق بـ «بُعْداً» بل بمحذوف.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢.
(٢) في (ح) و(يه): لشنعتها. وينظر التعليق التالي.
(٣) البيت في تفسير الرازي ٢٣/ ٩٩، وفيه: بآلِ بَرْمَكَ... خرُّوا لشدَّتها.
(٤) ذكر الزَّبيدي في تاج العروس (بعد) أن الأكثر على أنَّ البُعْد الذي هو خلاف القُرْب الفعلُ منه بالضم، ككرُم، والبَعَدُ محرَّكة الذي هو الهلاك الفِعْلُ منه بَعِدَ، بالكسر، كفرح.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

«قروناً» قال ابنُ عبَّاس: هم بنو إسرائيل[١]، وقيل: قصة لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله عليهم[٢].

﴿مَا تَسْبِقُ﴾ إلى آخر الآية، تقدَّم الكلام عليها في الحجر [٥].

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أي: لأممٍ آخَرين أنشأناهم بعد أولئك.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمْرو وقتادة وأبو جعفر وشيبة وابنُ محيصن والشافعي «تَتْرًى» منوناً[٣]، وباقي السبعة بغير تنوين، وانتصبَ على الحال، أي: متواترين واحداً بعد واحد.

وأضاف الرسلَ إليه تعالى، وأضاف رسولاً إلى ضمير الأمةِ المرسَلِ إليها، لأن الإضافة تكون بالملابسة، والرسولُ يُلابسُ المرسِلَ والمرسَلَ إليه[٤]، فالأول كانت الإضافة لتشريف الرُّسل، والثاني كانت الإضافة إلى الأمة حيث كذَّبته ولم ينجح فيهم إرسالُه إليهم فناسبَ الإضافةَ إليهم.

(١) الكشاف ٢/ ٣٢، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٥.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٣/ ١٠٠.
(٣) يعني وصلاً، وبإبدالها ألفاً وقفاً. وهي في السبعة ص٤٤٦، والتيسير ص١٥٩ عن ابن كثير وأبي عمرو، وفي النشر ٢/ ٣٢٨ عنهما وعن أبي جعفر.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٣.

﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي: بعضَ القرون أو بعضَ الأمم بعضاً في الإهلاك الناشئ عن التكذيب.

و«أحاديث» جمع حديث، وهو جمع شاذّ، أو جمعُ أُحْدُوثَة، وهو جمع قياسيّ، والظاهر أنَّ المراد الثاني، أي: صاروا يُتحدَّثُ بهم وبحالهم في الإهلاك على سبيل التعجُّب والاعتبارِ وضَرْبِ المَثَلِ بهم.

وقال الأخفش: لا يقال هذا إلا في الشرّ، ولا يقال في الخير، قيل: ويجوز أن يكون جمع «حديث»، والمعنى أنه لم يبقَ منهم عينٌ ولا أثرٌ إلا الحديثُ عنهم.

وقال الزمخشريّ: «الأحاديث» تكون اسم جمع للحديث، ومنه أحاديثُ رسول الله ﷺ. انتهى. وأفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع، وإنما ذكره أصحابُنا فيما شذَّ من الجموع، كقطيع وأقاطيع، وإذا كان «عَبادِيد» قد حكمُوا عليه بأنه جمعُ تكسير وهو لم يُلفظ له بواحد؛ فأَحْرَى «أحاديث»، وقد لُفِظَ له، وهو «حديث»، فالصحيح أنه جمعُ تكسير لا اسمُ جمع لما ذكرناه[1].

«بآياتنا» قال ابنُ عباس: هي التسع، وهي العصا، واليدُ، والجَرادُ، والقُمَّلُ، والضفادعُ، والدَّمُ، والبحرُ، والسِّنُونَ، ونقصٌ من الثمرات[2].

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ قيل: هي العصا واليد، وهما اللتان اقترنَ بهما التحدِّي، ويدخلُ في عموم اللفظ سائرُ آياتِهما، كالبحر، والمُرسَلات الستّ، وأمَّا غيرُ ذلك ممَّا جرى بعد الخروج من البحر فليست تلك لفرعون، بل هي خاصّة ببني إسرائيل[3].

وقال الحسن: «بآياتنا» أي: بديننا، و«سلطان مبين» هو المُعجز[4].

---

(١) في (ح) و(يه): وما ذكرناه أولى، بدل: «لما ذكرناه»، وسقط منهما قبله حوالي سطر.
(٢) تفسير الرازي ٢٣/ ١٠١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٤، وذكر فيه ابنُ عطية أن الآياتِ هي اليدُ والعصا اللتان اقترنَ بهما التحدِّي، وهما السلطان المبين.
(٤) قوله: هو المعجز، ليس من كلام الحسن. قال الرازي في تفسيره ٢٣/ ١٠١ بإثرِ إيرادِهِ قولَ الحسن: «بآياتنا، أي: بديننا» قال: واحتجَّ بأن المراد بالآيات لو كانت هي المعجزات والسلطان المبين أيضاً هو المعجز فحينئذٍ يلزم عطف الشيء على نفسه... ثم أورد حجَّة من تأوَّلَ ذلك.

ويجوز أن يُراد بالآيات نفسُ المعجزات، وبسلطان مبين كيفيةُ دلالتها، لأنها وإنْ شاركت آياتِ الأنبياء فقد فارقَتْها في قوَّة دلالتِها على قول موسى عليه السلام[1].

قيل: ويجوزُ أن يُراد بالسلطان المبين العصا لأنها كانت أمَّ آيات موسى وأُولاها، وقد تعلَّقت بها معجزاتٌ شتَّى من انقلابها حيَّةً وتلقُّفِها ما أفَكَتْهُ السَّحرة، وانفلاقِ البحر، وانفجارِ العيون من الحَجَر بالضَّرب بها، وكونِها حارساً، وشمعةً، وشجرةً خضراءَ مثمرةً، ودَلْواً، ورِشاءً، جُعلت كأنها ليست بعضَ الآيات لما استبدَّت به من الفضل، فلذلك عُطفت عليها، كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[2] [البقرة: ٩٨].

ويجوزُ أن يُراد بـ «سلطان مبين» الآياتُ أنفسُها، أي: هي آياتٌ وحجَّةٌ بيِّنةٌ، فاستكبروا عن الإيمان بموسى وأخيه أَنَفَةً.

﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ أي: رفيعي الحال في الدنيا، أو[3]: متطاولين على الناس قاهرين بالظلم، أو متكبِّرين، كقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤] أي: وكان من شأنهم التكبُّر.

والبَشَر يُطلق على المفرد والجمع، كقوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦]. ولما أُطلق على الواحد جازت تثنيتُه، فلذلك جاء: «لبشَرَيْن».

و«مثل» يوصفُ به المفرد والمثنّى والمجموع والمذكّر والمؤنَّث. ولا يؤنَّث، وقد يطابق تثنيةً وجمعاً.

و«قومُهما» أي: بنو إسرائيل «لنا عابدون» أي: خاضعون متذلِّلون، أو لأنه كان يدَّعي الإلهيَّة فادَّعى للناسِ العبادة، وأنَّ طاعتَهم له عبادة على الحقيقة[4].

وقال أبو عبيد: العربُ تسمِّي كلَّ مَنْ دانَ للملك عابداً.

---

(١) تفسير الرازي ٢٣/ ١٠١.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٣، والمصدر السالف.
(٣) في المطبوع: أي. وهو خطأ.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٣.

ولمَّا كان ذلك الإهلاك كالمعلولِ للتكذيب أعقبَه بالفاء، أي: فكانوا ممَّن حكم عليهم بالغَرَق، إذ لم يحصل الغرق عَقِيب التكذيب.

«موسى الكتاب» أي: قوم موسى؛ والكتاب: التوراة، ولذلك عادَ الضمير على ذلك المحذوف في قوله: «لعلَّهم»[١]، ولا يصحُّ عَوْدُ هذا الضمير في «لعلهم» على فرعون وقومه لأنَّ الكتابَ لم يُؤته موسى إلا بعد هلاك فرعون، لقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٤٣].

«لعلهم» ترجٍّ بالنسبة إليهم «لعلهم يهتدون» لشرائعها ومواعظِها.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ﴾ أي: قصَّتَهما، وهي آية عُظمى بمجموعها، وهي آيات مع التفصيل[٢]، ويحتمل أن يكون حُذف من الأول «آية» لدلالة الثاني، أي: وجعلنا ابنَ مريمَ آيةً وأمَّه آية[٣].

والرَّبوة هنا؛ قال ابن عبَّاس وابنُ المسيِّب: الغُوطة بدمشق، وصفتُها أنها ذاتُ قرارٍ ومَعِين على الكمال.

وقال أبو هريرة: رَمْلةُ فلسطين.

وقال قتادة وكعب: بيت المقدس، وزُعم أنَّ في التوراة أنَّ بيت المقدس أقربُ الأرض إلى السماء، وأنه يزيد على أعلى الأرض ثمانية عشر ميلاً.

وقال ابن زيد ووَهْب: الرَّبوة بأرض مصر[٤].

---

(١) نظر فيه السمين في الدر المصون ٨/ ٣٤٧ وقال: يجوزُ عَوْدُ الضمير على القوم من غير تقدير إضافتهم إلى موسى، وتكون هدايتُهم مترتِّبةً على إيتاء التوراة لموسى.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٥.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٣.

(٤) ينظر ما سلف في تفسير الطبري ١٧/ ٥٣-٥٦، والنكت والعيون ٤/ ٥٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٥، وزاد المسير ٥/ ٤٧٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٧-٤٨. قال ابنُ عطية: ويترجَّح أن الربوة بيتُ لحم من بيت المقدس، لأن ولادة عيسى هنالك كانت، وحينئذٍ كان الإيواء. وضعَّفَ ابنُ عطِية أنها بأرض مصر لأنه لم يُرو أن عيسى وأمه كانا هناك، ولا حُفظت لهما بها قصة.

وسببُ هذا الإيواء أنَّ مَلِكَ ذلك الزمان عزمَ على قتل عيسى، ففرَّت به أمُّه إلى أحدِ هذه الأماكن التي ذكرَها المفسرون.

وقرأ الجمهور: «رُبْوَة» بضمّ الراء، وهي لغة قريش، والحسنُ وأبو عبد الرحمن وعاصم وابنُ عامر بفتحها[١]، وأبو إسحاق السَّبيعي بكسرها[٢]، وابنُ أبي إسحاق «رُباوة» بضمّ الراء وبالألف[٣]، وزيدُ بنُ عليّ والأشهب العقيليّ والفرزدق والسُّلمي في نقل صاحب «اللوامح» بفتحها وبالألف[٤]. وقُرئ بكسرها وبالألف[٥].

«ذاتِ قرارٍ» أي: مستويةٍ يمكنُ القَرارُ فيها للحرث والغِراسة، والمعنى أنها من البِقاع الطيِّبة.

وعن قتادة: ذاتِ ثمارٍ وماء، يعني أنها لأجلِ الثمار يستقرُّ فيها ساكنوها[٦].

ونداء الرُّسل وخطابُهم بمعنى نداءِ كلٍّ واحد وخطابِه في زمانه، إذ لم يجتمعوا في زمانٍ واحد فيُنادَوْنَ ويخاطَبون فيه، وإنما أتَى بصورة الجمع ليعتقد السامعُ أنَّ أمراً نوديَ له جميعُ الرسل ووُصُّوا بهِ حقيقٌ أن يُؤخذَ به ويُعملَ عليه[٧].

وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ، وجاء بلفظ الجمع لقيامِهِ مَقَامَ الرسل.

(١) السبعة ص١٩٠ و٤٤٦، والتيسير ص٨٣ عن عاصم وابن عامر، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٥ عن الحسن وأبي عبد الرحمن (وهو السُّلَميّ).

(٢) هي في القراءات الشاذة ص٩٨ والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٥ عن ابن عباس، وزاد ابنُ عطية نسبتها لنصر عن عاصم.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٥، وجاءت في القراءات الشاذة ص٩٨ (يعني عن ابن أبي إسحاق) بكسر الراء.

(٤) المحرر الوجيز عن الأشهب العُقيلي، والقراءات الشاذة عن الفرزدق.

(٥) المحرر الوجيز دون نسبة أيضاً، ونُسبت في القراءات الشاذة لابن أبي إسحاق كما سلف قبل تعليق. قال ابن عطية: وكلُّها لغات قُرئ بها.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٥، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٨، وأخرج الطبري في تفسيره ١٧/ ٥٨ قول قتادة: ذات ثمار.

(٧) ينظر الكشاف ٣/ ٣٤، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٠٤.

وقيل: ليُفهم بذلك أنَّ هذه طريقةُ كلِّ رسول، كما تقول تُخاطب تاجراً: يا تجَّار، اتَّقوا الرِّبا[١].

وقال الطبريّ: الخطاب لعيسى ورُوِيَ أنه كان يأكلُ من غزلِ أمِّه[٢]، والمشهورُ من بَقْلِ البرِّيَّة.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يقعَ هذا الإعلامُ عند إيواء عيسى ومريم إلى الرَّبوة، فذُكِرَ على سبيل الحكاية، أي: آوَيْناهما وقلنا لهما هذا، أي[٣]: أعلمناهما أنَّ الرُّسلَ كلَّهم خُوطبوا بهذا، فكُلَا ممَّا رزقناكما واعملا صالحاً اقتداءً بالرُّسل.

و«الطيِّبات» الحلال لذيذاً كان أو غيرَ لذيذ، وقيل: ما يُستطاب ويُستلذّ من المآكل والفواكه، ويشهدُ له: «ذاتِ قرارٍ ومعين»، وقُدِّم الأكلُ من الطيِّبات على العمل الصالح دلالةً على أنه لا يكون صالحاً إلا مسبوقاً بأكل الحلال.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ تحذيرٌ في الظاهر، والمرادُ أتْبَاعُهم.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ الآية تقدَّم مثلُها في أواخر الأنبياء [٩٢].

وقرأ الكوفيُّون «وإنَّ» بكسر الهمزة والتشديد على الاستئناف، والحِرْميَّانِ وأبو عمرو بالفتح والتشديد، أي: ولأنَّ، وابنُ عامر بالفتح والتخفيف، وهي المخفَّفة من الثقيلة[٤]. ويدلُّ على أنَّ النداء للرُّسل نُودِيَ كلُّ واحدٍ منهم في زمانه قولُه: «وأنَّ هذه أمتكم» وقولُه: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾[٥].

وجاء هنا ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ وهو أبلغُ في التخويف والتحذير من قوله في «الأنبياء»: «فاعبدون» لأنَّ هذه جاءت عَقِيب إهلاك طوائفَ كثيرين من قوم نوح

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٤٦.
(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٥٩ عن عمرو بن شُرحَبيل، والكلام في المحرر الوجيز ٤/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٥٠. والكلام بعده لابن عطية.
(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: الذي، بدل: أي، والتصويب من الكشاف ٣/ ٣٤، والكلام منه.
(٤) السبعة ص٤٤٦، والتيسير ص١٥٩.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٤٦.

والأمم الذين من بعدهم، وفي «الأنبياء» وإن تقدَّمت أيضاً قصة نوح وما قبلَها فإنه جاء بعدَها ما يدلُّ على الإحسان واللُّطف التامِّ في قصة أيوب ويونس وزكريا ومريم، فناسبَ الأمرَ بالعبادة لمن هذه صفتُه تعالى.

وجاء هنا «فتقطَّعوا» بالفاء إيذاناً بأنَّ التقطيع اعتقبَ الأمر بالتقوى، وذلك مبالغةٌ في عدم قبولهم وفي نِفارهم عن توحيد الله وعبادتِه، وجاء في «الأنبياء» بالواو، فاحتملَ معنى الفاء، واحتملَ تأخّرُ تقطُّعِهم عن الأمر بالعبادة.

وفرحُ كلِّ حزبٍ بما لديه دليلٌ على تعمّقه[1] في ضلالِهِ، وأنه هو الذي ينبغي أن يُعتقد وكأنه لا رِيبةَ عنده في أنه الحقّ.

ولمَّا ذكرَ تعالى مَنْ ذكرَ من الأمم ومآل أمرِهم من الإهلاك حين كذَّبوا الرسل، كان ذلك مثالاً لقريش، فخاطبَ رسولَه في شأنهم بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ وهذا وعيدٌ لهم حيث تقطَّعوا في أمرِ رسول الله ﷺ، فقائلٌ: هو شاعر، وقائل: ساحر، وقائل: به جِنَّة، كما تقطَّع مَنْ قبلَهم من الأمم، كما قال: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

قال الكلبيّ: «في غَمْرَتِهم»: في جَهَالتهم، وقال ابنُ بَحْر[2]: في حَيْرَتِهم، وقال ابن سلَام[3]: في غفلتهم، وقيل: في ضلالتهم[4].

«حتى حين»: حتى ينزلَ بهم الموت، وقيل: حتى يأتيَ ما وُعِدُوا به من العذاب، وقيل: هو يومُ بدر، وقيل: هي منسوخة بآية السيف[5].

وقرأ الجمهور: «في غَمْرَتِهم»، وعليُّ بنُ أبي طالب وأبو حَيْوَة والسُّلَميّ: «في

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: نعمته، وهو تحريف، ولعلها: تعنُّته، والمثبت من النهر المادّ بهامش مطبوع البحر ٦/ ٤٠٧.
(٢) في النكت والعيون ٤/ ٥٨: ابن شجرة. وقول الكلبي السالف قبله فيه.
(٣) اسمُه يحيى كما في المصدر السالف (ووقع فيه تحريف).
(٤) هو قول مجاهد كما في تفسير الطبري ١٧/ ٦٤، وذكره الثعلبي ٤/ ٣٢٨ عن ابن عباس.
(٥) ينظر النكت والعيون ٤/ ٥٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٧، وزاد المسير ٥/ ٤٧٩، وتفسير القرطبي ١٥/ ٥٤.

غَمَرَاتهم» على الجمع[١]، لأنَّ لكلِّ واحد غَمْرَة، وعلى قراءة الجمهور فغَمْرَة تعمُّ إذا أُضيفَتْ إلى عامّ.

وقال الزمخشري: الغَمْرَة الماءُ الذي يغمُرُ القامة، فضُربت مثلاً لِما هم مغمورون فيه من جَهْلِهم وعَمايتِهم، أو شُبِّهوا باللاعبين في غَمْرَةِ الماء لِما هم عليه من الباطل، قال الشاعر:

كأنَّني ضاربٌ في غَمْرَةٍ لَعِبُ[٢]

سُلِّيَ رسولُ الله ﷺ بذلك، ونُهيَ عن الاستعجال بعذابهم والجزَع من تأخُّره. انتهى.

ثم وقفَهم تعالى على خطأ رأيِهم في أنَّ نعمة الله عليهم بالمالِ ونحوِه إنما هي لرضاه عن حالهم، وبيَّنَ تعالى أن ذلك إنما هو إملاءٌ واستدراجٌ إلى المعاصي واستجرارٌ إلى زيادة الإثم، وهم يحسبونه مسارَعةً لهم في الخيرات ومعاجلةً بالإحسان.

وقرأ ابنُ وثَّاب: «إنَّما نُمِدُّهم» بكسر الهمزة، وقرأ ابنُ كثير في رواية: «يُمِدُّهُم» بالياء[٣].

و«ما» في «أنَّما» إمَّا بمعنى «الذي» أو مصدرية، أو كافَّة مهيِّئة:

إنْ كانت بمعنى «الذي»، فصِلتُها ما بعدَها، وخبر «أنَّ» هي الجملة من قوله: «نُسارع لهم في الخيرات»، والرابط لهذه الجملة ضميرٌ محذوف لفهم المعنى، تقديرُه: نُسارع لهم به في الخيرات، وحسَّنَ حذفَه استطالةُ الكلام مع أَمْنِ اللَّبْس،

---

(١) هي في الكشاف ٣/ ٣٤ وتفسير الرازي ٢٣/ ١٠٥ عن علي ﷺ، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٤٧ عن السُّلَميّ (وهو أبو عبد الرحمن)، ونسبَها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٧٩ لابن مسعود وأُبيّ بن كعب ﷺ، وجاءت في القراءات الشاذة ص٩٨ دون نسبة.

(٢) هو عجز بيت لذي الرُّمَّة، وصدرُه: ليالِيَ، اللهوُ يَطْبِيني فأَتْبَعُهُ. وهو في ديوانه ١/ ٣٨.
وقوله: يَطْبِيني، أي: يدعوني؛ قال في الصحاح: طباه يَطْبُوه ويَطْبِيه: إذا دعاه.

(٣) القراءات الشاذة ص٩٨، ونسبَها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٧٩ لعكرمة وأبي الجوزاء، وذكر أيضاً عن أبي عمران الجَوْني أنه قرأ: نَمُدُّهم، بنون مفتوحة ورفع الميم.

وتقدَّم نظيرُه في قوله: «أنَّما نُمِدُّهم به»[١].

وقال هشام بن معاوية الضرير: الرابط هو الظاهرُ، وهو «في الخيرات» وكان المعنى: نُسارعُ لهم فيه، ثم أظهرَ فقال: في الخيرات، فلا حَذْفَ على هذا التقدير[٢]، وهذا يتمشَّى على مذهب الأخفش في إجازته نحو: زيدٌ قام أبو عبد الله، إذا كان «أبو عبد الله» كنيةً لزيد، فالخيراتُ من حيث المعنى هي الذي مُدُّوا به من المال والبنين.

وإن كانت «ما» مصدريَّة فالمسبوكُ منها وممَّا بعدَها هو مصدر اسم «أنَّ»، وخبر «أنَّ» هو «نُسارعُ» على تقدير: مسارعةٌ، فيكون الأصل: أنْ نُسارعَ، فحُذفت «أنْ» وارتفع الفعل والتقدير: أيحسبون أنَّ إمدادَنا لهم بالمال والبنين مسارعةٌ لهم في الخيرات.

وإن كانت «ما» كافَّة، مهيِّئةً ـ وهو مذهبُ الكسائي فيها هنا ـ فلا تحتاج إلى ضمير ولا حذف، ويجوز الوقف على «وبنين»، كما تقول: حسبتُ أنَّما يقوم زيد، وحسبتُ أنك منطلقٌ، وجاز ذلك لأنَّ ما بعد «حسبت» قد انتظم مسنَداً ومسنَداً إليه من حيث المعنى، وإن كان فيما يُقدّرُه مفرداً، لأنه ينسبك من «أنَّ» وما بعدها مصدر[٣].

وقرأ السُّلميّ وعبدُ الرحمن بن أبي بَكْرَة: «يُسارعُ» بالياء وكسر الراء[٤]، فإن

---

(١) كذا وقع، وإنما هذا اللفظ هو لفظ الآية المفسَّرة هنا، ولعله يريد آية آل عمران (١٧٨): ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ فيجوز في «ما» أن تكون بمعنى «الذي» أو مصدرية، لكن لا يجوز أن تكون كافَّة، لأنه يلزم عندها نصب «خير» بـ «نُملي»، وهي في الآية مرفوعة.

(٢) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١١٧ بنحوه عن هشام الضرير، واستبعدَه، وقال: أجازَ مثلَه سيبويه وأنشدَ: لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ... وقال مكّيّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٠٤: لم يُجز سيبويه هذا إلا في الشعر. وينظر تفسير القرطبي ١٥/ ٥٥. وهشام الضرير: هو ابنُ معاوية، صاحب الكسائي، وتوفي سنة (٢٠٩هـ).

(٣) ضعَّفَ الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ٩٧-٩٨ كون «ما» مصدرية أو كافَّة، وقال: كون «ما» موصولة هو الظاهر.

(٤) القراءات الشاذة ص٩٨، والمحتسب ٢/ ٩٤، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ٥٥، وأخرجها الطبري ١٧/ ٦٥-٦٦ عن ابن أبي بكرة.

كان فاعل «يُسارِعُ» ضمير يعود على «ما» بمعنى «الذي» أو على المصدر المنسبك من «ما نُمِدُّ» فـ «يُسارِعُ»[١] خبر لـ «أنَّ»، ولا ضمير ولا حذف، أي: يُسارِعُ هو، أي: الذي يُمِدُّهُ يُسارِعُ[٢] هو، أي: إمدادُنا.

وعن ابن أبي بَكْرَة المذكور بالياء وفتح الراء مبنيًّا للمفعول[٣].

وقرأ الحُرُّ النَّحْويّ: «نُسْرِعُ» بالنون مضارع «أسْرَعَ»[٤].

﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ إضرابٌ عن قوله: «أيحسبون» أي: بل هم أشباه البهائم، لا فِطنةَ لهم ولا شعورَ فيتأمَّلُوا ويتفكَّروا أهو استدراجٌ أم مسارعةٌ في الخير[٥]، وفيه تهديد ووعيد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

لمَّا فرغ من ذكر الكَفَرة وتوعُّدهم؛ عقَّب ذلك بذكرِ المؤمنين ووَعَدَهم وذَكَرَهم بأبلغ صفاتهم، والإشفاقُ أبلغُ التوقُّعِ والخوف[٦].

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: نُسارع (بالنون) وكذا في الموضع الذي قبله، وهو خطأ.
(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: الذي يُمِدُّ ويسارع هو، والمثبت من (ح) و(يه).
(٣) تفسير الثعلبي ٤/٣٢٨، والمحتسب ٢/ ٩٤، والمحرر الوجيز ٤/١٤٧، وتفسير القرطبي ١٥/٥٦. قال الثعلبي: والصواب قراءة العامة، لقوله سبحانه: «نُمِدُّهم».
(٤) المصادر السالفة دون الثعلبي، وتحرَّف اسم الحرّ في الدّرّ المصون ٨/ ٣٥٢ إلى: الحسن. والحُرُّ: هو ابنُ عبد الرحمن النحوي القارئ، سمع أبا الأسود الدُّؤلي، وعنه طلبَ القرآن، ينظر بغية الوعاة ١/ ٤٩٣.
(٥) بنحوه في الكشاف ٣/ ٣٥.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٧.

ومنهم من حمل الخشية على العذاب، والمعنى: والذين هم من عذاب ربِّهم مشفقون، وهو قول الكلبيّ ومقاتل[١].

و«من خشية» متعلق بـ «مشفقون» قاله الحَوْفي.

وقال ابن عطية: و«من» في «من خشية» هي لبيانِ جنس الإشفاق، والإشفاقُ إنما هو من عذاب الله.

والآياتُ تعمُّ القرآنَ والعِبَرَ والمصنوعاتِ التي للهِ تعالى وغيرَ ذلك ممَّا فيه نظر:

وفـــي كـــلِّ شـــيء لـــه آيـــةٌ[٢]

ثم ذكرَ نفيَ الإشراكِ، وهو عبادتُهم آلهتَهم التي هي الأصنام، إذْ لكفَّارِ قريشٍ أن تقول: نحنُ نؤمنُ بآيات ربِّنا ونصدِّقُ بأنه المخترِعُ الخالق[٣].

وقيل: ليس المراد منه الإيمانَ بالتوحيد ونفيَ الشركِ[٤] لله، لأنَّ ذلك داخلٌ في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [بل] المرادُ نفيُ الشرك الخفيّ[٥]، وهو أن يُخلصوا في العبادة، لا يُقْدَمُ عليها إلا لوجهِ اللهِ وطلبِ رضوانه.

وقرأ الجمهور: «يُؤْتُون ما آتَوْا» أي: يُعْطُون ما أعْطَوْا من الزَّكاة والصَّدقات.

﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أي: خائفةٌ أنْ لا يُقبَلَ منهم لتقصيرهم. «أنهم» أي: وَجِلةٌ لأجلِ رجوعِهم إلى الله، أي: خائفةٌ لأجلِ ما يتوقَّعون من لقاء الجزاء.

وقال ابنُ عباس وابنُ جُبير: هو عامٌّ في جميع أعمالِ[٦] البِرّ، كأنَّه قال: والذين يفعلون[٧] من أنفسهم في طاعة الله ما بلغَه جُهْدُهم.

---

(١) تفسير الرازي ٢٣/١٠٦، وينظر المصدر السالف.
(٢) هو صدر بيت مشهور لأبي العتاهية، وعجزُهُ: تدلُّ على أنه واحدُ. وهو في ديوانه ص١٠٤.
(٣) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤/١٤٧.
(٤) في تفسير الرازي ٢٣/١٠٧ (والقول فيه): الشريك.
(٥) في النسخ الخطية والمطبوع: للحق. والتصويب من تفسير الرازي، وما سلف بين حاصرتين منه.
(٦) المحرر الوجيز ٤/١٤٧، والكلام بعده لابن عطية.
(٧) في المصدر السالف: يُعطون، وهو المناسب لتفسير «يُؤْتُون»، وسلف كذلك.

وقرأت عائشة وابنُ عبَّاس وقتادة والأعمش والحسن والنَّخَعي: «يَأْتُون ما أَتَوْا» من الإتيان، أي: يفعلون ما فعلوا[١]؛ قالت عائشة لرسول الله ﷺ: هو الذي يزني ويسرقُ ويشربُ الخمر، وهو على ذلك يخافُ الله؟! قال: «لا يا ابنةَ الصِّدِّيق، ولكنَّه هو الذي يُصَلِّي ويصومُ ويتصدَّقُ، وهو على ذلك يخافُ اللهَ أن لا يقبل»[٢].

قيل: وَجَلُ العارفِ من طاعته أكثرُ من مخالفته، لأنَّ المخالفة تمحوها التوبةُ، والطاعةُ تطلبُ التصحيح.

وقال الحسن: المؤمنُ يجمعُ إحساناً وشفقةً، والمنافقُ يجمعُ إساءةً وأَمْناً[٣].

وقرأ الأعمش: «إنَّهم» بالكسر[٤].

وقال أبو عبد الله الرازي[٥]: ترتيبُ هذه الصِّفات في نهاية الحُسْن، لأنَّ الأولى دلَّت على حصول الخوف الشديد الموجِبِ للاحتراز، والثانية على تحصيل الإيمان بالله، والثالثة على ترك الرِّياء في الطاعة، والرابعة على أنَّ المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات مع خوفٍ من التقصير، وهو نهايةُ مقامات الصِّدِّيقين. انتهى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ﴾ جملة في موضع خبر «إنَّ»، قال ابنُ زيد: الخيراتُ: المخافة[٦]، والإيمان، والكفُّ عن الشِّرك.

قال الزمخشري[٧]: «يسارعون في الخيرات» يحتمل معنيين: أحدُهما أنْ يُراد: يرغبُون في الطاعات أشدَّ الرَّغبة، فيُبادرونها.

---

(١) ينظر القراءات الشاذة ص٩٨، والمحتسب ٢/ ٩٥، والكشاف ٣/ ٣٥، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٨، وزاد المسير ٥/ ٤٨٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٥٧.

(٢) هو في مسند أحمد (٢٥٧٠٥) وسنن الترمذي (٣١٧٥)، وتفسير الطبري ١٧/ ٧٠-٧١، والتفاسير المذكورة آنفاً، وضعَّف محقِّقو المسند إسناده لانقطاعه، وينظر معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٦٨-٤٦٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٨.

(٤) المصدر السالف، قال ابن عطية: على إخبارٍ مقطوع في ضمنه تخويف.

(٥) تفسيره ٢٣/ ١٠٧.

(٦) تحرفت اللفظة في المطبوع إلى: المخافتة، والقول في تفسير الطبري ١٧/ ٧٢.

(٧) الكشاف ٣/ ٣٥.

والثاني أنهم يتعجَّلون في الدُّنيا المنافعَ ووجوهَ الإكرام، كما قال: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]. ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت:٢٧] لأنهم إذا سُورِعَ بها لهم فقد سارعوا في نَيْلِها وتعجَّلوها، وهذا الوجهُ أحسنُ طِباقاً للآية المتقدّمة، لأنَّ فيه إثباتَ ما نَفَى عن الكفَّار للمؤمنين. انتهى.

وقرأ الحرُّ النحويّ: «يُسْرِعُونَ» مضارع «أَسْرَعَ»، يقال: أسرعتُ إلى الشيء وسَرُعْتُ إليه بمعنًى واحد[١]، وأمَّا المسارعة فالمسابقة، أي: يُسارعون غيرهم.

قال الزجَّاج: «يُسارعون» أبلغُ من «يُسْرِعون»[٢]. انتهى.

وجِهةُ المبالغة أن المُفاعلة تكون من اثنين، فتقتضي حَثَّ النفسِ على السَّبْق، لأنَّ مَنْ عارضَك في شيء تشتهي أنْ تغلبَه فيه.

﴿وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ الظاهرُ أنَّ الضميرَ في «لها» عائدٌ على الخيرات، أي: سابقون إليها، تقول: سَبَقْتُ لكذا، وسَبَقْتُ إلى كذا.

ومفعول «سابقون» محذوف، أي: سابقون الناسَ، وتكون الجملة تأكيداً للتي قبلَها مفيدةً[٣] تجدُّدَ الفعلِ بقوله: «يسارعون» وثبوتَه بقوله: «سابقون».

وقيل: اللام للتعليل، أي: لأجلها سابقون الناسَ إلى رضا الله[٤].

وقال الزمخشريّ: «لها سابقون» أي: فاعلون السَّبْقَ لأجلها، أو سابقون الناسَ لأجلها. انتهى. وهذان القولان عندي واحد.

---

(١) في المخصص السفر ٣/ ٣٧-٣٨ عن العين: سَرَعَ وسَرُعَ سَرَاعةً وسِرْعاً وسَرْعاً، وأسرعَ، فهو سَرِعٌ وسريع وسُرَاع. وقال صاحب اللسان (سرع): فرَّق سيبويه بين سَرُعَ وأسرع، فقال: أسرع: طلبَ ذلك من نفسه وتكلَّفَه، وأما سَرُعَ فكأنها غريزة. وتنظر القراءة في المحتسب ٢/ ٩٦، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٨.

(٢) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ١٧، وهو بلفظه عنه في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١١٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ٥٩.

(٣) في (ح) و(يه): مقيَّدة.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٤٨.

وقال أيضاً: أو إيَّاها سابقون، أي: ينالونها قبل الآخرة حيث عُجِّلَتْ لهم في الدنيا. انتهى.

ولا يدلُّ لفظ «لها سابقون» على هذا التفسير لأنَّ سَبْقَ الشيءِ الشيءَ يدلّ على تقدُّم السابق على المسبوق، فكيف يقال لهم: وهم يسبقون[1] الخيرات؟ هذا لا يصحّ[2].

وقال أيضاً: ويجوزُ أن يكون «لها سابقون» خبراً بعدَ خبر، ومعنى «وهم لها» كمعنى قوله: أنتَ لها[3]. انتهى.

وهذا مرويّ عن ابن عباس، قال: المعنى: سبقَتْ لهم السعادةُ في الأزَل، فهُم لها، ورجَّحَهُ الطبريّ بأن اللام متمكّنة في المعنى. انتهى[4].

والظاهر القول الأول وباقيها متعسِّفٌ وتحميلٌ للَّفظِ غيرَ ظاهرِه.

وقيل: الضمير في «لها» عائدٌ على الجنة، وقيل: على الأمم.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ تقدَّم الكلامُ على نظير هذه الجملة في آخر البقرة [٢٨٦].

﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: كتابٌ فيه إحصاءُ أعمالِ الخلق، يشير إلى الصُّحف التي يقرؤون فيها ما ثبتَ لهم في اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: قلوبُ الكفار في ضلالٍ قد غمرَها كما يَغمُر الماءُ.

«من هذا» أي: من هذا العمل الذي وُصف به المؤمنون، أو من الكتاب الذي لدينا، أو من القرآن، والمعنى: من اطِّراحِ هذا وتركِهِ[5]، أو يشير إلى الدِّين بجملته، أو إلى محمد ﷺ، أقوالٌ خمسة.

---

(١) في (ح) و(يه): فكيف يقال هم يسبقون... الخ.
(٢) ينظر تعقب السمين الحلبي للمصنف في هذا الموضع والذي قبله في الدر المصون ٨/ ٣٥٤-٣٥٥. ووقع في (ح) و(يه): هم، بدل: لهم وهم.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٥، واستشهد بقول الراجز: أنتَ لها أحمدُ من بينِ البشر.
(٤) تفسير الطبري ١٧/ ٧٢-٧٣، والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٤/ ١٤٨.
(٥) أي: هم في غمرة من اطّراح هذا وتركه... الخ. وينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٤٩.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من دون الغمرة والضلال المحيط بهم، فالمعنى أنهم ضالون معرضون عن الحقّ وهم مع ذلك لهم سعايات فساد، فوصفَهم[١] تعالى بحالتي شرّ. قال هذا المعنى قتادة وأبو العالية، وعلى هذا التأويل: الإخبارُ عمَّا سلفَ من أعمالهم وعَماهُم فيه.

وقيل: الإشارة بذلك إلى قوله: «مِنْ هذا»، فكأنه قال: لهم أعمالٌ من دون الحقّ أو القرآن ونحوه.

وقال الحسن ومجاهد: إنما أخبرَ بقوله: «ولهم أعمالٌ» عمَّا يُستأنف من أعمالهم، أي: إنَّهم لهم أعمالٌ من الفساد[٢].

وعن ابن عباس: أعمالٌ سيِّئةٌ دونَ الشِّرك[٣].

وقال الزمخشريّ: «ولهم أعمال» متجاوزة متخطِّية لذلك، أي: لِما وُصِفَ به المؤمنون «هم لها» معتادون، وبها ضَارُون ولا يُفطمون عنها حتى يأخذهم الله بالعذاب[٤].

و«حتى» هذه هي التي يُبتدأ بعدها الكلام، والكلامُ الجملة الشرطية. انتهى.

وقيل: الضمير في قوله: «بل قلوبهم» يعود إلى المؤمنين المُشفِقين، «في غمرةٍ من هذا» وَصْفٌ لهم بالحَيْرة، كأنه قال: وهم مع ذلك الخوفِ والوَجَلِ كالمتحيِّرين في أعمالهم أهي مقبولةٌ أم مردودة. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من النوافل ووجوهِ البِرّ سوى ما هم عليه، ويريد بالأعمال الأُول الفرائض، وبالثاني النوافل. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ رجوعٌ إلى وصفِ الكفار. قاله أبو مسلم.

---

(١) في المحرر الوجيز ٤/ ١٤٩ (والكلام فيه): فوسمهم. وينظر أيضاً في الأقوال: النكت والعيون ٤/ ٦٠، وزاد المسير ٥/ ٤٨١، وتفسير القرطبي ١٥/ ٦١.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٧١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٧٤ (واللفظ منه)، وتفسير القرطبي ١٥/ ٦١.

(٣) زاد المسير ٥/ ٤٨١.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٥-٣٦. وقوله: ضارون، جاء في حاشية نسخة خطية للكشاف ما صورتُه: من ضَرِيَ الكلبُ إذا اعتادَ. انتهى. يعني اعتادَ الصيدَ.

قال أبو عبد الله الرازي[١]: وهو أولى لأنه إذا أمكنَ ردُّ الكلام إلى ما اتصل به كان أولى من ردِّه إلى ما بعدَه خصوصاً وقد يَرْغَبُ المرءُ في الخير بأنْ يذكرَ أنَّ أعمالَه[٢] محفوظةٌ كما يحذرُ بذلك من الشرّ، وقد يوصفُ بشدةِ فكرِهِ في أمرِ آخرتِه بأنَّ قلبه في غمرة ويُرادُ أنه قد استولى عليه الفِكْر في قبوله[٣] أو رَدِّهِ، وفي أنه هل أدَّاه كما يجبُ أو قصَّر.

فإن قيل: فما المرادُ بقوله: «من هذا»؟

قلنا: إشارة إلى إشفاقهم ووَجَلِهِم؛ بيَّن استيلاء ذلك على قلوبهم[٤]. انتهى.

وتقدَّم قول الزمخشريّ في «حتى» إنها التي يُبتدأ بعدَها الكلام، وأنها غاية لِما قبلَها، وقدَّرَ ذلك[٥] أنهم معتادون لها حتى يأخذَهم الله بالعذاب.

وقال الحَوْفي: «حتى» غاية، وهي عاطفة، «إذا» ظرف يُضاف إلى ما بعدَه، فيه معنى الشرط، «إذا» الثانية في موضع جواب الأولى، ومعنى الكلام عاملٌ في «إذا»، والتقدير: جأرُوا، فيكون «جأرُوا» العامل في «إذا» الأولى، والعاملُ في الثانية «أخذنا» انتهى. وهو كلام مخبَّط ليس أهلًا أن يُردَّ.

وقال ابنُ عطية[٦]: و«حتى» حرف ابتداء لا غير، و«إذا» والثانية التي هي جواب تمنعان من أن تكون «حتى» غاية لـ «عاملون». انتهى.

وقال مكّيّ[٧]: أي: لكفارِ قريشٍ أعمالٌ من الشرِّ دونَ أعمالِ أهل البرِّ «لها عاملون» إلى أنْ يأخذَ الله أهلَ النعمةِ والبَطَرِ منهم بالعذاب إذا هم يَضِجُّون ويستغيثون.

---

(١) تفسيره ٢٣/ ١٠٩، والكلام السالف فيه.
(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: أعمالهم. والمثبت من المصدر السالف والكلام منه.
(٣) في المصدر السالف: قبول عمله.
(٤) في المصدر السالف: إشفاقهم ووَجَلهم مع أنهما مستوليان على قلوبهم.
(٥) في المطبوع: وقد ردَّ ذلك، بدل: وقدَّر ذلك.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٩.
(٧) الهداية ٧/ ٤٩٨١.

والمترَفون المنعَّمون والرؤساء، والعذابُ: القَحْطُ سبعَ سنين والجوعُ حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اشْدُدْ وطْأتَكَ على مُضَرَ، واجْعَلْها عليهم سِنينَ كَسِني يوسف» فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الجِيَفَ والكلاب والعظام المُحرقة[١]، والقِدَّ والأولاد[٢].

وقيل: العذابُ قتلُهم يوم بدر، وقيل: عذابُ الآخرة.

والظاهر أنَّ الضمير في «إذا هم» عائدٌ على مترفيهم؛ إذْ هم المحدَّث عنهم؛ صاحوا حين نزلَ بهم العذاب.

وقيل: يعود على الباقين بعد المعذَّبين، قال ابن جُريج: المعذَّبون قتلى بدر، والذين يجأرون أهلُ مكة، لأنهم ناحُوا واستغاثوا[٣].

﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: يقال لهم إمَّا حقيقةً؛ تقولُ لهم الملائكة ذلك، وإمَّا مجازاً، أي: لسانُ الحال يقول ذلك، هذا إنْ كان الذين يجأرون هم المعذَّبون، وعلى قول ابنِ جُريج ليس القائل الملائكة[٤].

وقال قتادة: يجأرون: يَصْرُخون بالتوبة، فلا تقبلُ منهم[٥].

وقال الربيع بنُ أنس: «يجأرون» يجزعون[٦]، عبَّر بالصُّراخ عن الجزَع إذِ الجَزَعُ سببهُ.

﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تُمنعون من عذابنا، أو لا يكون لكم نصرٌ من جهتنا، فالجُؤارُ غيرُ نافعٍ لكم ولا مُجْدٍ.

---

(١) في (أ) و(ع) والمطبوع: المحترقة.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٦، وذكره الثعلبي في تفسيره ٤/ ٣٣٠ عن الضحاك، وروايتُه في تفسير القرطبي ١٥/ ٦٢: وهلك الأموال والأولاد، وهي أولى. وأصلُ الحديث في صحيح البخاري (١٠٠٧) عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وفيه: حتى أكلوا الجلود والميتة والجِيَف. اهـ. والقِدُّ: سَيْرٌ يُقَدُّ من جِلْدٍ غيرِ مدبوغ.
(٣) ينظر تفسير الطبري ١٧/ ٧٨ وتفسير القرطبي ١٥/ ٦٢.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٤٩.
(٥) هو في النكت والعيون ٤/ ٦٠ عن الحسن.
(٦) تفسير الطبري ١٧/ ٧٨-٧٩، وهو في المصدر السالف عن قتادة.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي﴾ هي آياتُ القرآن. «تَنكِصُون»: ترجعون، استعارة للإعراض عن الحقّ.

وقرأ علي بنُ أبي طالب: «تنكُصون» بضم الكاف[١].

والضمير في «به» عائد على المصدر الدالّ عليه «تنكصون» أي بالنُّكوص والتباعدِ من سماع الآيات، أو على الآيات لأنها في معنى الكتاب.

وضمّن «مستكبرين» معنى: مكذِّبين، فعُدِّيَ بالباء، أو تكون الباء للسبب، أي: يحدُثُ لكم بسبب سماعِه استكبارٌ وعُتوّ.

والجمهور على أنَّ الضمير في «به» عائد على الحَرَم والمسجد؛ وإنْ لم يَجرِ له ذِكْر، وسَوَّغَ هذا الإضمارَ شُهرتُهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم معجزة إلا أنَّهم وُلاتُه والقائمون به[٢].

وذكر القاضي منذر بنُ سعيد أنَّ الضميرَ لرسول الله ﷺ، ويُحسِّنُه أنَّ في قوله: «تُتْلَى عليكم» دلالةً على التالي، وهو الرسولُ عليه الصلاة والسلام.

وهذه الأقوالُ تتعلَّقُ فيها «به» بـ «مستكبرين».

وقيل: تتعلَّق بـ «سامِراً» أي: يَسْمُرُون بذِكْرِ القرآن والطعنِ فيه، وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يَسْمُرون، وكان عامَّةَ سَمَرِهم ذِكْرُ القرآنِ وتسميتُه سحراً وشعراً وسَبُّ مَنْ أتَى به.

وقرأ الجمهور: «سامراً»، وابنُ مسعود وابنُ عباس وأبو حَيْوة وابنُ مُحيصن وعكرمة والزعفرانيّ ومحبوب عن أبي عَمرو: «سُمَّراً» بضمّ السين وشدّ الميم مفتوحةً جمع «سامِر»، وابنُ عباس أيضاً وزيدُ بنُ علي وأبو رجاء وأبو نَهيك كذلك وبزيادة ألف بين الميم والراء جمع «سامِر» أيضاً وهما جمعان مقيسان في مثل «سامر»[٣].

(١) لفظها في المحرر الوجيز ٤/ ١٤٩ وتفسير القرطبي ١٥/ ٦٣: على أدباركم تنكُصون، ونُسبت في القراءات الشاذة ص٩٩ لابن مسعود.

(٢) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٤٩-١٥٠، والكلام الآتي فيه أيضاً.

(٣) ينظر القراءات الشاذة ص٩٨، والمحتسب ٢/ ٩٦-٩٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٠، وزاد المسير ٥/ ٤٨٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٦٥.

وقرأ الجمهور: «تَهْجُرون» بفتح التاء وضمّ الجيم، وروى ابنُ أبي عاصم بالياء على سبيل الالتفات.

قال ابن عباس: تهجرون الحقَّ وذِكْرَ الله وتقطعونه، من الهَجْر[١].

وقال ابن زيد وأبو حاتم: هو من هَجَرَ المريضُ إذا هَذَى، أي: يقولون اللغوَ من القول[٢]. وقرأ ابنُ عبَّاس وابنُ مُحَيْصن ونافع وحُميد بضم التاء وكسر الجيم مضارع «أهجرَ» أي: يقولون الهُجْر بضمّ الهاء، وهو الفُحْش، قال ابن عباس: إشارة إلى السَّبِّ للصحابة وغيرِهم[٣].

وقرأ ابن مسعود وابنُ عباس أيضاً وزيد بنُ علي وعكرمةُ وأبو نَهيك وابنُ مُحيصن أيضاً وأبو حَيْوَة كذلك إلا أنهم فتحوا الهاء وشدَّدُوا الجيم[٤]، وهو تضعيف من هَجَرَ ماضي الهَجْر، بالفتح بمعنى مقابلِ الوَصْل أو الهَذَيان، أو ماضي الهُجْر، وهو الفُحْش[٥].

وقال ابن جنّي[٦]: لو قيل: إن المعنى: إنكم مبالغون في المهاجَرة[٧] حتى إنكم إن كنتم سُمَّراً بالليل فكأنكم تَهْجُرون في الهاجرة على الافتضاح؛ لكان وجهاً.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم

---

(١) النكت والعيون ٤/ ٦١، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٠ (واللفظ منه)، وزاد المسير ٥/ ٤٨٣.
(٢) ينظر غريب القرآن ص٢٩٩، والمصادر السالفة، وتفسير القرطبي ١٥/ ٦٧. قال ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٨٣: المعنى: إنكم تقولون في رسول الله ﷺ ما ليس فيه وما لا يضرُّه.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٥٠، وزاد المسير ٥/ ٤٨٣، وتفسير القرطبي ١٥/ ٦٧، وهذه القراءة متواترة، قرأ بها نافع كما ذكر المصنف، وينظر السبعة ص٤٤٦، والتيسير ص١٥٩.
(٤) القراءات الشاذة ص٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٠، وجاءت في المحتسب ٢/ ٩٦ بالياء.
(٥) يعني أنه عن مضاعف هَجَرَ، من الهَجْر، بالفتح، فالمعنى: تَقْطَعون أو تَهْذُون، ومن الهُجْر، بالضم، فالمعنى: تُفحشون. ينظر روح المعاني ١٨/ ١١٣.
(٦) بنحوه في المحتسب ٢/ ٩٧، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٤/ ١٥٠.
(٧) تحرَّفت اللفظة في (أ) و(ح) و(به) والمطبوع إلى: المجاهرة.

مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا
مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

ذكر تعالى توبيخَهم على إعراضهم عن اتِّباع الحق، و«القَوْلُ» القرآن الذي أتى به محمدٌ ﷺ، أي: أفلم يتفكَّروا فيما جاء به عن الله فيعلموا أنه المُعجِزُ الذي لا يمكن معارضتُه فيصدِّقوا به وبمن جاء به؟! وبَّخهم ووقَفَهم على تدبُّره، وأنهم بمكابرتهم ونظرِهم الفاسد قال بعضُهم: سِحْر، وقال بعضُهم: شِعْر، وهو أعظمُ الدلائل الباقيةِ على غابر الدهر؛ قَرَعَهم أولاً بترك الانتفاع بالقرآن، ثم ثانياً بأنَّ ما جاءهم جاء آباءَهم الأوَّلين، أي: إرسالُ الرسلِ ليس بدْعاً ولا مُستغرَباً، بل جاءت الرسلُ الأممَ قبلَهم، وعرفوا ذلك بالتواتر ونجاةِ من آمن واستئصالِ من كَذَّب.

وآباؤهم إسماعيلُ وأعقابُه من عدنان وقحطان. ورُوي: «لا تسبُّوا مُضَرَ، ولا ربيعةَ، ولا الحارثَ بنَ كعب، ولا أسدَ بنَ خُزيمة، ولا تميم بنَ مُرّ، ولا قُسًّا» وذَكر أنهم كانوا مسلمين، وأنَّ تُبَّعاً كان مسلماً، وكان على شرطة سليمان بن داود[١].

وبَّخهم ثالثاً بأنهم يعرفون محمداً ﷺ وصحَّةَ نَسبِه وحُلُولَه في سِطَةِ[٢] هاشم وأمانتَه وصدقَه وشهامتَه وعقلَه واتّسامَه بأنه خيرُ فتيان قريش، وكفى بخُطبةِ أبي طالب حين تزوَّجَ خديجةَ ـ وأنها احتوَتْ على صفاتٍ له ﷺ ـ طرقَتْ آذانَ قريش، فلم تُنكِرْ منها شيئاً، أي: قد سبقَتْ معرفتُهم له جملةً وتفصيلاً، فلا يمكن إنكارُ شيء من أوصافه.

(١) كذا في النسخ الخطية والمطبوع. والخبر بنحوه في الكشاف ٣/٣٦، وفيه: «لا تشكُّوا في أن تُبَّعاً كان مسلماً، ورُوِيَ: في أن ضَبَّةَ كان مسلماً، وكان على شرطة سليمان». انتهى. وضَبَّة: هو ابنُ أُدّ، كما في رواية روح المعاني ١٨/ ١١٤. والخبر بتمامه في الكشاف، ووقفتُ على بعضه، ينظر مسند أحمد (٢٢٨٨٠)، وتفسير الطبري ٢١/ ٥٠، وأنساب الأشراف ١/ ٣٥، وفتح الباري ٧/ ١٦٤.

(٢) أي: وسط.

ووبَّخهم رابعاً بأنهم نسبُوه إلى الجنّ، وقد علموا أنه ﷺ أرجحُهم عقلاً، وأثقبُهم ذِهْناً وأنَّ الفرقَ بين الحكمةِ وفصلِ الخطاب الذي جاء به وبين كلام ذي الجِنَّة غيرُ خافٍ على من له مُسْكَةٌ من عقل.

وهذه التوبيخات الأربع كان يقتضي ما وُبِّخُوا به منها أن يكون سبباً لانقيادِهم إلى الحقّ، لأنَّ التدبُّر لِما جاء به والنظرَ في سِيَر الماضين وإرسال الرسلِ إليهم ومعرفةَ الرسول ذاتاً وأوصافاً وبراءتَه من الجنون هادٍ لمن وفَّقه الله للهداية، ولكنه جاءهم بما حالَ بينهم وبين أهوائهم، ولم يوافق ما نشؤوا عليه من اتِّباع الباطل.

ولما لم يجدوا له مَدْفعاً لأنه الحق عاملوا بالبَهت وعوَّلُوا على الكذب من النسبة إلى الجنون والسِّحْرِ والشِّعْر.

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالقرآن المشتملِ على التوحيد وما به النجاةُ في الآخرة والسُّؤدَدُ في الدنيا.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ يدلُّ على أنَّ فيهم من لا يكرهُ الحقَّ، وذلك من يتركُ الإيمان أنَفَةً واستكباراً من توبيخ قومِه أن يقولوا: صبأ وتركَ دينَ آبائه.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ قرأ ابنُ وثَّاب: «ولوُ اتبعَ» بضم الواو[١].

والظاهر أنه الحقُّ الذي ذُكر قبلُ في قوله: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لو كان ما جاء به الرسولُ من الإسلام والتوحيد متَّبِعاً أهواءَهم لانقلبَ شِرْكاً، وجاء الله بالقيامة، وأهلكَ العالَم ولم يؤخِّر، قال معناه الزمخشري، وبعضُه بلفظه.

وقال أيضاً[٢]: دلَّ بهذا على عِظَم شأنِ الحقّ، فلو اتَّبعَ أهواءَهم لانقلبَ باطلاً، ولذهبَ ما يقومُ به العالَم، فلا يبقَى له بعدَه قِوام.

وقيل: لو كان ما جاء به الرسولُ بحكم هوى هؤلاء من اتِّخاذِ شريكٍ للهِ وولدٍ وكان ذلك حقًّا، لم تكن للهِ الصفاتُ العليَّة، ولو لم تكن له، لم تكنِ القدرَةُ كما هي، وكان ذلك فسادَ السماواتِ والأرض[٣].

(١) القراءات الشاذة ص٩٨، والمحتسب ٤/ ٩٧، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥١.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٥١، ووقع في عبارة مطبوع البحر تصرُّف من الطابعين، والله أعلم.

وقيل: كانوا يرَوْنَ الحقَّ في اتخاذ الآلهة مع الله، لكنه لو صحَّ ذلك لوقع الفسادُ في السماوات والأرض على ما قرِّر في دليل التمانع في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقيل: كانت آراؤهم متناقضة، فلو اتبع الحقُّ أهواءهم لوقع التناقضُ واختلَّ نظامُ العالَم.

وقال قتادة: «الحقُّ» هنا اللهُ تعالى؛ فقال الزمخشري[١]: معناه: ولو كان الله إلهاً يتّبع أهواءهم ويأمرُ بالشِّرك والمعاصي لما كان إلهاً، ولمَا قدَرَ على أن يُمسك السماواتِ والأرض.

وقال ابنُ عطية: ومن قال: إنَّ الحقَّ في الآية هو الله تعالى ـ وكان قد حكاه عن ابن جُريج وأبي صالح ـ تشعّب[٢] له لفظة «اتّبع» وصَعُبَ عليه ترتيبُ الفساد المذكور في الآية، لأن لفظة الاتِّباع إنما هي استعارة بمعنى أن تكون أهواؤهم يُقرِّرُها الحقّ، فنحن نجدُ اللهَ تعالى قد قرَّر كُفْرَ أممٍ وأهواءَهم، وليس في ذلك فسادُ سماوات، وأمَّا [الحقُّ] نفسُه الذي هو الصواب؛ فلو كان طِبقَ أهوائهم لَفسدَ كلُّ شيء، فتأمَّلْه، انتهى.

وقرأ الجمهور بنون العظمة، وابنُ أبي إسحاق وعيسى بنُ عُمر ويونسُ عن أبي عَمرو بتاء المتكلّم، وابنُ أبي إسحاق وعيسى بن عمر أيضاً وأبو البَرَهْسَم وأبو حَيْوَة والجَحْدَريّ وابنُ قطيب وأبو رجاء بتاء الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام[٣]، وأبو عَمرو في رواية: «آتيناهم» بالمدّ، أي: أعطيناهم.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧، وقول قتادة: «الحقُّ هو الله» هو قول الأكثرين كما في النكت والعيون ٤/ ٦٢ وتفسير القرطبي ١٥/ ٧١، ونُسب فيه لمجاهد وابن جُريج وأبي صالح، ونُسب أيضاً في زاد المسير ٥/ ٤٨٤ للسُّدّي.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ١٥١ (والكلام منه): بشعت. وهي أحسن، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) أي أن قراءة الجمهور: «بل أتيناهم بِذِكْرِهم»، والأُخريتان: «أتيتُهم» و«أتيتَهم» وينظر القراءات الشاذة ص٩٨، والمحتسب ٢/ ٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥١.

والجمهور: «بذِكْرِهِم» أي: بوَعْظِهِم والبيانِ لهم، قاله ابنُ عباس[١]، وقرأ عيسى: «بذِكْراهم» بألف التأنيث[٢]، وقتادة: «نُذَكِّرُهُمْ» بالنون مضارع «ذَكَّرَ»[٣].

ونسبةُ الإتيان الحقيقي إلى الله لا يصحُّ، وإنما هو مجاز، أي: بل أتاهم كتابُنا أو رسولُنا.

وقال الزمخشريّ[٤]: «بذِكْرِهم» أي: بالكتابِ الذي هو ذِكْرُهُمْ، أي: وَعْظُهم أو وَصِيَّتُهم وفخرُهم، أو بالذِّكر الذي كانوا يتمنَّونه ويقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ١٦٨-١٦٩].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ هذا استفهام توبيخ أيضاً، المعنى: بل أتسألُهم مالاً فقَلِقُوا[٥] لذلك واستثقلوك[٦] من أجله. قاله ابنُ عطيَّة.

وخطبَ الزمخشريّ بأحسنِ كلام فقال: أم تسألُهم على هدايتِك لهم قليلاً من عطاء الخلق؟! والكثير[٧] من عطاء الخالق خير، فقد ألزمَهم الحجَّةَ في هذه الآيات، وقطعَ معاذيرَهم وعِلَلَهم بأنَّ الذي أُرْسِلَ إليهم رجلٌ معروفٌ أمرُهُ وحَالُه، مَخْبُورٌ سِرُّهُ وعَلَنُهُ، خليقٌ بأن يُجْتَبَى مثلُه للرِّسالة من بين ظَهْرَانَيهِم، وأنه لم يُعْرَضْ له حتى يدَّعيَ مثلَ هذه الدَّعْوَى العظيمة بباطل، ولم يجعل ذلك سُلَّماً إلى النَّيْلِ من دنياهم واستعطاءِ أموالِهم، ولم يَدْعُهُمْ إلا إلى دينِ الإسلام الذي هو الصراطُ المستقيمُ مع إبرازِ المَكْنونِ من أدْوائِهم وهو إخلالُهم بالتدبُّرِ والتأمُّلِ، واستهتارُهم بدين الآباء الضُّلَّالِ[٨] من غير برهان وتعلُّلُهم بأنه مجنون بعد ظهورِ الحق وثباتِ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٥١.
(٢) القراءات الشاذة ص٩٨، ونُسبت في زاد المسير ٥/ ٤٨٤ (في الموضعين) لابن مسعود وأُبي بن كعب، وأبي رجاء وأبي الجوزاء.
(٣) المحتسب ٢/ ٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥١.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٧.
(٥) في (ع): فلغبوا، وتحرفت في (ح) و(يه) والمطبوع إلى: فغُلبوا، والمثبت من (أ)، وهو كذلك في المحرر الوجيز ٤/ ١٥١، والنهر الماد (بهامش مطبوع البحر ٦/ ٤١٣).
(٦) في المصدر السالف (والكلام منه): واستثقلوا.
(٧) في الكشاف ٣/ ٣٨ (والكلام منه): فالكثير.
(٨) قال الزمخشري في أساس البلاغة (هتر): من المجاز: مُسْتَهْتَرٌ به: مفتونٌ به ذاهب العقل.

التصديق من الله بالمعجزات والآياتِ النيِّرة، وكراهتُهم للحقّ وإعراضُهم عمَّا فيه حظُّهم من الذِّكْر. انتهى.

وتقدَّم الكلام في قوله: «خَرْجاً فخراجُ» في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ في الكهف [٩٤] قراءةً ومدلولاً.

وقرأ الحسن وعيسى: «خَرَاجاً فخَرْجُ»، فكمُلت بهذه القراءة أربع قراءات[١].

وفي الحرفين: «فخراجُ ربِّك» أي: ثوابُه، لأنه الباقي، وما يُؤخَذُ من غيره فانٍ.

وقال الكلبي: فعطاؤه، لأنه يُعطي لا لحاجة، وغيرُهُ يعطي لحاجة، وقيل: فرِزْقُهُ، ويؤيِّده «خيرُ الرازِقين»[٢].

قال الجُبَّائي[٣]: «خيرُ الرازقين» دَلَّ على أنه لا يساويه أحدٌ في الإفضالِ على عبادِه، ودلَّ على أنَّ العبادَ قد يرزقُ بعضُهم بعضاً. انتهى.

وهذا مدلولُ «خَيْر» الذي هو أفعل التفضيل، ومدلولُ «الرازقين» الذي هو جمع أُضيف إليه أفعل التفضيل.

ولمَّا زَيَّفَ طريقةَ الكفار أتبعَ ذلك ببيانِ صِحةِ ما جاء به الرسولُ ﷺ، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾﴾ وهو دينُ الإسلام، ثم أخبر أنَّ من أنكرَ المعادَ ناكبٌ عن هذا الصراط لأنه لا يسلكُه إلا من كان راجياً للثواب خائفاً من العقاب، وهؤلاء غيرُ مصدِّقين بالجزاء، فهم مائلون عنه.

وأبعدَ مَنْ زعمَ أنَّ الصِّراطَ الذي هم ناكبون عنه هو طريقُ الجنة في الآخرة، ومن زعمَ أنَّ الصراط هو في الآخرة ناكبون عنه يأخذهم يَمْنةً ويَسْرَةً إلى النار[٤].

---

(١) قرأ نافع وعاصم وابن كثير وأبو عَمرو: خَرْجاً فخرَاجُ، وقرأ حمزة والكسائي: خَراجاً فخَراجُ، وقرأ ابنُ عامر: خَرْجاً فخَرْجُ. ينظر السبعة ص٤٤٧، والتيسير ص١٤٦ و١٥٩.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٢، وهو بمعنى قول الكلبي السالف قبله، وبهذا اللفظ جاء عنه في النكت والعيون ٤/ ٦٣.

(٣) تفسير الرازي ٢٣/ ١١٢.

(٤) لعل قوله: «ومَنْ زعمَ أن الصراط هو في الآخرة ناكبون عنه» جملةٌ معترضة، بمعنى أنهم =

قال ابنُ عباس: «لناكبون»: لعادلون[١]، وقال الحسن: تاركون له، وقال قتادة: حائدون، وقال الكلبيّ: معرضون. وهذه أقوالٌ متقاربةُ المعنى.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ قيل: هو الجوع، وقيل: القتلُ والسَّبْيُ، وقيل: عذابُ الآخرة، أي: بلغُوا من التمرُّد والعِناد أنهم لو رُدُّوا إلى الدنيا لعادُوا لشدَّةِ لَجَاجِهم فيما هم عليه من البُعد. وهذا القولُ بعيدٌ، بل الظاهرُ أن هذا التعليق كان يكون في الدنيا، ويدلُّ على ذلك قولُه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾ إلى آخر الآية، استشهد على شدَّة شكيمتِهم في الكفر ولجَاجِهم على تقدير رحمتِه لهم بأنه أخذَهم بالسيوف أولاً، وبما جرى عليهم يوم بدر من قتلِ صناديدِهم وأسْرِهم، فما وُجدت منهم بعد ذلك استكانةٌ ولا تضرُّع حتى فتحنا عليهم بابَ الجوع الذي هو أشدُّ من الأسر والقتل، فأبْلَسُوا وخضعت رقابُهم.

فالظاهر من هذا أن الضُّرَّ هو القحطُ والجوعُ الذي أصابهم بدعاء رسول الله ﷺ، وهذا مرويٌّ عن ابن عباس وابن جُريج[٢].

وسببُ نزولِ الآية دليلٌ على ذلك، رُوِيَ أنه لمَّا أسلمَ ثُمامة بنُ أُثال الحنفيّ ولحق باليمامة، منعَ المِيرَةَ عن أهل مكة، فأخذَهم الله بالسنين حتى أكلوا العِلْهِز، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ، فقال له: أنشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ! ألستَ تزعُمُ أنك بُعثتَ رحمةً للعالمين؟! فقال: «بلى» فقال: قتلتَ الآباءَ بالسيف والأبناءَ بالجوع، فنزلت الآية[٣].

= أبعدوا عن معناه الصحيح. وينظر معاني القرآن للنحاس ٣/ ١١٩-١٢٠، وتفسير القرطبي ١٥/ ٧٤.

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٩١-٩٢، والنكت والعيون ٤/ ٦٣، والأقوال الآتية فيه.

(٢) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٥٢، وأخرجه الطبري ١٧/ ٩٢ عن ابن جُريج.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ٧٥-٧٦. وهو بنحوه في تفسير الطبري ١٧/ ٩٣ وفيه: فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ﴾، وهو في المحرر الوجيز ٤/ ١٥٢ أيضاً عند هذه الآية ودون ذكر ثُمامة، وسلف نحوه قريباً في تفسير الآية (٦٤). والعِلْهِز (كما في رواية القرطبي) قال: كانوا يأخذون الصوف والوَبَر فيبلُّونه بالدَّم، ثم يشوونه ويأكلونه. وجاء خبر ثُمامة في صحيح البخاري (٤٣٧٢) وصحيح مسلم (١٧٦٤) دون ذكر أبي سفيان ونزول الآية.

والمعنى: لو كشفَ الله عنهم هذا الضُّرَّ ـ وهو الهُزالُ والقَحْطُ الذي أصابَهم ـ ووجدُوا الخِصْبَ لارتدُّوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبارِ وعداوةِ رسولِ الله والمؤمنين وإفراطِهم فيها.

وقيل: المعنى: ولو امتحنَّاهم بكلِّ محنةٍ من القتل والجوعِ فما رُئِيَ فيهم استكانة ولا انقيادٌ حتى إذا عُذِّبوا بنارِ جهنم أَبْلَسُوا، كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم: ١٢]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥] فعلى هذا القول يكون الفتحُ لبابِ العذاب الشديد في الآخرة، وعلى الأول كان في الدنيا[١].

ووزن «استكان» استفعلَ، أي انتقل من كونٍ إلى كون، كما تقول: استحال؛ انتقلَ من حالٍ إلى حال، وقولُ مَنْ زعمَ أنَّ «استكان» افتعلَ من السُّكون وأن الألف إشباع ضعيفٌ[٢]، لأنَّ الإشباع بابُه الشّعر، كقوله:

أعوذُ بالله من العَقْرابِ ... الشَّائلاتِ عُقَدَ الأذنابِ[٣]

ولأنَّ الإشباع لا يكون في تصاريف الكلمة، ألا ترى أنَّ مَنْ أَشْبَعَ في قوله:

ومِنْ ذَمِّ الزمانِ بمُنْتَزَاحِ[٤]

لا تقول: انتزاحَ ينتزيح، فهو منتزيح، وأنت تقول: استكانَ يستكينُ، فهو مستكين ومستكان، ومجيءُ مصدرِهِ «استكانة» يدلُّ على أن الفعل وزنُهُ استفعل، كاستقامَ استقامةً.

وتخالفَ «استكانوا» و«يتضرَّعون» في الصِّيغة، فلم يكونا ماضِيَيْن ولا مضارِعَيْن؛ قال الزمخشري: لأنَّ المعنى محنَّاهم فما وُجدت منهم عَقِيبَ

(١) ينظر القولان في الكشاف ٣/ ٣٨.
(٢) جوَّزه الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٩.
(٣) المحلَّى (وجوه النصب) لابن شُقير ص٢٢٠، وضرائر الشعر لابن عصفور ص٣٣، واللسان (سبب).
(٤) هو عجز بيت لإبراهيم بن هَرْمَة، وفيه: ومن ذمِّ الرِّجال...، وصدرُه: وأنت من الغوائل حين تُرْمَى. وهو في ديوانه ص٩٢.

المحنة استكانة، وما من عادةِ هؤلاء أن يستكينوا ويتضرَّعوا حتى يُفتح عليهم بابُ العذاب الشديد.

والمُبْلِسُ: الآيِسُ من الشَّرّ الذي ناله[1].

وقرأ السُّلميّ: «مُبْلَسُون» بفتح اللام[2].

❁ ❁ ❁

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ
﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ
وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ
بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا
كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا
يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ
لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ
مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ
رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ
إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن
ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

---

(١) في المحرر الوجيز ٤/١٥٢: «المُبْلِسُ: الذي قد نزلَ به شرٌّ وييئسَ من زواله ونسخِهِ بخير». وهو أوضح.

(٢) زاد المسير ٥/٤٨٦، وزاد فيه ابن الجوزي نسبتها لأبي المتوكل وأبي نَهِيك ومعاذ القارئ. ونُسبت في مطبوع القراءات الشاذة ص٩٨ للظامي(؟).

فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ
أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ
أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ
﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا
وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ
﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ
ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.

المفردات

الهَمْزُ: النَّخْسُ والدَّفْعُ بيدٍ وغيرِها، ومنه مِهْمَازُ الرائِضِ[١]، وهمزُ الناسِ باللسان[٢].

البَرْزَخ: الحاجزُ بين المسافتين، وقيل: الحِجابُ بين الشيئين يمنعُ أحدَهما أن يصلَ إلى الآخر.

النَّسَبُ: القَرَابةُ من جهة الولادة.

اللَّفْحُ: إصابةُ النارِ الشيءَ بوَهْجِها وإحْراقُها، وقال الزَّجّاج[٣]: اللَّفْحُ أشدُّ من النَّفْح تأثيراً.

الكُلُوحُ تشمُّر الشفتين عن الأسنان، ومنه كُلُوح الكلب والأسد، وقيل: الكُلُوحُ بُسُورُ الوجه، وهو تقطيبُه، وكَلَحَ الرجلُ كُلُوحاً وكُلَاحاً، ودهرٌ كالح وبَرْدٌ كالح: شديد.

العَبَث: اللَّعِبُ الخالي عن فائدة.

---

(١) المِهْمازُ: هو حديدةٌ في مؤخَّر خُفِّ الرائض يَهْمِزُ بها الفرسَ لِيَعْدُوَ. وينظر الكشاف ٣/ ٤٢، والقاموس (همز).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٥.
(٣) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٣، وهو عنه أيضاً في الكشاف ٣/ ٤٣.

التفسير ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

مناسبةُ قوله: «وهو الذي أنشأ لكم» لِما قبلَه أنَّه لمَّا بيَّن إعراضَ الكفَّار عن سماعِ الأدلَّة ورؤية العِبَرِ والتأمُّل في الحقائق خاطبَ قيل: المؤمنين، والظاهرُ العالم بأسْرِهم تنبيهاً على أنَّ من لم يُعْمِلْ هذه الأعضاءَ فيما خلقَه الله تعالى وتدبَّر ما أودَعَهُ فيها من الدلائل على وحدانيَّته وباهرِ قدرتِه فهو كعادم هذه الأعضاء وممَّن قال تعالى فيهم: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٦] فمن أنشأ هذه الحواسَّ وأنشئت[١] هي له، وأحيا وأماتَ، وتصرَّف في اختلاف الليل والنهار؛ هو قادرٌ على البعث.

وخصَّ هذه الأعضاءَ بالذِّكر لأنه يتعلَّق بها منافعُ الدِّين والدُّنيا من إعمال السمع والبصر في آيات الله والاستدلالِ بفِكْرِ القلب على وحدانية الله تعالى وصفاتِه.

ولمَّا كان خَلْقُها من أتمِّ النِّعَم على العبد قال: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ أي: تشكرون قليلاً، و«ما» زائدة للتأكيد، ومِنْ شُكرِ النِّعمة الإقرارُ بالمُنعِم بها ونفيُ النِّدِّ والشريكِ له.

و«ذَرَأَكُم»: خَلَقَكُم وبثَّكم فيها.

(١) في النسخ الخطية: وأنشأت، والمثبت من المطبوع (؟)

«وإليه» أي: وإلى حُكمِهِ وقضائِه وجزائِه «تُحشرون» يريد البعثَ والجمعَ في الآخرة بعد التفرُّقِ في الدنيا والاضمحلال.

﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: هو مختصٌّ به ومتولِّيه، وله القدرة التي ذلك الاختلافُ عنها. والاختلافُ هنا التعاقب، أي: يخلُفُ هذا هذا.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ مَنْ هذه تصرفاتُ قدرتِه وآثارُ قهرِه فتُوحِّدونه وتَنْفُون عنه الشركاءَ والأندادَ، إذْ هم ليسوا بقادرين على شيء من ذلك.

وقرأ أبو عَمرو في رواية: «يعقلون» بياء الغَيبة على الالتفات[1].

﴿بَلْ قَالُوا۟﴾ «بل» إضراب، أي: ليس لهم عقلٌ ولا نظرٌ في هذه الآيات، بل قالوا، والضميرُ لأهل مكة ومَنْ جَرَى مجراهم في إنكار البعث ﴿مِثْلَ مَا قَالَ﴾ آباؤهم عادٌ وثمودُ ومَنْ يرجعون إليهم من الكفار.

ولمَّا اتخَذُوا من دون الله تعالى آلهةً ونسبوا إليه الولدَ نبَّههم على فَرْطِ جهلِهم بكونهم يُقِرُّون بأنه تعالى له الأرضُ، ومَنْ فيها مُلك[2]، وأنه ربُّ العالَم العُلويّ، وأنه مالكُ كلِّ شيء، وهم مع ذلك ينسُبون له الولد، ويتَّخذون له شركاء.

وقرأ عبدُ الله والحسن والجَحْدَرِيّ ونصرُ بنُ عاصم وابنُ وثَّاب وأبو الأشهب وأبو عمرو من السبعة: «سيقولون الله» الثاني والثالث بلفظ الجلالة مرفوعاً، وكذا هو في مصاحف أهل الحرَمين والكوفة والشام.

وقرأ باقي السبعة: «للهِ» فيها بلام الجرّ[3]، فالقراءةُ الأولى فيها المطابقةُ لفظاً ومعنًى، والثانية جاءت على المعنى، لأنَّ قولك: مَنْ رَبُّ هذا، ولِمَنْ هذا، في معنًى واحد، ولم يُختلف في الأول أنه باللام.

وقرأ ابن مُحيصن: «العظيمُ» برفع الميم نعتاً للرّبّ[4].

---

(١) القراءات الشاذة ص٩٨، والكشاف ٣/ ٤٠.
(٢) في النهر الماد بهامش البحر ٦/ ٤١٧: مُلْكٌ له.
(٣) السبعة ص٤٤٧، والتيسير ص١٦٠.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٤.

وتقول: أجرتُ فلاناً على فلان: إذا منعتَهُ منه، أي: وهو يمنعُ مَنْ يشاء ممَّن يشاء، ولا يمنع أحدٌ منه أحداً.

ولا تَعارضَ بين قوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وبين ما حكى عنهم من قولهم: «سيقولون الله» لأن قوله: «إن كنتم تعلمون» لا ينفي علمهم بذلك، وقد يقال مثلُ ذلك في الاحتجاج على وجه التأكيد لعلمهم[1].

وختمَ كلَّ سؤال بما يناسبُه، فختمَ مُلك الأرضِ ومَنْ فيها [بالتذكُّر، أي: أفلا تذكَّرون فتعلمون أنَّ مَنْ له مُلْكُ الأرضِ ومَنْ فيها] حقيقٌ أن لا يُشرَكَ به بعضُ خلقِهِ ـ ممَّن في الأرض مُلكاً له ـ [في] الربوبية[2]؟! وختمَ ما بعدَها بالتقوى، وهي أبلغُ من التذكُّر، وفيها وعيدٌ شديد، أي: أفلا تخافونه فلا تشركوا به؟! وختم ما بعدَ هذه بقوله: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ مبالغةً في التوبيخ بعد إقرارِهم والتزامِهم ما يقع غلبتُهم[3] به في الاحتجاج.

و«أنَّى» بمعنى «كيف»، قرَّر أنهم مسحورون، وسألَهم عن الهيئة التي سُحِرُوا بها، أي: كيف تُخدعون عن توحيدِهِ وطاعتِه؟!.

والسِّحْرُ هنا مستعار، وهو تشبيهٌ لِما يقعُ منهم من التخليط ووضعِ الأفعالِ والأقوالِ غيرَ مواضعِها بما يقعُ من المَسْحُور، عَبَّر عنهم بذلك[4].

وقرئ: «بل أتيتُهم» بتاء المتكلِّم، وابنُ أبي إسحاق بتاء الخطاب[5].

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما ينسُبون إلى الله تعالى من اتخاذِ الولد ومن الشركاء وغيرِ ذلك ممَّا هم فيه كاذبون.

ثم نَفَى اتخاذَ الولدِ، وهو نفيُ استحالة، ونَفَى الشريكَ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ أي: وما كان معه شريكٌ في خلقِ العالَم واختراعِهم، ولا في غيرِ

(١) ينظر تفسير الرازي ٢٣/١١٦.
(٢) ما سلفَ بين حاصرتين من النهر الماد بهامش البحر ٦/٤١٧، والكلام فيه دون قوله: ممن في الأرض مُلكاً له.
(٣) في (يه) والمطبوع: عليهم.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٤.
(٥) قراءة ابن أبي إسحاق في المصدر السالف، والقراءتان في الكشاف ٣/ ٤٠ دون نسبة.

ذلك مما يليقُ به من الصِّفاتِ العُلى، فنَفْيُ الولدِ تنبيهٌ على من قال: الملائكةُ بناتُ الله، ونَفْيُ الشريكِ في الألوهية تنبيهٌ على من قال: الأصنامُ آلهة، ويُحتمل أن يرادَ به إبطالُ قولِ النصارى والثَّنَوِيَّة[١].

و«من ولد» و«من إله» نفيٌ عامٌ يُفيد استغراقَ الجنس، ولهذا جاء ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ﴾ ولم يأت التركيب: إذاً لَذهبَ الإله.

ومعنى «لَذهَبَ» أي: لانفردَ كلُّ إلهٍ بخلقِهِ الذي خلقَ واستبدَّ به، وتميَّز مُلك كلِّ واحدٍ عن مُلك الآخر، وغلبَ بعضُهم بعضاً كحال ملوكِ الدنيا، وإذا لم يقع الانفرادُ والتغالبُ فاعلموا أنه إلهٌ واحدٌ[٢].

و«إذاً» لم يتقدَّمه في اللفظ شرطٌ ولا سؤالُ سائل ولا عِدَة، قالوا[٣]: فالشرطُ محذوفٌ تقديرُه: ولو كان معه آلهة، وإنما حُذف لدلالة قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ عليه، وهذا قولُ الفرَّاء[٤]؛ زعمَ أنه إذا جاء بعدَها اللام كانت «لو» وما دخلَتْ عليه محذوفة. وقد قرَّرنا تخريجاً لها على هذا في قوله: ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ في سورة الإسراء [٧٣].

والظاهر أنَّ «ما» في «بما خَلَقَ» بمعنى «الذي»، وجُوِّزَ أن تكون مصدريةً.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تنزيهٌ عن الولد والشريك، وقرئ: «تصفون» بتاء الخطاب[٥].

وقرأ الابنان وأبو عَمرو وحفص: «عالِمِ» بالجرّ؛ قال الزمخشريّ: صفة «الله»، وقال ابنُ عطية: إتْباعٌ للمكتوبة[٦]. وقرأ باقي السبعة وابنُ أبي عَبْلَة وأبو حَيْوَة وأبو بَحريَّة بالرفع[٧].

---

(١) هو مذهبٌ يقول بإلهين اثنين، إلهٍ للخير، وإلهٍ للشرّ. ويُرمز لهما بالنور والظلام. (المعجم الوسيط).
(٢) بنحوه في الكشاف ٣/ ٤٠.
(٣) هو قول الزمخشري في المصدر السالف.
(٤) معاني القرآن له ٢/ ٢٤١.
(٥) القراءات الشاذة ص٩٨ دون نسبة.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٤، وكلام الزمخشري في كشافه ٣/ ٤١.
(٧) ينظر السبعة ص٤٤٧، والتيسير ص١٦٠. والابنانِ: ابن كثير المكّي، وابن عامر الشامي.

قال الأخفش: الجرُّ أجودُ ليكون الكلام من وجهٍ واحد، قال أبو عليّ: الرفعُ[١] أنَّ الكلامَ قد انقطع، يعني أنه خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو عالم، وقال ابنُ عطية: والابتداء[٢] عندي أبرع، والفاء في قوله: «فتعالى» عاطفة، فالمعنى كأنه قال: «عالم الغيبِ والشهادةِ فتعالى» كما تقول: زيدٌ شجاعٌ فعظُمَتْ منزلتُه، أي: شَجُعَ فعظُمت، ويحتمل أن يكون المعنى: فأقولُ: تعالى عما يشركون على إخبارٍ مؤتنف، و«الغَيْبُ» ما غابَ عن الناس، والشهادةُ ما شاهدوه. انتهى.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾.

لمَّا ذكرَ ما كانَ عليه الكفارُ من ادّعاءِ الولدِ والشريكِ له، وكان تعالى قد أعلمَ نبيَّه ﷺ أنه ينتقمُ منهم ولم يبيِّن إذ ذاك[٣] في حياته أم بعدَ موته، أمرَه بأن يدعوَ بهذا الدعاء، أي: إنْ تُرِني ما تعدُهم واقعاً بهم في الدنيا أو في الآخرة، فلا تجعلني معهم، ومعلومٌ أنه عليه الصلاة والسلام معصومٌ ممَّا يكون سبباً لجعله معهم، ولكنه أمرَه أن يدعوَ بذلك إظهاراً للعبودية وتواضعاً لله، واستغفارُ رسولِ الله ﷺ إذا قامَ من مجلسه سبعين مرَّةً من هذا القبيل، وقال أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه: وَلِيتُكم ولستُ بخيرِكم؛ قال الحسن: كان يعلمُ أنه خَيْرُهم، ولكنَّ المؤمنَ يَهْضِمُ نفسَه[٤].

(١) في المحرر الوجيز: ووجهة الرفع. . .إلخ. وكلام أبي علي والأخفش فيه، وينظر الحجّة ٥/ ٣٠٢.

(٢) في المطبوع: والرفع. والمثبت من النسخ الخطية، وهو كذلك في المحرر الوجيز ٤/ ١٥٤ (والكلام منه).

(٣) في النهر الماد (بهامش البحر) ٦/ ٤١٩: أذلك، بدل: إذ ذاك.

(٤) ينظر ما سلف في الكشاف ٣/ ٤١.

وجاء الدعاء بلفظ الرَّبّ قبل الشرط وقبل الجزاء مبالغةً في الابتهال إلى الله تعالى والتضرُّع، ولأنَّ الرَّبَّ هو المالكُ الناظرُ في مصالح العبد.

وقرأ الضحاك وأبو عِمْران الجَوْني: «تُرِئنِّي» بالهمز بدل الياء[1]، وهذا كما قرئ: «فإما تَرَئنَّ» و«لَتَرَؤُنَّ» بالهمز، وهو إبدالٌ ضعيف.

ثم أخبر تعالى أنه قادرٌ على تعجيل العذاب لهم كما كانوا يطلُبون ذلك، وذلك في حياته عليه الصلاة والسلام، ولكنَّ تأخيرَه لأجلٍ يستوفونه.

والجمهور على أنَّ هذا العذابَ في الدنيا؛ فقيل: يومَ بدر، وقيل: فتح مكة، وقيل: هو عذاب الآخرة.

ثم أمرَه تعالى بحُسنِ الأخلاق، والتي هي أحسنُ شهادةُ أن لا إله إلا الله، والسيِّئةُ الشِّركُ.

وقال الحسن: الصَّفْحُ والإغْضاء، وقال عطاء والضحَّاك: السلامُ إذا أفحشوا.

وحكى الماورديّ: ادفع بالموعظة المنكَرَ[2]، والأجودُ العمومُ في الحُسنى وفيما يسوء.

والتي هي أحسنُ أبلغُ من الحسَنة للمبالغة الدالِّ عليها أفعل التفضيل، وجاء في صلة «التي» ليدلَّ على معرفة السامع بالحالة التي هي أحسن.

قيل: وهذه الآية منسوخةٌ بآية السيف، وقيل: هي محكمة لأنَّ المداراة محثوثٌ عليها ما لم تؤدِّ إلى ثَلْم دينٍ وإزراءٍ بمروءة[3].

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يقتضي أنها آيةُ مُوادعة، والمعنى: بما يذكرون ويصفونك به ممَّا أنت بخلافِه.

---

(١) زاد المسير ٥/٤٨٨، وعبارته: «بالهمز بين الراء والنون من غير ياء»، وهي في القراءات الشاذة ص٩٨ دون نسبة.

(٢) النكت والعيون ٤/٦٦، وزاد المسير ٥/٤٨٩ (واللفظ منه).

(٣) الكشاف ٣/٤٢. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/١٥٥: الآية أمرٌ بالصفح ومكارم الأخلاق، وما كان منها لهذا فهو حُكمٌ باقٍ في الأمة أبداً، وما كان فيها من معنى موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن أمورهم فمنسوخ بالقتال.

ثم أمرَه تعالى أن يستعيذَ من نَخَساتِ الشياطين، والهَمْزُ من الشيطان عبارة عن حثِّه على العصيان والإغراء به كما يَهمِزُ الرائضُ الدابَّةَ لتُسرع.

ثم أمرَه أن يستعيذَ من سَوْرَةِ الغضب التي لا يملكُ الإنسانُ فيها نفسَه، وقال ابنُ زيد: هَمْزُ الشيطان الجنون[١].

والظاهرُ أنه أمرٌ بالاستعاذة من حضور الشياطين في كلِّ وقت، وعن ابن عباس: عندَ تلاوةِ القرآن.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قال الزمخشريّ: «حتَّى» تتعلق بـ ﴿يَصِفُونَ﴾ أي: لا يزالون على سوء الذِّكر إلى هذا الوقت، والآية فاصلةٌ بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للإغضاء عنهم مستعيناً بالله على الشيطان أن يستزلَّه عن الحلم ويُغريه على الانتصار منهم، أو على قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٢]. انتهى.

وقال ابنُ عطية: «حتَّى» في هذا الموضع حرفُ ابتداء، ويحتمل أن تكون غاية مجرَّدة بتقدير كلامٍ محذوف، والأول أبينُ لأنَّ ما بعدَها هو المعنيُّ به المقصودُ ذِكرُه. انتهى.

فتوهَّم ابنُ عطية أنَّ «حتَّى» إذا كانت حرفَ ابتداء لا تكون غاية، وهي إذا كانت حرفَ ابتداء لا تُفارقُها الغاية، ولم يبيِّن الكلامَ المحذوفَ المقدَّر.

وقال أبو البقاء: «حتى» غاية في معنى العطف[٣].

والذي يظهرُ لي أنَّ قبلَها جملة محذوفة تكون «حتى» غايةً لها يدلُّ عليها ما قبلَها، التقدير: فلا أكونُ كالكفَّار الذين تَهْمِزُهُمْ الشياطين ويحضُرونهم حتى إذا جاء أحدَهم الموتُ. ونظيرُ حذفِ هذه الجملة قولُ الشاعر:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٥، وأخرج الطبري ١٧/ ١٠٦ قول ابن زيد بلفظ: هَمَزَاتُ الشياطين: خَنْقُهم الناسَ، فذلك هَمَزَاتهم.

(٢) قال السمين في الدُّرّ المصون ٨/ ٣٦٥: قوله: «أو على قوله وإنهم لكاذبون» كلامٌ محمول على المعنى، إذ التقدير: «حتى» معلَّقة على «يصفون» أو على قوله: «الكاذبون» وفي الجملة فعبارةٌ مشكلة. اهـ. وكذا ضعَّفه الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ١٣٨.

(٣) لم أقف عليه في الإملاء.

فيا عجباً حتى كُلَيبٌ تَسُبُّني[(١)]

أي: يَسُبُّني الناسُ حتى كُلَيبٌ، فدَلَّ ما بعد «حتى» على الجملة المحذوفة، وفي الآية دلَّ ما قبلَها عليها.

وقال القشيريّ: احتجَّ تعالى عليهم وذكَّرَهم قدرتَه، ثم قال: هم مُصِرُّون على الإنكار «حتى إذا حضرَ أحدَهم الموتُ»[(٢)]: تيقَّن ضلالتَه وعاينَ الملائكة، ندم ولا ينفعه الندم. انتهى.

وجُمع الضمير في «ارْجِعُون» إمَّا مخاطبةً له تعالى مخاطبةَ الجمع تعظيماً كما أخبرَ عن نفسِه بنون الجماعة في غير موضع، وقال الشاعر:

فإنْ شئتِ حَرَّمْتُ النساءَ سِواكُمُ[(٣)]

وقال آخر:

أفلا فارحموني يا إلهَ محمدٍ[(٤)]

وإمَّا استغاثَ أوَّلاً بربِّهِ وخاطبَ ملائكةَ العذاب، وقاله ابنُ جُريج[(٥)].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «أحدَهُم» راجعٌ إلى الكفار، ومساقُ الآياتِ إلى آخرِها يدلُّ على ذلك.

وقال ابنُ عبَّاس: مَنْ لم يُزَكِّ ولم يَحُجَّ سألَ الرَّجعة، فقيل له: ذلك للكفار!

---

(١) هو صدرُ بيت للفرزدق، وعَجُزه: كأنَّ أباها نهشلٌ أو مجاشعُ، وهو في ديوانه ١/ ٤١٩.

(٢) قوله: «حتى إذا حضرَ أحدَهم الموتُ» من الآية (١٨) من سورة النساء، والقول بنحوه في تفسير القرطبي ١٥/ ٨٥ دون نسبة، وفيه لفظ آية هذه السورة.

(٣) هو صدر بيت نسب في الحيوان ٥/ ٣٢ وأضداد ابن الأنباري ص٦٤ واللسان (برد) للعَرْجي، وجاء في الأغاني ٣/ ٣٣٣ ضمن قصيدة للحارث بن خالد المخزومي، وجاء أيضاً ضمن قصيدة لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص٣١٥. وسلف في تفسير الآية (٢٤٩) من سورة البقرة. قال ابن الأنباري: النُّقاخ الشراب العذب، والبرد النوم.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٢، والكليات ص٣٣٧، وعجزُه كما في روح المعاني ١٨/ ١٣٩: فإن لم أكن أهلاً فأنت له أهلُ.

(٥) تفسير الطبري ١٧/ ١٠٨، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٥٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٨٥-٨٦.

فقرأ مستدلًّا لقوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ آية سورة المنافقين[١] [١٠].

وقال الأوزاعيّ: هو مانعُ الزكاة.

وجاء الموت، أي: حَضَرَ وعاينَهُ الإنسان، فحينئذٍ يسألُ الرَّجْعةَ إلى الدُّنيا.

وفي الحديث: «إذا عاينَ المؤمنُ الموتَ قالت له الملائكة نَرْجِعُكَ؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان! بل قُدْماً إلى الله. وأمَّا الكافرُ فيقول: ارْجِعُونِ لعلّي أعملُ صالحاً»[٢].

ومعنى «فيما تركتُ» في الإيمان الذي تركتُه. والمعنى: لعلّي آتي بما تركتُه من الإيمان وأعملُ فيه صالحاً، كما تقول: لعلّي أَبْنِي على أُسّ، تريد: أُؤَسِّسُ أُسًّا وأَبْنِي عليه[٣].

وقيل: «فيما تركتُ» من المال؛ على ما فسَّره ابنُ عباس.

«كلّا» كلمة ردع عن طلب الرَّجعة وإنكار واستبعاد، فقيل: هي من قول الله لهم، وقيل: من قول مَنْ عاينَ الموتَ يقولُ ذلك لنفسه على سبيل التحسُّرِ والنَّدم[٤].

ومعنى «هو قائلُها» لا يسكُتُ عنها ولا يَنْزِعُ لاستيلاء الحسرة عليه، أو: لا يجدُ لها جَدْوَى ولا يُجاب لما سأل ولا يُغاث.

«ومن ورائهم» أي: الكفَّار «بَرْزَخٌ» حاجِزٌ بينهم وبين الرَّجعة إلى وقت البعث.

وفي هذه الجملة إقناطٌ كلّيّ أن لا رجوعَ إلى الدُّنيا، وإنما الرجوعُ إلى الآخرة، استُعير البرزخُ للمدَّة التي بين موتِ الإنسان وبعثِه[٥].

---

(١) بنحوه في سنن الترمذي (٣٣١٦)، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠٧ (تفسير سورة «المنافقون»).

(٢) أخرجه الطبري ١٧/ ١٠٧ عن ابن جريج مرسلاً، وهو في تفسير الثعلبي ٤/ ٣٣٥، والكشاف ٣/ ٤٢، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٦، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٢٠.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٢.

(٤) بنحوه في تفسير الرازي ٢٣/ ١٢٠. قال: والأقرب الأول.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ١٥٦.

وقرأ ابنُ عباس والحسن وابنُ عِياض: «في الصُّوَر» بفتح الواو جمع صُورة[١]، وأبو رَزِين بكسر الصاد وفتح الواو، وكذا: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[٢] [التغابن: ٣] وجمع فُعْلَة بضمّ الفاء على فِعَل بكسر الفاء شاذّ.

﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾ نفيٌ عامٌّ، فقال ابنُ عباس: عند النفخة الأولى يموتُ الناسُ فلا يكون بينهم نَسَبٌ في ذلك الوقت وهم أموات[٣]. وهذا القول يُزِيلُ هولَ الحشر.

وقال ابنُ مسعود وغيره: عند قيام الناس من القبور، فلهَوْلِ المَطْلَع اشتغلَ كلُّ امرئٍ بنفسه، فانقطعت الوسائل وارتفع التفاخُرُ والتعاونُ بالأنساب.

وعن قتادة: ليس أحدٌ أبغضَ إلى الإنسان في ذلك اليوم ممَّن يعرفُ، لأنه يخافُ أن يكونَ له عندَه مظلمة، وفي ذلك اليوم يَفِرُّ المرءُ من أخيه، وأمِّه وأبيه، وصاحبتِه وبنيه[٤].

وقيل: ﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾ أي: لا تَوَاصلَ بينهم حين افتراقِهم إلى ما أعدَّ لهم من ثواب وعقاب وإنَّما التواصلُ بالأعمال[٥].

وقرأ عبد الله: «ولا يَسَّاءلُون» بتشديد السين[٦]، أدغم التاء في السين، إذْ أصلُه: «يتساءلون».

ولا تعارضَ بين انتفاء التساؤل هنا وبين إثباته في قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] لأنَّ يوم القيامة مواطنُ ومواقف، ويمكن أن يكونَ انتفاء التساؤل عند النفخة الأولى، وأما في الثانية فيقعُ التساؤل[٧].

---

(١) القراءات الشاذة ص٩٨ عن الحسن وابن عياض، والكشاف ٣/ ٤٢ عن الحسن، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٦ عن ابن عباس.
(٢) القراءات الشاذة ص٩٨-٩٩ (في الموضعين)، والكشاف ٣/ ٤٢ (لفظة هذه السورة).
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٦، والكلام بعده لابن عطية بإثره. وينظر تفسير القرطبي ١٥/ ٨٨.
(٤) القولان في المحرر الوجيز ٤/ ١٥٦، وتتمة قول قتادة فيه: ويفرحُ كلُّ أحدٍ يومئذٍ أن يكون له حقٌّ على ابنه وأبيه. وينظر تفسير الطبري ١٧/ ١١٣-١١٤.
(٥) الكلام بنحوه في الكشاف ٣/ ٤٣ أوضحُ منه.
(٦) القراءات الشاذة ص٩٩، والكشاف ٣/ ٤٣.
(٧) ينظر الكشاف ٣/ ٤٣.

وتقدَّم الكلامُ في الموازين وثِقَلِها وخفَّتها في أوائل «الأعراف».

وقال الزمخشريّ: «في جهنم خالدون» بدل من «خَسِرُوا أنفسَهم» ولا محلَّ للبدل والمبدَلِ منه لأن الصِّلة لا محلَّ لها، أو خبر بعد خبر لـ «أولئك» أو خبر مبتدأ محذوف. انتهى.

جعل «في جهنَّم» بدلاً من «خَسِرُوا»، وهذا بدلٌ غريب، وحقيقتُه أن يكون البدلُ الفعلَ الذي يتعلَّق به «في جهنم» أي: استقرُّوا في جهنَّم، وكأنه من بدل الشيء من الشيء، وهما لمسمًّى واحدٍ على سبيل المجاز، لأنَّ من خَسِرَ نفسَه استقرَّ في جهنم.

وأجازَ أبو البقاء أن يكون «الذين» نعتاً لـ «أولئك»، وخبر «أولئك»: «في جهنّم»[(١)].

والظاهر أن يكون خبراً لـ «أولئك» لا نعتاً. وخُصَّ الوجهُ باللَّفْح لأنه أشرفُ ما في الإنسان، والإنسانُ أحفظُ له من الآفات من غيرِه من الأعضاء، فإذا لُفِحَ الأشرفُ فما دونَهُ ملفوحٌ.

ولمَّا ذكر إصابةَ النار للوجه ذكرَ الكُلُوح المختصَّ ببعض أعضاء الوجه، وفي «الترمذي»: «تتقلَّصُ شَفَتُه العليا حتى تبلغَ وَسَطَ رأسِه، وتسترخي شفتُه السفلى حتى تضربَ سُرَّته». قال: هذا حديث حسن صحيح[(٢)].

وقرأ أبو حَيْوَة وأبو بَحْرِيَّة وابنُ أبي عَبْلَة: «كَلِحُون» بغير ألف[(٣)].

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا

(١) ليس هو في مطبوع الإملاء.

(٢) هو في سنن الترمذي (٢٥٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وفيه قول الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وضَعَّفَ إسنادَه محقِّقُو المسند (١١٨٣٦) لأنه من رواية أبي السَّمْح عن أبي الهيثم، وفي روايته عنه ضعف كما في «تقريب» ابن حجر.

(٣) القراءات الشاذة ص٩٩ والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٧ عن أبي حَيْوَة، وهي في الكشاف ٣/ ٤٣ دون نسبة.

وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى
جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ
﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ
ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا
بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ
وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

يقول الله تعالى لهم على لسانِ من يشاءُ من ملائكتِه: «ألم تكن آياتي» وهي القرآن، ولمَّا سمعوا هذا التقريرَ أذعنُوا وأقرُّوا على أنفسهم بقولهم: «غلبَتْ علينا شِقْوَتُنا» من قولهم: غلبني فلانٌ على كذا: إذا أخذَه منك وامتلَكَه.

والشَّقاوةُ: سوءُ العاقبة، وقيل: الشِّقْوَة: الهوى وقضاءُ اللَّذَّات، لأن ذلك يؤدِّي إلى الشِّقْوَة، أُطلق اسمُ المسَبَّب على السبب. قاله الجُبَّائيّ.

وقيل: ما كُتبَ علينا في اللوح المحفوظ وسبقَ به عِلْمُك(١).

وقرأ عبدُ الله والحسن وقتادة وحمزة والكسائيّ والمُفَضَّل عن عاصم وأبان والزعفرانيّ وابنُ مِقْسم: «شَقَاوتُنا» بوزن السَّعادة، وهي لغة فاشية، وقتادةُ أيضاً والحسنُ في رواية خالد بن حَوْشَب عنه كذلك إلا أنه بكسر الشين(٢)، وباقي السبعة والجمهورُ بكسر الشين وسكون القاف(٣)، وهي لغةٌ كثيرة في الحجاز، قال الفرَّاء: أنشدني أبو ثَرْوان وكان فصيحاً:

عُلِّقَ من عَنائِهِ وشِقْوَتِهْ بنتَ ثماني عَشْرَةٍ من حِجَّتِهْ(٤)

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٤/ ٣٣٧، وتفسير القرطبي ١٥/ ٩١.
(٢) ينظر زاد المسير ٥/ ٤٩٢.
(٣) السبعة ص٤٤٨، والتيسير ص١٦٠.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٢، والرَّجز أيضاً في المخصَّص (السفر ١٤/ ٩٢) وخزانة الأدب ٦/ ٤٣٠ (الشاهد ٤٨٢)، وفي هذه المصادر: كُلِّفَ، بدل: عُلِّق.

وقرأ شِبْلٌ في اختياره بفتح الشين وسكون القاف[١]. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ أي: عن الهدى. ثم تَدَرَّجوا من الإقرار إلى الرغبة والتضرُّع، وذلك أنهم أقرُّوا، والإقرارُ بالذنب اعتذار، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ أي: من جهنَّم ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ أي: إلى التكذيب واتّخاذِ آلهة وعبادةِ غيرِك ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ أي: متجاوِزُو الحدِّ في العدوان حيث ظلمنا أنفسَنا أولاً، ثم سُومِحْنا، فظلمناها ثانياً.

وحكى الطبريّ حديثاً ـ طويلاً في مقاولةٍ تكونُ بين الكفَّار وبين مالكٍ خازنِ النار، ثم بينَهم وبين ربِّهم جلَّ وعزَّ، وآخرُها قال: ﴿اخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ قال: وتنطبقُ عليهم جهنم ويقعُ اليأسُ ويبقُون ينبُحُ بعضُهم في وجه بعض.

قال ابن عطية[٢]: واختصرتُ ذلك الحديثَ لعدم صحَّته، لكن معناه صحيح.

ومعنى «اخسؤوا» أي: ذِلُّوا فيها وانْزَجِرُوا كما تنزجِرُ الكلاب إذا زُجِرَتْ، يقال: خَسَأْتُ الكلبَ وخَسَأَ هو بنفسه، يكون متعدِّياً ولازماً.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي في رفع العذاب أو تخفيفِه، قيل: هو آخِرُ كلام يتكلَّمون به، ثم لا كلامَ بعد ذلك إلا الشهيقُ والزفيرُ والعِواءُ كعِواءِ الكلاب، لا يَفهَمُون ولا يُفهِمُون[٣].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ قرأ أُبيٌّ وهارونُ العَتَكيّ «أنَّه» بفتح الهمزة[٤] أي: لأنه، والجمهورُ بكسرها، والهاء ضميرُ الشأن، وهو محذوف مع «أنْ» المفتوحة الهمزة[٥].

والفريقُ هنا هم المستضعفون من المؤمنين، وهذه الآيةُ ممَّا يُقال للكفار على

---

(١) نسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٩٢ لعمرو بن العاص وأبي رَزِين العُقيلي وأبي رجاء العُطاردي.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٧ والكلام السالف قبله فيه، والحديث المذكور في تفسير الطبري ١٧/ ١١٩-١٢١ عن محمد بن كعب القرظي، وأورده القرطبي في التذكرة ص٤١٧-٤١٩، وأورد آخره في التفسير ١٥/ ٩٣.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٤.

(٤) القراءات الشاذة ص٩٩، والمحتسب ٢/ ٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٧.

(٥) أي المخفَّفة من الثقيلة.

جهة التوبيخ، ونزلت في كفار قريش مع صُهَيْب وعمَّار وبلال ونظرائهم، ثم هي عامة فيمن جرى مجراهم قديماً وبقية الدهر(١).

وقرأ حمزة والكسائيّ ونافع «سُخْرِيًّا» بضمِّ السين، وباقي السبعة بالكسر(٢).

قال الزمخشريّ: مصدر(٣) سَخِرَ، كالسُّخْرِ(٤)، إلا أنَّ في ياء النَّسَب زيادةَ قوة في الفعل كما قيل: الخصوصيَّة في الخُصوص.

وهما بمعنى الهُزْء في قول الخليل وأبي زيد الأنصاريّ وسيبويه(٥).

وقال أبو عبيدة والكسائي والفرَّاء: ضمُّ السين من السُّخْرَة والاستخدام، والكسرُ من السِّخْر، وهو الاستهزاء(٦)، ومنه قول الأعشى(٧):

إنـي أتـانـي حـديـثٌ لا أُسَـرُّ بـهِ من عُلْوِ لا كَذِبٌ فيه ولا سَخَرُ(٨)

وقال يونس: إذا أُريد التخديم فضمُّ السين لا غير، وإذا أُريد الهُزْء فالضمُّ والكسر.

قال ابن عطية(٩): وقرأ أصحاب عبد الله وابنُ أبي إسحاق والأعرج بضمّ السين كلَّ ما في القرآن، وقرأ الحسن وأبو عَمرو بالكسر إلا التي في «الزخرف» [٣٢] فإنهما ضمَّا السين كما فعل الناس. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٧.

(٢) السبعة ص٤٤٨، والتيسير ص١٦٠، والمصدر السالف.

(٣) أي: السُّخْرِيّ، بالضم والكسر مصدر. . .الخ. وينظر الكشاف ٣/ ٤٤.

(٤) بالضم، والسِّخْر، بالكسر أيضاً كما في نسخة خطية للكشاف.

(٥) هو في الكشاف ٣/ ٤٤ عن الخليل وسيبويه، وفي المحرر الوجيز ٤/ ١٥٧-١٥٨ عن أبي زيد.

(٦) في الكشاف عن الكسائي والفراء، وفي المحرر الوجيز عن أبي عبيدة، وينظر تفريق الفراء بينهما في معانيه ٢/ ٢٤٣. ونقل النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٢٤ عن الكسائي أيضاً أنهما لغتان بمعنًى واحد كما يقال: عُصِيّ وعِصِيّ.

(٧) هو أعشى باهلة كما في اللسان (لسن).

(٨) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٨، وروايتُه بنحوه في اللسان (لسن) وخزانة الأدب ١/ ١٩١. قال البغدادي: «سَخَر» بفتحتين أو ضمتين، مصدر سخر منه.

(٩) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٨، وقول يونس السالف فيه.

وكان قد قال عن أبي عليّ - يعني الفارسي - إن قراءة كسر السين أوجه لأنه بمعنى الاستهزاء، والكسرُ فيه أكثرُ، وهو أليقُ بالآية، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾؟ انتهى قولُ أبي عليّ.

ثم قال ابنُ عطية[1]: ألا ترى إلى إجماع القُرَّاء على ضمّ السين في قوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] لمَّا تخلَّص الأمر للتخديم. انتهى.

وليس ما ذكرَه من إجماع القُرَّاء على ضمّ السِّين في «الزخرف» صحيحاً، لأنَّ ابنَ مُحيصن وابنَ مسلم كسرا في «الزُّخرف»، ذكر ذلك أبو القاسم بن جُبارة الهُذَليّ في كتاب «الكامل»[2].

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: هُزْأَةً تهزؤون منهم ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ أي: بتشاغُلِكم بهم، فتركتُم ذكري، أي أن تذكروني فتخافوني في أوليائي. وأسندَ النِّسيان إلى فريق المؤمنين من حيث كان سببَه.

وقرأ زيد بنُ علي وحمزة والكسائي وخارجة عن نافع: «إنهم هم» بكسر الهمزة، وباقي السبعة بالفتح[3].

ومفعول «جزيتُهم» الثاني محذوف تقديرُه: الجنةَ، أو: رضواني.

وقال الزمخشري[4] في قراءة من قرأ «أنهم» بالفتح: هو المفعول الثاني، أي: جزيتُهم فوزَهم. انتهى.

والظاهر أنه تعليل، أي: جزيتُهم لأنهم، والكسرُ هو على الاستئناف، وقد يُرادُ به التعليل، فيكون الكسرُ مثلَ الفتح من حيث المعنى لا من حيث الإعراب لاضطرار المفتوحة إلى عامل.

والفائزون: الناجُون من هَلَكَة إلى نعمة.

(١) المصدر السالف، وينظر الحجَّة ٥/ ٣٠٤-٣٠٥.
(٢) وهي في القراءات الشاذة ص١٣٥ عن ابن محيصن، وزاد القرطبي في تفسيره ١٩/ ٣٧ نسبتها لمجاهد.
(٣) السبعة ص٤٤٨-٤٤٩، والتيسير ص١٦٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٨.
(٤) الكشاف ٣/ ٤٤.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وابنُ كثير: «قُلْ كم» والمخاطَبُ مَلَكٌ يسألُهم، أو بعضُ أهل النار(١)، فإذا قال عبَّر عن القوم(٢). وقرأ باقي السبعة: «قال»(٣) والقائلُ الله تعالى، أو المأمورُ بسؤالهم من الملائكة.

وقال الزمخشريّ: «قال» في مصاحف أهل الكوفة، و«قُلْ» في مصاحف أهل الحَرَمَيْن والبَصْرة والشام.

وقال ابنُ عطية: وفي المصاحف «قال» فيهما إلا في مصحف أهل الكوفة، فإنَّ فيه «قُلْ» بغير ألف.

وتقدَّم إدغام باب «لبثت» في البقرة [٢٥٩]، سألَهم سؤالَ توقيفٍ على المدَّة.

وقرأ الجمهور: «عَدَدَ سنين» على الإضافة، و«كم» في موضع نصب على ظرف الزمان، وتمييزُها «عَدَدَ».

وقرأ الأعمش والمفضَّل عن عاصم: «عَدَداً» بالتنوين(٤)، فقال أبو الفضل الرازيّ صاحب كتاب «اللوامح»: «سنين» نصبٌ على الظرف، والعدد مصدر أُقيم مقام الاسم، فهو نعتٌ مقدَّم على المنعوت(٥)، ويجوزُ أن يكون معنى «لبثتُم»: عَدَدْتُم، فيكون نصب «عدداً» على المصدر، و«سنين» بدلٌ منه. انتهى.

وكون «لَبِثْتُم» بمعنى «عَدَدْتُم» بعيد.

ولمَّا سئلوا عن المدَّةِ التي أقاموا فيها في الأرض ـ ويعني في الحياة الدنيا،

(١) الكشاف ٣/ ٤٤، وردَّ الآلوسي في روح المعاني ١٨/ ١٥٤ قولَه: بعض أهل النار. وينظر تفسير القرطبي ١٥/ ٩٦-٩٧.
(٢) كذا وقع. وجاء نحو رسم هذا الكلام في عبارة المحرر الوجيز ٤/ ١٥٨، ولفظُه: «المعنى الأمرُ لواحدٍ منهم مشارٍ إليه، بمعنى: يقال لأحدهم: قُل كذا، فإذا قال غيرَ القويم قيل له: قل إن لبثتم». والله أعلم.
(٣) السبعة ص٤٤٩، والتيسير ص١٦٠.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٩ عن الأعمش، وهي في الإملاء ٢/ ١٥٢ دون نسبة.
(٥) يعني أن الأصل ـ كما في الدر المصون ٨/ ٣٧٣ ـ: سنينَ عدداً، أي: معدودة، قال السمين: لكنه يُلتزم تقديم النعت على المنعوت، فصوابُه أن يقول: فانتصبَ حالاً. هذا مذهب البصريِّين.

قاله الطبري، وتبعَه الزمخشري[١]، فنَسُوا لفرطِ هَوْلِ العذاب حتى قالوا: يوماً أو بعض يوم[٢] ـ أجابوا بقولهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: تَردَّدُوا فيما لبثوا. قاله ابنُ عباس[٣].

وقيل: أُريد بقوله: «في الأرض» في جوف التُراب أمواتاً، وهذا قولُ جمهور المتأوِّلين.

قال ابنُ عطية: وهذا هو الأصوب من حيث أنكروا البعث، وكان قولُهم: إنهم لا يقومون من التراب؛ قيل لهم لما قاموا: «كم لبثتم» وقولُه آخِراً: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ يقتضي ما قلناه. انتهى.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ خطابٌ للذي سألَهم، قال مجاهد: العادِّين الملائكة، أي: هم الذين يحفظون أعمالَ بني آدم ويُحْصُون عليهم ساعاتِهم.

وقال قتادة: أهل الحساب.

والظاهر أنهم من يتَّصف بهذه الصفة ملائكةٌ أو غيرُهم، لأن النائم والميِّت لا يَعُدُّ فيتقدَّر له الزمان[٤].

وقال الزمخشريّ: والمعنَى: لا نعرفُ من عددِ تلك السنينَ، إلا أنَّا نستقلُّه ونَحْسِبُهُ يوماً أو بعضَ يوم لِما نحن فيه من العذاب، وما فينا أن نَعُدَّها كم هيَ[٥]، فاسْأَلْ مَنْ فيه أنْ يَعُدَّ، ومَنْ يَقْدِرُ أنْ يُلْقِيَ إليه فِكْرَهُ. انتهى.

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ١٣٠، والكشاف ٣/ ٤٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٨.

(٣) الوسيط للواحدي ٣/ ٣٠٠، والكشاف ٣/ ٤٥، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٢٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٩٦، ولفظُه (كما في القرطبي): أنساهم ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الأولى إلى الثانية.

(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ١٥٩: «لا يَعُدُّ الحركة فيقدّر له الزمن». وقول مجاهد وقتادة فيه، وهما أيضاً في تفسير الطبري ١٧/ ١٣١-١٣٢، والنكت والعيون ٤/ ٦٩، وبنحوه في تفسير القرطبي ١٥/ ٩٦.

(٥) تحرفت لفظة «هي» في (أ) و(ح) إلى: بقي، وفي المطبوع إلى: بفي، ووقع فيها أيضاً أن يعدَّ كم. . .، ولفظ «كم هي» لم يرد في مطبوع الكشاف ٣/ ٤٤، وهو في نسخة خطية له.

وقرأ الحسن والكسائي في رواية: «العادِين» بتخفيف الدال[١]، أي: الظَّلَمة، فإنهم يقولون كما نقول[٢].

قال ابن خالويه: ولغةٌ أخرى: «العادِيِّين» يعني بياء مشدَّدة، جمع عادِيّ، يعني القدماء.

وقال الزمخشريّ: وقُرِئ: «العاديِّين» أي: القدماء المعمَّرين، فإنهم يستقصرونها، فكيف بمن دونهم؟!

وقرأ الأخَوَان: «قل إن لبثتم» على الأمر، وباقي السبعة: «قال»[٣].

و«إنْ» نافية أي: ما لبثُم إلا قليلاً، أي: قليلَ القَدْرِ في جَنْب ما تُعذَّبون فيه إن كان اللبث في الدنيا[٤]، وإن كان في القبور فعَلَيْهِ أنَّ كلَّ آتٍ قريبٌ[٥]، ولكنكم كذَّبتم به إذ كنتم لا تعلمون، أي[٦]: لم ترغبوا في العلم والهدى.

وانتصبَ «عَبَثاً» على الحال، أي: عابثين، أو على أنه مفعولٌ من أجله. والمعنى في هذا: ما خلقناكم للعبث، وإنما خلقناكم للتكليف والعبادة.

وقرأ الأخوان: «لا تَرْجِعون» مبنيًّا للفاعل، وباقي السبعة مبنيًّا للمفعول[٧].

والظاهر عطف «وأنكم» على «أنَّما» فهو داخل في الحُسْبَان، وقال الزمخشري[٨]: يجوزُ أن يكون معطوفاً على «عَبَثاً» أي: للعَبَثِ ولِتركِكم غيرَ مرجوعين. انتهى.

---

(١) القراءات الشاذة ص٩٩، وهي في الكشاف ٣/ ٤٤ دون نسبة.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٤.
(٣) السبعة ص٤٤٩، والتيسير ص١٦٠. والأخوان: حمزة والكسائي.
(٤) أي على القول بأن اللبث في الدنيا، والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٥٩.
(٥) المثبت من (يه). وفي (أ) والمطبوع: فقلت أن كل آتٍ... (؟)، وفي (ح): فعلت أن... (؟). وفي المحرر الوجيز (والكلام منه): وعلى القول بأن اللبث في القبور معناه: أنه قليل، إذ كلُّ آتٍ قريب... الخ.
(٦) في المحرر الوجيز ٤/ ١٥٩: إذ، بدل: أي.
(٧) السبعة ص٤٥٠، والتيسير ص١٦٠.
(٨) الكشاف ٣/ ٤٥، وذكر الزمخشري قبله الوجه السالف.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: تعاظمَ وتنزَّه عن الصاحبة والولدِ والشريكِ والعَبَثِ وجميعِ النقائص، بل هو «المَلِكُ الحقُّ» الثابت هو وصفاتُه العُلَى.

و«الكريم» صفة للعرش لتنزل الخيرات منه، أو لنسبتِه إلى أكرم الأكرمين.

وقرأ أبان بن تغلب وابنُ مُحيصن وأبو جعفر وإسماعيل عن ابن كثير: «الكريمُ» بالرفع[1] صفة لـ «ربُّ العرش» أو «العرش» ويكون معطوفاً على معنى المدح[2].

و«مَنْ» شرطيَّة، والجواب: «فإنَّما»، و«لا بُرْهانَ له به» صفة لازمة لا للاحتراز من أن يكون ثَمَّ آخرُ يقومُ عليه برهانٌ، فهي مؤكِّدة، كقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] ويجوزُ أن تكون جملةَ اعتراض، إذْ فيها تشديد وتأكيد، فتكون لا موضعَ لها من الإعراب، كقولك: مَنْ أساءَ إليك لا أَحَقَّ بالإساءة منه؛ فأَسِئْ إليه.

ومَنْ ذهبَ إلى أنَّ جواب الشرط هو «لا برهانَ له به» هروباً من دليل الخطاب من أن يكون ثَمَّ داعٍ له برهان؛ فلا يصحُّ، لأنه يلزمُ منه حذفُ الفاء في جواب الشرط[3]، ولا يجوزُ إلا في الشِّعر[4]، وقد خرَّجْناه على الصفة اللازمة، أو على الاعتراض، وكلاهما تخريجٌ صحيح.

وقرأ الحسن وقتادة: «أنه لا يُفلح» بفتح الهمزة[5]، وهو خَبَرٌ عن «حسابُه»، أي: حسابُه عند ربِّه انتفاءُ...[6] والأصل: حسابُه أنه لا يُفلح،

---

(١) القراءات الشاذة ص٩٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٩، وزاد المسير ٥/ ٤٩٦، وتفسير القرطبي ١٥/ ٩٨، قال الزمخشري في الكشاف ٣/ ٤٥: ونحوه: ذو العرش المجيدُ.

(٢) قال السمين في الدر المصون ٨/ ٣٧٥: قُطع عن إعرابه لأجل المدح على خبر مبتدأ مضمر.

(٣) بنحوه في المحرر الوجيز ٤/ ١٥٩.

(٤) كقوله: مَنْ يَفْعَلِ الحسناتِ اللهُ يشكرُها. ينظر الدر المصون ٨/ ٣٧٦.

(٥) القراءات الشاذة ص٩٩، والمحتسب ٢/ ٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٩، وتفسير القرطبي ١٥/ ٩٩.

(٦) موضع النقاط في (يه) (والكلام منها): «للاحد»(؟). وخبرُ «حسابُه» المرادُ من السياق: «انتفاءُ الفلاح». والكلامُ بنحوه في الكشاف ٣/ ٤٥، وفيه: حسابُه عدمُ الفلاح... ولم يرد هذا الكلام في النسخ الأخرى والمطبوع، وينظر التعليق التالي.

هو، فوُضع «الكافرون»[١] موضع الضمير حملاً على معنى «مَنْ».

والجمهورُ بكسر الهمزة، وخبر «حسابُه» الظرف، و«إنه» استئناف.

وقرأ الحسن: «يَفْلَحُ» بفتح الياء واللام[٢].

وافتتح السورة بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ وأوردَ في خاتمتها: «إنه لا يفلح الكافرون»، فانظر تفاوتَ ما بين الافتتاحِ والاختتام[٣].

ثم أمرَ رسولَه عليه الصلاة والسلام بأن يدعوَ بالغفران والرحمة.

وقرأ ابن مُحَيْصِن: «رَبُّ» بضمّ الباء[٤].

تمَّ الجزء الخامس عشر من البحر المحيط،

ويتلوه الجزء السادس عشر

وأوَّله تفسير قوله تعالى:

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ الآية،

أول سورة النور

---

(١) من قوله: وهو خَبَر عن «حسابُه»... إلى قوله: هو فوُضع... من (يه)، وعبارة (أ) و(ح) و(ع) والمطبوع: بفتح الهمزة، أي: هو، فوُضع... الخ.

(٢) القراءات الشاذة ص٩٩، والمحرر الوجيز ٤/ ١٥٩، وهي في الكشاف ٣/ ٤٥ دون نسبة. و«يَفْلَحُ» مضارع «فَلَحَ» بمعنى «أَفْلَحَ»، «فَعَلَ» و«أَفْعَلَ» فيه بمعنًى. قاله السمين في الدر ٨/ ٣٧٦.

(٣) بنحوه في الكشاف ٣/ ٤٥، وتفسير الرازي ٢٣/ ١٢٨.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ١٥٩.

فهرس الآيات